وزارة التعليـــم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
- قسم التاريخ -

الحركات المذهبية بالأندلس وأثرها السياسي والفكري

(138-479هـ/756-1086م)

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط الإسلامي

إعداد الطالب:
عبد الجليل ملاخ

إشراف الأستاذ الدكتور:
إبراهيــــم بكير بحاز

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
قويدر بشار	أستاذ التعليم العالي	ج.الجزائر2	رئيسا
إبراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	ج.غرداية	مقررا
عمار جيدل	أستاذ التعليم العالي	ج.الجزائر1	مناقشا
جميلة بن موسى	أستاذ التعليم العالي	م.ع للأساتذة بوزريعة	مناقشا
نور الدين غرداوي	أستاذ التعليم العالي	ج.الجزائر2	مناقشا
موسى هواري	أستاذ محاضر -أ-	ج.الجزائر2	مناقشا

الموسم الجامعي: 1438-1439هـ/2017-2018م

وزارة التعليـــــم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

- قسم التاريخ -

الحركات المذهبية بالأندلس وأثرها السياسي والفكري

(138-479هـ/756-1086م)

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط الإسلامي

إعداد الطالب:

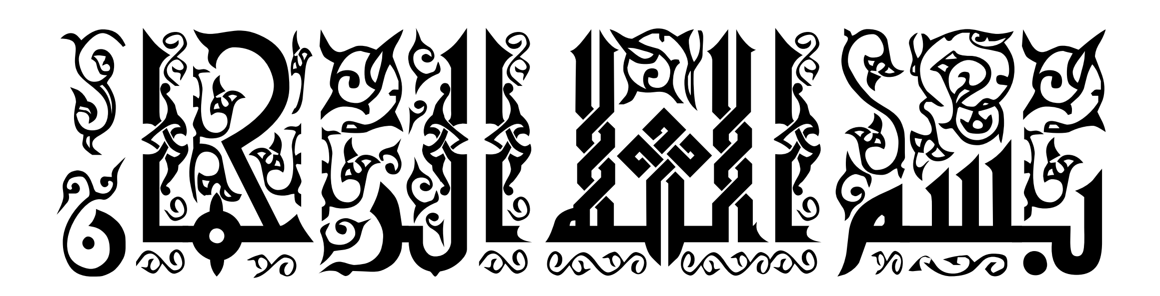
عبد الجليل ملاخ

إشراف الأستاذ الدكتور:

إبراهيـــم بكير بحاز

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
قويدر بشار	أستاذ التعليم العالي	ج.الجزائر2	رئيسا
إبراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	ج.غرداية	مقررا
عمار جيدل	أستاذ التعليم العالي	ج.الجزائر1	مناقشا
جميلة بن موسى	أستاذ التعليم العالي	م.ع للأساتذة بوزريعة	مناقشا
نور الدين غرداوي	أستاذ التعليم العالي	ج.الجزائر2	مناقشا
موسى هواري	أستاذ محاضر -أ-	ج.الجزائر2	مناقشا

الموسم الجامعي: 1438-1439هـ/2017-2018م


بسم الله الرحمن


الرحيم

الإهداء

إلى روح أمي وأبي رحمهما الله، الذي لم يكتب لهم القدر حضور تخرجي.

إلى زوجتي التي شاركتني عناء العمل بصبرها

إلى بناتي إيمان حجو، والرميصاء.

إلى عائلتي الكبيرة من إخوة وأخوات.

إلى أرواح شهداء الأمة عامة والجزائر خاصة.

إلى روح الأستاذ الدكتور موسى لقبال رحمة الله عليه

إلى جميع من ربطتني بهم رابطة العلم والأخوة في الله

إلى أهل القرآن طلاب التحفيظ التربوي، وطلاب النور في كل مكان.

إلى الذين يسلكون طريق الأمجاد العالية بأقلامهم وأعمالهم وهم صامتون.

إلى مسلمي الأندلس.

عبد الجليل بن عبد القادر ملاخ

شكر وعرفان

بعدما وفقني الله سبحانه وتعالى في إتمام هذه الرسالة أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع الذين ساعدوني من قريب أو من بعيد، بتوجيهاتهم، ونصائحهم، ودعائهم، وأخص بالذكر:

المشرف الأستاذ الدكتور "إبراهيم بن بكير بحاز" الذي لم يبخل عليَّ، بنصائحه وتوجيهات وسعة صدره وصبره.

والشكر موصول لجميع الباحثين الذين وقفوا معي داخل الوطن وخارجه:

أ.د/امحمد بن عبود (المغرب)، أ.د/نجم الدين الهنتاتي(تونس)، أ.د/ إبراهيم القادري بوتشيش(المغرب)، د/حلول بن قومار(الجزائر)، أ.د/عمر بن حمادي(تونس)، الشيخ إحسان قاسم الصالحي (تركيا)، د/طاهر بن علي(الجزائر)، د/ميلود بلحاج (الجزائر)، أ/عبد الحميد بن ساحة...

كما أشكر قسم التاريخ بجامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله على التسهيلات التي وجدتها لاستعادة الجهد وإتمام الرسالة.

عبد الجليل بن عبد القادر ملاخ

جدول مختصرات الرسالة

المختصر	معناه
د.س.ط	دون سنة الطبع
/	تفصل بين الجزء والصفحة، وبين الهجري والميلادي



المقدمة:

الأندلس، الغصن الرّطيب كما سمّاها المؤرخ المقّري، والكنز المفقود والجوهرة الموعودة، أسال تاريخها أقلام المؤرخين والأدباء والباحثين ولا يزال، تعاقب على حكمها منذ الفتح الإسلامي لها سنة 91هـ/711م عدّة دول وإمارات، إلاّ أنّ فترة الحكم الأموي (138-422هـ/756-1031م) تعتبر عصرها الذهبي، وبسقوط الدولة الأموية واندثار عقد الخلافة بها، انقسمت الجزيرة على نفسها إلى عدّة ممالك وإمارات أُصطلح على تسميتها بعصر ملوك الطوائف (422-479هـ/1031-1086م) وكان له بالغ الأثر سياسيا إذ أضعف وحدة المسلمين وبدد قوتهم، وفي الوقت نفسه طغت على الجزيرة المشاكل الاجتماعية لتعدد تركيبتها البشرية، وبرزت الحركات المذهبية التي كانت في عصر القوة السياسية خافتة مستترة، كما برزت المكانة الفكرية للعلماء والفقهاء عندما سعت كل مملكة في عصر الطوائف لتقريبهم لها علّها تحض بالشرعية كإمارة من جهة، ولتقريب العلماء والفقهاء المقربين من المجتمع من جهة أخرى.

والحديث عن الكتابة التاريخية في جانبها الجغرافي والسياسي للدولة الأموية وكذا عصر الطوائف بالأندلس قد يجعلني أكرر الكثير من المعلومات المتضمنة في المصادر القديمة والمراجع والأبحاث الحديثة (سواء عند المسلمين أو عند غيرهم من المستشرقين) لكنّ الدّراسة التاريخية للحياة الفكرية بصفة عامة والمذهبية بصفة خاصة تبقى مجالا خصبا للبحث والدراسات المعمقة، خاصة وأنّي أؤمن أن فهم الوقائع التاريخية المتنوعة في الفترة الوسيطة الإسلامية (حروب، قيام الدول وسقوطها، النهضة الفكرية وغير ذلك) يكون في الغالب وراءه محرك لعصبية قبلية أو دافع مذهبي ما، وأعتبر أنّهما كانا الموجه الحقيقي للعقلية والذهنية التي حكمت الأندلس على الخصوص والعالم الإسلامي على العموم، وبتركيزي على النقطة الأخيرة التي تهتم بالجانب المذهبي في الأندلس عصر الدولة الأموية وملوك الطوائف ارتأيت أن تكون دراستي في هذه الرسالة موسومة بـ:

الحركات المذهبية بالأندلس وأثرها السياسي والفكري

(138-479هـ / 756-1086م)



أولا– حدود الدراسة:

لا تكتمل الدراسة التاريخية العلمية الجادة إلاّ إذا كان للدراسة حدود دقيقة من حيث الموضوع والمكان والزمان، ودراستي في معالم حدودها تجسدت في الآتي:

1) **حدود موضوع الدراسة:** تتناول رسالتي موضوع الحركات المذهبية الإسلامية، أو المذاهب التي عرفتها الأندلس أو التي اتخذت من الإسلام شعارا لها، وأصبحت تُحسب عليه، سواء كانت عقائدية (السنة، الشيعة، الخوارج) أو فقهية (المالكية، الشافعية، الظاهرية.) وبالتالي لا أتطرق للحركات المذهبية الخاصة بالملل الأخرى كالنصرانية واليهودية، ولا الخاصة بجميع النِحل الوضعية، ثم معرفة أهم التفاعلات السياسية والآثار الفكرية التي تركتها هذه المذاهب في الأندلس، والحركة هنا أقصد بها المذاهب التي كانت نشطة وفاعلة في إدخال المذهب إلى الإندلس، أو سعت لنشره.

2) **حدود الإطار الزماني:** الإطار الزماني الذي حصرت فيه الدراسة هو عصر الدولة الأموية وملوك الطوائف، أي ما بين تاريخي 138هـ/756م الذي يمثل سنة إعلان عبد الرحمان بن معاوية (الداخل، صقر قريش) تأسيس الدولة الأموية في الأندلس بعدما سقطت في المشرق على أيدي العباسيين سنة 132هـ/750م، وسنة 479هـ/1086م الذي يمثل تاريخ معركة الزلاقة والتي كانت بقيادة يوسف بن تاشفين المرابطي أمير المسلمين، وألفونسو السادس ملك قشتالة، وهي الحد الفاصل للتحول الذي ستعرفه الأندلس بعد هذا التاريخ خاصة في المجال السياسي والفكري للغرب الإسلامي عموما.

3) **حدود الإطار المكاني:** يشمل شبه جزيرة الأندلس (إيبيريا) خلال عصري الدولة الأموية (الإمارة والخلافة) وملوك الطوائف.

ثانيا– إشكالية موضوع الدراسة:

بعد ذكر الموضوع وضبط عنوان الدراسة، يمكنني هنا طرح إشكالية عامة وهي:

ما طبيعة المذاهب التي وصلت الأندلس، وكيف تفاعلت السلطة السياسية والمجتمع معها، وهل أثرها السياسي والفكري كان بارزا؟

ويمكن طرح بعض التساؤلات الفرعية منها:

1) هل أثّرت المذهبية في الأندلس على الوضع السياسي والفكري؟

2) ما مدى تأثير المذاهب التي وُجدَت في العدوة المغربية، وقامت لها دول سياسية (دولة بني مدرار الصفرية بسجلماسة، والدولة الرستمية الإباضية بتيهرت، ودولة الأغالبة الأحناف برقادة، والدولة الفاطمية الشيعيةالإسماعيلية بالمهدية...) في واقع الأندلس مذهبيا وسياسيا؟

3) متى دخل المذهب المالكي إلى لأندلس، وكيف استطاع التوسع فيها على حساب مذهب الإمام الأوزاعي قبله؟

4) وهل حافظت الأندلس وحدتها المذهبية خلال عصري الدولة الأموية وملوك الطوائف؟

5) ما العلاقة التي ربطت بين هذه المذاهب من جهة، وبينها وبين السلطة الحاكمة من جهة أخرى؟

6) كيف تعاملت السلطة الأموية ودول الطوائف مع المذاهب التي لم تخدم مصالحها أو توجهها الاعتقادي والفقهي؟

7) لماذا لم يكن للأندلسيين اهتمام كبير ببعض العلوم النقلية والعقلية؟

8) هل كان للمذاهب دور في توحيد الأندلس سياسيا في عصر ملوك الطوائف؟

9) كيف استطاع فقهاء وأتباع بعض المذاهب من غير المالكية، الوصول إلى المناصب العليا في الدولة الأموية والتحكم في بعض دول الطوائف؟

10) هل يمكن اعتبار فكر محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلي، فكرا جديدا على الأندلس؟

11) هل كان للمذاهب التي شهدتها الأندلس أثر ايجابي عليها؟ خاصة في المجالين السياسي والفكري.

هذه التساؤلات وغيرها أَحسَب أن رسالتي ستجد لها أجوبة تميط اللثام عن بعض الغموض الذي اكتنف هذا الجانب من تاريخ الأندلس، وربما تكون إضافة في تاريخ الغرب الإسلامي عموما.

ثالثا– أهم أسباب ودوافع اختيار الموضوع:

اجتمعت عدّة أسباب ودوافع للخوض في غمار هذا الموضوع ومنها:

1) رغبتي في التأكد من صحة العبارة التي أوردها الرحالة والجغرافي شمس الدين المقدسي (ت حوالي 387هـ/997م) التي تضمنها كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، والتي جاء فيها ما نصه: <<... **أمّا في الأندلس، فمذهب مالك وقراءة نافع، وهم يقولون لا نعرف إلاّ كتاب الله وموطأ مالك، فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه، وإن عثروا على معتزلي أو شيعي ونحوهما ربّما قتلوه...** >>[1].

2) النقص الكبير الذي تشهده الدراسات الأندلسية الأكاديمية في الجانب المذهبي، خاصة الفترة التي سبقت قيام الدولة المرابطية، وما أنجز منها ركز على علوم الشريعة من فقه، وقرآن وعلومه وغيرها، أو تخصص في مذهب معين كالمذهب المالكي والشيعي في الأندلس، أو لدراسة عالم كابن حزم الظاهري، أو أبا الوليد الباجي المالكي.

3) تعلقي الكبير بتاريخ الأندلس على العموم، والمذهبي منه على الخصوص، والذي زادت وشائجه أكثر أثناء تحضيري لمذكرة الماجستير.

4) التناقضات التي بدت لي بشأن الجانب المذهبي في الأندلس، خاصة في عصر الدولة الأموية وملوك الطوائف، إذ كان الاعتقاد لدي أنّ الأندلس هي قلعة من قلاع المذهب المالكي فقط دون غيره من المذاهب الأخرى، ثم أجد بعض العلماء الكبار من أمثال ابن حزم الظاهري، وبقي بن مخلد الشافعي وغيرهما، وبقيام بعض الدويلات في أواخر عصر الدولة الأموية كالشيعة العلوية (بني حمود) المتغلبين على الحكم في عاصمة الأندلس قرطبة، والإمارات الإباضية في جنوب غرب الأندلس، وغيرها من المعلومات التي أثارت تساؤلات في ذهني.

5) محاولة التعرّف على الأسباب التي مكّنت فقهاء المالكية من ربط الوحدة المذهبية للأندلس.

---

[1] شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ط2، مدينة ليدن المحروسة، 1967م، ص236.

6) الإسهام في وضع لبنة تضاف لما سبقها من دراسات، علّها تجعلنا نتحرر من الكتابات الغربية عموما، والفرنسية والإسبانية على الخصوص في هذا الجانب من تاريخ الإسلام بالجزيرة الأندلسية.

7) تأخر الجزائر في إنشاء معاهد وكليات خاصة بالدراسات الأندلسية مقارنة بالدول العربية والإسلامية الأخرى، خاصة إذا علمنا أنّ كثيرا من الأندلسيين قد هاجروا إلينا أثناء حروب الاسترداد الإسبانية.

رابعا- أهم صعوبات إنجاز الرسالة:

يمكن اختصار أهم الصعوبات في النقاط الآتية:

1) قلة المصادر المتخصصة في الموضوع خاصة المتعلقة بالمذاهب غير المالكية، لأنّ جل مصادر الفترة من كتب الطبقات والمقالات والفرق والمذاهب كانت مخصصة للمالكية دون غيرهم في الأندلس، أما المصادر الأخرى المشرقية فنجدها تركز على المذاهب والفرق في العدوة المغربية والمشرق الإسلامي، وأهملت الأندلس، ولربما أُحرقت وأُتلفت أغلب هاته المصادر بسبب الصراع المذهبي الذي شهدته الجزيرة، والذي برز بوضوح في الدولة الأموية وأغلب دول الطوائف.

2) صعوبة وضع الحدود في دراستي من كونها تاريخية، وليست أدبية أو فلسفية أو في علوم الشريعة.

3) جل المصادر التي تناولت موضوع التراجم والطبقات في الأندلس، كانت تذكر اسم المترجم دون توضيح مذهبه، باستثناء فقهاء المالكية، مما دفعني لقراءة المئات من التراجم حتى أحصل في الأخير على ثلاث أو أربع تخدم باقي أتباع المذاهب غير المالكية، ولم أجد للناشرين لتلك المصادر والمحققين لها، فهارس للمذاهب يمكن أن تساعدني كثيرا في إحصائهم واختصار الوقت.

4) صعوبة إبراز الأثر السياسي والفكري لأصحاب المذاهب في الأندلس مستقلا عن الحياة السياسية والفكرية، وهو هدف من أهداف دراستي.

5) عدم وجود دراسة سابقة شاملة لموضوع المذاهب في الأندلس مقارنة بالعدوة المغربية حسب علمي، إلاّ ما كان منها في شكل دراسات دينية لابن حزم ومذهبه الظاهري، أو عن المدرسة المالكية في الأندلس، أو العلاقة السياسية الحسنة التي ربطت الدولة الأموية في الأندلس بالدولة الرستمية الإباضية في المغرب الأوسط، أو للصراع الذي كان بين الخلافة الفاطمية الشيعية بالمغرب الإسلامي والخلافة الأموية بالأندلس.

6) تشعب موضوع الدراسة وتداخله بين الجانب الديني السياسي، ووالديني الفكري، مما جعلني أبحث عن النقاط التي تجعل من دراستي دراسة تاريخية، وليست متخصصة في الجانب الأدبي أو الفلسفي مثلا.

7) عزوف كثير من الباحثين الأكاديميين عن الخوض في مواضيع المذاهب والفرق لصعوبتها وتشعبها، وهذا ما أشار إليه الدكتور عمار جيدل في مقدمة كتابه المدخل[1]

8) عدم تمكني من اللغة الإسبانية باعتبارها من لغات البحث في رسالتي، مما حرمني الاستفادة من عدّة مراكز متخصصة في أبحاث تاريخ الأندلس، سواء داخل إسبانيا أو فرنسا عند زيارتي لهما، وهذا جعلني أعتمد على المراجع الأجنبية المعربة ككتب آسين بلاثيوس(Miguel Asin PALACIOS)، وليفي بروفنسال(Levi Provençal) وآنخل جنثالث بالنتيا(Angel Gonzlez PALENCIA)،، ورينهارت دوزي(Reinhart DOZY) ، ودومنيك أورفوا (Dominique Orvois)، والاعتماد على ما حصلت عليه في كل من تونس والمغرب وتركيا.

9) الصدمة الكبيرة التي قدّرها الله سبحانه وتعالى وابتليت بها ورضيت بها جرّاء الأحداث الأخيرة التي شهدتها ولاية غرداية 2013-2016م والتي أتت على حرق منزلي كله خاصة مكتبتي وما تحويه من كتب ومقالات ومخطوطات جلبتها من دول عدّة، وأتت على ورقات بحثية ضمت نتائج ما توصلت إليه من لقائي ببعض الباحثين المهتمين بتاريخ الأندلس عموما والمذهبي على الخصوص في كل من بلدي الجزائر وفي المغرب الأقصى

[1] عمار جيدل: **مدخل إلى دراسة الفرق الإسلامية**، دار البلاغ للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1423هـ/2002م، ص5-8.

وتونس وتركيا وغير ذلك من الدول، وأيضا أتت على ما ترجمته بفضل مساعدة بعض الباحثين والمهتمين بالتاريخ والمتمكنين من ناصية اللغات خاصة الإسبانية والإنجليزية والفرنسية في ولايتي غارداية.

وقد زادت مأساتي أن أجهزة الإعلام الآلي المحمولة والثابتة، والوسائط المتعددة التي خزنت فيها رسالتي أو كتبتها فيها قد فُقدت أو سُرقت أو أُحرقت (أثناء دخول العصابات المجهولة) في مكتبتي، لتتبخر أحلام ومجهودات أكثر من سبع سنوات من الكد والجد والمثابرة أمام ناظري،[1] فأُصبت بعقر في البحث، وشلل شبه تام في قلمي. ولا تزال آثار ذلك إلى لحظة محاولة إتمام هاته الرسالة.

10)بحكم أني كتبت النسخة الأولى من رسالتي قبل سنة 2014م، فإنّي أثناء التجديد لها لم أجد بعض الطبعات للمصادر والمراجع التي اعتمدتها، وهذا جعلني أجدد بعضها بسبب اختلاف الطبعات، وقد أخذ مني ذلك جهدا ووقتا طويلا.

ورغم تفضل بعض الزملاء في جامعة غرداية مشكورين لتنقلهم لقسم التاريخ بجامعة الجزائر وجلبهم لمذكرتي التي أودعتها في القسم (الشكر لرئيسه)، ورغم محاولة مشاركتي في عديد الملتقيات الدولية والوطنية، وإقحام نفسي في قبول الإشراف على مذكرات الماستر ومناقشتها، والتجديد النسبي لمكتبتي بتضامن عديد الباحثين والطلبة وبعض الوزارات في الجزائر وخاصة وزارة المجاهدين، والمركز الوطني للبحث في التاريخ والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، ورغم التشجعيات التي أتلقاها من المشرف المحترم وعديد الزملاء داخل الوطن وخارجه فإنّي ما زلت أعاني في الكتابة البحثية والتقرّب من الكتب، ولكني شيئا فشيئا أشعر بتجدد العزم والخوض في غمار البحوث التاريخية، ولولا توفيق الله، ثم استنفاذي للتمديدات القانونية لإنهاء الرسالة، وإعلان وزارة التعليم العالي

---

[1] سجلت في السنة أولى دكتوراه علوم خلال الموسم الجامعي 2008/2007 وذلك مباشرة بعد حصولي على شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط الإسلامي، وتشكلت لي لجنة المناقشة خلال الموسم 2014/2013م، وحرق البيت والمكتبة المتواجدة فيه كان بتاريخ 05 فيفري 2014م.

والبحث العلمي اعتبار تاريخ 30 جوان 2018م آخر أجل لطلبة الدكتوراه علوم (كلاسيك) لوضع رسائلهم، لما استطعت تقديم هاته الرسالة التي بين أيدي اللجنة الموقرة، وهي خطوة حقيقية لاختراق هاته الأزمة التي طال أمدها. ولولا فضل الله أولا، ثم مساعدة الأستاذ المشرف أ.د/إبراهيم بحاز (للعلم فإنّي أختلف مع الدكتور المشرف في المذهب العقائدي رغم أننا من ولاية واحدة، واخترته في الإشراف لأعطي البحث المزيد من الموضوعية والجدية، ولموضوعيته وعلميته أثناء إشرافه على مذكرتي في مرحلة الماجستير، وكذا بسبب موافقة المرحوم أ.د/موسى لقبال رحمة الله عليه لما اسشرته في هذا الشأن)، وبعد الاستفادة من التواصل المباشر مع الدكاترة المتخصصين في تاريخ الأندلس عموما والمذهبي منه على الخصوص من أمثال: أ.د/امحمد بن عبود في جامعة تطوان، وأ.د/إبراهيم القادري بوتشيش في مكناس بالمغرب الأقصى، وأ.د/نجم الدين الهنتاتي في جامعة الزيتونة بتونس، وأ.د/عمر بن حمادي تونس، وأ.د/الراضي دغفوس جامعة تونس الأولى وغيرهم من الباحثين داخل الوطن وخارجه لما استطعت تجاوز الصعاب لإتمام رسالتي التي يبقى فيها البحث متواصلا، ولا أدّعي الكمال في مجال البحث، وإنّما بذلت قصارى جهدي لإتمام هذه الدراسة العلمية، واستشرت أثناء فترة بحثي فيها العديد من الباحثين وعلى رأسهم، الأستاذ الدكتور موسى لقبال رحمة الله عليه، وكلما كنت أصاب باليأس في مواصلة دراستي لهذا الموضوع أتذكر مقولة الدكتور إحسان عباس المشجعة والتي تضمنتها مقدمة كتابه تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة حيث كتب ما نصه "وأنا موقن أنّ الخوض في كبريات المسائل لا يسلم من النقص، ولا يبرأ من الخطإ، غير أني أرى أنّه لا بدّ للدارسين من أن يكتبوا في الموضوعات...الدقيقة الخاصة، بل إنّي لأعتقد أنّ أخطائي قد تكون حافزا للتصحيح والتوجيه، وبذلك تكون الفائدة المرجوة أكبر من الخطأ"[1] ودائما تبقى المصادر هي أساس البحث، فكما قيل "إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها".

[1] إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة**، دار الثقافة، ط6، بيروت، لبنان، 1981، ص07.

خامسا- أهمية موضوع الدراسة:

تكمن أهمية الموضوع فيما يلي:

1)تسليط الضوء على أهم المذاهب التي عرفتها الأندلس سواء المذهب المالكي الذي كان مذهبا رسميا فيها، ووحدها مذهبيا، أو بقية المذاهب الأخرى التي تركت لنا تراثا فكريا بارزا، وأثرا سياسيا واضحا، خاصة في عصري الدولة الأموية وملوك الطوائف.

2) فهم الفكر الجديد الذي ظهر في الأندلس خلال القرن الرابع مع الصوفي المعتزلي محمد ابن مسرّة الجبلي، والذي بنيت عليه مدارس فلسفية وصوفية فيما بعد القرن الخامس الهجري، كمدرسة المريّة وثورة ابن قسي وابن العريف، وتصوف ابن عربي.

3) دور بعض الأمراء والخلفاء الأمويين كالأمير محمد بن عبد الرحمن وعبد الله بن محمد، والخليفة الحكَم بن عبد الرحمن الناصر في تشجيع بعض المذاهب غير المالكية، وفتح مجال الحرية لهم، بل ومنهم من كان ابنه شافعيا كعبد الله بن عبد الرحمن الناصر وقد أعدمه أبوه.

4)معرفة أهم المساهمات الفكرية والسياسية للمذاهب للمذاهب في الأندلس.

5) إبراز دور المذاهب على مختلف توجهاتها العقدية والفقهية من جهة، وعلاقاتها مع السلطة السياسية الأموية وملوك الطوائف من جهة أخرى

6)إظهار جهود بعض العلماء ومنهم ابن حزم الظاهري وأبي الوليد الباجي في لم شمل الوحدة السياسية للأندلس بعد تفكك عقد الخلافة الأموية.

7)فتح المجال للباحثين المتخصصين في الفلسفة والشريعة الإسلامية والأدب وغيرها من خلال المصادر التي وجدتها أثناء دراسي لهذه الرسالة

سادسا- الدراسات السابقة:

سجّل مركز البحث والإعلام العلمي والتقني (CERIST) أثناء اقتراحي للموضوع موسم 2008/2007م عدم وجود دراسة خاصة بمثل هذا العنوان أومقاربَةً له، لكن لما نزلت

لميدان البحث فقد سجلت بعض الدراسات الأكاديمية الهامة وإن كانت تعالج أجزاءا منفردة من فصول دراستي، ومنها:

- إبراهيم التهامي: **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة –دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس–** الكتاب في أصله رسالة دكتوراه في العقيدة الإسلامية من جامعة أم القرى.مكة المكرمة، السعودية، سنة 1992م، وقد استفدت من دراسته التاريخية رغم أنّه متخصص في العقيدة الإسلامية، وكذلك استفدت منه في الجانب المذهبي خاصة موقف الإمام مالك بن أنس والمالكية من المذاهب الأخرى كالمعتزلة والخوارج والشيعة، ومن أساليب المقاومة المستخدمة لمحاربتهم. ويبقى حض غير المالكية في الدراسة ناقص ويحتاج للمزيد.
- سهى بعيون: **إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس عصر ملوك الطوائف (422–479هـ/1031–1046م)** الكتاب عبارة عن أطروحة دكتوراه في الحضارة الإسلامية من كلية الشريعة، جامعة بيروت الإسلامية، سنة 2004م، وقد استفدت من الكتاب في الجانب الفكري على الخصوص، خاصة في عصر الطوائف الذي حاولت فيه الباحثة إبراز الجانب العلمي والعلماء في مختلف التخصصات، ولكن يبقى أنّها أغفلت دور أصحاب المذاهب الإسلامية في الحياة الفكرية خاصة من غير أصحاب المذهب المالكي وقد قامت لهم دويلات مستقلة خلال حقبة دراستها، وربما نستثني بعض الأسماء كابن حزم الظاهري، وابن مسرة الفيلسوف المعتزلي وغيرهما.
- عبد العزيز فيلالي: **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، والكتاب في الأصل رسالة ماجستير تحت إشراف الدكتور أحمد مختار العبادي بجامعة الاسكندرية. وبرزت أهمية الكتاب في دراستي للمذاهب غير السنية بالأندلس، خاصة الإباضية، الشيعة الإسماعيلية، والشيعة العلوية، وذلك للامتداد السياسي للدويلات المذهبية التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي، أي كل من الدولة الرستمية الإباضية، والفاطمية الشيعية، والأدارسة العلوية.ويبقى أنّ الكتاب لم يتوسع في علاقة المذهب المالكي بغيره من

المذاهب في الأندلس بمقدار ما اهتم بالعلاقات التي ربطت الدولة الأموية بدول المغرب الإسلامي.

❖ خليل إبراهيم الكبيسي: **دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس عصري الإمارة والخلافة**. الكتاب هو رسالة نال بها صاحبها درجة الدكتوراه في جامعة بغداد سنة 1980م، وهي دراسة هامة تضمنت دخول المذاهب إلى الأندلس مركز على المذهبين الأوزاعي والمالكي، ثم مواقف الفقهاء من السلطة الأموية، مركزا على محطات التأييد والمعارضة، إلاّ أنّ جل تركيزه كان على فقهاء المالكية.

❖ نهاد عباس زينل: **الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أروبا–القرون الوسطى (92–897هـ/711–1492م)**. الكتاب هو أطروحة دكتوراه حسب ما جاء في المقدمة من معهد التأريخ العربي والتراث العلمي بالعراق، ولم يحدد تاريخ مناقشتها، الدراسة اهتمت بالطب ودور أطباء الأندلس وأهم وإنجازاتهم العلمية فيه، ولكن كباقي الدراسات أهمل مذهبية الأطباء الذين ترجم لهم.

❖ أسامة عبد الحميد حسين السامرائي: **تاريخ الوزارة في الأندلس (138–897هـ/711–1492م)**، الكتاب في أصله أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، 2009م، وقد ركزت الدراسة على نظام الوزارة واختيار الوزير، ثم أصناف الوزارة والوزراء، وأيضا على أهم أعمالهم، ويبقى حظ مذهبية الوزراء يحتاج للتوضيح دائما.

❖ خالد وزّاني: **أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي وتأصيله الفقهي للمذهب المالكي (403–474هـ)**. الكتاب أصله بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه السلك الثالث، ونوقشت بتاريخ 14 ماي 1992م، وقد اهتم الباحث ببيئة أبي الوليد الباجي ونشأته وأهم أعماله ومؤلفاته بعد عودته إلى الأندلس، ثم دخل في موضوع التأصيل الفقهي للمذهب المالكي عند الباجي.

سابعا– المناهج المعتمدة في البحث:

اتبعت في رسالتي مجموعة من المناهج كان لها دور في فهم الدراسة والتعمق فيها والسير فيها بخطة علمية واضحة، منها:

1) **المنهج التاريخي**: بما أنّ الدراسة تاريخية فإنّ المنهج التاريخي ضروري (الإستردادي)، وفيه استخدمت النقد الظاهري والباطني لجل المصادر التي توصلت إليها خاصة الأندلسية منها بغية التوصل إلى الحقيقة التاريخية كما كانت من خلال مصادرها، مع استخدام أدوات المنهج التاريخي خاصة التحليل، وقد استخدمته في جل فصول الرسالة، خاصة في التراجم لأصحاب المذاهب، وأسباب انتشارهم أو أفولهم.

2)**المنهج الوصفي**: وقد استخدمته في تتبع مراحل تكوين العلماء والفقهاء من أصحاب المذاهب، كما استخدمته في الفصل الخامس أثناء إبراز دور المذاهب التي عرفتها الأندلس سياسيا. كما استخدمته في تتبع الأوضاع التي مرت بها المذاهب مع السلطة الحاكمة من جهة، أو في الحراك الفكري الذي دار بينهم والمجتمع من جهة أخرى

3)**المنهج الإحصائي**: وهو في الحقيقة جمع لعلماء المذاهب الذين عرفتهم الأندلس من خلال التقرب من كتب الطبقات والتراجم وبقية المصادر التي أشارت إليهم، خاصة إذا علمنا أنّ المصادر ليست لها فهارس توضح مذهب الفقهاء والعلماء، وبالمنهج الإحصائي أحسب أني بذلت جهدي لجمعهم جلهم حسب ما توفر لدي من مصادر ومراجع.

4) **المنهج المقارن**: وقد تم استخدامه في المقارنة بين فقهاء المذهب الواحد خلال عصري الدولة الأموية وحكم ملوك الطوائف من جهة، وللمقارنة بين المذاهب المختلفة فيما بينها من جهة أخرى.

ثامنا– شرح خطة البحث:

جاءت أقسام رسالتي مرتبة بمقدمة، ثم فصل تمهيدي، ثم خمسة فصول وخاتمة، وبعدها ملاحق وفهرس الموضوعات.

أمّا **المقدمة،** فتضمنت مدخل لضبط العنوان، ثم حدود الدراسة من حيث الموضوع والمكان والزمان، ثم دوافع اختيار الموضوع وأهميته، وأهم الصعوبات التي واجهتني في البحث، وذكرت أهم الدراسات السابقة للموضوع والتي استطعت الوصول إليها، ثم المناهج المتبعة في البحث، مع شرحي لخطة بحث الدراسة، ثم تحليلي لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في الأطروحة.

و**الفصل التمهيدي**، عنونته بلمحة جغرافية وتاريخية عن الأندلس، والسبب في تخصيص هذا الفصل مستقلا وبهذا العنوان لتجنب شرح عديد المصطلحات الجغرافية والشخصيات السياسية التي حكمت الأندلس خلال عصري الدولة الأموية والطوائف، وقد ضم هذا الفصل ثلاثة مباحث، ففي **المبحث الأول** الموسوم بلمحة جغرافية عن الأندلس قد حددت فيه مصطلح الأندلس، وجغرافيتها من مدن ومواقع، وحدود وتضاريس. و**المبحث الثاني** جاء بعنوان فتح الأندلس وعهد الولاة، وفيه تطرقت لحركة الفتح الإسلامي التي قادها طارق بن زيادة وموسى بن نصير، وأهم انجازاتهم في الأندلس، ثم الفترة التي تلت الفتح وعرفت بعهد الولاة، وقد ركزت على أهم مميزات ولاة الأندلس ومميزات عصرهم. وفي **المبحث الثالث** الموسوم بالدولة الأموية وعصر الطوائف فقد ركزت فيه على عصر حكم الدولة الأموية بحقبتيه الإمارة والخلافة، أي منذ تأسيس الأمير عبد الرحمن الداخل بن معاوية (صقر قريش) الإمارة، إلى عهد إعلان سقوط رسم الخلافة الأموية من قبل أبي حزم بن جهور في قرطبة لعدم وجود من يستحقها من الأمويين، كما توقفت عند تاريخ 316هـ/929م الذي تحولت فيه الإمارة الأموية إلى خلافة عهد عبد الرحمان الناصر. ثم تطرقت لعصر التمزق الذي عرف بعصر الطوائف الأول وهو مرحلة بين عهد الإمارة والخلافة.

الفصل الأول: عنونته بالمذهب المالكي في الأندلس، وقد خصصت له فصلا مستقلا باعتباره المذهب الرسمي لجزيرة الأندلس، وقد بدأت به رغم وجود مذهب آخر سبقه في الدخول وهو المذهب الأوزاعي، ولكن المذهب المالكي هو المذهب الرسمي للأندلس والأكثر انتشارا فيها مما جعلني أقدمه على غيره، وقد قسمت هذا الفصل لثلاثة مباحث، **فالمبحث الأول** عنونته بدخول المذهب المالكي وعوامل انتشاره في الأندلس، مركزا على من أدخله وأسباب قبول الأندلسيين له، ثم حددت العوامل التي ساهمت في انتشاره وتوسعه على حساب مذهب الإمام

الأوزاعي. **والمبحث الثاني** كان تحت عنوان فقهاء المالكية في عصر الدولة الأموية، مركزا على الأهم فقط باعتبار المذهب له عديد الفقهاء، فذكرت من تتلمذوا على الإمام مالك مباشرة، ثم غيرهم في عهدي الإمارة والخلافة. أمّا **المبحث الثالث** فقد عنونته فقهاء المالكية في عصر ملوك الطوائف، وقد ركزت على من كان لهم دور سياسي يذكر ولم أفصل في فقهاء كل إمارة من إمارات الأندلس.

و**الفصل الثاني**: بعنوان المذاهب السنية غير المالكية بالأندلس، وفيه أربع مباحث، **فالمبحث الأول** خصصته للمذهب الأوزاعي على اعتبار أنّه أول مذهب اعتنقه الأندلسيون، ثم التعرف على الأسباب التي أدت إلى دخوله وتبني الإمارة الأموية له، ثم أهم فقهائه، وذكرت عوامل زواله من الأندلس. بعدها انتقلت **للمذهب الثاني** الذي خصصته للمذهب الشافعي والذي احتل المرتبة الثانية من حيث الانتشار بعد المذهب المالكي، وقد كان لبقّي بن مخلد دور كبير في ترسيخه، وذكرت من أدخله وأهم أتباعه، ثم انتقلت **للمبحث الثالث** والذي جاء بعنوان المذهب الظاهري والحنفي والحنبلي في الأندلس، والمذهب الظاهري هو الذي حاز فيه أصحابه على التمكن في الدولة أكثر من غيرهم رغم أنّ عددهم كان قليلا، وبرز لنا في هذا المذهب قاضي الجماعة "منذر بن سعيد البلوطي" والعالم "ابن حزم"، ثم عرجت إلى المذهبين الحنفي والحنبلي.

الفصل الثالث: وعنونته بالمذاهب غير السنية بالأندلس، وركزت في **المبحث الأول** على المذهب الإباضي الذي جمعته بالدولة الأموية علاقة سياسية واقتصادية حسنة، خاصة عصر الدولة الرستمية في تيهرت، كما أبرزت دور بعض الإباضية في الدولة الأموية كمحمد بن سعيد، وعبد الرحمن بن رستم، وذكرت أهم الدويلات الإباضية التي قامت في نهاية الحكم الأموي، وبداية عصر الطوائف، وقد كان إباضية الأندلس على المذهب النُكاري. وفي **المبحث الثاني** بعنوان المذهب الشيعي في الأندلس الذي برز أثره في الأندلس قبل قيام دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، ونقصد هنا شقنا بن عبد الواحد المراكشي التي كانت ثورته في 152هـ/769م، ثم انتقلنا لأهم ثورات ودعاة الشيعة الذين عرفتهم الأندلس، ونذكر منهم على الخصوص الداعي الفاطمي أبا الخير، لأنّ نشاط الشيعة توسع في عصر الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي، وفي الأخير ذكرنا دولة بني حمود

الشيعة التي تعاقب حكامها على حكم قرطبة عاصمة بني أميّة. وخصصت **المبحث الثالث** للمذهب المعتزلي في الأندلس، فبعد التعريف بالإعتزال، انتقلت لذكر أهم معتزلة الأندلس، وفي **المبحث الرابع** ركزت على المذهب المسرّي الذي جاء به محمد بن عبد الله بن مسرة، وكان قد أحدث به ثورة مذهبية بالأندلس، حتى صدرت الفتاوى التي رمته وأتباعه بالزندقة ودعت أتباعه للتوبة من المعتقدات والأفكار التي جاء بها.

الفصل الرابع، قد خصصته للأثر السياسي للحركات المذهبية في الأندلس، وفيه ثلاثة مباحث، **المبحث الأول** بعنوان نظام الحكم ووظائفه، وفيه أبرزت دور المذاهب عموما من نظام الحكم في العصر الأموي والطوائف، ثم **المبحث الثاني** الذي جاء بعنوان الوظائف الإدارية والعسكرية وفيه ركزت على المناصب التي تولاها أصحاب هذه المذاهب، ثم انتقلت **للمبحث الثالث** الموسوم بالوظائف الدينية والتي غالبا ما كانت حكرا على فقهاء المذهب المالكي باعتباره المذهب الرسمي للجزيرة الأندلسية.

وفي **الفصل الخامس** الذي يعد الفصل الأخير في الرسالة فقد عنونته بالأثر الفكري للحركات المذهبية في الأندلس، وفيه ثلاثة مباحث، **المبحث الأول** خصصته لعلوم الشريعة، باعتبارها المجال الأكثر اهتماما عند المذاهب، وفيه القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، وفي العقيدة وعلم الكلام، ثم في **المبحث الثاني** ركزت على اللغة العربية وآدابها من نثر وشعر وبلاغة وصرف، وقدمت نماذج لهذا الأثر، أمّا **المبحث الثالث** فقد تركته لباقي العلوم النقلية والعقلية الأخرى من تاريخ وفلسفة وطب وفلك وغير ذلك.

وفي **الخاتمة** لخصت أهم ما تمّ التوصل إليه من نتائج في هذه الرسالة وكانت تخص الجوانب المذهبية والسياسية والفكرية، وهو في الحقيقة إجابة على الإشكالية التي طرحتها في المقدمة.

تاسعا- عرض وتحليل لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في الرسالة:

لما كان موضوع البحث يتناول مرحلة مهمّة من مراحل تاريخ الأندلس، وهي فترة حكم الدولة الأموية، وعصر ملوك الطوائف، وجانب هام من صفحات تاريخ الأندلس، وهو الجانب

المذهبي، وجب عليَّ الرجوع إلى المصادر والمراجع التي اهتمت بهذه المرحلة بصورة عامة وهذا الجانب منه بصورة خاصة، وقد تمّ الاعتماد أكثر في هذا البحث على المصادر الأندلسية قبل غيرها وإن كنت لا أدعي الكمال في هذا الإنجاز فهو ليس بوحي منزّل ولا بشريعة تامة وجب الوقوف عندها، والتسليم الضروري لما جاء فيها، فإني استطعت أن أجمع أهم مصادر الفترة، خاصة كتب الطبقات التي تعد المصدر الأساسي لي في هذا البحث، وسآتي فيما يلي على أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

1- **دراسة المصادر**:

- ❖ كتاب **تاريخ قضاة قرطبة للخشني**(ت361هـ/971م): أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني، يعد من أهم المصادر الأندلسية، والكتاب لم يخرج للوجود إلا بعد وفاة صاحبة، وقد ألفه للحَكم المستنصر قبل توليه الخلافة، وقد شمل الكتاب المسائل التي تتصل بالقضاء من تعدبد أسماء القضاة، وشروط توليهم، وأهم تركيباتهم العرقية، خاصة قضاة قرطبة، وقد حملت الترجمة معلومات تاريخية هامة عن وقعة هيج الربض، وثورة الفقهاء أثناء حكم الأمير الحكم بن هشام بن الرحمن الداخل.
- ❖ كتاب **أخبار الفقهاء والمحدثين للخشني**(ت361هـ/971م): أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني، رغم أن هذا المصدر قد وردت فيها اقتطاعات أصلية في المخطوط، فإنه قد أفادني كثيرا في بعض الترجمات خاصة ابن مسرة الجبلي، وربما أجد نفسي فخورا عندما حصلت على هذا المصدر، والذي لم أجده ضمن ببليوغرافيا العديد من الرسائل والأطروحات الجامعية، وقد استدركت بعض النقص المبتور الموجود فيه من كتابه الثاني قضاة قرطبة، وقد أشرت إليه سابقا.
- ❖ كتاب **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي** (ت حوالي 387هـ/997م): شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الشامي، رحالة وجغرافيا، دخل الأندلس في عهد الدولة الأموية، وكتب عن كل ما شاهده وسمعه، وما يهمنا من كتابه هو كلامه في الجانب المذهبي للأندلس، فقد أفادني ببعض الروايات الشفهية التي سمعها مباشرة عن مشايخ الأندلس، والتي

منها أسباب عدم وجود المذهب الحنفي في الجزيرة الأندلس، وعوامل التمكين للمذهب المالكي، وقد كانت أقواله من بين أسباب اختياري لهذا الموضوع كما أسلفت الذكر.

❖ كتاب **تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي**(ت403هـ/1013م)**:** أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي بن الفرضي، يعد كتابه من المصادر التاريخية الهامة التي ترجمت لعلماء الأندلس ورواتهم وأهل العناية منهم،فنجد الفقهاء، والأدباء، والمؤرخين، وقد ذكر أسماء الرجال وكناهم وأنسابهم، ومكان ولادتهم، ووفاتهم، ورحلاتهم العلمية. وللكتاب قيمته التاريخية والعلمية لأن صاحبه في تأليفه اعتمد على مصادر كانت قبله ولم تصلنا، وكذا اهتمامه بالرواية الشفوية عن الثقاة، وقد عاصر ابن الفرضي معظم العلماء الذين ترجم لهم، وهو بذلك مصدر هام لا يستغنى عنه في دراسة التاريخ الفكري لبلاد الأندلس. وقد استفدت منه كثيرا في تراجم فقهاء الأندلس عموما، والمالكية منهم على الخصوص.

❖ كتاب **الفصل في الملل والأهواء والنحل** لابن حزم(ت456هـ/1063م): أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم، يعد الكتاب من أوائل ما ألف في علم مقارنة الأديان ونقد المذاهب والفرق كما يذكر، وهو في ثلاثة أجزاء، وبحكم أنّ ابن حزم كان شافعي المذهب ثم أصبح ظاهري كما سأذكر في الفصل الثالث، فقد استفدت من كتابه هذا وباقي مؤلفاته في هذا الجانب، وفائدته في بحثي برزت في معرفة بعض المذاهب التي انتشرت في الأندلس، وقد قابل ابن حزم بعض أتباعها، كالإباضية، وبعض المسرية، فهو مصدر معاصر لعديد الوقائع السياسية كسقوط الخلافة الأموية، وعاصر تشتت عصر الطوائف وحاول إرجاع الخلافة الأموية من جديد.

❖ كتاب **طبقات الأمم لصاعد الأندلسي**(ت462هـ/1070م): أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي، عاصر ملوك الطوائف وقد ترجم للعديد من العلماء وفي مختلف التخصصات كالرياضيات والفلك والطب وغير ذلك، كما أرخ للفلسفة وعلوم السابقين، على الرغم من أن الكتاب قد قدم معلومات هامة عن الحياة العلمية في الأندلس عهد الدولة الأموية والطوائف، فإني استفدت من الجانب الفلسفي والتصوفي أكثر من أي شيء آخر، ومن بعض

الترجمات للفلاسفة اليونان الذين تأثر بهم بعض الأندلسيين، وكتاب طبقات الأمم يعتبر أحد المصادر القليلة التي تعرض فيها كتاب العرب لوصف علوم الأمم التي سبقت عهدهم.

❖ كتاب **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** لابن حيان الأندلسي(ت467هـ/1076م): أبو مروان حيان بن خلف ابن حيان، المقتبس من أهم مصادر تاريخ الأندلس، فيه عشرة أجزاء وهو لشيخ مؤرخي الأندلس ابن حيان، وقد ضمّ كتابه تاريخ الأندلس من بداية الفتح وإلى غاية تاريخ وفاته، ولكن قطع متعددة من المقتبس لا تزال مفقودة، وبقيت كنتف اعتمدها بعض مؤرخي الغرب الإسلامي عموما كابن بسام الشنتريني في ذخيرته، وابن عذارى في بيانه، وابن الأبار في حلته، وغيرهم، وما وصلنا اليوم القطعة الأولى التي حققها ليفي بروفنسال بعدما حصل عليها في مسجد القرويين بفاس، وتتناول فترة إمارة الحَكم بن هشام وجزء من فترة حُكم ابنه عبد الرحمان، ولا يعلم لهذه النسخة الأصلية اثر لها الأن. والقطعة الثانية التي هي استمرار للقطعة الأولى، وقد وجدها ليفي بروفنسال وحققها محمود علي مكي وقد وجدت في القرويين بفاس أيضا، وطبعت في القاهرة 1971 وأعيد طبعها في بيروت سنة 1973، وتتناول أواخر فترة حكم الأمير عبد الرحمان بن الحَكم وفترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمان الأوسط. والقطعة الثالثة هي التي تناولت عصر الأمير عبد الله بن محمد وقد حققها الأب ملشور انطونيا بباريس 1937، والقطعة الرابعة التي حققها بيدرو شالميتا ووفديريكو كورنيتي وقد وجدت في القصر الملكي بالرباط، وقد تناولت فترة من حكم عبد الرحمان الناصر قاربت الثلاثين سنة، وأخرى حققها عبد الرحمان علي حجي، معتمدا على نسخة فرانسيكو كوديرا لأن الأصلية فقدت، وضمت خمسة سنوات من حكم الحَكم المستنصر، وقد اعتمدت على نسخة مكررة للقطعة الرابعة حققها صلاح الدين هواري معتمدا فيها على نسخة المكتبة الأكاديمية التاريخية بمدرير، وقد استفدنا من كتاب ابن حيان على الحياة السياسية والفكرية للأندلس خلال فترات من العصر الأموي، ولا يمكن لأي دارس لتاريخ الأندلس أن يستغني عنه.

❖ كتاب **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** للحميدي(ت 488 هـ/ 1203م): أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله، مؤرخ ومحدّث، وأديب، عاصر الحميدي فترة

ملوك الطوائف، وكتابه يعتبر مصدرا هاما لموسوعة تراجم علماء الأندلس، سواء كانوا فقهاء أو محدثين أو أدباء،وقد اهتم الحميدي في كتابه بالجانب الأدبي أكثر إذ لا تخلو صفحات الكتاب من أبيات شعرية، وقد وضع الحميدي مقدمة تاريخية ضمنها التطورات السياسية التي عاش فيها هؤلاء العلماء، وتكمن أهمية الكتاب في كونه أضاف تراجم أخرى لعلماء من غير المالكية لم يذكرهم ابن الفرضي، والجدير بالذكر أن الحميدي تلقى العلم عن ابن حزم الظاهري وقد ألف كتابه هذا في العراق. وقد استفدت من الكتاب في ترجمة الفقهاء والأدباء، وكذلك بعض المهتمين بالعلوم الأخرى، وقد عاصر الحميدي أغلب من ترجم لهم في عصر الطوائف خاصة شيخه ابن حزم الظاهري.

❖ كتاب **الصلة لابن بشكوال**(ت578هـ/1183م): أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري، القرطبي، سمى ابن بشكوال كتابه بالصلة حتى يصله بكتاب ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس، وقد أكدت جل المصادر ذلك، وأكدها هو بنفسه في مقدمة كتابه، وتبرز أهمية هذا المصدر الذي جاء في ثلاثة أجزاء أنه تدارك بعض الترجمات التي لم يذكرها ابن الفرضي، وأضاف لنا ترجمات لمن جاء بعده، وقد عذر ابن بشكوال الفقيه ابن الفرضي كونه كان يكتب من ذاكرته، وأنه هو توسع في بعض الترجمات كونه ينقل من المصادر، وبحكم معاصرة ابن بشكوال لعصر الطوائف فقد برزت أهمية الكتاب الكبيرة في الجانب الثقافي والسياسي والاجتماعي، رغم أن أهميته الكبرى تتمثل في الترجمة لفقهاء وعلماء المذاهب خاصة المالكية منهم.

❖ كتاب **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** للضبي(ت599/1203م): أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبي، تعد البغية مصدرا مهما لفقهاء ورجال أهل الأندلس، وهي ذيل على كتاب الحميدي، فنجد الضبي قد نقل حوالي 825 ترجمة عن الحميدي كما هي، واختصر 15 ترجمة، ونقل سبع تراجم وأضاف عنها من عنده، وتجاهل 140ترجمة ذكرها الحميدي ولم يذكرها، وأضاف حوالي 750 ترجمة جديدة لم يذكرها الحميدي في جذوته قبله،

وبحكم اعتمادي في الدراسة على الجانب المذهبي فإني لا أستغني عن البغية خاصة أثناء ترجمة فقهاء المذاهب السنية على العموم والمالكية منهم على الخصوص.

❖ كتاب **تاريخ قضاة الأندلس** أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنباهي المالقي (ت792هـ/1390م): أبو الحسن بن عبد الله الحسن النباهي المالقي الأندلسي: كان النباهي من رجال الدولة وأعيانها المرموقين في مملكة بني نصر بغرناطة، وتبقى المعلومات عند من ترجم له شحيحة، وقد كان معاصرا للسان الدين بن خطيب، فهو من مواليد مالقة سنة 713هـ، ثم رحل لغرناطة لاستكمال رحلته العلمية، وهناك نال الخطوة، كتابه هذا يمكن اختصار ما فيه من خلال ما كتبه بنفسه، "أما بعد، الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، فهذا كتاب أرسم فيه بحول الله نبذا الكلام في خطة القضاء، وسير بعض من سلف من القضاة، أو بلغ رتبة الاجتهاد، وفيمن يجوز له التقليد ومن لا يجوز له، وصفات المفتي الذي ينبغي قبوله..." وقد فصل النباهي وأجاد في التعريف بالقضاء وشروطه وسيرة السلف فيه .. كما أجاد في ترجمة القضاة الذين نحتاجهم في فترة الدراسة (الدولة الأموية وعصر ملوك الطوائف)، ومن الترجمات نستنبط كثيرا من الحقائق التاريخية.

❖ كتاب **التشبيهات من أشعار أهل الأندلس** لابن الكتاني(كان حي في ق4هـ/8م): محمد بن الكتاني الطبيب، وأهمية الكتاب تجلت لي في الجانب الأدبي، إذ انفرد لنا ببعض الأشعار التي لم أجدها في المصادر الأدبية السابقة، خاصة ما تعلق منها بابن مسرة.

❖ كتاب **إخبار العلماء بأخبار الحكماء** للقفطي(646هـ/1248م): جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، برزت أهمية الكتاب في الدراسة الفكرية، وهو ككتاب صاعد الطليطلي، خاصة مجال الفلسفة والتصوف الفلسفي، وقد شرح نظرية أمبذوقليس، والأفلاطونية الحديثة، أفادني الكتاب من بعض الترجمات لغير الأندلسيين لكنهم أثروا في الفكر الأندلسي، كذي النون المصري وغيره.

❖ كتاب **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** للشنتريني (ت542هـ/1147م): أبو الحس علي بن بسام الشنتريني، ينسب المؤلف لشنترين البرتغالية التي كانت تابعة للأندلس، ويعتبر كتابه

من أهم المصادر الأندلسية التي أرخت لأدباء الأندلس وشعرائها ولطبقاتها السياسية المتنوعة، والواقع إذا نظرنا للكتاب من الوجهة التاريخية نجده من أهم المصادر التي أرخت لعصر الطوائف وملوكه ورجاله السياسية والاجتماعية، من أهم ما احتواه هو النقل عن مؤرخي عصره الذين فقدنا كتبهم كابن حيان الأندلسي، وقد كتب ابن بسام موسوعته بقرطبة لما آوى إليها شريدا، وعنوان كتابه يدل على مغزاه حيث في وقته انبهر الأندلسيون بأدب المشارقة وتزود منه وأعجبوا به، وأهملوا في الوقت نفسه أدب بلدهم، فوضع الذخيرة وضمنها رائق المنثور والمنظوم ليبصر الأندلسيين بتفوق أدبهم وروعة إنتاجهم، وربما قابل ابن بسام موسوعته بموسوعة الأديب المشرقي أبي منصور الثعالبي "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر"، وقد اشتملت موسوعته على أربع أقسام، الأول منها خاص بأهل حاضرة قرطبة وما يجاورها، ويشمل أخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء. أما الثاني فقد ذكر فيه الأعيان والمشاهير أرباب صناعة المنظوم والمنثور بحضرة اشبيلية ونواحيها، وما يصاحبها ويدانيها. والثالث خصه للجانب البشري من جزيرة الأندلس. والرابع خصه بمن طرأ على هذه الجزيرة.

❖ كتاب **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** للمقري التلمساني(ت1041هـ/1631م): أحمد بن محمد المقّري التلمساني، مؤرخ وأديب، يعتبر كتابه موسوعة جغرافية وسياسية وفكرية لتاريخ الأندلس وعبر مختلف مراحله، ولا يمكن للباحثين في تاريخ الأندلس الاستغناء عن النفح، خاصة إذا علمنا أن صاحبه قد أخذ عن كثير من المصادر التي فقدت وحفظها كتابه الذي جاء في أحد عشرة مجلد (الطبعة التي اعتمدتها)، وكان يذكر أغلبها أثناء الاقتباس المباشر غالبا، وقد استفدت من معظم أجزائه، سواء في جغرافية الأندلس، أو ترجمة الفقهاء وأصحاب المذاهب، أو بعض التحاليل الخاصة بأسباب وعوامل دخول وانتشار المذهب المالكي، كما ترجم لغير المالكية.

❖ كتاب **الإحاطة في أخبار غرناطة** لابن الخطيب(ت776هـ/1374م): ذو الوزارتين لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد الخطيب الغرناطي، ألف ابن الخطيب كتابه لما رأى بعض المصنفين كتبوا عن مدنهم منهم "تاريخ مدينة بخارى" لمحمد بن أحمد

بن سليمان الفخار. "تاريخ بغداد" للخطيب أبي بكر أحمد بن علي البغدادي. "تاريخ دمشق" لأبي القاسم علي بن الحسن بم عسكر وغيرهم. والكتاب قد حصر كل ما تعلق بمدينة غرناطة من أوصاف وأخبار، فنجده قد ترجم ل493 شخصية أندلسية ممن حكموا غرناطة، أو وفدوا إليها من المغرب أو المشرق، وترجم للقضاة والعلماء والزهاد والصوفية... وفترة تأليف ابن الخطيب لكتابه قد أخذت مدة طويلة (761-772هـ)، وقد بدء كتابه بوصف محاسن غرناطة، والحديث عن الذين سكنوها وتولوها ملتزما الترتيب الأبجدي لأصحاب التراجم لا الترتيب التاريخي، وقد قدم للكتاب وجعله قسمين، الأول خصه بالأماكن والمنازل والمساكن، والقسم الثاني للزائر والقاطن والمتحرك والساكن فيها. ثم بدأ القسم الأول من الكتاب بفصل يدور حول اسم مدينة غرناطة، ثم تناول تاريخها وهذا الذي استفدنا منه في البحث، والفصل الثاني ذكر فيه أهل غرناطة وأخلاقهم وأحوالهم وأنسابهم وجندهم وزيهم، والقسم الثاني خصه لمن ترجم لهم، وفي الأخير عقد لنفسه ترجمة مختصرة. وكتاب الإحاطة يعد معجم هام للتراجم، ومادة هامة للمؤرخين.

❖ كتاب **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** لابن الخطيب (ت776هـ/1374م): ذو الوزارتين لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد الخطيب الغرناطي، الكتاب في عمومه كما قال المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال يتحدث عن تاريخ إسبانيا في العهد الإسلامي (الأندلس) لهذا لما حققه سماه "تاريخ إسبانيا الإسلامية"، والكتاب ألف في ظرف خاص وهو هجرة ابن الخطيب من غرناطة بعد وشاية الواشين به واستقر بتلمسان وفيها السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز وقد أحسن وفادته، وبعد وفاته سنة 774هـ/1372م خلفه ابنه الصبي أبو زيان محمد السعيد الذي لم يبلغ الرابعة من عمره، حتى نجد ابن الخطيب يجتهد في تأليف هذا الكتاب ليكسب عطف الوصي على العرش المريني، والعنوان واضح لهذه المهمة، ولكن هذا الصبي خلع وعين مكانه لأبي العباس المستنصر(776هـ/1374م) وخنق مؤلفنا في سجنه بفاس، ما يهمنا هنا أن الكتاب قد تجاوز الهدف الذي ألف من أجله، فهو موسوعة تاريخية عن الأندلس، وأكبر استفادة كانت لي منه

هي الفترة العامرية وبيعة هشام المؤيد على الخصوص، كما استفدت منه في بعض الترجمة لأمراء الأندلس.

- ❖ كتاب **قلائد العقيان في محاسن الأعيان** لابن خاقان (529هـ/1135م): الوزير الكاتب أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان، والعقيان هو الذهب الخالص، والكتاب جمع فيه صاحبه أروع ما نظم وكتب أدباء الأندلس في القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجريين (عصر الطوائف والمرابطين بالأندلس)، وقد أشار في مقدمة الكتاب إلى أهمية الأدب ومكانته عند العرب، وبخاصة عند الملوك، ثم جمع ما رأى أن أهمية الناس قد غفلت عنه إلى غيره كالفلسفة والطب، وقد ترجم ابن خاقان لأربع وستين ترجمة، شملت المشهورين من الرؤساء والوزراء والفقهاء والأدباء، واقتصرت الترجمة على أعيان القرن الخامس، وللمعاصرين له في القرن السادس الهجريين، وكتابه هذا مزج فيه بين الأدب والتاريخ، وإن كان الأدب يغلب عليه، حيث أننا نجده يترجم للرؤساء والوزراء من جهة كونهم أدباء أكثر منهم قادة وساسة، وكانت استفادتي منه كثيرا أثناء عصر الطوائف، وقد قسم الكتاب لأربع أقسام خصص الأول منها لمحاسن الرؤساء وأبنائهم، والثاني لعلية الوزراء والكتاب والبلغاء، والثالث لأعيان القضاة وأعلام العلماء، والرابع لبدائع نبهاء الأدب وفحول الشعراء.
- ❖ كتاب **مطمع الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس** لابن خاقان (ت529هـ/1135م): الوزير الكاتب أبي نصر الدين الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان، طغى الطابع الأدبي على الكتاب، وقد غلب على مؤلفه استخدام المحسنات البديعية والصور البيانية، والواقع أن الكتاب هام في دراستي التاريخية السياسية والفكرية، والكتاب هو ذيل لكتبه قلائد العقيان، حيث استكمل الأدباء والعلماء الذين غفل عن ذكرهم في القلائد،ومنهم من كرر هنا، وقد ركزت أنا على الجانب الديني منه، خاصة عند تناول ترجمة العالم منذر بن سعيد البلوطي الظاهري، وأشعار ابن هانئ الأندلسي الشيعي.

1) دراسة المراجع:

❖ سلمى خضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، وهو في الحقيقة موسوعة شاملة لتاريخ الأندلس كتبها خيار المؤرخين والأدباء والعلماء المتخصصين في تاريخ الأندلس، وأشرف على عملهم وتحريره الدكتورة سلمى خضراء الجيوسي، دكتورة الأدب العربي في عديد الجامعات العربية والأمريكية، ومديرة مؤسسة بروتا ورابطة الشرق والغرب لنشر الثقافة والأدب العربيين في العالم الناطق بالانجليزية، صدر الكتاب باللغة الإنجليزية في البداية وذلك بمناسبة مرور 5 قرون على سقوط آخر إمارة في الأندلس (غرناطة) سنة 1492-1992م، وترجم للعربية من قبل عديد المترجمين، وقد استفدت من الكتاب في مفاصل عدة فمثلا في الجزء الأول استفدت من موضوع الدكتور "محمود مكي" الخاص **بتاريخ الأندلس السياسي**، وموضوع "لويس أ.غيفين" الخاص **بأدب الحب وطوق الحمامة لابن حزم**. وفي الجزء الثاني استفدت من موضوع "ميغيل كروز هيرنانديس" الخاص **بالفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية**، وموضوع "دومينيك ايرفوا" الخاص **بعلماء الأندلس**، والمقال الهام لكلود عداس حول **التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي**. وغير ذلك من المقالات الموجودة في الكتابين.

❖ كتاب آنخل جنثالت بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله من الاسبانية للعربية حسين مؤنس، وأصل عنوان الكتاب هو "تاريخ الأدب الأندلسي" Historia de la Literatura Arabigo Espanola ونظرا لتناوله عديد المواضيع عدّ موسوعة حقيقية لتاريخ الأندلس فقد قام مترجمه المتخصص في تاريخ الأندلس الدكتور حسين مؤنس بتغيير عنوانه إلى تاريخ الفكر بدلا من تاريخ الأدب. وقد استفذت منه في مفاصل عدّة من رسالتي منها: فلاسفة الأندلس ومؤرخيها، وبعض التراجم ومؤلفاتهم في الأدب وبعض علوم الشريعة. ولكن يبقى إحصاء أصحاب المذاهب ودورهم السياسي وأثرهم الفكري يحتاج للمزيد، فهو ركز على الحياة الفكرية العامة للأندلس وليس لأصحاب المذاهب.

❖ عمر الجيدي: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، وكتابه **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، الكتابان هامان لكل من يريد البحث في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي عموما، وقد استفدت منه في أسباب إنتشار المذهب

المالكي في بلاد المغرب والأندلس، وكذلك في التعرف على أمهات مؤلفات المالكية، وأيضا ما عالجه من بعض القضايا التي تخص المذهب في بلاد المغرب كمسألة تحجر المذهب جموده، وتقصير المغاربة في التأليف والاهتمام بعلم أصول الفقه، والمجتهدون في المذهب المالكي. يبقى أنّ الكتابين قد اقتصرا تقريبا على المذهب المالكي فقط، ومال للدراسة الفقهية للمذهب أكثر من دور المذهب السياسي في الأندلس، وعلاقته بالمذاهب الأخرى.

❖ إبراهيم القادري بوتشيش، "صحوة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري محاولة تفسير"، ضمن **كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**. وأيضا مقال **نشأة المدرسة المالكية بالمغرب والأندلس**. **وقد** استفدت منهما في تفسير دخول المذهب المالكي للغرب الإسلامي، لكنه في الوقت نفسه أهمل العلاقة التي ربطت المذهب المالكي مع غيره من المذاهب في الأندلس، وركز أكثر على عدوة المغرب.

❖ كتاب ليفي بروفنسال: **الحضارة العربية في إسبانيا**، ترجمة الطاهر أحمد مكي، المستشرق بروفنسال هو يهودي فرنسي من مواليد الجزائر، اشتهر بكتاباته عن تاريخ إسبانيا في الحقبة الإسلامية، وقد قام بتحقيق العديد من المصادر وهي معتمدة في هذه الدراسة، أمّا الفائدة من الكتاب المذكور فقد كانت حضارية بالدرجة الأولى، ورغم وجود إشارات لغير المالكية من المذاهب الفقهية الأخرى، فإنّ الملحق الذي أضافه الدكتور محمود مكي عن المالكية كان الأكثر من حيث الفائدة.

❖ كتاب حمود علي مكي: **التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية**، رغم توقف العنوان في الدولة الأموية فإنّ مضمونه وصل لعصر الطوائف خاصة بني حمود العلويين المتغلبين على قرطبة، وقد أسهب مكي في دخول التشيع إلى الأندلس وانتشاره بين البربر أكثر وموقف الدولة الأموية منه، وأهم دعاة الشيعة الفاطمية وثوراتهم.

❖ كتاب حسين مؤنس: **شيوخ العصر في الأندلس**،: الكتاب صاحبه متخصص في تاريخ الأندلس وله فيه باع كبير، وقد أُلّفه لمعرفة شيوخ المالكية سواء من فقهاء القصر والبلاط أو

غيرهم ممن كانوا مقربين من السلطان، وقد استفدت منه كثيرا في علاقة المالكية بغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى.

❖ كتاب فتحي زغروت: **العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي (300-350)هـ**، من خلال العنوان تبرز أهمية المرجع في دراستي للمذهب الشيعي بالأندلس، ومدى مساهمة الدولة الفاطمية في نشره، وهذه الحقبة هي فترة هامة من الصراع الشيعي السني في الغرب الإسلامي.

❖ مقال فرحات الدشراوي: **الصراع المذهبي في الأندلس -عهد الإمارة والخلافة-** يعتبر هذا المقال ذو فائدة كبيرة فيما يتعلق بالصراع المذهبي في الأندلس، وبرزت أهمية المقال في تقديمه لنا بعض الأسماء من غير المالكية.

❖ مقال محمد الشريف قاهر: **منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي خطيبا، قاضيا، شاعرا**، وهو مقال في مجلة الدراسات الإسلامية، عدد 1+2، ربيع الثاني 1423هـ/2002م، يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، وقد استفدت منه كثيرا فيما يخص حياة وفكر وإنتاج منذر بن سعيد البلوطي الظاهري، كما استفدنا كثيرا من الإحالات التي ذكرها وكنّا قد رجعنا لها.

❖ -Histoire de l`Espagne Musulmane: Levi Provencal, Tome III

سبق وأن ذكرت بأنّ ليفي بروفنسال قد اهتم كثيرا بتاريخ إسبانيا المسلمة، وكتابه "تاريخ إسبانيا المسلمة" هذا واحدا منهم، لكننا أخذنا عنه وبحذر، خاصة في ظل وجود المصادر الأساسية التي حصلنا عليها وكان هو قد اعتمد عليها، لكن الدّراسة التي قدّمها عن عصر الخلافة في الجزء الثالث من كتابه، كان لها أثرها في توسيع أفكارنا أكثر عن التصوف والفكر الذي رآه المالكية جديد عنهم وسعوا لمحاربته.

وفي ختام مقدمتي لا أدعي أنّي وصلت إلى كل ما كنت أطمح إليه في هذه الدراسة، رغم جهدي الكبيرة التي كنت قد خصصته وبذلته في إتمامها قبل حرق مكتبتي ومنزلي يوم 05 فيفري 2014م وذلك في أحداث غارداية الأخيرة وما تحتويه من أجهزة الإعلام الآلي ووسائط إلكترونية وورقات مخطوطة ومصورة جلبتها من الخزانة الحسنية والمكتبة الوطنية بالمغرب، ومصادر هامة

ودراسات متخصصة وكتب مترجمة، كل ذلك أثر على تأخر الرجوع للكتابة التاريخية وعلى نفسيتي كانت وراء هذا التقاعس النسبي وجعلني أغير خطة الدراسة من نظام الأبواب إلى نظام الفصول، وبقيت أجدد فيها لأكثر من خمسة مرات.

وما كنت لأصل إلى هذه الثمرة لولا عناية الله تعالى وتوفيه أولا، ثم مساعدة الأستاذ المشرف أ.د/ إبراهيم بحاز الذي حاول في كل مرة مساعدتي على تجاوز هذه الأزمة، بل وعرض عليا إمكانية التخلي عن الإشراف إن كان يرى أن ذلك يسهم في تقدمي البحثي (للعلم الدكتور بحاز ميزابي إباضي، والطالب عبد الجليل ملاخ عربي سني)، كما كانت توجيهات الدكتور المرحوم موسى لقبال لا تزال ماثلة في ذهني وهو يشجعني على المواصلة في موضوع المذاهب.

الفصل التمهيدي

لمحة جعرافية وتاريخية عن لأندلس

المبحث الأول: لمحة جغرافية عن الأندلس.

المبحث الثاني: فتح الأندلس وعهد الولاة.

المبحث الثالث: الدولة الأموية وعصر الطوائف.

الفصل التمهيدي: لمحة جغرافية وتاريخية عن الأندلس

سحرت الأندلس بفسيفساء جمالها وحضارتها العلماء والباحثين والكتاب والشعراء ولا تزال، لأنّها حازت كل متطلبات الدنيا وزخارفها، وعلوم الآخرة وما يقرّب إليها، فهي جنّة الله على الأرض. وقد ذكر المقّري في نفحه: "محاسن الأندلس لا تُستوفى بعبارة، ومجاري فضلها لا يشقُ غُباره، وأنَّ تجارى وهي الحائزة على قصب السبق في أقطار الغرب والشرق"[1] فمحاسن جغرافية الأندلس وطبيعتها السّاحرة والمتنوعة التضاريس، لها من الأهمية الكثير، فهي واحدة من العوامل التي سهلت فتح الأندلس، وفي الوقت ذاته أثّرت وصعّبت مواصلته في شبه الجزيرة الأيبيرية خاصة المنطقة الشمالية منه. ولم يكتف أثر الجغرافية في ذلك فقط، بل أسهمت حتى في استقرار واختيار القبائل البربرية والعربية التي دخلت الجزيرة لأماكن نزولها، ولعامل التضاريس تأثير على استقلالية المناطق والكور، أو ما يعرف باللامركزية في الحكم، ويبرز ذلك أكثر أثناء عصر الطوائف.

ونظرا لحاجة موضوع المذاهب للعامل الجغرافي باعتباره عامل أسهم في قيام الحضارة الإسلامية، وعامل سهّل نشأة الدول المذهبية، فلا بأس من تقديم هذه اللمحة المختصرة عن الأندلس وجغرافيتها والتي ستغنى عن كثرة شرح المصطلحات وسط فصول الرسالة.

المبحث الأول: لمحة عن جغرافية الأندلس[2].

أولا-مصطلح الأندلس:

لفظ أندَلس (أندُلس)[3]، تكتب بضم الدال وفتحها، وهي كلمة أعجمية لم يستعملها العرب إلاّ في العهد الإسلامي، وتكتب بالألف واللام (الأَندلس)، وتكتب أيضا بدونها قال أحدهم:

---

[1] أحمد بن محمّد المقّري التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، شرح وضبط وتعليق يوسف علي الطويل، ومريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2012م، 127/1.

[2] أنظر الملحق رقم "01"

[3] **الأندلس**: جزيرة الأندلس، أو شبه جزيرة إيبيريا، أو إسبانيا والبرتغال (لوزيتانيا La Lusitania) الحاليتين، تقع جنوب غرب أروبا، يحدها شرقا البحر الأبيض المتوسط، وغربا المحيط الأطلسي (بحر الظلمات)، وجنوبا مضيق جبل طارق (بحر الزقاق أو المجاز)، وشمالا سلسلة جبال البرتات (البرانس) Pirineos التي تتخللها مجموعة من الممرات التي تصلها بفرنسا في الشمال. أحمد مختار العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص18، 19.

سألت القَومَ عن أنسٍ؟ فقالوا: بأَندُلسٍ، وأندلسٌ بعيد[1].

لفظ الأندلس اختلفت المصادر في أصل تسميته وكذا في مدلول معناه، فنجد بعضا من المصادر العربية تنسبه إلى قوم سكنوا هذه الجزيرة يقال لهم الأندلس أو الأندليش، كصاحب "تاريخ الأندلس" الذي كتب «ذكر أهل التواريخ القديمة أنّ أول من نزل جزيرة الأندلس وملكها بعد الطوفان بمائة سنة هم قوم يقال لهم الأندلس (من ولد أندلس) بن نقرش بن يافث بن نوح عليه السلام»[2] وقد جمع صاحب النفح أقوالا في ذلك منها: إنّما سميت بالأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح، لأنّه نزلها، وأنّها تنسب إلى أندلس بن يافث[3] وقيل لقوم يعرفون بالأَنْدَلِش[4].

ويرى بعض المؤرخين أن أصل التسمية أعجمي، فهي تنسب إلى قبائل الوندال (vandals) الذين عبروا جبال البرتات في شمال إسبانيا سنة 409م ثم نزلوا سهول جنوب الجزيرة في القرن 5م واستقروا بها (في المنطقة التي كانت تسمى باتيكه Betique)، وتحولت إلى أندالوثيا (Andalucia)، مع العلم أنّ اللفظ قد عُرف عند البربر في إفريقية منذ عبور الوندال إلى أرضهم سنة 429م بقيادة ملكهم جنسريك Genseric وقصدوا به "بلاد الوندال"، وبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب استعمل العرب هذه اللفظة "أندلس" (Vandalucia Andalucia) وعمّموها على كامل مناطق الجزيرة التي خضعت لهم[5] ولما ضعف المسلمون في الأندلس وبدأت حروب الاسترداد الإسبانية

---

[1] ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م، 262/1.

[2] مجهول: **تاريخ الأندلس**، در.تح عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1427هـ/ 2007م، ص 140

[3] المقّري، النفح، 127/1،128.

[4] المقري، النفح،135/1، ومحمد بن عبد المنعم الحميري، **كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص33. ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، لبنان، 1983م، 2/ 3.

[5] للتوسع في هذه الآراء أنظر: الحموي: المصدر السابق، 262/1. وشكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ /1997م، مج1،22/1 -25. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص29، 30. الطاهر أحمد مكي، "الأندلس تاريخ اسم وتطوره"، **مجلة الأصالة**، عدد3، جمادى الثانية 1491هـ/1971م، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص39-46.

Reconquista بدأ مدلول لفظة الأندلس يتقلص كلما تراجع الحكم الإسلامي فيها، حتى قصد به إمارة غرناطة فقط، باعتبارها آخر إمارة إسلامية سقطت سنة 1492م، وحاليا يطلق الإسبان على المناطق الجنوبية الواقعة جنوب الوادي الكبير اسم أندالوثيا (قرطبة، إشبيلية، غرناطة...).[1]

ومن أسماء الأندلس نجد شبه جزيرة "أيبيرية" وهي التسمية التي أطلقها اليونانيون على شبه الجزيرة، وتنسب إلى أمة قديمة يقال لها "الأيبير"Ibére أوIbros أصلها حامية-ليبية عمّرت المنطقة وتمازجت مع قبائل الكلتيين أوالسلتيين Celtos، وقيل نسبة إلى "نهر إبرو" وقيل نسبة لقبائل سكنت حول هذا النهر وحملت اسمه ثم عممت على كامل أرجاء الأندلس[2].

ومن أسماء الأندلس لفظ "إسبانيا" وقد ورد في بعض المصادر العربية أنّ اللفظ ينسب إلى قوم الأشبان الذين انتزعوا الملك من الرومانيين وملكوا الأندلس مدّة أربعمائة سنة، وكان عدد ملوكهم خمس وخمسون ملكا، وبنوا مدينة أشبانية هي "إشبيلية"، ومنهم من ينسبهم إلى "الملك إشبان بن طيطش" الذي بنى إشبيلية وسميت باسمه أو اتخذها عاصمة لملكه[3]، وإذا كان اليونانيون قد سموا المنطقة أيبيرية كما أسلفنا فإنّ الرومان أطلقوا عليها اسم Hispania وقد يكون اللفظ مشتق من كلمة "سبان" أو"سفان" أو"شافان" الفنيقية، التي تعني الساحل أو بلاد الأرانب، مع العلم أن الفنيقيين يعتبرون من الشعوب المتحضرة التي نزلت الجزيرة، وقيل هو Hesperia هيسبريا أوهيسبيروس أي نجمة الغرب، أو الكوكب الأحمر، أو نجمة السماء، أو أرض الغرب المتاخمة للمحيط[4] وقيل أنّ لفظة "أزبانيا" هي لفظة باسكية وتعني الشاطئ[5].

---

[1] محمد سهيل طقّوش، **تاريخ المسلمين في الأندلس (91-897هـ/710-1492م)**، دار النفائس، ط2، 1429هـ/2008م، ص14. أرسلان، الحلل، مج1، 23/1.

[2] أرسلان، الحلل، مج1، 22/1. طقّوش، تاريخ المسلمين، ص13. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص22، 23.

[3] هناك تفاصيل وأساطير عن أقوام الأشبان والملك إشبان بن طيطش خاصة وأنّ الأخير كان حرّاثا فقير وبفضل الخَضِر عليه السلام أصبح ملكا قويا وحكم كل الأندلس، وغزا إيلياء (القدس) وجلب منها الرخام ومائدة سليمان. أنظر: مجهول، تاريخ الأندلس، ص 45-48. ابن عذارى، البيان، 3/2. المقّري، النفح، 136/1.

[4] العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص18. طقّوش، تاريخ المسلمين، ص14. أرسلان، الحلل، مج1، 25/1.

[5] أرسلان، الحلل، مج1، 25/1.

ثانيا–طبيعة الأندلس:

جادت قريحة وأقلام الجغرافيين والمؤرخين والرحالة في وصف الأندلس، بل ومجهرية تدقيق كل جانب منها، كونها ساحرة وأثرت في كل من دخلها، وقد وصفت الأندلس بأنّها جزيرة مركّنة في شكل مثلث، واجهاته بحرية إلاّ ركنها الثالث الواقع في الشمال والمحدد بين مدينتي أربونة (نُربونة) في المحيط الغربي، وبُرذيل من بلاد الإفرنجة(Bordeaux الفرنسية) في البحر المتوسط، ولو اجتمع البحر عندهما تصير الأندلس جزيرة في وسط البحر، وبهذا الركن تتصل الأندلس بالأرض الكبيرة (أروبا) عن طريق مدخل يقال له الأبواب (جبال البرينيه، البرتات)[1] وقد عدّت جبال البرينيه الشامخة، حاجزا طبيعيا صعّب اتصال الأندلس بأروبا، وعدّت بهذا امتدادا للقارة الإفريقية خاصة وأنّها تتشابه مع بلاد المغرب في كثير من الخصائص الطبيعية، وفي الإقليمي السباعي للمعمورة[2].

والأندلس لها خير إقليم حيث لها أعذب ماء، وأعدل هواء وتراب، وأطيب جنان ونبات، وقد شبهها الرازي بأحسن ما تميزت به حواضر العالم الإسلامي الأخرى، منها أنّها بلاد مباركة طيبة الماء والهواء مشبهها بالشام، ويمانية في اعتدالها واستوائها، أهوازية في كثرة جبالها، عدنية في منافع سواحلها، وذكر بأنّها أخصب أرض الله تعالى وأعمرها، وأكثرها بركة، ويشقها أكثر من أربعين نهر، حدد ابن سيدة ستة كبرى وهي: نهر قرطبة، آنة، تاجة، مشرة (مينيه)، وإبره، ودويرة، وجلها تصب في المحيط الغربي، وفيها العيون والحمامات، كما بها أكثر من ثلاثين جبلا أكبرها أربعة: جبل قرطبة (جبل العروس)، الجبل الحاجز (بين الأندلس وافرنجة وجليقية)، وجبل الشارات، وجبل

---

[1] **جبال البريينيه:** يطلق عليها لفظ البرتات (Portus) بمعنى ممر أو مدخل أو باب، وقد عرّبها الجغرافيون المسلمون إلى باب أو أبواب. ابن عذارى، البيان، 1/2. المقّري، النفح، 130/1. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص15.

[2] للتوسع أنظر: المقّري، النفح، 137/1، 138، 140. أرسلان، الحلل، مج1، 42/1. طقّوش، تاريخ المسلمين، ص 16

الثلج (شقير)، وبها مدن كبيرة، منها قرطبة، إشبيلية، طليطلة، والمدن المتوسطة والصغيرة فهي لا تحصى لكثرتها[1].

فتنت الأندلس بجمالها ومناظرها الخلابة كثيرا من الشعراء، منهم أبو إسحاق ابن خفاجة (ت 533هـ) في قوله:

يا أهلَ! أندلس لله درّكـــــمُ ماءٌ وظلٌ وأنهارٌ وأشجـارُ

ما جنّة الخلد إلاّ في دياركـــمُ ولو تخيرتُ هذا كنتُ أختارُ

لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا فليس تُدخلُ بعد الجنّة النارُ.[2]

وقد عُدّ العامل الطبيعي الجغرافي من أودية وأنهار وجبال، أساسا للتقسيم المعتمد إداريا وعسكريا[3].وقسمت بحسب جغرافيتها الدفاعية لأربع ثغور رئيسية هي:

1- **الثغر الأعلى (الأقصى)**: وهو الخط الدفاعي الأول في الشمال إذ يمتد على واد الإبروEbro الذي يصب في البحر المتوسط شرقا، قاعدته مدينة سرقسطة Zaragozati فهو يواجه مملكة أراجون وقطالونيا في شمال شرق الأندلس، من مدنه قلعة أيوبCalatayub، لاردة Lerida، تطيلة Tudela، وشقة Huesca، طرطوشة Torlosa وغيرها من المدن[4].

---

[1] للتوسع أكثر في جغرافية الأندلس وطبيعتها أنظر: مجهول، تاريخ الأندلس، ص42-49. المقّري، النفح، 127/1 وما بعدها. وعنهما نقلت كلام الرازي. وقد جمع شكيب أرسلان كثير مما كتبه المؤرخون والرحالة والجغرافيون العرب في وصف جغرافية الأندلس، للتوسع أنظر الحلل، مج1، 1/ 30-202.

[2] هناك اختلاف بعض العبارات الواردة في الأبيات مع وحدة المعنى. ابن خفاجة: **ديوان ابن خفاجة**، تح، عبد الله سندة، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م، ص 134،133. المقّري، النفح، 210/2.

[3] تتكون الأندلس من حوالي أربعين مدينة، ولكل مدينة أحوازها، وشبهت هذه المدن بالكور Curia اللاتينية والتي تعني المقاطعة أو الولاية، وقد اختلفت المصادر العربية والأروبية في أصل التقسيمات (كور، ولاية، مدينة، فحص...) بين موسع للمصطلح ومضيق له إلاّ أنّ العامل الطبيعي تقريبا بقي أساس التحديد في هذا التقسم. للتوسع أنظر: المقّري، النفح، 163/1 وما بعدها. مؤنس، فجر الأندلس، ص532 وما بعدها،

[4] أحمد مختار العبادي، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2000، ص14، 15. حجي، التاريخ الأندلسي، ص38.

2- **الثغر الأوسط**: وهو الخط الدفاعي الثاني، إذ يقع في أعالي وأواسط نهر دويره Duero الذي يلي وادي الإبرو جنوبا ويصب في المحيط الأطلسي غربا، قاعدته مدينة سالم Medinaceli ثم ستصبح طليطلة Toledo، وهو يواجه مملكتي قشتالة Castella النصرانية[1].

3-**الثغر الأدنى**: هو الخط الذي يلي نهر الدويره جنوبا ويمتد على وادي التاجوTajo ويصب في المحيط الأطلسي غربا، عاصمته مدينة طليطلة ، من مدنه نجد مجريط Madrid،[2].

4-**الوادي الكبير**: يقع في الجنوب ويصب في المحيط الأطلسي غربا عند مدينة قادس Cadiz وعلى هذا النهر تقع عواصم الأندلس الكبيرة كقرطبة وإشبيلية، وغرناطة[3]. وقد اتبعت الأندلس في تقسيمها الإداري والعسكري على العامل الجغرافي، ومُنح لكل كور أو مدينة استقلال إداري وعسكري عن العاصمة قرطبة، ولم تعد مركزية الحكم بارزة في العهد الأموي، هذا النفوذ المحلي سيؤثر على الوحدة السياسية للدولة حالة ضعفها، وسيجعل الأندلس فسيفساء من الإمارات.

المبحث الثاني: فتح الأندلس وعهد الولاة

أولا- فتح الأندلس (91-95هـ/711-714م):

فتحت الأندلس[4]، سنة 91هـ/711م، من قبل عامل طنجة، "طارق بن زياد"[1] في عهد والي إفريقية موسى بن نصير (86-96هـ/705-715م)[2]، وذلك أثناء حكم الخليفة الأموي الوليد بن

---

[1] العبادي، صور، ص14. حجي، التاريخ الأندلسي، ص38.

[2] العبادي، صور، ص14. حجي، التاريخ الأندلسي، ص38.

[3] العبادي، صور، ص16.

[4] بشّر النبي صلى الله عيه وسلم بفتح الأندلس في الحديث الذي جاء فيه: حدّثنا أبو النعمان، حدثنا حمّاد بن زيد ...عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "حدثتني أم حرام أنّ النبي صلى الله عليه قال يوما في بيتها، فاستيقظ وهو يضحك، قلت يا رسول الله ما يضحكك؟ قال: عجبت من قوم من أمتي يركبون البحر كالملوك على الأسرّة، فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم، ثم نام فاستيقظ وهو يضحك، فقال مثل ذلك مرتين أو ثلاثا، قلت: رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، فيقول: أنت من الأولين، فتزوج بها عبادة بن الصامت، فخرج إلى الغزو، فلما رجعت قرّبت دابّة لتركبها، فوقعت فاندقت عنقها". أحمد بن عميرة الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق روحيّة عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان،1417هـ/1997م، ص11-13. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.س.ط، ج6/ 87،88

عبد الملك (86-96هـ/705-715م) ليزول فيها حكم ملوك القوط بزعامة لوذريق بن تيودوفريدو(Rodrigo Teodofredo)[3] وهو آخر ملوك إسبانيا المسيحية، وفي عهده تم الفتح.وإذا جزمنا بأنّ حركة الفتح الإسلامي كانت ستصل إلى أروبا بعد أن فُتح المغرب كله، فإنّ تسريع هذه الحركة صنعته الظروف[4] التي كانت تعيشها إسبانيا القوطية[5].

[1] **طارق بن زياد**: قيل ابن زياد، وقيل ابن عمرو، أختلف في أصله، فعده البعض عربيا من صدف، وآخرون فارسيا همذانيا، والغالبية على أنّه بربري من قبيلة نفزة، أورد ابن عذارى نسبه بأنّه طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهو بن ورفجُّوم بن بنزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، عينه بن انصير على طنجة سنة 85هـ/704-705م. أنظر: ابن عذارى، البيان، 5/2. الضبي، المصدر السابق، ص15. المقري، النفح، 230/1. العبادي، في تاريخ المغرب، ص71.

[2] **موسى بن نصير**: أبوعبد الرحمن اللخمي، يعتبر من التابعين، عيّن قبل قدومه المغرب على خراج البصرة، وغزا قبرص، لم يهزم له جيش قط، ولم يعلم من هو أكبر منه في السبي، أكمل فتح المغرب حتى وصل أقصى السوس، في عهده فتح واليه على طنجة طارق الأندلس، رجع للشام سنة 96هـ/715م، توفي سنة 97هـ/716م. عن سيرته أنظر: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مطابع دار البيان الحديثة، ط1، 1424هـ/2003م، 265/4-267. أبوالعباس شهاب الدين أحمد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1428هـ/2007م، 83/1-87. محمد بن عميرة، **الفتح الإسلامي لبلاد المغرب**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008م، ص157-166.

[3] **لذريق بن تيودوفريدو**(Rodrigo Teodofredo): حكم مدّة سنة وثمانية أشهر، من سلالة ملك القوط العادل رسسفنت Receswinto (653-672)، ذكر ابن عذارى نقلا عن كتب العجم أنّ لذريق لم يكن من بيت المملكة وإنّما كان عامل الملك في قرطبة، ويعتبر لذريق آخر ملوك القوط، عكس ما ذكره ابن عذارى من أنّ آخرهم هو الملك وخشندش الذي كان عادلا، وربما قصد ابن عذارى أخ الملك غيطشة "رخشندش" الذي كان وصيا على ابن غيطشة "وقلة- آخيلا- المرشح للملك بعد أبيه"، وقد قتله لذريق. للتوسع أنظر: ابن عذارى، البيان، 2/2، 3. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، المرجع السابق، ص 58-60. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص51، 52. طقّوش، المرجع السابق، ص21.

[4] من هذه الظروف نجد: إنتشار الطبقية في المجتمع، فرض الضرائب ومصادرة ثروات الكنيسة لتغطية نفقات الثورات التي قامت ضده كمعارضة أبناء غيطشة للذريق لأنّه سلبهم الحكم، والخطر الخارجي في الشمال المتمثل في الزحف الفرنجي، وإذلال القوط والنبلاء لليهود، عن هذه التفاصيل أنظر: طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص21-28.

[5] **القوط**: هم من القبائل الجرمانية التي اجتاحت الإمبراطورية الرومانية في أوائل القرن 5م، والقوط الغربيين Visigodeهم الذين أقاموا أول مملكة لهم في جنوب غالة(فرنسا) وشمال إسبانيا عاصمتها تولوز، وهم الذين استوطنوا الأندلس بعد سقوط عاصمتهم في يد الفرنجة سنة 507م، وقد عملوا على إزاحة القبائل الجرمانية الأخرى كالوندال،، كانت عاصمتهم مدينة ماردة في الجنوب الغربي، ثم حولت إلى مدينة طليطلة في عهد الملك ليوفيجيلد(567-586م) كانوا مسيحيون على مذهب أريوس الذي يعده الكاثوليك مهرطق، وسيعتنق القوط المذهب الكاثوليكي، عدد ملوكهم سبعة وثلاثين ملكا، أمّا الذين ملكوا الأندلس فتسعة، وثامنهم "غيطشة" Witiza(702-710) وتاسعهم "لذريق" بدخول الفاتحين المسلمين إليها.

لهذا وردت آراء عدّة تحدثت عن أسباب الفتح نذكر منها:

1- تغلب دوق قرطبة[1] "لذريق" على الحكم في الأندلس بعد وفاة الملك غيطشة، وإعلان نفسه ملكا بدلا من ابن غيطشة وقلة –آخيلا- الذي كان صغيرا، ولما كبر الأخير اتصل مع إخوته بصديق أبيهم حاكم سبتة في المغرب يوليان Olian وكان خاضع لمملكة القوط، والذي بدوره اتصل بطارق ورغّبه الدخول إلى الأندلس، ويذكر أنّ يوليان كان له باعث شخصي من هذا الاتصال كتخوفه على حكمه من جهة، ومن جهة أخرى ضياع مصالحه في الأندلس إن لم يتول أبناء غيطشة الحكم[2].

2- اغتصاب لذريق الفتاة فلورندا ابنة الحاكم يوليان، عندما كانت في قصره بطليطلة، وهي عادة النبلاء في أن يرسلوا بناتهم وأبنائهم إلى القصور حتى يتربوا على عادة الملوك، ولما علم أبوها بالخبر قال لطارق "إنّي مدخلك الأندلس" وإن كانت الروايات الإسبانية تعدّ الحادثة من الأساطير[3].

3- قصّة بيت الحكمة، أو البيت المقفل، أو بيت الملوك، ومفادها أنّ في قصر طليطلة بيت، دأب كل ملك من ملوك القوط على إضافة قفل له أثناء فترة حكمه، وكان عدد الأقفال في عهد لذريق ستة وعشرون، ولما تولى هو الحكم رأى أن لابد من كسر أقفال البيت حتى يعرف سبب غلقه، فعارضه النبلاء ورجال الدين، وقالوا له إن أردت المال أعطيناك ولا تجرأ على فتحه إلاّ أنّه

للتوسع أنظر: مجهول، تاريخ الأندلس، ص150، 151. ابن عذارى، البيان، 2/2. المقّري، النفح، 139/1، 140. عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ص51-60. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص30، 31. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 17-19.

[1] **قرطبةCordoba**: قاعدة الأندلس وأم مدائنها، تقع على ضفة النهر الأعظم، متوسطة بين شرق الأندلس وغربها، ومستقر خلافة بني أمية كما سنعرف، تفسيرها بلسان القوط قرظبة–ظاء معجمة–ومعناها القلوب المختلفة. مجهول، تاريخ الأندلس، ص72-80. الحميري، الروض، ص456-459.

[2] عن تفاصيل الاغتصاب أنظر: عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص 66، 67. عبد المجيد النعنعي، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص48.

[3] للتوسع أنظر: ابن عذارى، البيان، 7/2. المقّري، النفح، 222/1. 243،244. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص66، 67. النعنعي، المرجع السابق، ص48- 49.

رفض، ولما أنهى كسر الأقفال ودخل البيت وجد صندوقا وبداخله صورة تُظهر فرسانا يلبسون لباسا عربيا، ولهم رايات مكتوب تحتها "إذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء القوم الذين هذه صورتهم وزيّهم هذه البلاد وملكوها، وعلامة ذلك إذا رأيتم أقفال البيت مكسورة، وهذه الشقة والصورة منشورة مشهورة" فكان الوبال عليه[1].

ومهما تكن الأسباب فإنّ الاتصال بين يوليا وطارق بن زياد قد تم، ووافق والي افريقية موسى بن نصير على دخول الأندلس بعد أن وافقه خليفة المسلمين الأموي "الوليد بن عبد الملك" شريطة إرسال حملات استطلاعية للمنطقة ، وتذكر بعض الروايات أنّ طارقا أخذ بعض الرهائن من يوليان حتى يتأكد من عدم الغدر به[2].

من أوائل الحملات الاستطلاعية كانت حملة أبو زرعة طريف بن مالك (ملوك) في رمضان 91هـ/جويلية 710م وكان قوامها مائة فارس، وأربعمائة راجل، ونزل جنوب إسبانيا في الجزيرة المسماة "بالوماس" وهي الموضع الذي يسمى إلى اليوم "طريفة" Tarifa وكانت الحملة ناجحة، وبعدها جاءت حملة طارق بن زياد الذي انطلق من مناء سبتة يوم الاثنين 5 رجب 92هـ/28 أبريل 711م في أربع سفن قدّمها يوليان، أو في السفن التي حضّرها موسى بن نصير، وكان قوام الجيش يفوق السبعة آلاف، ونزل طارق في سفح جبل كالبي Calpe الذي يسمى حاليا باسمه Gibraltar، وحسم الفتح بقتل القائد القوطي لذريق في معركة وادي لكة (بكة) بكورة شذونة والتي دامت ثمانية أيام، أي من يوم الأحد 28رمضان/19جويلية إلى الأحد 5شوال92هـ/26جويلية711م[3].

---

[1] تفاصيل القصّة عند: مجهول، تاريخ الأندلس، ص152. المقّري، النفح، 238/1-240. ابن عذارى، البيان، 3/2.

[2] للتوسع في تفاصيل لقاء يوليان مع طارق، ويوليان مع موسى بن النصير أنظر: ابن عذارى، البيان، 7/2. سالم، تاريخ المسلمين، ص66-69. النعنعي، المرجع السابق، ص 48-50. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص54.

[3] من المعلوم أن عملية الفتح كُتب عنها الكثير، خاصة أصل طارق والسفن التي حملت الجند أهي ليوليان، أم تابعة للأسطول العربي، خطبة طارق وحادثة إحراق السفن، ومعركة وادي لكة، وهل المعركة كانت في شمال مدينة شذونة أوفي جنوبها، وهل قتل طارق لذريق أم وجد ميتا في النهر غرقا، أو فر كما يذكر بروفنسال لأنّه سيواجه موسى وطارق في معركة أخرى ويقتل. هذه التفاصيل يرجع لها: مجهول، تاريخ الأندلس، ص153،154. المقّري، النفح، 244/1-250. ابن عذارى، البيان، 7/2-9. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص55-69. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص35-42. سالم، تاريخ المسلمين، ص70-81. محمود مكي، **تاريخ الأندلس السياسي 92-897هـ/711-1492م**، من كتاب الحضارة العربية

لم يكتف القائد طارق بن زياد بالانتصار الذي حققه في معركة وادي لكة، بل واصل زحفه حتى وصل طليطلة عاصمة القوط ودخلها دون قتال لفرار حاميتها ورجال ملكها، وكان قد أرسل قواده لفتح المناطق الأخرى كمغيث الرومي الذي فتح قرطبة، ثم لحق والي إفريقية موسى بن نصير بقائده طارق بن زياد إلى الأندلس في رمضان93هـ/جوان712م، في جيش تعداده ثمانية عشر ألف رجل من عرب القيسية واليمنية، وفيه كثير من التابعين كعلي بن رباح اللخمي، وحنش بن عبد الله الصنعاني، وسلك موسى بن نصير طريقا غير التي سلكها طارق حتى يساعده في فتح مناطق جديدة، فاختار طريق الغرب حيث فتح شذونة Medinasidonia، وقرمونة Carmona، وأكبر حواضر الجنوب إشبيلية Seville، وباجة Beja، ماردة Mérida وغيرهم حتى التقى بطارق بن زياد عند مدينة طلبيرة Talavera ورجعا إلى طليطلة Toledo[1].

تواصل الفتح بعد ذلك حتى لم يبق من توسع في شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال) سوى الركن الشمالي الغربي، المعروف بمنطقة غاليسيا أو بجليقية Galicia والذي يسميه الإسبان قمم أوروباpicos de Europa ، خاصة منطقة صخرة أو كهف بلاي Covadonga بسبب وعورة مسالكها، ومناخها البارد من جهة، واستخفاف الولاة بالمعتصمين بها من القوط الفارّين بزعامة

الإسلامية في الأندلس، مجموعة من الكتاب، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 1999، 59،60/1. سالم، تاريخ المسلمين، ص70-81. محمد محمد زيتون، **الفتح الإسلامي للأندلس–دراسة وتحليل**- مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، العدد4، 1980م، ص311-319.

[1] للتوسع في الفتح أنظر: ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري–القاهرة– دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1410هـ/1989م، ص29 وما بعدها . مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1410هـ/1989م ص 15 وما بعدها. مجهول، تاريخ الأندلس، 155. ابن عذارى، البيان، 2/09-23. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص69 وما بعدها. سالم، تاريخ المسلمين، ص81 وما بعدها. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، 41 وما بعدها.

بلاي Palayo من جهة أخرى، فقد قالوا عن القوط الفارين: «ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم؟ لكن الذي جاء هو نشأة دولة اسبانيا النصرانية في هذه المنطقة»[1]

وعليه ففتح جزيرة الأندلس الذي دام أكثر من ثلاث سنوات، وتثبيت نواة الدولة العربية الإسلامية فيها، يمكن إرجاعه بعد الله تعالى إلى القائدين، والي إفريقية موسى بن نصير(ت97هـ/715م)، وقائده طارق بن زياد، لتُضمّ الأندلس إلى حاضرة الخلافة الإسلامية الأموية، وطيلة فترة الفتح لم تتجل الخلافات المذهبية التي كانت في المشرق، خاصة الشيعة والخوارج، وربما حضر بعض معتنقيها رغبة منهم في الاستشهاد وتحقيق فريضة الجهاد. وفي سنة 96هـ/715م جاءت الأوامر للقائدين بالحضور إلى دمشق، فخرجا إلى الشام سنة 96هـ/714م واستجابة لأوامر الخليفة الأموي "الوليد بن عبد الملك"، وبخروجهما من الأندلس يبدأ عهد الولاة.

ثانيا– عهد الولاة في الأندلس (96–138هـ/715–755م):

يبدأ عهد الولاة باستدعاء الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م) لموسى بن نصير وطارق بن زياد للحضور إلى دمشق سنة 96هـ/715م، فترك موسى ابنه عبد العزيز (96-97هـ/715-716م) واليا على الأندلس، وينتهي هذا العهد بدخول الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس، وقد خضعت الأندلس للخلافة الأموية في دمشق، ثم للعباسية في بغداد، ثم استقلت بعد استتباب الأمن للأمير الأموي عبد الرحمان بن معاوية الداخل.

تميّز عهد الولاة بأحداث ووقائع أثرت على الوضع في الأندلس، يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

1- حَكم الأندلس خلال هذه الفترة عشرون واليا، كلهم من أصل عربي، ومنهم من تكررت فترة حكمه مرتين، كعبد الرحمان بن عبد الله الغافقي (الأولى سنة 102هـ/721م، والثانية 112-

---

[1] للتوسع أنظر: المقري، النفح، المصدر السابق، 119/6 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، 10/2. أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1972م، ص283 و284. حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2، جدّة، السعودية، 1405هـ/1985م، ص 313 – 315. النعنعي، المرجع السابق، ص65 و66. طقوش، المرجع السابق، ص 108.

114هـ/730-732م)[1] ومنهم من لم تدم مدة حكمه سنة كأيوب بن حبيب اللخمي (97هـ-7716م) الذي حوّل العاصمة من اشبيلية[2] إلى قرطبة، وحذيفة بن الأحوص (110هـ/728م) وغيرهما.[3]

2- ولاة الأندلس يُعينون من طرف ولاة إفريقية تارة بحكم تبعيتهم إداريا لهم، كعبد العزيز بن موسى بن النصير (96-97هـ/715-716م) الذي عينه أبوه موسى وقد كان واليا على القيروان (86-96هـ/705-715م)، والحر بن عبد الرحمن الثقفي (97-100هـ/716-719م) الذي قيل إنّه اختار قرطبة عاصمة له أيضا بدلا من اشبيلية، وأنشأ دار الإمارة التي ستتحول إلى قصر يسكنه بني أمية فيما بعد، وقد عينه والي إفريقية محمد بن يزيد (97-100هـ/716-718م)، وعنبسة بن سحيم الكلبي(103-107هـ/721-725م) الذي عينه بشر بن صفوان الكلبي(103-109هـ/721-727م)[4] ومنهم من تمّ تعينه من مركز الخلافة في دمشق مباشرة كالسمح بن مالك الخولاني(100-102هـ/719-721م) الذي عينه الخليفة عمر بن عبد العزيز، وعبد الملك بن قطن الفهري(114-116هـ/732-734م) الذي عينه الخليفة هشام بن عبد الملك.[5]

ومنهم من أختير لظروف على المستوى المحلي من طرف الجند أو تمّ الاتفاق عليه خوفا من تأخر الوالي المعين من القيروان أو دمشق كأيوب بن حبيب اللخمي(97هـ/716م)، الذي أختير من قبل زعماء العشائر ووجهاء المجتمع بعد مقتل الوالي عبد العزيز بن موسى بن النصير، وكذا عبد

[1] عنهما أنظر: مجهول، تاريخ الأندلس، ص156. ابن عذارى، البيان، 26/2، 28، 30. نعنعي، المرجع السابق، ص86-88. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص74، 77، -79. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص138، 140-149.

[2] **اشبيلية (Sevilla)**: تقع على ضفاف الوداد الكبير، وهي مدينة جليلة بالأندلس، قديمة بناها الإشبان، بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، أصل تسميتها باللاتينية الأرض المنبسطة، لها أسوار حصينة، منها ما بناه الأمير عبد الرحمن بن الحكم. واشبيلية من الكور المجندة، نزلها جند حمص حتى سميت حمص، ولواؤهم في الميمنة بعد لواء جند دمشق. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 58-60. مجهول، تاريخ الأندلس، ص111-115.

[3] عنهما أنظر: مجهول، تاريخ الأندلس، ص156، ابن عذارى، البيان، 25/2، 27. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص70- 71، 76.

[4] عنهم أنظر: مجهول، تاريخ الأندلس،ص 156. ابن عذارى، البيان، 23/2-25، 27. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 68-71، 74- 75.

[5] مجهول، تاريخ الأندلس، ص156. ابن عذارى، البيان، 26/2، 28. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، 71-74، 77.

الرحمن بن عبد الله الغافقي(سنة 102هـ/721م) الذي اختاره الجند بعد استشهاد السمح بن مالك الخولاني وغيرهما.[1]

3- ولاة الأندلس تميزوا بقِصر مدّة حكمهم، وغالبيتهم ماتوا مقتولين أو شهداء، ومرد ذلك إلى أسباب كثيرة من أهمها: استشهاد الولاة في الثغور الشمالية أثناء الفتوحات في بلاد الفرنجة (الأرض الكبيرة، وراء جبال البرتات) مثل السمح بن مالك الخولاني، وعنبسة بن سحيم الكلبي، وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي أستشهد في معركة يواتيه Poiters (بلاط الشهداء لعدد المسلمين الذين استشهدوا فيها) أمام شارل مارتل Charles Martel رمضان 114هـ/أكتوبر 732م.[2] والصراع القبلي الذي تجلى بين العنصر العربي فيما بينه، أي بين عرب الجنوب (اليمنية، القحطانية) وعرب الشمال(القيسية، المضرية، الشاميون)[3] فكان كل والي ينحاز لقبيلته، فمن الولاة اليمنيون نجد أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي (125-128هـ/742-743)، ويوسف بن عبد الرحمن الفهري وغيرهما، ومن القيسية نجد بلج بن بشر القشري(123هـ/741م)، ثعلبة بن سلامة العاملي(124-125هـ/742-743) وقد تسمى العرب الأوائل للفتح باسم "البلديون" من جهة[4]،

[1] عنها أنظر: مجهول، تاريخ الأندلس، ص156. ابن عذارى، البيان، 25/2، 26. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، 70- 71، 74.

[2] عن فتوحات الولاة، ومعركة بلاط الشهداء أنظر: عبد الرحمن علي حجي، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، ط5، 1418هـ/1997م، ص 134، 193-202. محمود مكي، المقال السابق، ص64

[3] تعوذ جذور الصراع إلى العهد الجاهلي، وتجدد في واقعة الحرّة 63هـ/685م عهد يزيد بن معاوية الأموي عندما ثار أهل المدينة على الحاكم الأموي، فأرسل يزيد جيشا من أهل الشام بقيادة مسلم بن عقبة المري، فهاجم الأخير المدينة المنورة من ناحية الحرّة، وأباحها لجنده ثلاثة أيام حتى أجبرهم على البيعة ليزيد. الطبري، ج495/5. وابن الأثير، ج211/3-219 نقلا عن طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص83

[4] **البلديون**: أطلق هذا المصطلح على العرب الأوائل الذين استقروا في الأندلس وكانوا قد دخلوا مع الفاتحين طارق بن زياد وموسى بن النصير، وأطلق على العرب الذين دخلوا في طالعة بلج بن بشر القشيري سنة 123هـ/741م بالعرب الشاميين. ابن عذارى، البيان، 31/2-34. عبد العزيز فيلالي، **المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس**، دار هومة، الجزائر، 2008، ص137-151. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص87-90. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، المرجع السابق، ص160-167. نعنعي، المرجع السابق، ص117-129. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص90. وعن المصطلح أنظر: سالم الخلف، المرجع السابق، 485/2.

ومن جهة أخرى بين العرب والبربر، ذلك أنّ سياسة بني أمية التي طبقتها في الحواضر التابعة لها لم تكن تختار غير العرب غالبا، إذ كانت تفضل العنصر العربي(الأرستقراطية العربية) على بقية الأجناس الأخرى، فقامت للبربر ثورات (يسميها أ.فيلالي ثورة القبائل المغربية)، من أهمها نجد ثورة 123هـ/741م في شمال الأندلس (جليقية وغيرها) أين يتواجد العنصر البربري الذي كان له فضل كبير في فتوحات الأندلس الأولى مع طارق وموسى بن نصير، ومثّل غالبية جنود المسلمين مع الوالي عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي في معركة بلاط الشهداء (بواتيه) رمضان 114هـ/732م كما سنذكر، ولكنه حُرم على أرض الواقع من السيادة والرياسة في شؤون الحكم والإدارة، وقد كادت هذه الثورة أن تقضي على والي الأندلس عبد الملك بن قطن، خاصة وأنّها انطلقت في الهجوم على ثلاث محاور هي: محور طليطلة عاصمة الثغر الأعلى بقيادة ابن هود ين، والثانية صوب قرطبة عاصمة الولاية بقيادة زقطرنق، والثالثة صوب الجزيرة الخضراء برئاسة قائد زناتي لم تذكر المصادر اسمه، وكان هدف المحور الأخير هو التحكم في موانئ وسفن الجنوب، وبهذا يتسنى لهم الاتصال مع بني عمومتهم الثائرين في بلاد المغرب، وقد حققت الثورة انتصارات باهرة، ولم تنته إلاّ بمرور طالعة بلج بن بشر القشري[1] التي كانت محاصرة في سبتة المغربية.[2] وهذا سينعكس فيما بعد على

[1] **طالعة بلج**: يقصد بها المجموعة العربية التي تحصنت في مدينة سبتة بعد معركة بقدورة التي دارت رحاها بين البربر بقيادة خالد بن حميد الزناتي، ووالي المغرب كلثوم بن عياض القشري (123-124هـ/740-742م)، وكان النصر فيها حليف البربر إذ قتلوا الوالي وبعضا من قادته وكثير من الجند، وفر بلج بفرقة قدرت بعشرة آلاف إلى مدينة سبتة وتحصن بها، ثم طلب المساعدة من والي الأندلس عبد الملك بن قطن الذي رفض في البداية لكون بلج شامي، ثم وافق بشروط، وبعد هزم الأخير للبربر رفض الخروج وقتل عبد الملك بن قطن الحجازي، وعينه أتباعه واليا على الأندلس. عنها أنظر: ابن عذارى، البيان، 30/2، 31. المقري، النفح، 226/1. ج16/4- 17. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص81-84. محمود مكي، المقال السابق، ص64. فيلالي، المظاهر الكبرى، ص57-61. العبادي، في تاريخ المغرب، ص78-80.

[2] للتوسع في هذا الصراع ومناقشة أسبابه أنظر: ابن عذارى، البيان، 30/2، 31. عبد العزيز فيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص51-55. فيلالي، المظاهر الكبرى، المرجع السابق، ص127-136. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص84-87. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص153- 159. نعنعي، المرجع السابق، ص107-112. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص88، 89.

الأندلس في العهد الأموي بثورة البربر على العاصمة الأموية قرطبة 399هـ، ويتجلى بوضوح في التقسيم السياسي في عصر ملوك الطوائف.

✓ تخوف الخلفاء، وولاة إفريقية من تمكن والي الأندلس بالجزيرة وتفرده بها، خاصة وأنّها بعيدة جغرافيا عن مركز الخلافة، فعملوا على تقريب اليمنية تارة، والقيسية تارة أخرى.

✓ التركيبة القبلية للمجتمع الأندلسي الجديد (عرب يمنية وقيسية، بربر، مولدون، يهود، مستعربون[1]..) وكل تجذبه نزعته القبلية التي يصعب أن تجد لها واليا يرضيها كلها، إلاّ إذا استثنينا ربما الوالي السمح بن مالك الخولاني الذي عينه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز.

4- عهد الولاة تواصلت فيه حركة الفتوحات الإسلامية وراء جبال البرتات، حيث دخل الفاتحون الأرض الكبيرة[2] فالسمح بن مالك فتح ولاية سبتمانيا ودخل عاصمتها أربونة Narbonne، ثم توغل في دوقية أكيتانيا أين أستشهد في مدينة طولوشة (تولوز) أمام الدوق يودو Yudo سنة102هـ/721م، كما دخل هذه الأرض الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي الذي أكمل فتح إقليم سبتمانيا بمدنه السبع، وإقليم بروفانس، ودخل مدينة ليون وفتحها، ودخل إمارة برغونة حتى وصل مدينة أوتون، وأثناء رجوعه غدر به الأهالي واستشهد هناك سنة 107هـ/726م، رغم ذلك تواصل الفتح في شمال البرتات خاصة عهد الوالي عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي دخل المناطق السابقة حتى وصل مدينة برديل (بوردو الفرنسية)، ولما عجز دوق أكيتانيا يودو وقفَه، اتصل برئيس القصر الميروفنجي والوزير الأول شارل مارتل نائب الملك لمساعدته، فكانت استجابة

---

[1] **المستعربون** (**Mozarabs**): هم المسيحيون الذي عاشوا وسط مسلمي الأندلس وتعلموا العربية، أطلقت عليهم المصادر العربية اسم: النصارى، المسيحيون، الروميون، أهل الذمة. يمكن الرجوع للمقال الهام: ميغيل دي إيبالزا: المستعربون أقلية مهمة في الأندلس المسلمة، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، المرجع السابق، 233/2-265.

[2] **الأرض الكبيرة** (Tere Major): هي أرض فرنسا الحالية، لكنها لم تكن موحدة كما هي عليه الآن ولم تكن اللغة الفرنسية الحالية أيضا، كانت هذه الأرض تسمى ببلاد الفرنجة، أوبلاد الغال Gaul، بعد زوال الحكم الروماني فيها نشأت إمارات مستقلة ففي الجنوب نجد سبتمانيا (المدن السبع) وأكيتانيا Aquitain، وفي الشرق نجد بروفانس وبرغونة (برجانديا)، وفي الشمال نجد مملكة الفرنجة الميروفنجية التي تضم معها أراضي ألمانيا الحالية (خريطة غالة عند عبد العزيز سالم ص136). العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص82. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص137.

الأخير خوفا من وصول المسلمين إلى مملكتهم، وكانت النتيجة استشهاد الغافقي في معركة بواتيه (بلاط الشهداء) السابقة الذكر رمضان 114هـ/732م، وسيحاول بعد الغافقي الواليان عبد الملك بن قطن في ولايته الأولى، وعقبة بن الحجاج السلولي(116-121هـ/734-739م) الحفاظ على المكتسبات التي فتحها المسلمون في هذه الأرض، إذ هاجم عبد الملك بروفانس وليون وغيرهما مستغلا الفتن الداخلية التي يعيشها شارل مارتل، حتى أعلن حاكم مرسيليا "مارونت" ولائه لعبد الملك، ونفس الولاء أبداه نصارى سبتمانيا الذين يكرهو ن شارل مارتل، وكان عقبة بن الحجاج يجاهد كل سنة، وبقي الأمر بين مد وجزر حتى أصبح شارل مارتل ملكا على المملكة الفرنجية الكارولنجية التي قامت على أنقاض المملكة الفرنجية الميروفنجية، وقد اتخذ خططا بالتعاون مع حلفائه وضعت حدا للتوسع الإسلامي إلى أن سقطت مدينة نربونة عاصمة إقليم سبتمانيا سنة 141هـ/758-759م، وتبدأ حروب الاسترداد النصرانية خاصة عهد ابن شارل مارتل "بيبن الثالث"(134-151هـ/751-768م)، وحفيده شارلمان (ت199هـ/814م) أو شارل العظيم Carlo Magno[1] الذي استطاع في عهد الدولة الأموية احتلال قطالونيا الواقعة في شمال شرق الأندلس وجعلها ثغرا يحمي مملكته في الجنوب عرف بالثغر الإسباني La marca Hispanica[2]،

ومهما يكن فإنّ مدينة أربونة عاصمة إمارة سبتمانيا بقيت في يد المسلمين حتى نهاية عهد الولاة لولا الفتن والحروب الداخلية التي عرفتها الأندلس.

5- شهد عهد الولاة المقاومة المسيحية، أو ما يعرف بحركة الاسترداد Reconquista، خاصة الشمال (جبال بنبلونة) والشمالي الغربي المعروف بمنطقة غاليسيا أو بجليقية Galicia والذي يسميه الإسبان قمم أوربا picos de Europa ، خاصة قرية Covadonga (Cueva do

[1] مؤسس الإمبراطورية الإفرنجية الكارولنجية التي قامت على أنقاض الإمبراطورية الإفرنجية الميروفنجية، وقد ضمّت تقريبا فرنسا الحالية وغرب ألمانيا ونصف إيطاليا وجزر البحر المتوسط الغربية وثغور نافار وكاتالونيا، لمزيد من التوضيح أنظر: نور الدين حاطوم، **تاريخ العصر الوسيط في أوربا**، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.س.ط، 150/1 وما بعدها.

[2] للتوسع أنظر: ابن عذارى، البيان، 29/2. المقري، النفح، ج226/4. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص114-135 العبادي، في تاريخ المغرب، ص81-86. فيلالي، المظاهر الكبرى، ص109-125. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص134 وما بعدها. حجي، التاريخ الأندلسي، ص178 وما بعدها.

Onga) أو سانتا ماريا، أين اعتصم القوط الفارين أثناء الفتوحات الإسلامية الأولى، ولعلّ أبرز مقاومة هي التي تزعمها بلاي[1]Palayo الذي وضع أسس أول مملكة نصرانية هي مملكة أشتوريس، وأختير زعيما للنصارى سنة 99هـ/717م، ورغم أنّ تمرده كان في عهد الوالي السمح بن مالك الخولاني، فإنّ مقاومته الحقيقية لم تتجل إلاّ في عهد الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي، إذ هاجم الحاميات المسلمة في أشتوريس، فبعث له الوالي عنبسة قائده علقمة بن عامر اللخمي عام 103هـ/722م الذي أستشهد في هذه المنطقة حسب الروايات الإسبانية عندما نصب له كمين من تدبير بلاي من جهة، وصعوبة المنطقة جغرافيا من جهة أخرى، ثم حاصرهم الوالي عنبسة من خلال قوات عسكرية رابطت في المنافذ المؤدية إلى الكهف حتى نفذت مؤنهم ومات كثير منهم، وكاد أن يحسم أمرهم لولا استخفافه بمن بقي منهم عندما رفع الحصار وقال: «ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم»[2] هذا ما جعل بلاي يستعيد قواه فجمع الجند وحصن المدن، واتخذ كانجاس عاصمة له، ثم أختير ليكون ملكا عليهم، وبعد وفاته خلفه ابنه فاڤيلا (119هـ-121/737-739م)، ثم ألفونسوا الأول الكاثوليكي (121-130هـ/739-757م) الذي يسميه العرب أذفونش، من أهم ثوراته نجد ثورة 133هـ/750م التي أجلت المسلمين من جليقية وأشتوريس مستغلا الفتنة العربية–البربرية، وثورات 136هـ/753م عهد الوالي يوسف بن عبد الرحمن الفهري[3]

طيلة مدّة الفتح وعهد الولاة كان المسلمون يركزون على توسيع الفتح في الجهات الشمالية، وإرساء قواعد الإسلام وسط المناطق المفتوحة، ولم تكن الفرصة مواتية لنقل الخلافات العقائدية التي

---

[1] **بلاي**: من أصل قوطي، لم تذكره المصادر كثيرا فقيل أنّه ابن فاڤيلا دوق كنتبرية في إقليم أشتوريس، وقيل أنّه ابن أخ لذريق برمود، فرّ من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفي. المقّري، النفح، ج6/119، 120. حجي، التاريخ الأندلسي، ص143. طقّوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص107.

[2] المقري، النفح، ج4/13، 119- 120 طقوش، المرجع السابق، ص107-114. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص73، 74. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص168-170. محمود مكي، المقال السابق، ص68- 69.

[3] وقائع المقاومة المسيحية للتوسع أنظر التفاصيل: المقري، النفح، ج4/13، 119- 120 طقوش، المرجع السابق، ص107-114. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص73، 74. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص168-170. محمود مكي، المقال السابق، ص68- 69.

شهدها المشرق وتسللت للعدوة المغربية، خاصة الخارجية منها، وإذا وجد بعض الأفراد يحملون آراء عقائدية غير سنيّة فإنّ تأثيرهم كحركة لم يكن موجودا إلاّ في بداية العهد الأموي

المبحث الثالث: الدولة الأموية وعصر الطوائف (138-479هـ/756-1086م)

أولا- الدولة الأموية في الأندلس (138-422هـ/756-1031م):

بعد الاضطرابات التي حدثت في المشرق وانتهت بسقوط الخلافة الأموية وإعلان الخلافة العباسية عام 132هـ/749م، تعقبت الأخيرة فلول الأمويين إلى أن فرّ أحد أبناء هذه الأسرة وهو عبد الرحمان بن معاوية بن هشام الداخل 138هـ/756م إلى الأندلس، وأسس بها إمارة قوية مستقلة عن الخلافة العباسية[1] وقد مرّ الحكم الأموي في الأندلس بمرحلتين هما:

1)**عهد الإمارة (138-316هـ/756-929م)**: وسمي كذلك نسبة لصفة الحاكم الأموي وتسميته الرسمية، ففي هذه الفترة كان الحاكم يلقب بالأمير،وقد بدأت **بعبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك** (138-172هـ/756-788م)[2]مؤسس الدولة وواضع قواعدها بالأندلس، وقد ذكر صاحب كتاب أخبار مجموعة أنّ عبد الرحمان قد سمع مسلمة بن عبد الملك وهو صغير

---

[1] لمزيد من التوضيح عن "عبد الرحمان الداخل بن معاوية" أنظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م، ج362/4. ابن عذارى، البيان، 40/2 وما بعدها. المقري، النفح، 322/1. حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجيل، بيروت، لبنان ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط15، 1422هـ/2001م، 187/2 و188. النعنعي، المرجع السابق، ص133 و134.

[2] يكنى أبا المطرف وقيل أبا يزيد وقيل أبا سليمان، ولقب بالداخل لأنّه أول من دخل الأندلس من بني أميّة، ولقّبه الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور بصقر قريش، وهو عبد الرحمان الأول، وذكر ابن خرداذبة بأنّه كان يسلّم عليه باين الخلائف، وذلك أنّهم لا يرون اسم الخليفة إلاّ من ملك الحرمين. لمعرفة المزيد عن نسب وسيرة الأمير، أنظر: ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1972، ج4/ 154 وما بعدها. ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، مطبعة بريل، ليدن، 1889م، ص 90. ابن عذارى، البيان، 47/2 وما بعدها. المقري: النفح، 318/1 وما بعدها، ج4/ 24 وما بعدها. مجهول، التاريخ، ص53. جلال الدين السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص418. محمد عبد الله عنان، **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية**، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1390هـ/1987م، ص 139 وما بعدها. حجي، المرجع السابق، ص 215 وما بعدها. مؤنس، فجر، ص 659 وما بعدها.

يتربى في حجر جده بأنّه سيكون له دور في تجديد ملك بني أمية في الأندلس[1] وقد واجه عدّة ثورات وفتن وحروب على المستويين الداخلي والخارجي، ففي الداخل واجه أصحاب السلطان القديم من أمثال يوسف الفهري والصميل بن حاتم[2]، وثورة العلاء بن مغيث الجذامي (ت147هـ/767م) الذي وعده الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(136-158هـ/754-775م) بالإمارة إن أنهى حكم عبد الرحمان الداخل[3] أمّا على المستوى الخارجي فأهم حدث هو هجوم إمبراطور الغرب وملك الإفرنج شارلمان (ت199هـ/814م) أوشارل العظيم Carlo Magno(1) عام (161هـ/778م) بالتنسيق مع المعارضة الداخلية ومع الخليفة العباسي المهدي (158-169هـ/774-785م)، على الأندلس والذي خرج فيها عبد الرحمن الداخل منتصرا قويا.[4]

وقد كانت للأمير مساهمات في المجال الحضاري، فبعدما اختار قرطبة[5] عاصمة له سعى إلى توسيعها وإعادة بناء جامعها (169هـ/785م)، وأنشأ دارا للسكة تضرب فيها النقود، وأبقى على

---

[1] مجهول، **كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها**، تح.إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص123-124.

[2] يوسف بن عبد الرحمان الفهري آخر الولاة بالأندلس، أمّا الصميل بن حاتم فهو قائده والحاكم الفعلي للأندلس، لتفاصيل ثوراتهما أنظر: لسان الدين بن الخطيب، **تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، لبنان، 1956، ص8 .ابن عذارى، البيان، 48/2 وما بعدها. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص183 وما بعدها. النعنعي، المرجع السابق، ص 143 وما بعدها. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 302 وما بعدها.

Levi Provencal, **Histoire de l`Espagne Musulmane** G-PMaisonneuve, Paris - E.J.Brill, Leden, 1950,Tome I, P :101 et suite.

[3] انطلقت ثورته من باجة، أنظر: ابن عذارى، البيان 51/2 و52. حجي، التاريخ، ص240 وما بعدها. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر**، العصر الأول، القسم الأول، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1389هـ /1969م، ص 161-163.

[4] عن هذه الحرب والتقارب العباسي – الكارولنجي، أنظر: ابن الأثير، الكامل، 41/5. الأمير شكيب أرسلان، **تاريخ غزوات العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص120 وما بعدها. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص201 وما بعدها. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص312 وما بعدها. حجي، التاريخ، ص224.

[5] **قرطبة**: قاعدة الأندلس، وأم مدائنها، ومستقر خلافة بني أميّة، تفسيرها بلسان القوط- قرطبة – بالظاء المعجمة، معناه القلوب المختلفة، أنظر الحميري، المصدر السابق، ص456-459.

تقسيمات البلاد إلى مقاطعات أو كُوَرٍ، وجعل من الأندلس نموذجا لعاصمة الخلافة الأموية سابقا في دمشق، ولبلاد الشام، أمّا التجديد فنراه عندما جعل على رأس حكومته ومساعديه موظفا اسمه الحاجب، وهو يتقدم على الجميع بما في ذلك الوزراء ومستشاري الأمير، إذ يرأس الجهاز التنفيذي للدولة، وينوب عن الحاكم، وفي الحياة الدينية انتشر مذهب الإمام الأوزاعي[1] (88-157هـ) الشامي، وصار المرجع الأول في أمور القضاء والتشريع، وفي ذات الوقت خرج بعض العلماء للحجاز وسيرجعون في عهد ابنه حاملين معهم مذهب الإمام مالك بن أنس، أمّا الحياة الفكرية وإن كانت ليست متميزة بسبب اشتغاله بإخماد الفتن والحروب، فإنّ الأدب، وبخاصة الشعر قد حاكى شعراء الشام[2]

وقد كتب المستشرق الإسباني "جاينجوس" وهو يبين الحظوة التي نالتها قرطبة خاصة في العهد الأموي وسطوع شمسها على أروبا بقوله: "لقد سطعت في اسبانيا أول أشعة لهذه المدنية التي ستنشر ضوءها فيما بعد على جميع الأمم النصرانية، وفي مدارس قرطبة وطليطلة العربية جمعت الجذوات الأخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أشرفت على الانطفاء، وحفظت بعناية..."[3] توفي الأمير عبد الرحمان في ربيع الثاني عام 172هـ/أكتوبر 787م.

بعد وفاته خلفه ابنه **هشام الرضى** (172-180هـ/788-796م)[4] كان حاكما ورعا تقيا، ولهذا لقب بالرضى، وشبهه بعض المؤرخين بالخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، وقد كان ميّالا للسلم

---

[1] مذهب الإمام الأوزاعي سآتي عليه في الفصل الثالث.

[2] عن الحياة الحضارية في عهد الأمير عبد الرحمن أنظر التفاصيل: المقري: النفح 318/1. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي 316 وما بعدها. حجي، التاريخ، ص277 وما بعدها. النعنعي، المرجع السابق، ص168 وما بعدها.

[3] جاينجوس نقلا عن: عنان، دولة، 64/1.

[4] عن وقائع تولي هشام الحكم بدلا من أخيه سليمان أنظر: المقري: النفح، 322/1 و323. ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا، ص11 وما بعدها. ابن الفرضي عبد الله الأزدي، **تاريخ علماء الأندلس**، مراجعة يخلف شلحة، استديو الترقية، ط1، البليدة، الجزائر، 2011م، ص11. ابن عذارى، البيان، 61/2 وما بعدها. النعنعي، المرجع السابق، ص171 وما بعدها.

إلاّ أنّ الفتن والثورات حالت دون رغباته، إذ حارب أخاه سليمان وانتصر عليه، كما حارب النصارى في الشمال الغربي لإسبانيا وجنوب فرنسا، وحقق في جل حروبه الانتصارات.[1]

تميّز عهده بوصول التأثيرات الحجازية بدلا من الشامية والعراقية إلى الأندلس، خاصة من مكة والمدينة، اللتين اهتمتا في هذه الفترة بالعلوم الدينية، فزادت أنظار الأندلسيين إليهما حجا ورحلة[2]، ومن نتائج الرحلات العلمية، وصول مذهب إمام أهل المدينة **مالك بن أنس** (ت179هـ/795م) إلى الأندلس وانحسار مذهب **الإمام الأوزاعي** (ت180هـ/ 796م) عنها. وكان للأمير هشام دور كبير في تسريع انتشار هذا المذهب، وإن كان من بين أسباب ذلك كما ذكر حسين مؤنس، البحث عن السّند الشرعي للإمارة في ظل وجود الخلافة العباسية الشرعية في بغداد، أمّا عمرانيا فقد جدد القنطرة الكبيرة التي كانت تعلو نهر الوادي الكبير، وتوفي الأمير هشام في صفر عام 180هـ/796م.[3]

خلفه ابنه **الحكَم الربضي**(180-206هـ/796-822م) وقد بويع أبو العاصي كما كان يكنى، بعد وفاة أبيه بليلة واحدة يوم الخميس 8صفر180هـ/796م، وهو ابن ست وعشرين سنة، وقد شبه الحَكَم بالخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، لشدّة حزمه وقوة عزيمته. ويعتبر الأمير الحَكَم أول من جنّد المرتزقة في جيشه، وقد خاض كسابقيه عدّة حروب للقضاء على الثورات الداخلية والخارجية. وحاول الحَكَم تهميش فقهاء المالكية وإبعادهم عن الحكم مخالفا في ذلك سياسة أبيه، لكن هذه السياسة قد جلبت له الكثير من المصاعب كتدبير الفقهاء لعزله وتعويضه بابن عمّ له اسمه القاسم بن محمد بن المنذر بن عبد الرحمان الداخل، وقد وَشَى الأخير بهم للأمير الحَكَم، وكانت النتيجة هي إعدامه لاثنين وسبعين من مدبري المؤامرة وصلبهم، وكان ذلك عام 189هـ/805م.

[1] ابن الخطيب، تاريخ، ص 12 و13. ابن عذارى، البيان، 62/2-63. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص323. النعنعي، المرجع السابق، ص176-178.

[2] العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 323 و324. النعنعي، المرجع السابق، ص179.

[3] لمعرفة المزيد عن حياة الأمير أنظر: المقري: النفح، 322/1 وما بعدها. ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا، ص12. ابن خلدون: تاريخ، 160/4. حسين مؤنس، **شيوخ العصر في الأندلس**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص13. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص213 وما بعدها. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 329 وما بعدها.

كما تعتبر ثورة "أهل ربض شقندة" جنوب قرطبة، في13رمضان 202هـ/25مارس817م من أصعب ما خاض الحَكَم من حروب، حتى لقب **بالربضي**، وكان دور فقهاء المالكية بارزاً فيها، لكن هذا الحادث يعدّ حدثا فاصلا في تاريخ البيت الأموي، إذ جعل الحَكَم يرجع إلى تقريب الفقهاء، ويدرك بأنّ الإمارة لا تقوم بسند القوة وحده. توفي الحَكَم عام 25 ذي الحجة 206هـ/11 ماي 822م[1]

خلفه ابنه **عبد الرحمن** (206-238هـ/822-852م)، وهو الملقب بالأوسط والثاني، لأنّ الأول هو عبد الرحمن بن معاوية(الداخل) والثالث هو عبد الرحمان بن محمد(الخليفة الناصر)[2] تميّزت فترة حكمه بأحداث كثيرة، ولعلّ ما ميزها هو جهاده البحري ضد المسيحيين والنورمان القادمين من شمال أوربا المهاجمين للسواحل الغربية لشبه الجزيرة الأيبيرية، كما ربط عبد الرحمان علاقات دبلوماسية مع الإمبراطورية البيزنطية، وقمع فتنة المستعربين من مسيحيي إسبانيا، أمّا على الأصعدة الأخرى فقد انتقلت في وقته التأثيرات العراقية، مخالفا في ذلك أسلافه لما عرفته بغداد من تطور، فدخلت العلوم العقلية ككتب الحساب، ودخلت الموسيقى بدخول المغني زرياب، أمّا في الجانب الإداري والعمراني فقد قسّم الوزارة إلى أربع، وأضاف منصب صاحب الشرطة وصاحب المدينة، وقام ببناء مسجد كبير في اشبيلية[3] ووسّع قصر قرطبة. توفي الأمير عبد الرحمن عام 238هـ/852م.[4]

---

[1] للتوسع في سيرة الأمير الحكم وأهم الفتن والحروب التي قامت في عهده، أنظر: المقري، النفح 327/1 وما بعدها. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 329 وما بعدها. النعنعي، المرجع السابق، ص205 وما بعدها. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص220 وما بعدها. مؤنس، شيوخ، ص 20 وما بعدها.

[2] الحميدي، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تحقيق روحيّة عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، ص16 و17. ابن خلدون: تاريخ ج163/4 وما بعدها. ابن القوطية، المصدر السابق، ص75-78. ابن الخطيب، تاريخ، ص 18 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، 80/2.

[3] **اشبيلية** (**Sevilla**): مدينة جليلة بالأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، أصل تسميتها باللاتنية الأرض المنبسطة، لها أسوار حصينة، منها ما بناه الأمير عبد الرحمن بن الحكم. واشبيلية من الكور المجندة، نزلها جند حمص ولواؤهم في الميمنة بعد لواء جند دمشق. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 58-60.

[4] أنظر: أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص 338 وما بعدها. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص229 وما بعدها.

بعد وفاة الأمير عبد الرحمان الثاني، خلفه أمراء ضعاف مقارنة بقوته وبأسه، وكما ترك لهم تطورا حضاريا كبيرا فإنّه في المقابل قد أورثهم بذور مشاكل وخلافات امتدت جذورها في تاريخ إسبانيا وفي تركيبتها البشرية، لهذا اصطلح على الفترة التي تلت حكمه (238-300هـ/852-912م) بعصر "**الفتنة والتمزق**" وسمّاها آخرون بعصر "**دويلات الطوائف الأول**"، الذي دام 62 سنة، والأمراء الذين حكموا خلال الفترة هم:

أ) **محمد بن عبد الرحمان** (238-273هـ/852-886م): تولى الإمارة يوم الخميس 04 ربيع الثاني 283هـ وهو ابن ثلاثين سنة، أختاره الصقالبة خدام القصر بزعامة حبيب الصقلبي أميرا للأندلس بدلا من أخيه عبد الله، وذلك لما تميّز به من رجاحة العقل والشجاعة وتقريب أبيه له في المجالس وكان عبد الرحمان يُسِرُّ له أكثر من إخوته[1] اهتم الأمير محمّد بالثغور الشمالية حيث قام ببناء عدّة تحصينات منها حصن إستيرش، وحصن طلمنكة، ومجريط.[2] ومن جانب آخر عرفت الأندلس في عهده انفتاحا على بعض المذاهب غير المذهب المالكي الرسمي، مثل المذهب الشافعي، وحاول الأمير تقريب بعض علماء هذا المذهب إلى قصره، منهم الفقيه قاسم بن محمد بن سيّار (ت277 أو278هـ / 890 أو891م)، والذي وصف الأمير محمد بأنّه أوحد قومه في البلاغة ورجاحة العقل. كما اعترفت بطاعة هذا الأمير "تاهرت" الرستمية الإباضية، و"سجلماسة" المدرارية الصفرية بالعدوة المغربية[3]، وهذا دليل امتداد النفوذ السياسي الأندلسي وتوسعه خارج

Emilio González Ferrir: **Historia general de Al Ándalus**, Europa entre Oriente y Occidente, Tercera edición, Editorial ALMUZARA, España, 2009, P293-301

[1] لأول مرّة يبدأ نفوذ الصقالبة السياسي داخل القصر عندما اختاروا محمدا ليكون أميرا بدلا من إخوته. للتوسع في أسباب اختياره أنظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص102-110. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص235.

[2] ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص132، 133.

[3] نفسه، ص 129، 130. عبد العزيز سالم، تاريخ، 250.

الأندلس، قال فيه الفقيه بقي بن مخلد: "ما رأيت من الملوك أكمل عقلا ولا أبلغ لفظا من الأمير محمد"[1] توفي الأمير محمد يوم الخميس 29صفر 273هـ وسنّه 65 سنة.[2]

ب)**المنذر بن محمد** (273-275هـ/886-888م): يكنى بأبي الحكم، تولى الإمارة سنة 273هـ إذ كان حينها بجبال رية يواصل مواجهة ثورة عمر بن حفصون، ولما علم بالوفاة رجع لقرطبة، وأُخذت له البيعة، من جملة ما قام به قتل حاجبه ووزير أبيه هاشم بن عبد العزيز لوشاية، ولما لاحظه من تذمر هاشم منه خاصة أثناء قراءة كتاب البيعة، وكذا للأبيات الشعرية التي قالها هاشم أثناء دفن الأمير محمد والد المنذر[3] كانت فترة حكمه قصيرة ومليء بالفتن والثورات خاصة ثورة ابن حفصون حتى أقسم الأمير على المسير إليه لينهي ثورته، وبعد حصاره لقاعدة ببشتر 43يوم أصابت الأمير علّة جعلته يستدعي أخوه عبد الله ليخلفه في الحصار وتوفي في الطريق 15 صفر 275هـ.[4]

ت) **عبد الله بن محمد**(275-300هـ/888-912م): بويع عبد الله في اليوم الذي توفي فيه أخوه قرب ببشتر أي السبت 15صفر 375هـ، ولما نقل أخوه لقرطبة وصلى عليه بويع في قرطبة، ورغم طول فترة حكمه فإنّ عصره تميّز بالتمزق السياسي والفتنة، فحارب ابن حفصون في الجنوب، والنصارى في الشمال، وغيرهم من العرب والبربر، ولكن في عهد الأمير عبد الله أعيد

---

[1] بقي نقلا عن مجهول، تاريخ الأندلس، ص191.

[2] سنأتي على اهتمامات الأمير محمد، وانفتاحه على المذهب الشافعي في الفصل الثاني. أنظر: صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم**، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، د.س.ط، ص85. مؤنس، شيوخ، ص35. ابن الخطيب، تاريخ، ص22

[3] الأبيات الشعرية هي : أعَزّي يا محمد عنك نفسي أمين الله ذا المنن الجسام

فهلاّ مات قوم لم يموتوا ودُفع عنك كأس الحِمام

للتوسع أنظر: ابن عذارى، البيان، 115/2، 116. مجهول، تاريخ الأندلس، 195، عبد العزيز سالم، تاريخ، ص250، 251.

[4] ابن عذارى، البيان، 113/2-120. مجهول، تاريخ الأندلس، 194-197.ابن الخطيب، أعمال، ص23-25.

فتح الجزائر الشرقية خاصة ميورقة، ووصل المسلمون إلى بروفانس، توفي الأمير يوم الخميس غرّة ربيع الأول سنة 300هـ وصلى عليه حفيده عبد الرحمان ولي العهد [1]

بعد اختصار سيرة الأمراء الثلاثة الذين عرف عهدهم بعصر الطوائف الأول، لا بأس أن آتي على أهم العوامل التي ساعدت على ظهور التمردات والثورات في الأندلس، والتي منها:

1- حصانة المواقع الجغرافية والبلدان التي قامت فيها هذه الثورات خاصة وأنّها في الشمال.

2- غالبية قادة الثورات من الأشراف ويصعب رضوخهم بالقوة.

3- الاستعانة بملوك النصارى في الشمال كلما تمّ تضييق الخناق عليهم[2]

أمّا عن النماذج التي قادت هذه الثورات والدويلات فنجد:

أ- **المولدون**: ثوراتهم كانت كثيرة وهي الأصعب منها:

1- بنو قسي أو بنو موسى بن موسى: استقلوا بمنطقة سرقسطة وباقي مدن الثغر الأعلى[3].

2- بنو مروان الجليقي: استقلوا بولاية بطليوسBadajos في غرب إسبانيا[4].

3- بنو حفصون: زعيمهم عمر بن حفصون وكانوا في المرتفعات الجنوبية الإسبانية بين مدينتي رندة غربا ومالقة شرقا، قاعدتهم قلعة ببشتر[5].

ب-**البربر**: قاد الثورة والاستقلال فيهم زعماء منهم:

1- بنو ذي النون: كانوا في الثغر الأدنى خاصة عاصمته طليطلة[6].

---

[1] عن سيرة الأمير أنظر التفاصيل في: ابن عذارى، البيان، 130/2-156. ابن الخطيب، أعمال، ص26-28. مجهول، تاريخ، ص197-201. أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص156.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص244. النعنعي، المرجع السابق، ص255.

[3] عنها أنظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص315-318. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص243-245. النعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص268، 269.

[4] عنها أنظر: ابن حيان، المقتبس، تح.مكي، ص343 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، 102/2-103. نعنعي، تاريخ الدولة، 269-273. طقوش، تاريخ المسلمين، ص238-240.

[5] عنهم أنظر: ابن عذارى، البيان، 105/2-106. سنأتي على هذه الثورة في فصل الثورات الخاص بالباب الثاني.

[6] عنها أنظر: ابن حيان، المقتبس، تح.مكي، ص341-342.

2- ثورة عمر البنزوتي (بنو الملاح): استقلوا بمدينة جيان[1].

ج- **العرب**: من بينهم نجد: بنو الحجاج كانوا في إشبيلية[2]، والشاعر سعيد بن جودي السعدي الذي استقل بغرناطة وهو من أعداء ابن حفصون والمولدين.[3]

1- ثورة محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمذاني، أبويحي محمد التجيبي[4]

وأهم ما ميّز هذه الفترة الطويلة (أكثر من ستين سنة) فيما يخص موضوعنا، هو ثورة ابن حفصون بقيادة عمر بن حفصون الذي استقل وأتباعه بالمرتفعات الجنوبية للأندلس، واتخذوا من قلعة ببشتر[5] قاعدة لهم، وستتواصل ثورتهم إلى عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر[6]

2)**عهد الخلافة (316-422هـ/929-1031م)**: وسمي كذلك لتحول نظام الحكم من الإمارة إلى الخلافة، فبعد عصر الطوائف الأول، تولّى الحُكم "**عبد الرحمان الثالث**"الملقب (الناصر لدين **الله**) (300-350هـ /912-961م) وعمره في الثالثة والعشرين، وعلى الرغم من أنّه ليس ابنا مباشرا للأمير عبد الله بن محمد، أي لا يحق له الحكم بطريقة النظام المتبع- فإنّ أعمامه زهدوا في الحكم للأخطار والمكاره المحفوفة بالحاكم خلال هذه الفترة.[7]

---

[1] النعنعي، تاريخ الدولة، ص300.

[2] عن بني الحجاج وأهم ثوراتهم أنظر: ابن عذارى، البيان، 125/2 وما بعدها. النعنعي، تاريخ المسلمين، ص301-307.

[3] ابن عذارى، البيان، 134/2. ابن الخطيب، أعمال، ص27. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص157، 158.

[4] أنظر: ابن عذارى، البيان، 137/2-138. نعنعي، تاريخ الدولة، ص301. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص257

[5] **بُبشتر**: بالأندلس، حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلا، وهو حصن تزلُّ عنه الأبصار فكيف الأقدام، على صخرة صماء منقطعة لها بابان، وطريقه عند الطلوع أوالهبوط على النهر، كما يتوفر على مياه كثيرة، وقد كان هذا الحصن قاعدة العجم وفيه الكنائس. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 79.

[6] لمعرفة التفاصيل خلال الفترة أنظر: الضبي، المصدر السابق، ص20. ابن الأثير، الكامل، ج61/6،59،39. ابن القوطية، المصدر السابق، ص113 وما بعدها. المقرى، النفح، 337/1-339. ابن عذارى، البيان، 93/2-156. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص344-366. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 243-275. النعنعي، المرجع السابق، ص 253-312.

[7] للتوضيح أكثر أنظر: ابن عذارى، البيان، 156/2 و157. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص280. النعنعي، المرجع السابق، ص315-316. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص377. عنان، تراجم، 167 وما بعدها.

قد وجد الأمير عبد الرحمان الأندلس مضطربة، فجمع في سياسته بين الترهيب والترغيب، واستطاع أن يردّ للدولة هيبتها الداخلية والخارجية، فنجده داخليا قد قضى على ثورة ابن حفصون سابقة الذكر، وأنهى عصر الفتنة والتمزق. وعلى المستوى الخارجي ظل في صراع دائم مع ممالك الشمال، ومع الدولة الفاطمية الإسماعيلية التي ظهرت في 297هـ/910م بالعدوة المغربية، وقضت على دولة الأغالبة برقادة، والدولة الرستمية بتيهرت، ودولة بني مدرار في سجلماسة).

ولعلّ أهم حدث ميّز عهده هو إعلان نفسه خليفة للمسلمين في الأندلس سنة 316هـ/ /929م واتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين[1]. وبإعلانه الخلافة، يكون العالم الإسلامي بثلاثة خلفاء، وهم: العباسي في المشرق (بغداد)، الفاطمي في المغرب (المهدية)، والأموي في الأندلس (قرطبة).

واصل عبد الرحمن أثناء فترة خلافته، مواجهته للدولة الفاطمية، وفتح مدينة سبتة شمال المغرب الأقصى عام 319هـ/931م، كما واجه الخطر النورماندي في الشمال، وربط علاقات حسنة مع بعض ملوك أوربا، وأذعنت له العدوة المغربية من زناتة وأدارسة وجزائر بني مزغنّة وغيرهم، واهتم رغم ذلك بالجانب العمراني، حيث أقام بناء مدينة الزهراء[2] عام (325هـ/ 936م)، التي تفنّن في وصفها الأدباء والشعراء. أمّا على المستوى الفكري فقد حوى بلاطه العديد من الفقهاء، حتى من غير المذهب المالكي كمنذر بن سعيد البلوطي الظاهري (ت355هـ/966م) الذي كان فقيها ناصحا

---

[1] **تلقب عبد الرحمان الناصر بهذا اللقب لعدّة عوامل منها:** - ضعف الخلافة العباسية في المشرق، وعجزها عن حماية العالم الإسلامي. - قيام خلافة شيعية في المغرب(الخلافة الفاطمية) والتي كانت تطمح في السيطرة على الأندلس. - رفع مكانة أمير قرطبة الدّينية والسياسية. - الاستجابة لرغبة الأندلسيين في أن يكون عبد الرحمان خليفة لهم. عن سيرة الخليفة وأسباب إعلانه الخلافة وحكمها الشرعي، أنظر: ابن عذارى، البيان، 156/2 وما بعدها. ابن الخطيب، تاريخ، ص28 وما بعدها. ابن خلدون: تاريخ، ج178/4 وما بعدها. المقري، النفح، 339/1. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص378 وما بعدها. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص286 وما بعدها. صالح بوبشيش، **أبو الوليد الباجي وآراؤه الفقهية(403–474)**، دكتوراه في أصول الفقه، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية - قسم الشريعة الإسلامية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة - السنة الجامعية: 1423-1424هـ /2002-2003، ص5. ظافر القاسمي، **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي**، دار النفائس، ط5، بيروت 1405هـ /1985م، ص 319 وما بعدها.

[2] **مدينة الزهراء**: مدينة تقع غربي قرطبة بناها الخليفة الناصر، محصنة بأسوار ومزخرفة بالرسومات وهي مدينة فوق مدينة. أنظر: الحميري، الروض، ص 295.

لا يخشى من الخليفة إذا ظهر له خطأه، وكذا الشعراء والأدباء كصاحب "العقد الفريد" أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير (ت349هـ / 940م) الذي قال في الخليفة الناصر:

قد أوضح الله للإسلام منهاجا   والناس قد دخلوا في الدين أفواجا

وقد تزينت الدنيـا لساكنهـا   كأنّمـا لبست وشيا وديباجا

واللغوي أبي علي القالي البغدادي(280 – 356هـ)، صاحب كتاب "الأمالي" الذي أحدث نهضة لغوية ونحوية في الأندلس، والأطباء منهم خلف بن عباس الزهراوي (ت400هـ) وغيرهم كثير.[1]

بعد وفاة الناصر خلفه ابنه "**الحَكم الثاني**" بالمستنصر بالله (350-366هـ/961-976م)، اعتلى العرش وهو كبير السن، لكن ذلك جعله يفقه أمور الحكم. وتعتبر سياسته الخارجية استمرارا لسياسة أبيه[2]. أهم ما ميّز عهده، هو تلك الخدمات الكبيرة التي قدمها للحركة العلمية، خاصة مكتبة القصر التي جلب مؤلفاتها من بغداد ومصر وغيرهما، وفاق عدد كتبها الأربعمائة ألف كتاب، بل كانت تضاهي ما جمعه بنو العباس منذ زمن، وتميزت عناوينها بالتعدد، كعلوم الأوائل التي كانت محظورة في الأندلس كالفلسفة وعلم الفلك، ومما يذكر عنه أنّ كتاب الأغاني لأبي الفرج

---

[1] للتفصيل في سياسة الناصر أنظر: ابن القوطية، المصدر السابق، ص135 و136. ابن الخطيب، تاريخ، ص**30**،**29**. عبد العزيز فيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص127–181. فتحي زغروت، **العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي (300–305)هـ**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، 1427هـ/2006م، صفحات متعددة في الكتاب. سعد عبد الله صالح البشري، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316–422هـ/928–1030م)**، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية1417هـ/1997م، ص70. محمود مكي، **تاريخ الأندلس السياسي (92–897/711–1492) دراسة شاملة**، من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، **1999**، 89/1. العبادي، في التاريخ العباسي، ص382 وما بعدها.

William.C.Atkinson, **Histoire d'Espagne et du Portugal**, petite bibliothèque payot, n.d Paris, P.53 et suite.

[2] ابن الخطيب، تاريخ، ص41، ابن خلدون، تاريخ، ج185/4. ابن عذارى، البيان، 233/2 وما بعدها. النعنعي، المرجع السابق، ص385. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص420. حجي، التاريخ، ص308 وما بعدها.

الأصفهاني (ت 356هـ/966م) قد وصله من العراق قبل أن يُقرأ عندهم.[1] ومما يعاب على الخليفة الحَكَم، ارتكابه بعض الأخطاء الكبيرة أثناء حكمه، فقد ذكر له محمود مكي، خطأين كبيرين هما:

1- استجلاب الجنود من بربر شمال إفريقية، والذين سيكون لهم دور في الفتنة البربرية.

2- تَولِيَة ابنه هشام ولاية العهد، وهو لا يزال صغيرا ليتغلب عليه الحاجب العامري[2]

كما عابه آخرون لجمع الكتب، وإعلان الجهاد، وأغفل تربية ابنه، وكانت النتيجة تغلّب المنصور عليه.[3] لهذا فهناك من يرى أنّ الخلافة الأموية انتهت بوفاة الخليفة الحَكَم[4].

خلف الحَكم ابنه "**هشام الثاني المؤيد بالله**" سنة 366هـ/976م، وكان يكنى بأبي الوليد وقد ذكر صاحب أعمال الأعلام نقلا عن ابن حيان بأنّ هشام أُجلس للخلافة يوم 03 صفر 366هـ

---

[1] للاستزادة في معرفة هذه النهضة أنظر: ابن حيّان الأندلسي، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا،، ط1، بيروت، 1426هـ/2006م، ص 13 وما بعدها .صاعد الطليطلي، المصدر السابق، ص87. المقري، النفح، 369/1. ابن خلدون، تاريخ، 187/4. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص420. النعنعي، المرجع السابق، ص408 وما بعدها. نسيم حسبلاوي، **الحياة الفكرية في الأندلس في عهد الدولة الأموية (138-422هـ/756-1031م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف عبد الحميد حاجيات، ومحمد الأمين بلغيث مشرفا مساعد، جامعة الجزائر،كلية العلوم الإنسانية-قسم التاريخ- السنة الجامعية 2000/2001م ص9 و10.

[2] **محمد بن أبي عامر**: أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر المعافري القحطاني، من قرية طرّش التابعة للجزيرة الخضراء التي ولد بها 326هـ/983م، والده عبد الله كان زاهدا، إختار محمد طريق العلم والفقه، من أساتذته الأديب أبوعلي القالي، وابن القوطية وغيرهما، تولى بعض الخطط الدينية ثم دخل شؤون السياسة، وردت فيه عدّة قصص منها أنّه كان مرّة كان جالسا مع ثلاثة من طلاب العلم معه فقال لهم: لابد أن أملك الأندلس وأملك الرجال وأقود الجيوش، ويُنفذ حكمي في جميع الأندلس فليتخيّر كل واحد منكم خطّة أُوَليه إيّاها إذا أفضى إليَّ الأمر، فقال أحدهم توليني قضاء كورة ريّة، والثاني قال توليني حسبة السوق، والثالث قال: إن أفضى إليك الأمر فأمر أن يطاف بي في قرطبة كلها على حمار ووجهي إلى الذنب، وأن اطلى بالعسل حتى يجتمع عليّ الذباب والنحل، ثم افترقوا على هذا، فلما أفضى الأمر لإبن أبي عامر كما تمنى هو أعطى الثلاثة كلا بما تمنى. للتوسع في سيرته أنظر: عبد الواحد بن علي المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، دار الكتب العلمية،ط2، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ص21-23. ابن عذارى، البيان، 253/2 وما بعدها. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص59. فوزي عناد القبوري العتيبي، **فقهاء الأندلس والمشروع العامري (367-399هـ/978-1009م)**، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1431هـ/2010م، ص24 وما بعدها.

[3] للتوسع أنظر: محمود مكي، المقال السابق، ص91. صالح البشري، المرجع السابق، ص75.

[4] أنظر: ابن الخطيب، تاريخ، ص43. حجي، التاريخ، ص299 و300.

ودعا الناس للبيعة فبايعوه ولم يختلف فيه اثنان، وقد أورد ابن الخطيب أسماء القضاة والفقهاء الذين بايعوه بالخلافة[1] وكان سن هشام حينها حوالي عشرة أعوام[2].

واستوزر الحكم لابنه **محمد بن أبي عامر** إذ كان قاضيا على كورة رية، وفوّض إليه أموره[3].

ارتقى المنصور ابن أبي عامر إلى منصب الحجابة[4] في شعبان 372هـ، وأصبح وصيا على هشام المؤيد بعد كسب ثقة أمّه صبح، ثم جرده من جميع متابعات أمر الخلافة ولم يترك له من السلطة سوى الدعوة باسمه في خطبة الجمعة، وحجبه عن رؤية الناس قائلا: "إنّ الخليفة يتعبد لله"[5].

وابتنى مدينة الزاهرة[6] التي سينتقل إليها وينقل معه الدواوين والعمال والوزراء وباقي خدمه، وقد انفرد محمد بن أبي عامر بالسلطة بعد أن قضى على المعارضة القوية ممثلة في صقالبة القصر، والوزير جعفر المصحفي، والقائد غالب بن عبد الرحمان، بل لم يتوان حتى في قتل ابنه عبد الله

---

[1] ذكر ابن بسام، وابن عذارى بأنّ فتيان القصر جوذر وفائق قد أخفيا أمر وفاة الحكم ورشحوا للخلافة المغيرة أخو الحكم المستنصر، ولكن دبّر الوزير جعفر المصحفي لقتله، وعليه فهشام لم يختلف عليه بالبيعة بعد وفاة المغيرة، ابن بسام، الذخيرة، 35/4-37. ابن عذارى، البيان، 260/2-262. لمعرفة أسماء المبايعين أنظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص48-57.

[2] مجهول، تاريخ الأندلس، ص216.

[3] للتوضيح أكثر أنظر: ابن الخطيب، تاريخ، ص43 وما بعدها. المقري، النفح، 378/1 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، 253/2 وما بعدها. ابن بسام، الذخيرة، 37/4. ابن حزم، **رسائل ابن حزم – رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1987،2م،45/2. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص433 وما بعدها Provencal, Histoire, T II , p : 196 et suite.

[4] **الحجابة**: يذكر ابن خلدون في مقدمته ما نصه "وأمّا في الدولة الأموية بالأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء". وأضاف آخر بأنّ الحاجب في الأندلس كان يتمتع بسلطان رئيس الحكومة، وهو بذلك أقرب الوزراء إلى الخليفة الأندلسي، حتى ليقدر على تمثيله في جميع سلطاته الفعلية. أنظر: ابن خلدون، 299/1. صالح صبحي، **النظم الإسلامية نشأتها وتطورها**، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، لبنان، 1388هـ/1968م، ص 306.

[5] ابن عذارى، البيان، 278/2.

[6] **مدينة الزاهرة**: مدينة متصلة بقرطبة، بناها المنصور بن أبي عامر لما استولى على دولة خليفته هشام، وهي في البقعة المدعوة بألُش بضم اللام، وهي شرقي مدينة قرطبة على نهرها الأعظم، وليست المدينة التي بناها الحكم بألش بفتح اللام، غربي مدينة الزهراء، لأنّ إختيار مكان بنائها له أسطورة، وقد شرع في بنائها سنة 368هـ978م، وتغنى بها الشعراء لروعة هندستها وزخارفها. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 283 -284.

المعارض له، هذا ما جعل ابن عذارى يقول عن محمد بن أبي عامر بأنّه جمع بين الدهاء والمكر والسياسة، وقد حقق بدوره عدّة انتصارات، خاصة ضد ممالك الشمال التي وصل عدد غزواته إليها ستة وخمسين غزوة[1] وتلقب بالمنصور[2]. أمّا على الصعيد الحضاري، فإنّه وسّع المسجد الجامع في قرطبة بعدما ضاق بالمصلين، وابتنى قنطرة على نهر قرطبة، وأخرى على نهر أستجة.[3]

كان المنصور يميل للعلوم العقلية كالفلسفة، لكنّه لم يتعمق فيها خوفا من سلطة فقهاء المالكية وخوفا على سلطته، وذكر ابن عذارى أنّه أحرق ما كان في خزائن الحَكَم المستنصر من كتب الأوائل، وكان ذلك بحضور كبار العلماء كالأصيلي وابن ذكوان والزبيدي وغيرهم.[4]

توفي المنصور محمد بن أبي عامر لما اشتد به المرض وهو يواجه النصارى في الشمال وذلك ليلة الاثنين لثلاث بقين من رمضان سنة 392هـ وهو ابن خمس وستين سنة، نُقشت على قبره في مدينة سالم الأبيات التالية: آثاره تنبيك عن أخبـــاره حتى كأنّك بالعيـــون تراه

تا الله ما ملك الجزيرة مثله حقا ولا قاد الجيـوش سواه

وعند آخرين: تالله لا يأتي الزمان بمثلـه أبدا ولا يحمي الثغور سواه[5]

ثم تولى **ابنه عبد الملك** الحجابة من بعده (392-399هـ/1002-1008م)، وكان عبد الملك مع والده أثناء وفاته في شمال الأندلس، ولما علم المنصور بوفاته لا محالة أوصى ابنه عبد

[1] لمعرفة أسماء هذه الغزوات وما وقع فيها أنظر: مجهول، تاريخ الأندلس، ص226-236.

[2] للتوسع في السياسة التي اتبعها المنصور في القضاء على كبار رجال القصر وقادة الدولة الكبيرة أنظر: ابن عذارى، البيان، 262/2 وما بعدها. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص59 وما بعدها. ابن بسام، الذخيرة، ج38/4 وما بعدها. طقوش، تاريخ المسلمين، 363-369.

[3] ابن عذارى، البيان، 287/2، 288.

[4] أنظر: صاعد الطليطلي، المصدر السابق، ص88، ابن خلدون، تاريخ، ج189/4وما بعدها. ابن عذارى، البيان، 292/2، 293. المقري، النفح، 382/1-386. ابن الخطيب، تاريخ، ص59 وما بعدها. آنخل جنثالث بالنتيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.س.ط، ص 12 وما بعدها. ياسر أبوطعمة، **محمد بن أبي عامر المعافري في الشعر الأندلسي خلال القرن 4هـ**، دار الكتاب الثقافي-اربد- الأردن، 1426هـ/2005م، ص15 وما بعدها.

[5] اين عذارى، البيان، 301/2. ابن بسام، الذخيرة، ج47/4. نعنعي، تاريخ الدولة، ص455.

الملك بأن يرجع إلى قرطبة ليأخذ أمر الحجابة من الخليفة هشام، ولما فاضت الروح لبارئها أقر الخليفة هشام الحاجب عبد الملك وتلقب بسيف الدولة والمظفر بالله حتى أصبح هو أول من اجتمع له لقبان من ملوك الأندلس حسب ابن عذارى، وعن سياسته فقد اتبع نهج والده سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي إذ كانت له سبع غزوات ضد النصارى، توفي عبد الملك في 16 صفر 399هـ/21أكتوبر 1008م بعد عودته من غزواته ضد النصارى[1] بعد وفاة عبد الملك، خلفه أخوه "**عبد الرحمن" 399هـ/1008م** الملقب بشنجول[2]، الذي أقرّه الخليفة هشام بالحجابة، وتلقب عبد الرحمان بالناصر ثم لقبه الخليفة هشام بالمأمون، فكان يُدعى الحاجب الأعلى، المأمون، ناصر الدولة، ويروى بأنّه كان مغرورا وأنّ العامة كرهته لمجونه، في عهده انتهت الدولة العامرية، بعدما استعطف الخليفة هشام ليكتب له ولاية العهد من بعده، راغبا في أخذ لقب الخلافة خاصة وأنّ الخليفة لم يكتب له الولد، وذكر بروفنسال "يبدوا أنّ هشام الثاني وشنجول قد خلقا للتفاهم فيما بينهما إذ أنّ كلتا الوالدتين من نبرّة"[3] وبعد موافقة الخليفة هشام بن الحكم على الولاية، جمع عبد الرحمان طبقات أهل قرطبة وأخرج لهم كتابا قرأ في حضرة الخليفة هشام وهو من إنشاء كاتب الرسائل أبي حفص أحمد بن برد، فقامت فتنة كبيرة في الأندلس بدأها أفراد البيت الأموي، ومما زاد الطين بلّة أنّ شنجول أمر كبار رجال الدولة وكبار الموظفين أن يلبسوا الشال البربري حسب

---

[1] ابن الخطيب، تاريخ، ص 83-88. المقري، النفح، 381/1-405. ابن عذارى، البيان، ج01/3 وما بعده. ابن بسام، الذخيرة، 49/4 وما بعدها. أبوطعمة، المرجع السابق، ص86. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص458. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص343.

[2] **شنجول**: هو تصغير لشانجة، إذ كانت أمه عبدة النفارية بنت شانجة الملك النصراني ملك بنبلونة Sancho Garcés Abarca تدعوه به لتتذكر اسم أبيها شانجة الملك النصراني، مع العلم أنّ الملك النصراني أهدى ابنته للمنصور الذي تزوجها وأنجبت له ابنه عبد الرحمان، وقد كانت من خير نساء المنصور تديُّنا، وحسبا أصيلا،، وقيل هو أحد إخوتها. ابن عذارى، البيان، ج38/3. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص343. طقوش، تاريخ المسلمين، هامش ص375.

[3] ليفي بروفنسال، **تاريخ إسبانيا من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711-1031م)**، ترجمه للإسبانية إميليوجارثيا جومث، وإلى العربية علي عبد الرؤوف البمبي وغيره، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص509.

بروفنسال، وأمرهم كما ذكر ابن عذارى بطرح قلانسهم الطوال المرقشة الملونة والتي كانت تيجانهم التي يتباهون بها، وربما الفكرة جاءت حسب بروفنسال من القادة البربر القادمين من شمال إفريقيا[1]

هذا الرفض والرغبة في الإطاحة بشنجول لم يظهر على الأرض إلاّ بعد خروج عبد الرحمان إلى غزو النصارى في الشمال، وهذا الغزو الذي خرج فيه عبد الرحمن شنجول بنفسه ليقوده ما هو إلاّ محاولة لمنح نفسه هيبة وسط الأندلسين وضد معارضيه، فخرج للشمال في فصل الشتاء ولم يكن الغزو خلال هذا الفصل لبرودته، فرجع عبد الرحمن ولم يحقق شيئا، وفي الوقت نفسه قام **محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمان الناصر**[2] المبَايَع بالخلافة سرا الدخول على الخليفة هشام بن الحكم وقام بعزله، وتُلُقب حينها محمد بالمهدي، وكانت نهاية عبد الرحمن في نفس السنة 399هـ/1009م حيث عندما وصله خبر المهدي رجع قافلا إلى قرطبة رغم نصح الكثير له بعدم الرجوع إليها، ثم تبرأ من ولاية العهد لما تخلى عنه جنده لعل ذلك يوقف أمر الفتنة، وتحت إصراره بالرجوع لقرطبة قبض عليه "ابن ذري" وجنده وهو المرسل من الخليفة محمد بن هشام المهدي، وقُتل مع صديق له من بني قومس النصارى.[3] لتدخل الأندلس بعد مقتله عهدا الاضطرابات، فكان عدد الخلفاء الذين حكموا إلى نهاية الدولة يفوق الخلفاء الذين حكموا الدولة قبل الفتنة، وسنحاول فيما يلي إعطاء لمحة عن الأوضاع بعد مقتل الحاجب عبد الرحمان شنجول.

---

[1] ابن عذارى، البيان، ص48/3. بروفنسال، تاريخ إسبانيا من الفتح، ص510.

[2] **محمد بن هشام:** كنيته أبو أيوب، تمت بيعته سرا بعد إعلان الخليفة هشام المؤيد ولاية العهد لعبد الرحمن شنجول، وكان، وكان جسورا وثائرا ومخاطر، ولما ذهب ولي العهد الجديد عبد الرحمن بن المنصور للغزو، تمكن محمد من الدخول إلى دار السلطان في تاريخ 16 جمادى الآخرة 399هـ، ودخل القصر بعد فتن ومفاوضات مع هشام المؤيد، وبايعته المروانية والهاشمية والوزراء.. وتلقب بالمهدي. لمعرفة المزيد عن دولته، وما حلّ بمدينة الزاهرة من خراب خلال هذه الفترة، أنظر: ابن الخطيب، تاريخ، ص 109 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، ص59/3 وما بعدها.

[3] للتوسع أكثر أنظر: ابن خلدون: تاريخ ص190/4. المقري، النفح، ص406/1. ابن الخطيب، تاريخ، ص89 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، ص3/ج38 وما بعدها. ابن حزم، رسالة نقط العروس، المصدر السابق، ص85. نعنعي، تاريخ الدولة، ص483 وما بعدها. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص464. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص343 وما بعدها. أبو طعمة، المرجع السابق، ص107.

عرفت الأندلس عموما وقرطبة العاصمة على الخصوص عدّة فئات اجتماعية وجب على الخليفة المعيّن أن يتعامل معها وهي:

1- بنو أمية الذين يرون بأنّ حق الخلافة الشرعي لهم، وأنّها لابد أن ترجع لأصحابها.

2- الفتيان العامريون من الصقالبة الذين جُلبوا في العهد العامري وهم أصحاب القوة والبأس والمال والسياسة للمكانة التي كانت لهم خاصة عهد المنصور العامري.

3- البربر الوافدون على الأندلس في العهد العامري وهم القوة المشكّلة للجيش الأندلسي وعددهم كثر في قرطبة وأرباضها، وباقي مناطق الجنوب الأندلسي.

4- وجهاء قرطبة وكبارها خاصة العرب، والذين يرون ضرورة رجوع مجدهم بعد القضاء على العامريين المهمشين لهم إذ عوضوهم بالصقالبة والبربر[1].

➢ **خلافة محمد المهدي (المرّة الأولى):** هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمان الناصر، تولى الخلافة في 17جمادى الثانية 399هـ/16فيفري 1009م، وبوصوله للحكم يكون قد قطع السلطة الثنائية الممثلة في الخليفة الشكلي والحاجب الحاكم الفعلي للسلطة، ولم يكن الخليفة المهدي[2] ذو حنكة سياسية إذ لم يتعامل مع العناصر السابقة الذكر بدهاء، فنجده ضايق بمرتزقة جيشه أهل قرطبة ووجهائها، وأبعد الفتيان العامريين وباقي الصقالبة عن قرطبة بل وأنّه لم يعط اهتماما لواضح الصقلبي الذي كان على مدينة سالم والثغر الأعلى عندما أرسل يعلن طاعته له، ثم خسر الحزب الأموي عندما جلب لهم شبيه هشام المؤيد مقتولا وقال أنّ الخليفة هشام قد مات ودفنه في مدافن القصر يوم 27 شعبان 399هـ/26 أفريل 1009م، ومن أشد المعارضين له ولي عهده الشيخ سليمان بن هشام بن الناصر، وكان رد فعله قتله للكثير من الأمويين وسجن بعضهم كسليمان بن هشام، في هذه الظروف برز هشام بن سليمان بن هشام الملقب بالرشيد ومعه مجموعة من الجيش الذي تخلى عن الخليفة محمد المهدي، والفتيان العامريين الناقمين عليه، وبعض البربر ودخل في مواجهة مع محمد المهدي، والنتيجة كانت

---

[1] طقوش، تاريخ المسلمين، ص398. نعنعي، تاريخ الدولة، ص501، 502.

[2] طقوش، تاريخ المسلمين، ص397-400. نعنعي، تاريخ الدولة، ص503- 505.

انتصار الأخير على الرشيد وقتله مع كثير من أتباعه وأخذ يذل البربر المتواجدين في قرطبة وأرباضها حتى هاجر الكثير منهم.[1]

➢ **سليمان المستعين:** هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمان الناصر، فرّ مع كثير من الأمويين المعارضين لمحمد المهدي، استدعاه البربر وفيهم زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي ورشحوه للخلافة، ثم لقّبوه بالمستعين، ولما علم المهدي بأمرهم صدر قرار الأمان للبربر لكنهم رفضوه، وكانت النهاية وقوع قتال بين الأموي سليمان المستعين ومعه البربر ومساعدات ملك قشتالة مقابل منحه بعض الحصون في الشمال من جهة، ومن جهة أخرى الأموي محمد المهدي ومعه واضح الصقلبي وبعض الصقالبة، وكان النصر حليف سليمان المستعين والبربر الذين دخلوا قرطبة ونصبوه خليفة يوم الاثنين 15ربيع الأول 400هـ/07 أكتوبر 1009م، وتلقب حينئذ بالظافر بحول الله، ونودي به في المسجد الجامع رغم أنّ محمد المهدي أخرج لهم هشام المؤيد واعترف بخلافته، وفر بعدها المهدي لطليطلة وبقي في حمى واضح الصقلبي، أمّا هشام المؤيد فقد أمر بالمحافظة عليه[2]

➢ **محمد المهدي (المرّة الثانية):** لما فرّ المهدي إلى واضح الصقلبي قام الأخير بالاستعانة بالفرنجة بدلا من ملك قشتالة، خاصة بوريل الثالثBorrel III صاحب برشلونة، وأرمنغولErmengol (أرمنقُد) سيد أورخل، ومن جملة ما يعطيهم مدينة سالم المحصنة، ومبالغ مالية، ثم تمت المعركة بين المهدي والمستعين في 14شوال 400هـ/ماي1010م، وكانت وقائع المعركة لصالح المستعين والبربر الذين قتلوا أرمقند ومئتين من كبار قومه إلاّ أنّ المستعين خاف لقلة خبرته العسكرية وفرّ إلى شاطبة، فأثّر ذلك على أتباعه خاصة البربر الذين دخلوا الزهراء آخذين متاعهم وأولادهم ونزلوا جنوب الأندلس علّهم يرجعوا لعدوة المغرب، ودخل المهدي قرطبة مع واضح لكنه وجد الخزينة فارغة فقدم أهل قرطبة له المال شريطة أن يقضي على البربر الذين عاثوا فيها فسادا،

[1] عن تفاصيل الوقائع أنظر: ابن عذارى، البيان، ج50/3 وما بعدها. المراكشي، المعجب، ص30-31. ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص109 وما بعدها. طقوش، تاريخ المسلمين، 397-400. نعنعي، تاريخ الدولة، ص501-502..

[2] للتوسع أنظر: المراكشي، المعجب، 31. ابن عذارى، البيان، ج91/3 وما بعدها. ابن الخطيب، 113 وما بعدها.

فنزل المهدي جنوبا وقاتل البربر مع الفرنجة لكن النصر كان حليف البربر في ذي القعدة 400هـ/جوان 1010م، فرجع المستعين وواضح لقرطبة وتحصّنا بها، وفر الفرنجة لبلادهم، ولكن واضح رأى في المستعين خليفة ضعيف وجبت تصفيته فاغتيل في 08ذي الحجة 400هـ/23جويلية1010م، وأرجعوا الخليفة هشام المؤيد للخلافة[1]. مع العلم أنّه في كل دخول لقرطبة فإنّها تتعرض للنهب والسرقة خاصة قصورها، ولم يسلم من ذلك حتى علمائها وفقهائها.

➢ **خلافة هشام المؤيد الثانية:** أُرجع هشام للخلافة وسنّه سبعة وأربعين سنة، وأصبح واضح حاجبه، ثم أرسل هشام لسليمان المستعين رأس محمد المهدي ودعاه مع جموع البربر الرجوع لطاعته والسكن في قرطبة، لكن البربر اقروا إمامة سليمان المستعين، فاستنجد الطرفان بملك قشتالة مجددا واختار الأخير مساعدة هشام مقابل منح الأخير له الحصون الدفاعية الأمامية ويتعهد الملك بعدم مهاجمته للثغور الوسطى، وفي الوقت نفسه استطاع البربر الدخول مجددا للزهراء وضمها لهم في 23ربيع الأول 400هـ/04نوفمبر1010م، ثم حاصروا قرطبة حتى اضطر واضح لبيع بعض الكتب من خزائن الحكم المستنصر ليجهز بها الجيش، ولما ضاق عليه الأمر حاول الفرار لكن علي بن وداعة قائد الجند خبر أمره وقام بقتله.[2]

➢ **خلافة سليمان المستعين الثانية:** هاجم البربر قرطبة مرات متوالية حتى استطاع أهل قرطبة هزم حباسة بن ماكسن ابن أخ زاوي بن زيري والتنكيل به، فأثار ذلك البربر وشددوا هجماتهم على قرطبة حتى خرج لهم قاضيها ابن ذكوان يطلب من البربر وسليمان المستعين الامان، فقبلوا ذلك مقابل مبالغ مالية كبيرة، ثم دخل سليمان قرطبة 27شوال 403هـ/ماي1013م وعنّف هشام المؤيد على توليه الخلافة ثم تنازل له ثانية عن الخلافة، أمّا هشام فقد أختلف في مصيره بين من قال بقتله، وبين من قال بأنّه سجن ثم فرّ للمرية ومات بها، ومنهم من قال بأنّ

---

[1] للتوسع أكثر أنظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 115 وما بعدها، ابن عذارى، البيان، ج95/3 وما بعدها. المراكشي، المعجب، 31. طقوش، تاريخ المسلمين، ص402 وما بعدها.

[2] للتوسع أنظر: ابن عذارى، البيان، ج100/3 وما بعدها. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 116 وما بعدها. طقوش، ص404-406. نعنعي، تاريخ الدولة، ص511-514.

محمد بن سليمان المستعين قد خنقه بتاريخ 5 ذي القعدة 403هـ، أمّا سليمان المستعين فإنّه حاول إرضاء أهل قرطبة عندما قام بإبعاد البربر عنها، وذلك عندما اقطعهم أراضي في كور جنوب الجزيرة، ومنح علي بن حمود سبتة وطنجة، وأخيه القاسم بن حمود الجزيرة الخضراء، وهذا في الواقع يدل على ضعف الخبرة السياسية لسليمان المستعين خاصة مسألة نصيب بني حمود، وهناك من رأى بأنّه خشي منه فأبعد علي عن الأندلس[1]، ومهما يكن فقد تقوى بنو حمود في هذه المناطق التي كانت تحت نفوذهم من قبل، وكانت نهاية سليمان على يد علي بن حمود الأدريسي المتغلب على الحكم في قرطبة 22محرم 407هـ/01جويلية 1016م، وادعى الحموديون أنّ هشام المؤيد قد أعطى لعلي بن حمود ولاية العهد، وقتل علي المستعين بحجة أنّه قتل الخليفة الشرعي هشام المؤيد[2].

➢ **عبد الرحمان المستظهر بالله:** هو عبد الرحمان بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر، بويع بالخلافة في 16 رمضان 414هـ/02 ديسمبر 1023م رغم أنّ عقد البيعة كان سيكون لغيره من بني أميّة، وذلك بعدما قرر أهل قرطبة إنهاء حكم بني حمود، بالرغم من توفر صفات الحكم فيه كما ذكر معاصره ابن حيان فإن وضع قرطبة خصوصا والأندلس عموما لم يكن سهلا، فقام بفرض غرامات على أغنياء قرطبة، وأدخل بعض البربر في الجيش، وسجن بعض الوزراء وصادر أموالهم مما جلب له الأحقاد والعداء من أهل قرطبة، فقاموا بمهاجمة قصره بعد سبعة وأربعين يوم من حكمه اي في 17 جانفي 1023م/03 ذي القعدة 314م ونصّبوا محمد بن عبد الرحمان[3]

➢ **محمد بن عبد الرحمان المستكفي بالله:** هو محمد بن عبد الرحمان بن عبيد الله بن الناصر، بويع كما ذكرنا في اليوم الذي قتل فيه ابن عمه، لم يكن محمد بالرجل المناسب حسب كثير من المصادر خاصة معاصره ابن حيان، إذ كان ضعيف الشخصية، وكانت العامة تسخر منه

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، 22/1. دحماني، العلاقات، ص105.

[2] سنأتي على حكم بني حمود في عصر الطوائف، وعن فترة خلافة المستعين الثانية أنظر: ابن عذارى، البيان، ج113/3 وما بعدها. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص119 وما بعدها. المراكشي، المعجب، ص32 وما بعدها.

[3] للتوسع أنظر: ابن بسام، الذخيرة، 28/1 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، 135/3 وما بعدها. المراكشي، المعجب، 40-41. ابن الخطيب، أعمال لأعلام، ص134-135.

وتنعته بالخواف السمين، قتل بعضا من بني عمومته منهم محمد العراقي، وسجن بعضا من كبار قرطبة وأقربائه كعلي بن حزم، وابن عمه عبد الوهاب، ولما قرر صاحب مالقة يحي بن علي بن حمود دخول قرطبة فرّ المستكفي لضعفه وجبنه وقلة خبرته الحربية، وقتله بعد ذلك أحد مرافقيه طمعا في المال الذي كان عنده[1]

➢ **خلافة هشام بن محمد المعتد بالله**: هو هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمان الناصر، أخ المرتضى الذي قتله البربر في غرناطة 409هـ، بايعه أهل قرطبة بالخلافة وهو خارج قرطبة إذ كان في حمى محمد بن قاسم الفهري شمال شرق بلنسية، وقرطبة قد دخلها يحي بن حمود ثم الفتيان العامريان وهما خيران صاحب المرية، وزهير صاحب دانية، وكانت البيعة في ربيع الثاني 418هـ/جوان 1027م، وبقي خارج قرطبة والناس يخطبون له مدّة تزيد عن السنتين والسبعة أشهر، ثم دخل قرطبة في ذي الحجة 420هـ/ديسمبر 1029م، وما إن وصل ظهر ضعفه السياسي واكتشف أهل قرطبة عدم درايته بشؤون الحكم، ثم عمت البلوى عندما عيّن أسافل القوم في الوزارة والمناصب خاصةّ "حكم بن سعيد القزاز" لكونه صديق الخليفة في الصغر، وقرّب إليه البربر لعدم ثقته في أهل قرطبة مع علمه بكرههم للبربر، ولما ساء الحال قامت العامة بقتل وزيره القزاز وهو سكران، ثم سيطر الغوغاء على القصر ومعهم أموي اسمه أمية بن العراقي، وكانت النتيجة عزل آخر خلفاء الدولة الأموية "هشام الثالث المعتد بالله في 12 ذي الحجة 422هـ/30نوفمبر 1031م الذي لجأ إلى سليمان بن هود صاحب لاردة، وأعلن الوزير "أبو حزم بن جهور" بعد اجتماعه بكبار قرطبة وشيوخها انتهاء رسم الخلافة جملة، لعدم وجود من يستحقها، ونودي في الأسواق والأرباض بأن لا يبقى في قرطبة أحد من بني أمية وأن لا يؤويهم أحد.[2]

---

[1] ابن عذارى، البيان، ج140/3-143. المراكشي، المعجب، 41-42. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 135-136.

[2] للتوسع أنظر: ابن عذارى، البيان، 3ج/145 وما بعدها. المراكشي، المعجب، 42-44. ابن الخطيب، تاريخ، ص 138-140.طقوش، تاريخ المسلمين، ص417-418. نعنعي، تاريخ الدولة، 526-531. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، 358 وما بعدها.

وهكذا سقطت الخلافة الأموية رسميا 422هـ/1031م بعدما تضافرت في الواقع عدّة أسباب أدت لسقوطها سواء كانت داخلية أو خارجية، واجتماعية أو سياسية أو دينية، يعود بعضها إلى فترة الحكام الأقوياء (عبد الرحمان الناصر، الحكم المستنصر) وليس أثناء عصر الضعف فقط، ويمكن استنتاج بعضها فيما يلي:

1- رمزية الخلافة ارتبطت بشخص الخليفة وليس بجهازه الإداري فقط، حيث كلما كان قويا تتقوى الخلافة معه، ولما يضعف تضعف معه الدولة، عبد الرحمان الناصر والحَكم المستنصر كانا قويان، ولكن من بعدهم كانوا ضعاف.

2- الخلافة ارتبطت بشخص الخليفة إذ كان يجمع بين شرعية الخلافة وسلطة الحكم، وابتداء من عهد هشام المؤيّد انقسمت هذه الازدواجية خاصة في عهد الدولة العامرية.

3- كثرة الفئات الاجتماعية المشكلة للأندلس (عرب، بربر، صقالبة، مولدون، مستعربون...) مما جعل كل فئة لا ترى في السلطة غالبا إلاّ وسيلة لتوسيع نفوذها خاصة بعد الخليفة الحكم المستنصر، وأنّ كل فئة لها مناطقها الجغرافية الخاصة بها.

4- إعطاء الخليفة الحَكم المستنصر البيعة لابنه هشام الصغير فتح المجال لاختراق مركز القوة على هرم السلطة (المصحفي، ابن أبي عامر، الصقالبة...).

5- الدولة العامرية بما مثلته من قوة في الخلافة فإنّها تعد السبب الرئيس في سقوط الخلافة، خاصة بعد الحجر على الخليفة هشام وتوريث الحجابة فيهم.

6- تجرأ عبد الرحمان العامري لتولي الخلافة عندما طلب ولاية العهد من هشام المؤيد دون أن يدرس ما يترتب على ذلك من عواقب شرعية وسياسية.

7- غياب السياسة التي انتهجها كثير من أمراء بني أمية، وبعض خلفائها من قبل، والتي تدل على الدهاء السياسي إذ جمعت بين الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، وبهذا لا يجرأ أحد على تخطي ما هو مصيري في شؤون الحكم.

8- إهمال أمر الجهاد في منطقة الثغور جعل الأندلس تدخل مرحلة الدفاع ثم التنازل خاصة عهد الفتنة والتمزق (بعد الدولة العامرية).

9- الصراع بين الفئات الاجتماعية أضعف روح الجهاد ضد النصارى.

10-تساهل الفقهاء والعلماء مع هذه الهزات السياسية القوية خاصة شيوخ البلاط، إذ سكت الكثير منهم على سياسة ابن أبي عامر، تغلب الحموديون على السلطة.

11-الخطأ الذي ارتكبه الحكام وحجابهم بعد عبد الرحمان الناصر عندما جلبوا كثيرا من البربر والصقالبة ومنحهم سلطة سياسية وعسكرية قوية خاصة إدارة القصر والجيش، هذا ما يجعلهم هم من يختار الخليفة بدلا من أن يختاروا

12- تهميش العنصر العربي الذي قامت عليه الدولة وخوفهم من سيطرته على القرار، وثورات قرطبة المستمرة ضد الحكام نموذج كبير على ذلك.

13- التباين الطبقي بين العائلات الأرستقراطية الغنية، وبين الفئات الأخرى المثقلة بالضرائب خاصة المزارعين والحرفيين.

14- عدم وجود مركزية الحكم في قرطبة مع الأقاليم التابعة لها جعلها تنفرد بكثير من القرارات دون الرجوع إلى مركز الخلافة، خاصة مناطق الثغور بممالك النصارى في الشمال.

15- دور الممالك النصرانية في الشمال لتأجيج الفتنة بين القادة والحكام ودعم الكثير منهم على حساب الآخر، ونموذج عصر الضعف واضح بل حتى تنازلوا لهم عن بعض الحصون.

16- دور حروب بلاد المغرب خاصة مع الفاطميين الشيعة في استهلاك نفقات الخزينة.

17- ضعف الوازع الديني الذي تغلب عليه الوازع المادي خاصة عند بعض فئات المجتمع كالبربر والصقالبة والمولدون، وأدت حروبهم ضد الخلافة لمقتل الكثير وإنفاق أموال كثيرة وتنازلوا عن بعض الحصون للنصارى مقابل تحقيق نصر يخمد النزعة الفردية والقبلية، وهكذا تغلبت المصالح على المبادئ.

وبسقوط الخلافة الأموية يبدأ عصر الطوائف الثاني رسميا(422-479هـ/1031-1086م) وقد قال فيهم ابن رشيق القيرواني (358-456هـ/995-1063م) [1]:

مما يزهدني في أرض أندلس   تلقيب معتضدٍ فيها ومعتمدِ

ألقاب مملكة في غير موضعها   كالهرّ يحكي انتفاخا صولة الأسدِ.

وقد اختصر الأديب الشاعر أبو طالب عبد الجبار، تاريخ الأندلس من الفتح إلى نهاية عهد المرابطين بما فيها فترة الدّراسة في أرجوزة طويلة هذا مطلعها:

وزمن الوليد كان فتحها   بحسبِ ما قُدم قبلُ شرحُها

وبعدكم حربٍ وكم من هول   ليوسف الفهري والصميلِ

استوسق الملك بهذي الناحية   لعابد الرحمن بن معاوية

ثم تولاّها ابنه هشامُ   حتى أتاه بعدهُ الحِمامُ

إلى أن قال في ذكر الفتنة الأولى بقرطبة:

لما انقضت دولة آلِ عامر   قام بها المهدي من آل الناصرِ

إلى أن قال: فسلّم الأمر لسليمانه   وهشّموا هشام في أكفانه

فلم يزل فيهم سليمان يلي   حتى انبرى له ابنُ حمّودٍ علي

إلى أن قال: ثم انقضى عصرُ بني حمّودِ   والحرب والفتنةُ في مزيد

وظهر المستظهر المرواني   وشعره من أحسن المعاني

إلى أن قال: فبايعوا للنّاصر المستكفي   بعد خطوبٍ طال فيها وصفي

ففرّ عنها ثم عاد المعتلي   بالله يحي نجلُ حمودٍ علي[2]

---

[1] أنظر: المقري، النفح، 205/1.

[2] ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية –بيروت- لبنان ط1، 1419هـ/1998م، 590/1-592.

ثانيا-عصر دول الطوائف في الأندلس (422-479هـ/1031-1086م):

شهدت الأندلس في مطلع القرن 5هـ/11م فوضى مست هرم السلطة، فحكم الأندلس خلال 22سنة عدد من الخلفاء فاق مجموعهم الذين حكموا خلال 85 سنة، وهو تاريخ إعلانها سنة 316 هـ، وأصبح الخليفة يدا طائعة لبعض فئات المجتمع خاصة الصقالبة والبربر، وتزامن ذلك مع قيام دويلات مستقلة عن مركز الخلافة في قرطبة خاصة وأنّ بعض العصبيات القبلية كما سنرى قد انزوت في المناطق الطبيعية المحصنة، وأصبحت العاصمة عرضة للنهب والسرقة وضاق أهلها من ضعف خلفاء بني أمية في ضل عدم وجود جيش قوي تابع مباشرة للدولة، حتى اجتمع كبار قرطبة وشيوخها وخرجوا بما أعلنه الوزير أبو حزم جهور بسقوط رسم الخلافة الأموية لعدم وجود من يستحقها، وعزل آخر خليفة أموي هشام الثالث المعتد بالله في 12 ذي الحجة 422هـ/30نوفمبر 1031م، لتدخل الأندلس عصرا من الانقسامات وصلت ممالكه إلى ما يقارب 60 إمارة تفاوتت من حيث الجغرافية، والقوة العسكرية، والمدة الزمنية.

وفي الوقت الذي برز فيه نجم مدن كإشبيلية وبلنسية وغيرهما نجد أنّ نجم قرطبة قد خبي، وأصبح التنافس بين هذه المدن مما جعلها أكثر إزدهارا[1]، وأطلق على هذه الحقبة عصر الطوائف[2]

سبق وأن ذكرت أنّ الأندلس كانت بها فئات اجتماعية مختلفة كالعرب ومواليهم، البربر، العامريون وفتيانهم وغيرهم، ورغم وجود عدّة تقسيمات تحصر ملوك الطوائف حسب أصولهم وفترة

---

[1] ليوبولدوطريس بلباس، **التاريخ الحضري للغرب الإسلامي، الحواضر الأندلسية**، ج1، ترجمة محمد يعلى، مراجعة بوجمعة العبقري، دار أبي الرقراق، ط1، المملكة المغربية، 2007، ص 146 وما بعدها.

Pierre GUICHARD, AL-ANDALUS 711-1492 une histoire de L'Espagne musulmane, Librairie Arthème Fayard/Pluriel, 2011, P109.

[2] وقع إختلاف في الفترة التي بدأ انتهى فيها، فمنهم من بدأها بتاريخ 400هـ أي تاريخ الفتنة البربرية، ومنهم من بدأها بتاريخ 422هـ وهو تاريخ إعلان أبو حزم جهور سقوط الخلافة الأموية وبشأن نهايته فهناك من أخذ تاريح 479هـ وهو تاريخ دخول المرابطين للأندلس وانتصارهم في الزلاقة، ومنهم من أخذ بتاريخ 484هـ وهو تاريخ سقوط دولة بني عباد في إشبيلية، ومنهم من إختار تاريخ 503هـ وهو تاريخ سقوط إمارة بني هود وهي آخر إمارة سقطت من إمارات الطوائف.

André CLOT, L'Espagne musulmane VIII-XV siècle, Editions Perrin, paris, 2013, P175-176.

دخولهم للأندلس فإنّي سأعتمد على التقسيم الذي أخذ به الدكتور محمود مكي[1]، يبقى فقط أنّي سأدمج موالي بني أمية ضمن الفئة العربية، ومهما اختلف التقسيم فإنّ الطائفة ستبقى نفسها وعليه ستكون لنا ثلاث فئات اجتماعية سأحاول اختصار أهمها فيما يلي:

1- الفئة العربية الأرستقراطية وموالي بني أمية: منهم نجد:

أ- بنو عباد[2] في اشبيلية (**414-484هـ/1023-1091م**):لقد تصدر بنو عباد الوجاهة في إشبيلية خاصة في عهد الحكم المستنصر وابنه هشام المؤيد، وفي عهد المظفر عبد الملك بن أبي عامر عزل القاضي إسماعيل بإيعاز من قاضيه ابن ذكوان وعيّن مكانه أبو عمر بن الباجي الذي مكث قاضيا على اشبيلية مدّة سنة، ثم رجع القاضي إسماعيل، ولما عصفت الفتنة بقرطبة استطاع إسماعيل بن عباد التحكم في اشبيلية، ولكبر سنه تنازل على القضاء لابنه محمّد المستعلي[3]

تولى ذو الوزارتين أبو القاسم **محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد** الحكم فيما بين (414-433هـ/1023-1042م)، إذ بعد خروج المستعلي الحمودي لقرطبة ومرور دولة بني حمود بما مرّت به، اجتمع أهل اشبيلية وشكلوا مجلسا من الوزراء والأعوان لإدارة شؤون المدينة ولا يقطع أمرا إلاّ بمشورة أعضائه، وأسندت رئاسته لمحمد بن إسماعيل بن عباد، ثم استطاع قطع علاقته بيحي بن علي بن حمود، وهزمه في معركة وقعت قرب اشبيلية، وهكذا أنهى أمر الحموديين في اشبيلية، وبدأ يستقل بالأمر دون أهل مشورته، توفي محمد في 433هـ/ 1042م[4] وهكذا تحول منصب محمد بن

---

[1] محمود مكي، **تاريخ الأندلس السياسي**، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، 99 وما بعدها.

[2] **بنو عباد**: ينتمي بنو عباد إلى قبيلة لخم العربية، فهم من ولد المنذر بن ماء السماء، دخل جدهم عطاف بن نعيم مع موسى بن النصير هذا حسب صاحب (مجهول) تاريخ الأندلس، والأرجح حسب المصادر الأخرى أنّه دخل في طالعة بلج بن بشر القشري فهو من حمص الشامية. فنزل في قرية يُومين من إقليم طشانة من أرض إشبيلية، وقيل عطاف ونعيم أخوان حسب ابن حيان من خلال البيان. ابن عذارى، البيان، ج193/3. مجهول، تاريخ الأندلس، ص260. ابن بسام، الذخيرة، 5/2. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص152.

[3] ابن عذارى، البيان، 194/3-195. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص108. ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ص153. طقوش، تاريخ المسلمين، ص437.

[4] أظهر محمد بن إسماعيل بن عباد الخليفة هشام المؤيد لأهل إشبيلية وكان في الحقيقة رجل يشبهه فقط، وأخذ يدعوا له في منابر إشبيلية والمناطق التابعة لها محرزا بذلك نصرا شرعيا مقارنة بالطوائف الأخرى. عن سيرة محمد وأهم أعماله أنظر: ابن

إسماعيل من القاضي إلى محمد بن إسماعيل الحاكم السياسي. ثم خلفه ابنه **عباد بن محمد المعتضد بالله** والذي حكم فيما بين (433-461هـ/1042-1069م) وقد أشتهر أبو عمرو وفخر الدولة كما تسمى في البداية، بشدّة ذكائه وقوته حتى شُبه بالخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، بل لم يتوان حتى في قتل ابنه إسماعيل ولي العهد من بعده وكبير أبنائه بسبب معارضته له، كما وسّع عباد مملكة اشبيلية في غرب الأندلس عندما ضم لبلة وشلب وقرمونة وغيرهم، وفي سنة 451هـ/1059م أعلن المعتضد عن وفاة هشام المؤيد، توفي المعتضد سنة 461م/1069م.[1]

خلفه ابنه **محمد المعتمد على الله** والذي حكم فيما بين (461-484هـ/1069-1091م)، كان يلقّب بالظافر والمؤيد بالله، ولكن لقب المعتمد قد غلب عليه، عدّت اشبيلية في وقته أقوى مملكة في الأندلس ولم ينافسه إلاّ أمير طليطلة المأمون ذي النون الذي هاجم مملكة اشبيلية بالتحالف مع ألفونسو السادس ملك قشتالة، دخل المعتمد قرطبة وضمها لاشبيلية منهيا فيها حكم بني جهور 462هـ/1070م، وكذا استرجعها من بني ذي النون سنة 467هـ/1075م الذين حاولوا ضمّها، وكذا ضمّ مدن أخرى كمرسية وبلنسية، ولما كثر أعدائه جراء سياسته التوسعية خاصة من بني ذي النون في طليطلة، وبني باديس في غرناطة، وبني الأفطس في بطليوس، وبني هود في سرقسطة لجأ لعقد تحالف مع ألفونسو السادس[2]، وكانت من نتائجه سقوط مدينة طليطلة في يد ألفونسو في محرّم 478هـ/ماي 1085م، ولما ضاق الحال بمملكة اشبيلية جراء هجمات ألفونسو السادس لكثرة طلباته المادية والتوسعية، سعى بقوة لجلب المرابطين من العدوة المغربية وطلب النجدة منهم، وبعد انتصار المرابطين في الزلاقة رجب 479هـ/أكتوبر1086م ثُم اتخاذهم قرار توحيد الأندلس، رفض ابن

الخطيب، أعمال الأعلام، ص153-155. ابن عذارى، البيان، ج195/3 وما بعدها. ابن بسام، الذخيرة، 2ج/5-10. طقوش، تاريخ المسلمين، ص437-439.

[1] عن سيرته أنظر: ابن عذارى، البيان، 204/3وما بعدها. المراكشي، المعجب، 68-70. ابن بسام، الذخيرة، 10/2-14. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 155-157. طقوش، تاريخ المسلمين، 439-441.

[2] جاء في بنود التحالف: 1- يساعد ملك قشتالة المعتمد في حروبه ضد أعدائه من أمراء الأندلس المسلمين. 2- يؤدي المعتمد لألفونسو جزية سنوية كبيرة. 3- يسمح للمعتمد بغزو أراضي مملكة طليطلة الجنوبية، ويسلم الشمالية للملك ألفونسو. 4- لا يعترض المعتمد على مشروع ألفونسو القاضي بالاستلاء على طليطلة. طقوش، تاريخ المسلمين، ص443.

عباد الاستسلام وهزم سنة 484هـ/1091م، وأقتيد المعتمد لأغمات بدرعة في العدوة المغربية التي توفى بها سنة 488هـ.[1]

ب- دولة بني جهور في قرطبة (422-462هـ/1031-1070م):

يعود أصل بني جهور إلى الفرس، حيث كان جدهم بخت بن أبي عبدة من موالي عبد الملك بن مروان الأموي، دخل جدهم يوسف بن بخت الأندلس قبل أن يدخلها صقر قريش عبد الرحمان بن معاوية.[2] وأبو الحزم هو جهور بن محمد بن جهور بن عبد الملك ابن جهور بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الغمر بن يحي بن عبد الغافر بن يوسف بن بخت بن أبي عبدة الكلبي (422-435هـ/1031-1044م)، اختاره أهل قرطبة ليقوم بأعباء الحكم والرياسة في قرطبة بعد الإعلان عن سقوط الخلافة الأموية، وقد أجاد فيها إذ شكل مجلس الجماعة، وأبعد البربر من الجيش إلاّ بعضا من بني يفرن الموثوق فيهم، وقد أشادت به المصادر التاريخية، ويمكن ذكر ما كتبه عنه صاحب تاريخ الأندلس، حيث قال: "فأيامه بها اثني عشر سنة لم يغيّر فيها زيه ولا مركبه ولا دخل القصر، ولا تسمى بسلطان ولا تلقب، ولا خطب له على منبر، ولا كتب اسمه على سكة"[3]، بعد وفاته خلفه أبنه أبو الوليد محمد بن جهور (435-457هـ/1044-1064م) الذي سار على نهج أبيه في البداية، ثم وزع أمور قرطبة بين الوزير إبراهيم بن السقاء الذي عمل على رخاء وأمن قرطبة وما يتبعها، وبين ابنه عبد الملك الذي لم يكن في مستوى المهمة التي أنيطت له فأهمل شؤون العامة وقرّب إليه الضعفاء والأوغاد، عندها حرّض المعتضد عبد الملك ضد ابن السقاء[4] وكانت النتيجة

---

[1] عن سيرته وما وقع في عهده أنظر: المراكشي، المعجب، ص72-74. ابن الخطيب، طقوش، تاريخ المسلمين، ص441-443.

[2] ابن عذارى، البيان، ج185/3-186.

[3] منها، مجهول، تاريخ الأندلس، ص249. ابن بسام، الذخيرة، 373/1-374. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص148. ابن عذارى، البيان، ج186/3. وان خلدون، العبر، ج204/4-205.غيرهم.

[4] لمعرفة حياة الوزير ابن السقاء، وكيف قتل أنظر: ابن بسام، الذخيرة، ج145/4-148. ابن عذارى، البيان، ج251/3

هي قتله 455هـ/1063م[1] بعدها اقتسم أبو الوليد الحُكم بين ولديه سنة 456هـ/1064م فعبد الملك كلّف بشؤون الجند والإشراف على أعطياتهم، وعبد الرحمان النظر في أمر الجباية والإشراف على أهل الخدمة، لكن عبد الملك استبد بالحكم (457-462هـ/1064-1070م) وفرض على أخيه الإقامة الجبرية، بعدها هاجم صاحب طليطلة المأمون بن ذي النون قرطبة مما جعل عبد الملك يستنجد ببني عباد سنة 361هـ/1069م الذين خلصوه ثم تغلبوا على قرطبة 362هـ/1070م، ونفوا عائلة بني جهور لجزيرة شَلطيش.[2]

ج- **بنو تجيب في سرقسطة**[3] (**408-430هـ/1017-1039م**): استولى بنو تجيب بزعامة محمد بن عبد الرحمن "الأنقر" على سرقسطة ثم أقره الأمير عبد الله بن محمد عليها، وفي سنة 379هـ/989م تولى يحي بن عبد الرحمن الحكم وأقرّه هو الآخر الحاجب المنصور بن أبي عامر، وبعد الفتنة البربرية وبروز ممالك الطوائف أصبح الثغر الأعلى أكبر مملكة من حيث الرقعة الجغرافية مقارنة بالممالك الأخرى، وفي الوقت نفسه كانت سرقسطة هي الأكثر تحصنا وجاهزية للحروب بحكم موقعها الواقع بالقرب من ممالك النصارى في الشمال (قطالونية في الشرق، ونبرّة في الشمال الغربي، وقشتالة في الجنوب الغربي)، وقد عرفت الإمارة التجيبية في عهد المنذر بن يحي بن عبد الرحمن الملقب بذي الرئاستين والمنصور (408-414هـ/1017-1023م) القوة والتوسع، ولكن مصالحته لممالك النصارى كرامون أمير برشلونة، وشانجة الكبير ملك نبرّة، وفرديناند الأول ملك قشتالة، وألفونسو الخامس ملك ليون، قد جلب له سخط رعيته، وخلفه ابنه يحي الملقب بالمظفر (414-420هـ/1023-1029م) وقد خالف سياسة أبيه

---

[1] في عهده حاول ابن ذي النون دحول قرطبة، لكن ابن عباد خلّصه بعد أن استنجد به، عن حكمه أنظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 148-149. مجهول تاريخ الأندلس، ص250. ابن يسام، الذخيرة، 375/1

[2] للتوسع أكثر أنظر: ابن بسام، الذخبرة، 376/1-379. ابن عذارى، البيان، ج255/3 وما بعدها. الخطيب، أعمال، ص148 وما بعدها. طقوش، تاريخ المسلمين، ص435-437. حجي، التاريخ الأندلسي، ص323-325.

[3] تحكم بنو تجيب بزعامة محمد بن عبد الرحمان المعروف بالأنقر على سرقسطة أثناء عصر الطوائف الأول، وقد أقرهم الأمير عبد الله بن محمد عليها ليضمن ولائهم له، وفي عهد الحاجب المنصور العامري أقرّ يحي بن عبد الرحمان على هذا الثغر 379هـ/989م وبقي فيه حتى توفي 408هـ/1017م.

اتجاه النصارى، ثم خلفه ابنه المنذر الثاني الملقب بمعز الدولة (420-430هـ/1029-1039م)، وبعد اغتياله من طرف ابن عمه عبد الله بن حكيم كان مآل الدولة السقوط من طرف سليمان بن هود[1].

ح-**بنو هود الجذاميون (من الأدارسة) في الثغر الأعلى(431-512هـ/1039-1118م)**:
جاءوا بعد بني تجيب، إذ كان أول أمرائهم أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي، الملقب بالمستعين بالله (431-438هـ/1041-1046م)، والذي كان من كبار الجند بالثغر الأعلى في العهد الأموي، ولما حلت الفتنة تغلب على مدينة لاردة وقتل قائدها أبا المطرف التجيبي 431هـ/1039م، ثم تغلب على سرقسطة رغم محاولة بني ذي النون أصحاب طليطلة السيطرة عليها بحكم قرابتهم من بني تجيب، واستمر الصراع بين طليطلة وسرقسطة حتى استعانت الإمارتان بممالك النصارى في الشمال، وقبل وفاة المستعين بالله قام بخطأ كبير وهو تقسيم الإمارة بين أبنائه الخمسة، لكنّ الغلبة في الأخير آلت لأبي جعفر أحمد الملقب بالمقتدر بالله، ويعتبر عهد الأخير عهد ازدهار لعلوم الأوائل من فلسفة وفلك وحوى بلاطه جمع من كبار العلماء، وقبل وفاته سنة 474هـ/1081م ارتكب نفس خطأ والده إذ قسّم إمارته بين ابنيه يوسف المؤتمن والمنذر اللذين استعانا بالنصارى مجددا خاصة السيد القمبيطور الذي وقف في صف يوسف، وبعد وفاة الأخير الذي كان عالما في الرياضيات سنة 478هـ/1085م خلفه ابنه أحمد الملقب بالمستعين الأصغر وقد واجه الأخير الخطر النصراني، وانتهى حكم بني هود في الثغر الأعلى عهد عبد الملك بن أحمد سنة 512هـ/1118م وسقطت في يد الملك الأراغوني ألفونسو[2].

وهناك إمارات ودويلات أخرى ضمن هذه الفئة ولا يسع المجال للتفصيل فيها أكثر منها:

---

[1] للتوسع أنظر: طقوش، تاريخ الأندلس، ص450-452. مكي، تاريخ الأندلس السياسي، المقال السابق، ص103.

[2] للتوسع أنظر: ابن الخطيب، أعمال، ص170-176. ابن عذارى، البيان، ج221/3 وما بعدها. طقوش، تاريخ الأندلس، ص452-455. الحجي، التاريخ الأندلسي، ص356-366. محمود مكي، تاريخ الأندلس، المقال السابق، 104-105.

- بنو صمادح (فرع من بني تجيب) في المرية (433-484هـ/1041-1091م)[1]
- بنو طاهر في مرسية وهم من القيسية (425-471هـ/1033-1078م)[2]
- بنو القاسم الفهريون في البونت (400-495هـ/1009-1102م)[3]

2- البربر: ويمكن تقسيمهم لثلاث مجموعات هي:

أ- البربر الأوائل الذين دخلوا الأندلس أيام الفتح: منهم:

- **بنو الأفطس ملوك بطليوس وغرب الأندلس (413-488هـ/1022-1095م)**:

ينتسبون إلى جدهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة المنصور (413-437هـ/1022-1045م) المعروف بابن الأفطس، أصلهم من بربر مكناسة ولكنهم يُرجعون نسبهم لبني تُجيب، حكم بنو مسلمة (بنو الأفطس) بطليوس، وقد تغلب عبد الله بن محمد على المنطقة من ابني سابور الفارسي الذي كان وزيرا عنده، وبعد وفاته خلفه ابنه المظفّر محمد بن عبد الله (437-460هـ/1045-1067م) الذي شهد عهده حروب ومهادنات مع بني عباد وبني ذي النون وصراع مع ممالك النصارى، إلاّ أنّ هذا لم يمنعه من الاهتمام بالعلم والأدب، وبعد وفاته خلفه ابنه المنصور يحي بن محمد (460-461هـ/1067-1068م)، الذي نازعه أخوه المتوكل على الله عمر بن محمد الحُكم (461-488هـ/1068-1095م)، وقد تحكّم الأخير في الإمارة بعد موت أخيه المفاجئ سنة 461هـ/1068م، من أهم أعماله ضم طليطلة إلى إمارته واستقراره بها مدّة عشرة أشهر سنة 472هـ/1089م ولكنه أخلاها بعد تحالف يحي القادر (بنو ذو النون) مع ألفونسو السادس ملك قشتالة لاسترجاعها، وبعد مضايقات ملك قشتالة لملوك الطوائف استنجد المتوكل على الله بالمرابطين ليخلصوه من ألفونسو السادس، وبعد معركة الزلاقة عاد عمر المتوكل للتحالف مع

---

[1] عنهم أنظر: ابن الخطيب، الأعمال، ص189 وما بعدها. ابن بسام، الذخيرة، ج13/3. بعيون، إسهام العلماء، ص156-159.

[2] ابن الخطيب، الأعمال، ص201-202. ابن بسام، الذخيرة، ج13/3 وما بعدها. بعيون، إسهام العلماء، ص165-167.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص208-210. بعيون، إسهام، ص165.

ألفونسو، ولما قرر المرابطون القضاء على ملوك الطوائف رفض عمر المتوكل ترك ملكه وتحالف مع ألفونسو لقتال المرابطين، هذه الخيانة كانت السبب لقتله من طرف المرابطين سنة488هـ/1095م[1].

➢ **بنو ذي النون ملوك طليطلة (427-478هـ/1036-1085م)**: تشرف طليطلة على المناطق الشمالية والوسطى للأندلس إذ كانت عاصمة للثغر الأوسط، وبنو ذي النون أصلهم من بربر هوارة، خدموا الدولة العامرية وقد عيَّن منهم وال على كورة شنت برية، أول حكامهم في طليطلة الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون الذي أرسله والده من شنت برية لطليطلة استجابة لطلب أهلها، حكم فيما بين (427-435هـ/1036-1083م) وجعل من عالمها أبا بكر يحي بن سعيد الحديدي مستشارا له، ثم خلفه ابنه يحي بن إسماعيل الملقب بالمأمون (435-467هـ/1043-1075م) الذي شهدت فترة حكمه الطويلة أحداث كثيرة أهمها الصراع مع ملوك الطوائف كبني عباد وبني ذي النون وبني هود وبني الأفطس في بطليوس هذا ما جعله يصالح فرديناند الأول ملك قشتالة، ثم خلفه حفيده يحي بن إسماعيل الملقب بالقادر (467-478هـ/1075-1085م) وقد شهدت فترة حكمه الثورات كتلك التي قامت سنة 472هـ/1079م وأخرجته من طليطلة بعد فتكه بمستشاره ومستشار جده يحي بن سعيد الحديدي ولم يعد إليها إلاّ بمساعدة ألفونسو السادس ملك قشتالة له، ثم سقطت طليطلة رسميا في يد ألفونسو سنة 478هـ/1085م وعوّض القادر بمدينة بلنسية التي بقي يحكمها حتى سنة 485هـ/1092م[2].

ومنهم بنو رزين بشنتمرية(403-497هـ/1012-1104م)[3]

---

[1] للتوسع أكثر أنظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص182 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، ج236/3-239. طقوش، تاريخ الأندلس، ص449-450.

[2] ابن الخطيب، أعمال، ص176 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، ج276/3. طقوش، تاريخ الأندلس، ص443-446.

[3] ينسبون إلى عز الدولة أبومحمد هذيل بن عبد الملك خلف بن لب بن رزين المعروف بابن الأصلع. ينتمون لقبيلة هوارة، ومركزهم بالأندلس في سهلة بني رزين. حكامهم حسب رينهارت دوزي هم: هذيل بن عبد الملك بن خلف (403-437هـ/1012-1045م)، عبد الملك بن هذيل (437-497هـ/1045-1103م)، يحي بن عبد الملك (497-498هـ/1103-1104م) ثم انتقلت للمرابطين. عنهم أنظر: ابن الخطيب، أعمال، ص205 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، ج188/3 وما بعدها. ابن بسام، الذخيرة، 69/3 وما بعدها. ابن الأبار القضاعي، **كتاب الحلة السيراء**، تح وتع. حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1985م، ص108 وما بعدها. دوزي، المسلمون في الأندلس، 221/2، 222.

ب- **البربر الذين دخلوا الأندلس في العهد العامري:** استخدمهم العامريون في الجيش:

➢ **بنو زيري الصنهاجيين في غرناطة ومالقة (403-483هـ/1012-1090م)**: دخل بعضهم من قبيلة صنهاجة للأندلس في العهد العامري، ونخص بالذكر زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي وإبن أخيه ماكسن (ت391هـ/1001م) وذلك بعد استئذان العامريين لمواصلة واجب الجهاد ضد النصارى في شمال الأندلس، وللخروج من الصراع الداخلي في البيت الزيري بشمال إفريقية، وقد كان لهم دور كبير في ذلك، وبعد أن حلت الفتنة بقرطبة قرر زاوي الرجوع لإفريقية لكنّ أهل ألبيرة طلبوا منه حمايتهم فاستجاب لذلك، وكان لابن أخيه حبوس جيان وحصن آشر[1]، ثم انتقل زاوي إلى الجبل الذي به حصن غرناطة وبنى مدينة غرناطة، حكم زاوي بن زيري فيما بين(403-410هـ/1013-1019م) وبعد خروجه من الأندلس متوجها لعدوة المغرب، اختار أهل البلد حبوس بن ماكسن (410-429هـ/1019-1038م) ليخلفه وتزامن عهده مع إعلان السقوط الفعلي للإمارة الأموية، ثم خلفه ابنه باديس بن حبوس (429-465هـ/1038-1073م) الذي في عهده سيطر اليهودي ابن نَغْرَالة ثم ابنه يوسف على أمور المال في الدولة، وقد ألّف أبي إسحاق الألبيري قصيدة يخاطب فيها باديس وينصحه من اليهودي[2]، وآخرهم عبد الله بن بلكين بن باديس (465-483هـ/1073-1090م) وهو حفيد باديس، والذي في عهده استقل أخوه تميم بمالقة وتلقب بالمنتصر بالله، وكذا ألحقت غرناطة للمرابطين ونفي عبد الله إلى أغمات سنة 483هـ/1090م[3].

---

[1] الواقع التاريخي يقول أنّ زاوي بن زيري قد حصل على كور ألبيرة في عهد الخليفة سليمان المستعين السابق الذكر وليس بطلب من أهلها كما جاء في مذكرات الأمير عبد الله. للتوسع أنظر: الأمير عبد الله بن بلقين، **كتاب التبيان**، تحقيق وتقديم وتعليق أمين توفيق طيبي، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1995م، ص59. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص227-228. ابن الخطيب، الإحاطة، 40/1. طقوش، تايخ الأندلس، ص 446-447.

[2] القصيدة كاملة عند ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص231-233، وقد كانت السبب الذي أدى لقتل اليهودي، ومطلع القصيدة: ألا قل لصنهاجةٍ أجمعين بدور الزمان وأسد العرين

[3] الأمير عبد الله، كتاب التبيان، ص57 وما بعدها. ابن عذارى، البيان، ج262/3 ما بعدها. ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص228 وما بعدها. طقوش، تاريخ الأندلس، ص446-449.

- **بنو خزرون في أركش** (402-461هـ/1011-1068م): أولهم عماد الدولة أبو عبد الله محمد بن خزرون بن عبدون الخزري الذي ثار بقلسانة سنة 402هـ/1011م، ثم تغلب على أركش، وبعد وفاته حوالي سنة 420هـ خلفه ابنه القائم ابن عماد الدولة وبايعه أهل الجزيرة وقلسانة وشريش، وانتهى حكمهم سنة 461هـ عندما غزاهم المعتضد ابن عباد.[1].

منهم: **بنو زناتة وبنو برزال** في قرمونه، **بنو نوح (بني دمَّر)** في مورور2.

ت- العرب المتبربرون: أصلهم عرب لكنهم تبربروا نتيحة معايشتهم للبربر، منهم:

- **بنو حمود الحسنيون**[3] (**407-449هـ/1016-1057م**): سبق وأن ذكرنا تغلب بني حمود على قرطبة في أواخر عهد الدولة الأموية، وهم سليلي دولة الأدارسة[4] التي قامت في المغرب الأقصى، ويعتبر علي بن حمود[5] الذي تلقب بالناصر أول أمرائهم، إذ دخل قرطبة في 22 محرّم

---

[1] ابن عذارى، البيان، ذيل الكتاب، ج294/3.

[2] سآتي على أهم هذه الدويلات في الفصل الرابع.

[3] هناك من يصنّف بني حمود ضمن الدول العربية وذلك لآنّ أصلهم عربي، ومنهم يضمهم مع الدول البربرية كما اخترنا في الرسالة وذلك لأنّ بني حمود تبربروا في لسانهم وثقافتهم حتى أضحوا بربرا. للتوسع في دولتهم أنظر: ابن الخطيب، أعمال، ص128 وما بعدها. خميسي (بولعراس)، **الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف**، مذكرة ماجستير، تحت إشراف أ.د.مسعود مزهود ي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007/2006.

[4] بعد تولي محمد بن إدريس أمر الدولة الإدريسية سنة 213هـ/828م قام بتقسيم الدولة بين إخوته، ولم يلبث بعض إخوته أن خرجوا عليه وتنازعوا على أمر الإمامة، وفي الوقت نفسه حوصروا بين بني أمية في الأندلس والدولة الفاطمية بالمغرب، وبرز لدولة الأدارسة فرعين رئيسين هما المحمدين (من ولد محمد بن إدريس الثاني) وقد كان هذا الفرع موالي للدولة الفاطمية، والفرع الثاني العمريين (من ولد عمر بن إدريس الثاني) وهو جد بني حمود الذين حكموا الأندلس شريفة محمد عمر دحماني، **العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف** (ق5هـ/11م)، مؤسسة شباب الجامعة، 2006، ص101-103..

[5] علي بن حمود بن ميمون بن أحمد (حمود) بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن. وهناك اختلاف بين المصادر في تسلسل نسب علي بن حمدون، ويعتبر علي والقاسم من الاوائل الذين دخلوا الأندلس في عهد الحكم المستنصر مع البربر بعد أن عفى عن الأدارسة خاصة بعد ثورة الحسن بن كنون بن القاسم الإدريسي. للتوسع أنظر: أبو عبد الله التنسي، **تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدرر والعقيان**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص55. ابن بسام، الذخيرة، 59/1. دحماني، العلاقات السياسية، ص104. فيلالي، العلاقات، ص197 وما بعدها.

407هـ/01 جويلية 1016م وقتل الخليفة سليمان المستعين وقال: "لا يقتل الزُّلطان إلاّ الزُّلطان"[1] معتبرا أنّه هو الذي قتل الخليفة الشرعي هشام المؤيّد، ثم أخرج كتابا نسبه للخليفة الهالك هشام يعينه فيه وليا للعهد من بعده، ولم يلبث علي بن حمود أن قتل من طرف ثلاثة خدم من الصقالبة وهو في الحمام سنة 408هـ/1018م[2]، وخلفه أخوه القاسم الذي تلقب بالمأمون وكان واليا على اشبيلية ورغم أنّ عهده شهد عدّة فتن وحروب كثورة الأموي المرتضى الذي قضى عليه زاوي بن زيري المؤيّد للحموديين، وثورة ابن أخيه يحي بن علي الذي كان في العدوة المغربية ورأى أنّه الأحق بخلافة والده، وقد لقي الدعم من أخيه إدريس المتواجد في مالقة، ولما أدرك القاسم عدم قدرته على مواجهة ابني أخيه فرّ ليلا لاشبيلية وذلك ليلة السبت 28 ربيع الأول 412هـ[3]، ودخل المعتلي يحي بن علي قرطبة، ولكن الأخيرة صعبة المراس لما تجمعه من تناقضات فئات اجتماعية مختلفة، ورغم كون يحي قد قرّب البربر كما وعدهم فإنّ زناتة لم يعجبها ما حصلت عليه بالمقارنة مع القبائل البربرية الأخرى، وشعر يحي أنّ الجند يتربصون لقتله ولعوامل أخرى فرّ كعمه ليلا متوجها لمالقة سنة 414هـ/1023م واستدعى البربر والجند عمه القاسم ليتولى أمر قرطبة، وقد ثار عليه أهل قرطبة بعد شهور من توليه الحكم بسبب محاباته للبربر ورجع لاشبيلية في نفس السنة ولكن محمد ابن عباد أمر بغلق أبواب المدينة في وجهه وانتهى به المطاف في يد ابن أخيه يحي بن علي صاحب مالقة وطنجة وسبتة بالعدوة المغربية[4] وقد حاول يحي بن علي ضم اشبيلية إلاّ أنّه انهزم أمام جيش ابن عباد سنة 427هـ /1035م وقطع رأسه، ثم التحق إدريس بن علي بمالقة قادما من سبتة لما علم

---

[1] من المعلوم أنّ بني حمود من أصل عربي كما عرفنا ولكنهم تبربروا لطول مكوثهم بالمغرب الأقصى مع القبائل البربرية، وعلي بن حمود هنا قد قال: لا يقتل السلطان إلاّ السلطان" ولكنه نطق السلطان بالبربرية .ابن الخطيب، أعمال الاعلام، 121.

[2] للتوسع في سياسته أنظر: ابن الخطيب، أعمال، ص 128-129. ابن بسام، الذخيرة، 1/24-25، 59-63. إسماعيل العربي، **دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م، ص225 وما بعدها.التنسي، دولة الأدارسة، ص57-58.

[3] أنظر التفاصيل في: ابن الخطيب، أعمال، ص130. العربي، دولة الأدارسة، 241-246.

[4] أنظر ابن الخطيب، أعمال، 133-134. العربي، دولة الأدارسة، ص249 وما بعدها.

بمقتل أخيه وبقي في الحكم حتى سنة 431هـ/ وتشتت أمر بني حمود حتى لم يبقى لهم إلاّ الجزيرة الخضراء وآخر حكامها القاسم بن محمد بن القاسم بن حمود[1]

3- العامريون وخدامهم: وهم بقايا أسرة الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ومن كان في خدمتهم من الصقالبة، وقد استكثر منهم العامريون وخدموا في القصر حتى وصل عددهم في عهد عبد الملك بن محمد بن أبي عامر ستة وعشرون فتا حسب ابن الخطيب[2]، من دولهم نجد:

أ- خيران وزهير الصقلبيان في المرية (404-429هـ/419-م): دخل خيران (404-419هـ/) المرية بعد أن قتَل حاكمها أفلح وولده، وأهم ما قام به هو تحصين المدينة الساحلية وتحقيق العدل فيها، وقد كان سر نجاحه وزيره أبو جعفر أحمد ابن عباس بن أبي زكرياء، وبعد وفاة خيران اجتمع الوزير مع أهل الحل والعقد واتفقوا على جلب أخ خيران زهير (419-429هـ)ليخلفه على المدينة وقد توسع الحكم في عهده حتى شمل قرطبة سنة 425هـ، وقد توفي الأخير في معركة جرت بينه وبين باديس بن حبوس الصنهاجي[3]

ب- عبد العزيز المنصور بن عبد الرحمان شنجول بن أبي عامر (429/1037-): كان عبد العزير بسرقسطة في كنف منذر بن يحي ثم اختاره موالي بني عامر ليحكمهم في بلنسية بدلا من ابن عمه محمد بن عبد الملك، ولما استقر له الأمر في بلنسية كاتبه أهل المرية ليخلف زهيرا عليهم، وكان الأخير بدوره يرى أنّه أحق بالملك لأنّ الفتيان العامريين هم موالي جدّه، ولما تحقق له ما أراد وخطب في مساجد المدينة لهشام المؤيد الأموي قام المنصور بنقل المال الذي كان بها إلى عاصمته بلنسية، وبهذا أصبح حاكما للمدينتين السابقتين ومرسية، وفي سنة 430هـ/1038م خرج المنصور من المرية وتركها لابنه عبد الله ولقبه بالناصر، واستوزر له ذا

---

[1] للتوسع أكثر في الفترة الأخيرة لبني حمود الادارسة أنظر: ابن الخطيب، أعمال، ص140-142. ابن عذارى، البيان، ج188/3 وما بعدها. العربي، دولة الادارسة، 267 وما بعدها.

[2] من مشاهير الفتيان الصقالبة واضح، مظفّر، مجاهد، زهير، خيران، واثق. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص103-104.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 210-217.

الوزارتين أبا الأحوص معن بن محمد بن صمادح، ولما توفي عبد الله سنة 433هـ/1041م قام بنو صمادح بالتغلب على المدينة بعد تحالفهم مع باديس بن حبوس صاحب غرناطة[1]

ت- مبارك ومظفر الصقلبيان في بلنسية وشاطبة (401-408هـ/1010-1017م): حكم هذان الصقلبيان بلنسية التي كانت تابعة لمجاهد العامري، وقد تحكّم مبارك في شاطبة، ومظفّر في بلنسية، عرف عهدهما ببناء المباني الفاخرة والبساتين الزاهرة، كما عرف عهدهم بالصراع المتواصل مع ملوك الطوائف حتى تغلب بنو تجيب على ملكهم سنة 408هـ/1017م.[2]

ث- مجاهد الصقلبي في دانية وجزر البليار (400-484هـ/1009-1091م): عندما ضربت الفتنة البربرية بأطنابها في قرطبة، خرج مجاهد بن عبد الله العامري (أبو الجيش الموفق) لشرق الأندلس واستقر بعدها في الجزائر الشرقية ودانية التي كان محمد ابن أبي عامر قد عينه عليها من قبل وكانت له محاولة لغزو سردانية الرومية ولكنه انهزم وأسر ابنه علي، أشتهر مجاهد بعلمه خاصة اللغة العربية والعروض وعلوم القرآن، توفي سنة 436هـ وخلفه ابنه علي إقبال الدولة الذي تربى في صغره مع النصارى عندما أسره الروم وبحكم أنّ أمّه نصرانية، ولما استجلبه وأدخله الإسلام ودفع به كقائد للجيوش، ثم اختاره ليخلفه من بعده بدلا من أخيه الحسن سعد الدولة الذي لم يعجبه الأمر وتحالف مع ابن عباد لقتله، وانتهى حكمه بعد أن دخل صهره ابن هود لدانية وطلب منه أن يسلمه الحكم فيها سنة 468هـ[3]

---

[1] ابن عذارى، البيان، 164/3 وما بعدها. ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص194 وما بعدها. محمد أحمد أبوالفضل، **تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، دراسة في التاريخ السياسية الحضاري**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1996، ص99-100. السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة أسطول الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1984م، ص72-74.

[2] ابن عذارى، البيان، 158/3 وما بعدها. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص222 وما بعدها. ابن بسام، الذخيرة، ج6/3-11. طقوش، تاريخ الأندلس، ص456.

[3] الحميدي، جذوة المقتبس، ص320-321. الضبي، بغية الملتمس، ص412-413. ابن عذارى، البيان، ج155/3 وما بعدها. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص217-222. ابن بسام، الذخيرة، ج12/3-13. حسين مؤنس، **موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ وفكر وحضارة وتراث**، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، القاهرة، مصر، 1430هـ/2009م، 429/1-431.

هناك بقية من العامريين وخدامهم قامت لهم دويلات صغيرة في شرق الأندلس كمقاتل ولبيب وغيرهما[1]

في ظل هذه الأزمة السياسية التي شهدتها الأندلس، تبرز القيادة الجديدة والقادمة من العدوة المغربية ممثلة في أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، الذي يدخل الأندلس بعد طلب أهلها وعلمائها وبعض قادتها السياسيين، وتتجلى القوة المرابطية في معركة الزلاقة 479هـ التي انتصر فيها الأمير يوسف على الملك النصراني ألفونسو السادس، وبذلك يعود للمسلمين في الأندلس مجدهم وهيبتهم خاصة وقد سقطت مدينة طليلطلة في يد النصارى سنة 478هـ.

يبقى أن نشير إلى أنّ أغلب الإسبان حاليا يعتبرون الحقبة الإسلامية جزء لا يتجزأ من تاريخ إسبانيا المسلمة، خاصة أن الفترة دامت لثمانية قرون بما فيها عصرا الدولة الأموية وملوك الطوائف[2]

[1] للتوسع أنظر: ابن عذارى، البيان، ج163/3 وما بعدها. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص210 وما بعدها.

[2] Pedro Martinez MONTAVEZ, **La Literatura àrabe y España**, separata de la revista de inormacion de la comision nacional Española de cooperacion con la unesco (NUMS27/28/29) sin informacion, p7-8.

الفصل الأول

المذهب المالكي في الأندلس

المبحث الأول: دخول المذهب المالكي إلى الأندلس.

المبحث الثاني: فقهاء المالكية عهد الدولة الأموية.

المبحث الثاني: فقهاء المالكية عهد ملوك الطوائف.

الفصل الأول: المذهب المالكي في الأندلس

كانت الأندلس عند فتحها بعيدة عن الآراء والعقائد التي نشأت في المشرق ووصلت المغرب، خاصة فرق الخوارج والشيعة، إذ كان اهتمام الفاتحين وولاة الأندلس هو حفظ الجزيرة عسكريا، والتوسع شمالا أين نصارى الشمال، واهتموا بتعليم المسلمين الداخلين أو الإسبان الذين أسلموا سماحة الدين الإسلامي وتعليمهم قراءة القرآن والفرائض ومبادئ اللغة العربية.

وبحكم أنّ المذهب المالكي الفقهي ينتمي لأهل السنّة في العقيدة فأهل السنة والجماعة الذين تنتمي إليهم المذاهب الفقهية المذكورة في هذه الرسالة، ومنهم المذهب المالكي هم "السّواد الأعظم الذين والوا جميع أولي الأمر، والتزموا الجماعة، فترضّوا على جميع الخلفاء الراشدين الأربعة، وقالوا بأفضليتهم على من سواهم من الصحابة، حسب ترتيبهم في الخلافة، وقبلوا من الناحية السياسية حكم ولي الأمر بعدهم، أو من تغلّب على الحكم من بني أميّة وبني العباس ومن بعدهم، كما ترضّوا وترحّموا على جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته وأزواجه وقرابته، ورجعوا إليهم جميعا في أخذ علوم الدين: القرآن والحديث والسيرة، حتى ظهر بينهم القراء والفقهاء والمحدثون من كبار التابعين، ومن أشهرهم تلاميذ ابن عباس في مكّة، وابن مسعود في الكوفة، علاوة على تلاميذ سائر علماء الصحابة الذين انتشروا في مكة والمدينة، والكوفة، والبصرة، والشام، ومصر، الذين ظهر منهم فقهاء المدينة السبعة، وأوائل مدوني الحديث... إلى أن وصل العهد إلى كبار أئمة الفقه والحديث.."[1]

I. تعريف الفقه:

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي، ثم تليه السنة النبوية المطهرة والمتمثلة في أقوال الرّسول صلى الله عليه وسلم، وفي أفعاله وتقريراته، وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام

---

[1] ومجمل أهل السنة كانوا لا يخوضون في النزاعات التي قامت مابين الصحابة، ولا يكفرون واحدا منهم، فهم مجتهدون، والمجتهد مأجور، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، وشعارهم هو: "كما طهّر الله سيوفنا من دمائهم، نسأله تعالى أن يطهّر ألسنتنا من الخوض في أعراضهم" رستم، الفرق، ص73 و83. ولمعرفة المزيد عن أصناف ومعتقدات أهل السنة والجماعة، أنظر: البغدادي، الفرق، ص 276 وما بعدها، الشكعة، المطالعات، ص 94 وما بعدها.

عرضت على المسلمين مسائل جديدة لم تكن في وقته، فاجتهد الصحابة في القرن الأول الهجري لإيجاد الفتوى لها، فأخذوا بما اجتمعوا عليه، ومنهم من أخذ بالرأي بعد الإجماع، وأخرجوا في الأخير الأحكام الشرعية الفرعية من نصوصها الكلية الأصلية، وهو عين بالفقه.[1]

الفقه لغة: هو الفهم، كما في **قوله تعالى** ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَفْقَهُواْ قَوْلِي﴾[2] ويطلق على العلم، **قال تعالى** ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾[3] وغيرهما من الآيات. وقد غلبت التسمية على علم الدين لسيادته وشرفه، وفضله على سائر أنواع العلم.[4]

أمّا اصطلاحا: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية. وقال ابن خلدون: "معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذرِ، والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه".[5]

بعد القرن الأول الهجري، اتسعت حاضرة العالم الإسلامي، التي شملت حدود الصين شرقا إلى الأندلس غربا، وضمّت تحت لوائها عدّة أجناس وأمم ولغات، وطرأت عدّة مسائل جديدة لم تكن في العهد النبوي، ولا في عهد الصحابة، وكان لزاما أن توجد لهذه المسائل حلولا، فاتسع

---

[1] للتوسع في المراحل التي مرّ بها التشريع الإسلامي، أنظر: الخضري بك، المرجع السابق، ص5 وما بعدها. موسى إبراهيم الإبراهيمي، **المدخل إلى أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي**، شركة الشهاب، الجزائر، 1980، ص135 وما بعدها.

[2] سورة طه: الآية 27 .28.

[3] سورة هود: الآية91.

[4] عن المعنى اللغوي، أنظر: محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى ديب البغا، دار الهدى، ط4، عين مليلة، الجزائر، 1990، ص325. ابن منظور، **لسان العرب**، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي بشري، مؤسسة التاريخ العربي، ودار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992، 306/10،305. عبد المنان الرّاسخ، **معجم اصطلاحات أصول الفقه**، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص 104. قحطان عبد الرحمن الدوري، **البحث الفقهي**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، العدد 5، رمضان1414هـ/مارس1994م، ص 169.

[5] ابن خلدون، تاريخ، 563/1. محمد محدة، **مختصر علم أصول الفقه الإسلامي**، شركة الشهاب، ط4، الجزائر، 1990، ص8 و9. الرّاسخ، المرجع السابق، ص 104. الدوري، المقال السابق، ص 169.

ميدان الفقه ووضعت ثروة تشريعية واسعة لبّت احتياجات هذه الأمة، وحلت مشاكلها دون أن تبتعد عن أصل الدين، وأبرز ما ميّز لنا الفقه بعد هذا القرن، هو ظهور مدرستين فقهيتين هما:

1- **مدرسة أهل الحديث (الحجاز)**: شاع مذهب أهل الحديث بين الحجازيين، وكان على رأسهم "**سعيد بن المسيب**"[1] إذ رأى هو وأصحابه أنّ أهل الحرمين الشريفين أثبت الناس في الحديث والفقه. وأخذوا يجمعون ما عندهم من آثار وفتاوى الخلفاء الراشدين ومن الصحابة كابن عباس وأبي هريرة وغيرهم، وكذا من قضاة المدينة، واعتبروا أنّ هذا كلّه يغنيهم عن استعمال الرأي:

أ- كثرة ما بأيديهم من الآثار، وقلّة ما يعرض عليهم من حوادث مستجدّة.

ب- تأثرهم بطريقة شيوخهم في التمسك بالآثار من كتاب وسنّة وآثار الصحابة.[2]

2- **مدرسة أهل الرأي (العراق)**: شاع هذا المذهب بين العراقيين، وكان على رأسهم "**إبراهيم النخعي**"[3]، الذي كان يرى هو وأصحابه من الفقهاء، أنّ أحكام الشرع معقولة المعنى، ومشتملة على مصالح راجعة إلى العباد، وبُنِيت على أصول محكمة، وعلل ضابطة لتلك المصالح، فكانوا يبحثون عن تلك العلل والمصالح التي شُرِّعت الأحكام لأجلها، ويرجع شيوع الأخذ بالرأي إلى:

- تأثرهم بمعلمهم الأول "عبد الله بن مسعود"(ت33هـ/653م)[4] وغيره.

- قلّة الأحاديث التي يُعتمد عليها في نظرهم للمسائل المطروحة، فكان لزاما استعمال الرأي.

ويذكر أنّ سبب قلة الأحاديث عندهم شدّة احتياطهم في قبولها، وأنّهم وضعوا شروطا لا يسلم من قبولها إلاّ القليل، خوفا من أن يكون الحديث مكذوبا، كما كانت الكوفة مركز خلافة الإمام

---

[1] سعيد بن المسيب ابن حزن ابن أبي وهب بن عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم بن يقظة (15-94)هـ، عالم أهل المدينة وسيّد التابعين في زمانه، عن حياته وفضائله، أنظر: شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، ط1، القاهرة، مصر، 1423هـ/2003م، ج4/ ص116-131.

[2] عن هذه المدرسة، أنظر: ابن خلدون: تاريخ، 564/1 و565. أحمد فرج حسين، **المدخل إلى الفقه الإسلامي-تاريخ الفقه الإسلامي-** منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2002م، ص142 و143. إبراهيم حسن، تاريخ، 271/2.

[3] إبراهيم النخعي، الإمام الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران بن يزيد ين قيس بن الأسود ... بن مالك بن النخعي بن النخعي، اليماني ثم الكوفي (ت96هـ/714م)، وهو من التابعين، قيل أنّه عاش 49 سنة، وقيل 58 سنة. عن حياته وفضائله أنظر: الذهبي، سير، 280/4-284.

[4] أنظر ترجمته عند الذهبي، سير، 446/2-462.

"علي بن أبي طالب" كرّم الله وجهه، وكان بها الكثير من الصحابة، منهم عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر وأبو موسى الأشعري وغيرهم، وهم ممن يقتدى بهم.[1]

وقد كان من الحجازيين من يميل إلى الرأي كشيخ الإمام مالك[2] المعروف **بربيعة الرأي**[3]، ونجد من العراقيين من يكره الأخذ بالرأي "كشرحيل بن عامر"[4] المعروف بالشعبي.[1]

---

[1] أنظر: ابن خلدون: تاريخ، 564/1 و565. أحمد فرج، المرجع السابق، ص 143-145. إبراهيم حسن، تاريخ 271/2.

[2] **الإمام مالك بن أنس:** أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غَيمان بن خُثَيل بن عمرو بن الحارث، الأصبحي نسبة إلى ذي أصبح من حمير، المدني نسبة إلى المدينة دار إقامته، أختلف في تاريخ ولادته والآراء بين سنة 90 وسنة 97هـ والأرجح حسب القاضي عياض هو سنة 93هـ عام موت أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالمدينة المنورة، ومالك هو إمام هو دار هجرة الرسول محمّد صلى الله عليه وسلم، الوارث لحديث الرسول الناشر في أمته الأحكام والفصول قال ابن سهيل-عن مالك: "نحن قوم من ذي أصبح قدم جدنا المدينة فتزوج في التيميين فكان معهم فنسبنا إليهم" فأبوه هو أنس بن مالك من تابع التابعين، وأحد رواة الحديث، وأمّه العالية بنت شريك بن عبد الرحمان بن شريك الأسدية، وقيل اسمها طُليحَة مولاة عبيد الله بن معمر.، وهو إمام دار الهجرة، وأحد أئمة المذاهب السنية الأربعة المشهورة، أشتهر بكتابه الموطأ (للإمام مالك فاطمة أم البهاء، ويحي وكانا يحفظان الموطأ، ومحمد وحمادة) رغم وجود مؤلفات أخرى له (منها رسالة في القدر، كتاب في التفسير لغريب القرآن وغيرهم) قال ابن وهب: سمعت مناديا ينادي بالمدينة، "ألا لا يفتي الناس إلاّ مالك بن أنس وابن أبي ذئب"، توفي في ربيع الأول من سنة 179هـ/795م ودفن بالبقيع. وقد أثنى العلماء على الإمام مالك في عصره وبعده وإلى اليوم منهم الإمام الشافعي رحمة الله عليه إذ ذكر ابن مخلوف وغيره قوله: "مالك أستاذي وعنه أخذت العلم وجعلت مالكا بيني وبين الله حجة، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ولم يبلغ أحمد مبلغ مالك في العلم لحفظه وإتقانه وصيانته، وما على الأرض كتاب أقرب إلى القرآن من كتاب مالك بن أنس الموطأ". للتوسع في سيرة الإمام مالك رحمة الله عليه أنظر: القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،** تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، 1387هـ/1967م، 1/ ص102 وما بعدها. ابن عبد البر، الانتقاء، ص36 وما بعدها. ابن فرحون المالكي: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،** دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م، ص56 وما بعدها. مالك بن أنس: **الموطأ رواية يحي بن يحي الليثي،** دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، مصر، 1432هـ/2011م، ص 7-22. محمّد بن محمّد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،** دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص 52 وما بعدها.

[3] ربيعة ابن أبي عبد الرحمان فرّوخ، مفتي المدينة(ت136هـ/753م)، قال فيه تلميذه الإمام مالك بن أنس: "ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن". أنظر: الذهبي: السير، 54/5-58.

[4] عامر بن شرحيل بن عبد بن كبار، أبو عمرو الهمداني (28-104)هـ، قال فيه ابن عيينة: "علماء الناس ثلاثة.. والشعبي في زمانه..". أنظر: الذهبي، السير، 158/4-170.

أُختلف في تبعية المذاهب الفقهية لإحدى المدرستين، فنجد "ابن قتيبة" في كتابه "المعارف" يعدّ الأئمة أبا حنيفة ومالك والشافعي من أهل الرأي، أمّا الإمام أحمد بن حنبل من أهل الحديث[2]. أمّا "الشهرستاني" في الملل والنحل، وابن خلدون في مقدمته وغيرهما، فيعدون الإمام أبا حنيفة من مدرسة أهل الرأي، وأمّا مالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل من مدرسة الحديث، والكثير يعتبر الإمام الشافعي كان من رأي أهل الحجاز، ثمّ جمع بين المدرستين، وأوجد لنا مذهبا جديدا قائما على علم جديد، هو "علم أصول الفقه"[3] وكان هو مؤسسه[4] ولكن المتعارف عليه هو أنّ مدرسة أهل الحديث قد ضمّت:المذهب المالكي، الشافعي، الحنبلي، ومذاهب لم يكتب لها البقاء، أمّا مدرسة أهل الرأي فقد تزعمها الإمام "أبو حنيفة النعمان".

وهناك مذاهب فقهية ربما ابتعدت في اجتهاداتها عن النهج الذي اتبعه أهل السنّة، لكنها تعدّ من المذاهب الفقهية التي لها أصحابها واجتهاداتها وتراثها الفقهي، منها مذهب الإباضية، وهم المعتدلون من الخوارج، أو المحكّمة[5] حسب كثير من المراجع، وأصحاب المقالات السنيين في العهد

---

[1] فرج حسين، المرجع السابق، ص145.

[2] أبو محمد عبد الله بن مسلم، **المعارف لابن قتيبة**، حققه وقدم له د. ثروت عكاشة، دار المعارف، ط2، مصر، 1969م، ص 495 وما بعدها. أحمد فرج، المرجع السابق، ص 190.

[3] **علم أصول الفقه**: قبل أن يصبح علما نجده قد مرّ بمراحل منذ عهد الصحابة، لكن الإمام الشافعي هو أول من قعّد له، وألّف فيه كتابا خاصا سمّاه "الرّسالة"، وقد جمع فيه ما بين مدرستي أهل الحديث وأهل الرأي، أمّا تعريفه الاصطلاحي فهو: العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. وللتوسع في هذا العلم، أنظر: ابن خلدون: تاريخ، 573/1-579. عبد الوهاب خلاّف، **علم أصول الفقه**، الزهراء للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1993. محمد الأمين بن مختار الشنقيطي، **مذكرة أصول الفقه**، الدار السلفية، الجزائر، د.س.ط.

[4] للتوسع، أنظر: ابن خلدون: تاريخ، 564/1. أحمد فرج، المرجع السابق، ص190. إبراهيم حسن: تاريخ، 271/2.

[5] **المحكّمة**: أثناء واقعة صفين عام 36هـ/656م، بين صفّ علي بن أبي طالب، وصف معاوية بن أبي سفيان، رحمة الله عليهما، وافق الإمام علي، على مطلب معاوية عندما رفع المصاحف فوق السيوف، وقال "فلنحتكم إلى القرآن"، وعندما توقف القتال وتمّ اختيار الحكمين (أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس) في النهاية، عام 37هـ، خرجت مجموعة وقالت "لا حكم إلاّ لله"، ورفضوا تحكيم علي للحكمين، فسموا بالمحكّمة. للتوسع أنظر: أبو عمرو خليفة بن خياط، **تاريخ خليفة ابن خياط**، راجعه مصطفى نجيب فوّاز، وحكمت كشلي فوّاز، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م، ص 115-119. ابن الأثير، الكامل، 175/3. ابن خلدون، تاريخ، 266/1 وما بعدها. مصطفى

الأموي اتبعت الأندلس مذهب الإمام أبي عمرو الأوزاعي (ت157هـ/774م) وهو إمام مذهب أهل الشام[1] ثم انتقلت إلى مذهب الإمام مالك.

ساد المذهب المالكي[2] أرجاء متعددة من عواصم العالم الإسلامي، فقد وُجد في العراق وساد أرض مصر[3] وبلاد المغرب والأندلس، وقد أخذوا بحظ وافر في تحصيل فقهه، كما كان مالك يجل

ابن ادريسو، **الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، نشر جمعية التراث، 1424هـ /2003م، ص 40 وما بعدها. جهلان، المرجع السابق، 31.

[1] سآتي على تفاصيل المذهب ودخوله الأندلس في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

[2] **المذهب المالكي**: ينسب المذهب المالكي للإمام مالك بن أنس الذي سبقت ترجمته، وهو واحد من المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة عند أهل السنّة، نشأ المذهب في المدينة أين عاش النبي محمّد صلى الله عليه وسلم، والمدينة كانت مقر الخلافة الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين، والمدينة كانت حافظة للسنّة (الأحاديث النبوية) رغم انتقال مركز الخلافة للشام والعراق، ففيها عديد الصحابة والتابعين كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب، وربيعة الرأي وغيرهم رضوان الله عليهم، ومن علم هؤلاء خرج الفقه المالكي، خاصة إذا علمنا أنّ الإمام مالك لم يخرج من المدينة إلا للحج، ويعد موطأ الإمام مالك عمدة العلماء في الحديث بل من السباقين للتأليف فيه كما سنعرف، ويتميز المذهب المالكي من جهة أصوله بعد أن ظهرت معالمه وتشكلت مدرسته على مزايا وخصوصيات جمعها الأستاذ محمّد التأويل من أهمها: وفرة مصادره وكثرة أصوله المتمثلة في الكتاب والسنة والإجماع، وعمل أهل المدينة، والقياس، والاستحسان، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا، والاستصحاب، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، والعرف، والاستقراء، والأخذ بالأحوط، ومراعاة الخلاف، وهناك فروع قد تتفرع من هذه الأصول العامة. لهذا عدّ المذهب المالكي من أغنى المذاهب التي منحت العلماء وسائل الاجتهاد وأدوات الاستنباط. كما يتميز المذهب المالكي بأنّ أصوله جمعت بين النقل الثابت والرأي الصحيح المستمد من الشرع، هذه الازدواجية بين العقل والنقل والأثر والنظر، أي عدم الجمود على النقل، أو الانسياق وراء العقل، هي الميزة التي فرقت بين المذهب المالكي عن مدرسة المحدثين ومدرسة أهل الرأي، وهي سر وسطيته وانتشاره كما ذكر الأستاذ، وهي سر إقبال الكثير عليها، بما فيهم أهل الأندلس كما سنعرف في رسالتنا هاته. للتوسع في سيرة الإمام مالك رحمة الله عليه ومذهبه أنظر: عياض، 1/ ص102 وما بعدها. ابن عبد البر، الانتقاء، ص36 وما بعدها. ابن فرحون: الديباج، ص56 وما بعدها. مالك بن أنس: **الموطأ رواية يحي بن يحي الليثي**، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، مصر، 1432هـ/2011م، ص 7-22. بن مخلوف: شجرة النور، ص 52 وما بعدها. عبد الحميد الجياش: **التعريف بالفقه الإسلامي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، مكتبة الزهراء للنشر والتوزيع، ليبيا، 1430هـ/2009م، ص63-64. بن حنفية العابدين: **كيف نخدم الفقه المالكي**، دار الإمام مالك، ط2، الجزائر، 1434هـ/2013م، ص214 وما بعدها. محمّد التّاويل: **خصائص المذهب المالكي**، الدروس الحسنية بالمغرب، الخميس 7 رمضان 1425هـ/ 21 أكتوبر 2004م، ص4-5.

[3] اختلفت المصادر في تحديد أول من أدخل مذهب مالك لمصر، فمنهم من يرى عبد الرحمن بن القاسم، قال في حقه مالك ابن القاسم فقيه. ومنهم من يرى عثمان بن الحكم الجذامي وهو من الطبقة الأولى التي أخذت عن مالك، قال عنه صاحب

طلبته من المغاربة والأندلسيين، وقد أشارت كتب الطبقات لنماذج كثيرة تدل على ذلك، وسآتي على بعضها في طيات هذه الرسالة. وقد ذكر القاضي عياض في مداركه بشأن المذهب المالكي في الأندلس:" وأمّا أهل الأندلس فكان رأيهم منذ فُتحت على رأي الأوزاعي إلى أن رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمان، وقرعوس بن العباس، والغازي بن قيس، ومن بعدهم، فجاءوا بعلمه، وأبانوا للناس فضله واقتداء الأمّة به، فعُرف حقّه ودُرس مذهبه، إلى أن أخذ الأمير هشام بن عبد الرحمان(172- 180هـ) الناس جميعا بالتزام مذهب الإمام مالك وصيّر القضاء والفُتيا عليه، فالتزم الناس بها من يومئذ هذا المذهب"[1]

دخل مذهب الإمام مالك إلى الأندلس كما دخل إلى بلاد المغرب الإسلامي[2]، وأصبح الغرب الإسلامي جله مالكيا، ونشر طلبته آراءه الفقهية والعقدية، وأصبحوا حملة لواء السنّة في الدفاع عن العقيدة، وعن وحدة الأندلس المذهبية، حتى بدأ مذهب الإمام الأوزاعي ينحسر عنها.[3] وللعلم فإنّ المذهب المالكي توسّع حتى وصل ثلاث قارات وصاحبه على قيد الحياة[4].

فكيف استطاع المذهب المالكي الدخول إلى الأندلس وقد ظهر في المدينة المنورة؟ وما الأسباب التي أدت لتوسعه على حساب المذهب الأوزاعي؟ وكيف ارتبطت السلطة السياسية (العهد الأموي والطوائف) بالسلطة الدينية (المذهب المالكي) في الأندلس دون غيرها تقريبا من بقية الأمصار والأقاليم؟

الديباج هو أول من أدخل علم مالك لمصر (ت163هـ). ابن فرحون، الديباج، 239 وما بعدها، وترجمة عثمان بن الحكم ص287. أبو زهرة، مالك، ص425. الهروس، المقال السابق، ص207.

[1] القاضي عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،**، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرّباط، 1965م، 1/26-27.

[2] يعتبر علي بن زياد أول من أدخل موطأ مالك لإفريقية بالعدوة المغربية عياض، المدارك، 1/186وما بعدها. المجدوب، الصراع المذهبي، ص45. الهروس، المقال السابق، ص207.

[3] إبراهيم التهامي، **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط1، سوريا، 1426هـ/2005م، ص39 و40.

[4] عمر الجيدي، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987، ص29.

في الوقت الذي نتحدث فيه عن المذهب المالكي بالأندلس نجد الدكتور الطاهر أحمد مكي يطلق عن مالكية الأندلس حكما جاء فيه:"إذا كانت إسبانيا الأموية قد عُرفت دائما بأنّها قلعة حصينة من قلاع أهل السنة المحافظين، فإنّها قد اشتهرت في الوقت نفسه بأنّها من أقوى حصون المذهب المالكي، لكنها مالكية جامدة، ومن ثمّ يصحّ لنا أن نطلق عليها اسم مالكية الأندلس"[1] فهل فعلا مالكية الأندلس مالكية جامدة؟

المبحث الأول: دخول المذهب المالكي وعوامل انتشاره في الأندلس:

أولا- دخول المذهب إلى الأندلس:

وصل المذهب المالكي إلى الأندلس مبكرا في حياة الإمام مالك بن أنس، ولكن الدارسون[2] اختلفوا في تحديد أول فقيه أدخل المذهب إلى الأندلس، بما فيه كتاب الموطأ[3] للإمام مالك، ومرد

---

[1] لا يمكن الحكم إجمالا على أنّ فقهاء المالكية اتصفوا كلهم بهذا الجمود، وسنأتي على أمثله متفرقة تعكس ذلك في بحثنا هذا. أنظر: ملحق كتاب بروفنسال، **الحضارة العربية في إسبانيا**، تح: الطاهر أحمد مكي، تحت عنوان المذهب المالكي في الأندلس وإسهامات المذاهب الأخرى، المرجع السابق، ص 149.

[2] منهم المستشرق جنثالث آنخل بالنثيا، وعمر الجيدي، ومصطفى الهروس وغيرهم، وجميعهم لهم بحوث عن المذهب المالكي في الأندلس ودراساتهم جادة كما سنذكرهم في مواضع هذا الفصل.

[3] **الموطأ**: أول كتاب ألف في الحديث، نقحه الإمام أربعين سنة، وقد ذكر القاضي عياض في مداركه ناقلا "ما كتاب بعد كتاب الله أنفع للناس من الموطأ، وقال لا أعلم من علم الإسلام بعد القرآن أصح من موطأ مالك"، وللخليفة أبو جعفر المنصور بدلا من ابنه المهدي دور في الدفع لتأليفه، فمن جملة الروايات أنّه قال للإمام مالك: "ضع للناس كتابا أحملهم عليه. وقال: ضعه فما أحد اليوم أعلم منك. فوضع الموطأ ومات الخليفة قبل أن يتمّه. وفي رواية قال له: "أيا عبد الله ضع هذا العلم، ودون كتابا وجنّب فيه شدائد عبد ابن عمر رضي الله عنهما، رخص عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، وشواذ ابن مسعود رضي الله عنه، واقصد أواسط الأمور وما أجمع عليه الصحابة والأئمة". كما تذكر الروايات وهي متوفرة في الكتب أنّ الخليفة كان يريد أن يلزم به الأمة كلها ولكن مالكا رفض كون صحابة رسول الله توزعوا في الأمصار وأخذوا بآراء قد تحدث فتنا أو ما شابه هذا، كما جاء عند ابن فرحون أنّ الإمام مالك كان في موطأه نحو من عشرة آلاف حديث، فلم يزل أنظر فيه كل سنة حتى بقي هذا. وأنّ مالك ألف موطأه في أربعين سنة حتى ألف معاصروه عدّة موطآت ولكن لم يكتب لها البقاء لأنّها كتبت على غير وجه لم يرد به وجه الله كما قال مالك. للتوسع أكثر أنظر: ابن فرحون، الديباج، ص 72 وما بعدها. القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 100/1 وما بعدها.مالك بن أنس: **الموطأ**، تح: محمد مصطفى الأعظمي مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1425هـ/2004م، مج1/ 72 وما بعدها.

اختلافهم هو الغموض الذي وُجد في المصادر كما سنبين في هذا المبحث، وفي الوقت نفسه اتفقوا على أنّ الأندلسيين هم من أدخلوه لبلدهم وليس غيرهم من الوافدين، وقد أوضح الناصري رأيا يقول:" والمعروف أنّ مذهب مالك ظهر أولا بالأندلس، ثم انتقل منها إلى المغرب الأقصى أيام الأدارسة"[1] وبالتالي يكون وجوده في الأندلس سابقا لدخوله للمغرب الأقصى على الأقل.

وقد أشار إلى هذا الغموض والاختلاف بوضوح المستشرق الإسباني آنخل جنثالث بالنتيا في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي (تاريخ الأدب الأندلسي) عندما كتب "لا زالت مسألة من أدخل المالكية إلى الأندلس غامضة"[2] فهل كان دخوله مع الغازي بن قيس أو زياد بن عبد الرحمان (شبطون)، أو مع يحي بن يحي الليثي كما يرى آخرون، وفيما يلي أعرض لبعض الآراء التي وثقتها المصادر:

1)الرأي الأول القائل بالغازي بن قيس:

يرى البعض أنّ الغازي هو أول من أدخل المذهب إلى الأندلس، فابن القوطية في تاريخه ذكر:"وفي أيام عبد الرحمان بن معاوية دخل الغازي بن قيس الأندلس بالموطأ عن مالك بن أنس، وقراءة نافع"[3] وذكر ابن الفرضي في تاريخه: "رحل في صدر أيام عبد الرحمان بن معاوية فسمع من مالك بن أنس الموطأ، وسمع من محمد بن عبد الرحمان بن أبي ذئب، وعبد الملك بن جريج..."[4] وكذلك القاضي عياض في مداركه حين كتب: "رحل قديما فسمع من مالك الموطأ...وهو أول من

[1] الناصري، الاستقصاء، 113/1.

[2] بالنثيا، تاريخ الفكر، ص417. كما ناقشها بعده كثير من الباحثين منهم: عبد السلام أبو سعد: "سيادة الفقه المالكي في الأندلس"، **مجلة كلية الدعوة الإسلامية**، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية، العدد 18 لسنة 2001م، ص143-145. مصطفى الهروس: **المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1418هـ/1997م، ص35-36. عمر الجيدي: **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 2016م، ص24-25. وغيرهم.

[3] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 58.

[4] ابن الفرضي، تاريخ، ص308.



أدخل موطأ مالك وقراءة نافع الأندلس". وإلى ذلك أيضا ذهب الزبيدي[1] وغيره ولا بأس أن نترجم للغازي هنا.

أ) **أبو محمد، الغازي بن قيس القرطبي (ت199هـ/814م)**: ذكره الحميدي والضبي بالغاز (هكذا) بن قيس وهو خطأ، رحل أيام حُكم عبد الرحمان بن معاوية إلى لمشرق فسمع من مالك كتاب الموطأ، ومن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، وعبد الملك بن جريج وأبي عمرو الأوزاعي، ومحمد بن وردان وغيرهم، وهو أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس بل قيل إنّه كان يحفظه ظاهرا، وكان بعض الطلبة يحفظونه كذلك ويمتحنون الغازي إذ قدّموا بعض الأبواب وأخروا أخرى، وكان يرد عليهم حتى اكتشف أنّهم يفعلون ذلك عمدا ليُظهروا مدى حفظه فنهاهم، وأدخل الغازي أيضا قراءة نافع إذ قرأ القرآن على نافع بن أبي نعيم، قال فيه أبو عمر المقرئ "وكان جيدا فاضلا عالما أديبا ثقة مأمونا" وقد نفع الله بعلمه في الأندلس خلقا كثيرا، منهم ابنه وعبد الملك بن حبيب وأصبغ بن خليل وعثمان بن أيوب وغيرهم، ويذكر أنّه عُرض عليه القضاء فأبى، وقد قال الغازي:"والله ما كذبت منذ اغتسلت" وقال لو لم أسمع عمر بن عبد العزيز قال هذا ما قلته[2]، وقد ذكر القاضي عياض بأنّ القاضي مصعب بن عمران قد شاور الغازي بعد موت صعصعة بن سلاّم، وأنّه كان عالما وكان يروي أحاديث كثيرة، وقيل فيه :"كان عاقلا نبيلا يروي حديثا كثرا ويتفقه في المسائل، رأسا في علم القرآن، متهجدا بالقرآن، كثير الصلاة بالليل"[3].

---

[1] عياض، ترتيب المدارك، 199/1. الخشني، المصدر السابق، ص291-292. ابن الفرضي، تاريخ، ص308. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1973م، ص254-256.

[2] عياض، المدارك، 199/1-200. ابن فرحون المالكي (القاضي إبراهيم بن نور الدين ت799هـ)، **الديباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب**، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م، ص314. ابن الفرضي، تاريخ، ص308-309. الضبي، البغية، ص384. الحميدي، الجذوة، ص291.

[3] عياض، المدارك، 199/1-200. ابن فرحون، الديباج، ص314. ابن الفرضي، تاريخ، ص309. مخلوف، شجرة،1/ 63. القاضي عياض، ترتيب، 348/1 و349. الخشني، المصدر السابق، ص291 و292. ابن الفرضي، المصدر السابق،

2)الرأي الثاني القائل بزياد بن عبد الرحمان (شبطون):

ذكر القاضي عياض أنّ زيادا أدخل الموطأ متقنا مكملا ومثقفا بالسماع، وأشار إلى ذلك السلاّوي بقوله:"وكان ظهوره بالأندلس على يد الفقيه زياد بن عبد الرحمان المعروف بشبطون، فهو أول من أدخله الأندلس...فلما ظهر مالك رضي الله عنه بالمدينة وعظم صيته وانتشرت فتاويه بأقطار الأرض، رحل إليه جماعة من أهل الأندلس والمغرب كان من أمثلهم وأسبقهم شبطون وقرعوس بن العباس..."[1]

ولا بأس أن أترجم لزياد في هذا الموضع:

ب) **أبو عبد الله، زياد بن عبد الرحمن بن زهير اللخمي، شبطون القرطبي (ت199هـ)**: من نسل حيي بن أخطب، وقيل من أبناء حاطب بن أبي بلتعة، يكنى أبا عبد الله، فقيه الأندلس، رحل إلى المشرق في السنة الثانية من حكم هشام بن عبد الرحمان، سمع من مالك كتاب الموطأ، وله عنه سماع معروف بسماع زياد، وسمع من معاوية بن صالح القاضي، وروى عن الليث بن سعد وعبد الله بن عقبة، وسليمان بن بلال وغيرهم، ويعد زياد أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس مثقفا بالسماع منه، وهو من نصح يحي بن يحي الليثى بالتوجه لمالك بعدما سمع منه الموطأ وسماعاته قبل رحلته، وقد قال عنه يحي بن يحي: زياد أول من أدخل إلى الأندلس علم السنن، ومسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه والأحكام، وقد سمى الأندلسيون زياد بفقيه الأندلس، وذكر عياض نقلا عن الشيرازي أنّ أهل المدينة يسمون زياد فقيه الأندلس، وذكر صاحب شجرة النور الزكية أنّه الحافظ المتفنن الجامع بين الزهد والورع، وأنّه أول من أدخل الأندلس الموطأ متفقها بالسماع. ويُذكر أنّ الأمير هشام أراد تولية زياد القضاء، فخرج زياد هاربا بنفسه، وقال زياد لوزراء الأمير هشام عندما

ص 309. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1973، ص 254-256.

[1] عياض، ترتيب، 1/349-353. السلاوي، الاستقصاء، 1/113. وللتوسع أنظر: الخشني، **قضاة قرطبة**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت لبنان، 1410هـ/1989م، ص28. الخشني، أخبار، ص95-98. ابن الفرضي، تاريخ، 145-146.

عرضوا عليه القضاء: إذا أكرهتموني فزوجتي طالق ثلاثا، فقال الأمير هشام: ليت الناس كلهم كزياد، حتى أكفي أهل الرغبة في الدنيا، ثم أمّنه فرجع إلى قرطبة، وكان الأمير هشام يؤثر زياد ويكرمه ويسهم إليه ويخلو به وبسائله عما يعين به أمور دينه، فيأخذ برأيه ويبالغ في بره، أختلف في تاريخ وفاته مابين 193، 199، 204هـ[1]

تحامل البعض على زياد ومنهم ابن القاسم، فقد قال يحي بن يحي بأنّه عرض سماعات زياد على ابن نافع وابن القاسم، فردّ عليه ابن القاسم مسألة، وقال لي: كذب زياد على مالك، وما سمع هذا منه قط، فقمت وأخذت الكتاب وطويته وأدخلته كمي، فقال إقرأ، فقلت زياد أجل في نفسي من أن أعرضه مثل هذا، فاحتشم ابن القاسم وقال لي اقرأ فوالله لا عدت لمثلها أبدا، فقرأت[2] وكذلك كان محمد بن عيسى الأعشى سيء الرأي في زياد، وذكر أنّه فعل المستحيل لينسى علم زياد لكنه بقي في صدره، ولما سأل عن سبب هذا التحامل، قال: "لأنّ زيادا لم يكن شيئا، وكان علمه باردا"[3]

وفي الوقت ذاته قال في حقه الأمير هشام بن عبد الرحمان: "عجبت الناس وبلوتهم فما رأيت رجلا يُسِر من الزهد أكثر مما يُظهر إلاّ زياد بن عبد الرحمان"، وقال في حقه أيضا: "اللّهمّ أعني على طاعتك بمثل هذا" وذلك لما ذهب الأمير إلى دار زياد ليلا وقدم له مالا كثيرا ليتصدق به على من يراه أهلا، ورفض زياد عرض الأمير زهدا وخوفا[4]، بمثل هؤلاء العلماء استطاع المذهب المالكي التمكّن في أرض الأندلس وأقبل العامة عليه ورضخ الأمراء لحامليه.

---

[1] للتوسع أكثر والاستزادة من فضل زياد أنظر: الخشني، **قضاة قرطبة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، لبنان، 1410هـ/1989م، ص28. الخشني، أخبار، ص95-98. ابن فرحون، الديباج، 193-194. عياض، ترتيب المدارك، ص200-201. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص131-132. محمد بن محمد بن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349، 63/1. محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرّج حواشيه وعلّق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ،/2003م، 94/1.

[2] عياض، ترتيب، 202/1.

[3] نفسه، 202/1.

[4] نفسه، 202/1.

3) **الرأي الثالث القائل بيحي بن يحي الليثي:**

يعتبر هذا الرأي ضعيفا، ومرد قائله أنّ يحي له رواية للموطإ وقد استعملتها في رسالتي، وأنّه أدخله مكملا مثقفا بالسماع[1] وذكر المقّري أنّ المذهب دخل الأندلس في عهد دولة الحَكَم بن هشام، وانتقلت الفتوى إلى رأي مالك في قرطبة وجميع الأندلس[2] إذ في عهد الحَكم أصدر أمرا بأن تكون الفتيا والقضاء على رأي مالك بن أنس والواقع أنّ المذهب انتشر في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن وليس في عهد ابنه الحَكم خاصة وأنّ هشاما قد قرّب إليه فقهاء المالكية كزياد بن عبد الرحمن باحثا عن سند شرعي يبيح لهم تأسيس الإمارة في ظل وجود الخلافة الشرعية السنية في العراق كما سأبيّن. ولا بأس أن أعرّف بيحي في هذا الموضع:

ت) **أبو محمد، يحي بن يحي بن كثير بن وسلاس الليثي، القرطبي (ت234هـ/819م)**:
يعرف أيضا بابن أبي عيسى، وجده كثير بن وسلاس بن شملل (شمّال) بن منقايا، وهو المكنى بأبي عيسى، وهو الداخل إلى الأندلس من قبائل مصمودة من طنجة، وقد تولى بني ليث فنسب إليهم[3] ويحي بن يحي الأندلسي ليس هو نفسه يحي بن يحي الذي يروي عنه الإمام البخاري ومسلم فذاك يحي بن يحي بن بكر الحنظلي التميمي[4]

سمع يحي بن يحي من زياد بن عبد الرحمان موطأ مالك، كما سمع من يحي بن مضر، وذكر القاضي عياض أن يحي كان يأتي مجلس زياد ويسمع لكلامه، فأعجب زياد به وأدناه يوما منه وقال له: "يا بني إن كنت عازما على التعلم فخذ من شعرك وأصلح زيّك"، ففعل يحي ذلك وسرّ زياد بذلك، واجتهد في تعليمه حتى أصبح من خيرة طلبته[5] ثم شجع زياد يحي بن يحي لطلب العلم والارتحال إلى منابعه ورجاله، فرحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة، فسمع

---

[1] مجهول، تاريخ الاندلس، تح: بوباية، ص176.

[2] المقّري، النفح، 202/4.

[3] الخشني، أخبار، ص348. ابن الفرضي، تاريخ، ص431. ابن عبد البر، الانتقاء، ص105. الحميدي، الجذوة، 345.

[4] محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي: **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، مطبعة إدارة المعارف بالرباط، 1340هـ/ وأكمل بمطبعة البلدية بفاس، 1345هـ. 98/3.

[5] ابن الفرضي، تاريخ، ص 431. عياض، ترتيب 310/1.

من مالك بن أنس في السنة التي توفي فيها غير أبواب في باب الاعتكاف شك في سماعها فأخذها عن زياد، وسمع من نافع بن أبي نعيم، ومن القاسم بن العمري وغيرهما في المدينة، وفي مكة سمع من سفيان بن عيينة، وبمصر من الليث بن سعد الذي أخذ منه سماعا كثيرا، وأخذ عن ابن وهب موطأه وجامعه، ومن ابن القاسم مسائله التي حملها في عشر كتب كبار، وكذلك سماع ابن القاسم عن مالك، وقد دوّن يحي ذلك ورجع في رحلة ثانية إلى المدينة ليسمع من مالك ويسائله فوجد مالكا عليلا، فآثر البقاء في المدينة إلى أن توفي مالك وحضر جنازته[1].

سمّى الإمام مالك رحمة الله عليه يحي بعاقل أهل الأندلس[2] وقد خالف يحي مالكا في ترك القنوت آخذا برأي الليث بن سعد، وكذلك مسائل أخرى[3].

قدم يحي الأندلس ومعه علم غزير، فدارت عليه الفتيا بعد عيسى بن دينار، وانتهى السلطان والعامة إلى رأيه، لكن لم يكن له بصر بالحديث، وكان يشبه مالكا في سمته وهيبته، بل قيل عنه أنّه لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس مذ دخلها الإسلام من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر ما أعطي ليحي بن يحي[4]

قال فيه وفي حقه الفقيه المالكي محمد ابن لبابة: "فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب، وراويها يحي بن يحي الليثي"[5]

---

[1] عياض، ترتيب، 310/1. ابن الفرضي، تاريخ، ص431. الحميدي، الجذوة، ص345-346. ابن عبد البر، الانتقاء، ص106.

[2] تعود قصة التسمية إلى حادث فيل المدينة، حيث ذكر الحميدي بأنّ يحي كان في مجلس مالك بن أنس ومعه جماعة من صحبه، فقال قائل: قد حضر الفيل، فخرجوا ولم يخرج يحي، فقال له الإمام: لماذا لم تخرج لتنظر للفيل وهو غير موجود في بلادكم؟ فقال له يحي: لم آتي للمدينة لأرى الفيل وإنّما رحلت لأشاهدك وأتعلم من علمك وهديك، فأُعجب مالك بذلك وسماه عاقل أهل الأندلس. الحميدي، الجذوة، ص346.

[3] ابن الفرضي، تاريخ، 431. ابن عبد البر، الانتقاء، 105-109. الخشني، أخبار الفقهاء، ص348-367. عصام الدين شبارو، **الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م، ص142.

[4] ابن عبد البر، الانتقاء، 106، 109. ابن الفرضي، تاريخ، ص431.

[5] ابن خاقان، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمّار، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص234-235. ابن الفرضي، تاريخ ص432.

ونظرا لجهود يحي بن يحي في نشر المذهب المالكي وترسيخه فقد روى عنه جمع من الفقهاء منهم ابناه عبيد الله وإسحاق، وأبو عبد الله محمد بن وضاح، زياد بن محمد بن زياد شبطون وغيرهم[1]

شارك الفقيه يحي مع الفقهاء الذين ثاروا على الأمير الحكم بن هشام كما سنوضح في الفصل الخامس، ثم فرّ إلى طيطلة عند الفقيه سعيد بن عبدوس، ولما أعطي الأمان رجع إلى قرطبة[2] وفي عهد الأمير عبد الرحمان بن الحكم نال المكانة كما سنرى وهذا ما جعل البعض يرى بأّن المذهب انتشر في عهده أكثر ممن سبقوه، وما يروى أنّ الفقيه يحي بن يحي كان على خلاف بينه وبين القاضي يحي بن معمر بن عمران[3] فإنّ الفقيه لمكانته قد استطاع عزل القاضي، ثم ارجع بعد ذلك[4].

توفي يحي في جمادى الآخرة سنة 234هـ وهو ابن اثنين وثمانين سنة.

من خلال كل ما سبق، نصل إلى حقيقة مفادها أنّ **الغازي بن قيس** هو أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس، إذ رحل إلى المشرق في عهد الأمير عبد الرحمان الداخل بن معاوية، وسمعه من الإمام مالك مباشرة إلاّ أنّ الإمام مالك لم يكن قد نقح وهذب موطأه بعد، ورجع الغازي إلى الأندلس في نفس فترة حكم الأمير عبد الرحمن بن معاوية، أي حينها كان الفقيه زياد لم يخرج من الأندلس بعد، ولكن الذي أدخله منقحا وتاما مع فقه الإمام مالك فهو **زياد بن عبد الرحمن** الذي رحل إلى المشرق في عهد الأمير هشام، ولما رجع تفرغ لنشره وإسماعه وتفقيه الناس على

---

[1] الحميدي: جذوة، ص346.

[2] ابن الفرضي، تاريخ، ص 432. الخشني، أخبار، ص361.

[3] تولى القضاء مرتين، ترجمته عند: الخشني: قضاة قرطبة، ص 103-109، 112-115. ابن الفرضي: تاريخ، ص 430. الحميدي: جذوة، ص 343. الضبي: البغية، ص442.

[4] يذكر بأنّ القاضي يحي ترك وصية لابنه مفادها أنّه إن مات، يذهب لقرطبة عند الفقيه يحي ويقول له: إن يحي بن معمر "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُون" الشعراء: 22. فبكى يحي حتى ابتلت لحيته، ثم قال: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون" ما أظنّ الرجل إلاّ خدعنا فيه، ووشي بيننا وبينه، ثم ترحم عليه واستغفر له. الخشني: قضاة، ص114.

مذهبه[1] وأمّا **يحي بن يحي** فله رواية للموطأ ويعد أحد طلبة الإمام مالك وعرف وقته سيادة فقه مالك على جميع المذاهب الأخرى إلاّ أنّ من قبله سبقوه في إدخال المذهب، وإدخال كتاب الموطأ.

ثانيا– عوامل انتشار المذهب المالكي:

أسهمت عدّة عوامل سياسية ودينية واجتماعية في انتشار المذهب المالكي بالأندلس في عهد الأمير هشام على الخصوص والعهد الأموي على العموم، ورغم أنّ البعض عدّها عوامل وأسباب داخلية وأخرى خارجية، فإنّي سأحاول إجمال ذلك فيما يلي:

1) رحلة أهل المغرب والأندلس غالبا إلى أرض الحجاز وذلك لأداء مناسك الحج والعمرة، وقد قال في هذا الصدد ابن خلدون:"وأمّا مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان في غيرهم إلاّ أنّهم لم يقلدوا غيره إلاّ في القليل لما أنّ رحلتهم غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا عن الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك"[2] وبالتالي كان لزاما عليهم دخول مدينة رسول الله، وهناك يسمعون من مالك ويأخذون عنه، وقد توقف الدكتور بوتشيش عند التفسير البيئي الحضاري واعتبر أنّ ظاهرة عدم رحلة الأندلسيين إلى العراق لم تقتصر على المغرب والأندلس فقط، بل أيضا على بعض الأقطار الإسلامية الأخرى، ولم تكن هناك نفس النتيجة[3]

2) طبيعة أهل الأندلس والمغرب، فهم أميل إلى طبيعة أهل الحجاز في البداوة كما يذكر ابن خلدون، على عكس أهل العراق حيث يقول "فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا

---

[1] مولاي الحسين ألحيان، **قرطبة والمذهب المالكي**، ندوة التراث المالكي في الغرب الإسلامي، سلسلة ندوات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1998م، 111.

[2] ابن خلدون، تاريخ، 568/1.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، "صحوة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري محاولة تفسير"، ضمن **كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2006م، ص 90 وما بعدها.

يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا لأهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب"[1] وإن كان قول ابن خلدون هذا قد فتح عليه مجالا للنقد عند كثير من الباحثين باعتبار أنّ طبيعة الأندلس الخضراء والغنية بالمياه، وذات المناخ الحسن ليست كطبيعة الحجاز الساخنة والصحراوية من جهة، ومن جهة أخرى المدينة في هذا العهد لم يعد أهلها بدوا بل تحضرت في العهد الأموي لاهتمام الخلفاء بحواضر منطقة الحجاز، كما دخلتها كثير من التأثيرات العراقية فيما بعد، والأندلس من باب أولى، ويرى البعض أنّ تشابه البيئة في نص ابن خلدون يكتنفه الغموض إذ هل يقصد بيئة المدينة الزراعية، أو بيئة مكة التجارية، أم مناطق الحجاز الأخرى الريفية القبلية[2] ويشير بوتشيش أيضا أنّ ابن خلدون هو أول من تفطن إلى أنّ المذهب المالكي أنسب للعقلية المغربية لسهولته وبساطته، وهم يميلون للبساطة[3] ولكني ربما أحمل قول ابن خلدون على أنّ البيئتين الحجازية والأندلسية لا تقبلان إلا الفكر البسيط من دون تعقيد عقلي أو فلسفي، فهم على طبيعتهم وتقاليدهم وأفكارهم البدوية، ولم يتأثروا كثيرا بالحضارة التي في العراق وغيره والمتأثرة بالفلسفة اليونانية والحضارة الفارسية. وهذا الرأي فيه ما يقال على اعتبار أننا نجد المذهب المالكي في الأندلس قد نُقح وخُرّج، واستنبطت أصوله وفرّعوا عليها[4] أي كان للأندلسيين جانب عقلي أثر في الفقه المالكي.

---

[1] ابن خلدون: تاريخ، 568/1.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، جوان 2006م، ص91. وقد ناقش الشيخ أبو زهرة هذه المسألة وفند قول ابن خلدون في مسألة البداوة، بل وصل به القول: "أنّ إمام المؤرخين قد تجنى على قومه البربر، وتجنى على مذهب إمام المدينة، فعفا الله عنه، وجزاه عن العلم خيرا". محمد أبو زهرة، **مالك حياته وعصره**، آراؤه وفقهه، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الإعتماد، القاهرة، مصر، دون سنة الطبع، ص399-401.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش: **نشأة المدرسة المالكية بالمغرب والأندلس** (المقال في النت من دون مصدر معلومات، وقد ذكره لي شخصيا في لقاء لي معه في مكناس المغربية). ص03.

[4] للتوسع في هذه المسألة أنظر: محمد أبو زهرة، **مالك حياته وعصره**، آراؤه وفقهه، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الإعتماد، القاهرة، مصر، دون سنة الطبع، 398 وما بعدها.

والمتتبع للإمام مالك وفقهه يجده لم يكن يدخل في المسائل العقلية التي انتحلها المتكلمون، ومثال ذلك ما ذكره القاضي عياض في مداركه "قال أبو طالب المكي: كان مالك أبعد الناس من مذاهب المتكلمين وأشدهم بغضا للعراقيين: وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين"[1] ثم روى قصة الرجل الذي سأل مالكا عن تفسير استواء الله على عرشه وإلى هذا كانت عقلية الغرب الإسلامي عموما، حيث ذكر الحميدي وغيره كيف أنّ أهل الأندلس كانوا يتركون مجالس أهل الكلام، وقدموا نماذج عن ذلك منهم أبو عمر أحمد بن محمد بن سعدي (ت بعد الأربعمائة) الذي سأله أبو محمد عبد الله بن أبي زيد إن كان قد حضر مجالس أهل الكلام، فقال أبو عمر: بلى، حضرت مجلسين من مجالس أهل الكلام في المشرق ثم تركتها، وبعد شرحه له عن سبب تركها، تعجب أبو محمد من المسائل التي كانت تناقش[2] وذكر ابن الفرضي وغيره قصة خليل الغفلة الذي كان من المتكلمين في الأندلس وما وقع له مع الفقهاء كبقي بن مخلد الذي منعه من حضور مجالسه، وهجر محمد بن وضاح له لما علم أنّ يخوض في علم الكلام، ثم أنّ كتبه التي تناولت علم الكلام قد أحرقت بعد وفاته[3] وغيرهم. لهذا البيئة المقصودة ربما هي بيئة الذهنية التي لم تخالطها الفلسفات العقلية، وإلاّ فكيف نفسر المدرسة المالكية في العراق، والمدرسة المالكية في مصر.

3) قوة رجال المذهب والهيبة التي كانت لهم والتي أسهمت في نيلهم مكانة عند المجتمع والسلطة، وهذا نفس ما كان عليه الإمام مالك، إذ شخصيته كانت تتسم بالعلم والزهد في الدنيا، وكانت تعلو وجهه مهابة، وقد قال تلميذ الإمام مالك "سعيد بن أبي هند" الملقب بالحكيم كما سماه مالك: "ما هبت أحدا هيبتي لعبد الرحمن بن معاوية حتى حججت فدخلت على مالك فهبته

[1] ربما قصد ببغض العراقيين، لانّهم يأخذون بالقياس أكثر من أخذهم بالحديث. عياض، ترتيب المدارك، 87/1.

[2] للتوسع في أهم ما وجد من نقاش في هاتين الجلستين أنظر: الحميدي، جذوة، ص96-97.

[3] سنأتي على خليل بن عبد الملك (الغفلة) في الفصل المخصص لعلماء الكلام والمعتزلة. للتوسع أنظر: ابن الفرضي، تاريخ، ص120. بروفنسال، الحضارة، ص165-167. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص324.

هيبة شديدة حتى صغرت عندي هيبة عبد الرحمن لهيبته"[1] وقد كانت للأندلسيين مكانة خاصة عند الإمام مالك وكان يقربهم إليه.

4) مدح الإمام مالك في إحدى حلقه الأمير هشام بن عبد الرحمان، وبحضور عدد من طلبته الأندلسيين حين قال: "نسأل الله أن يزيّن حرمنا بملككم" وبرواية صاحب أخبار مجموعة "وددت لو أنّ الله زين موسمنا به" فحملها الطلبة إلى الأمير هشام[2] فكان ذلك عامل قوي لتقريب الأمير هشام طلبة الإمام مالك، وفي الوقت نفسه وجد المذهب الدعم من الدولة كما سبق وأن ذكرنا.

5) دور السلاطين في حماية المذهب وأتباعه وتقريبهم، كتقريب الأمير هشام فقهاء المالكية دون غيرهم خاصة يحي بن يحي الليثي، ومحاولته كسب السند الشرعي للإمارة الأموية[3](لأنّ الخلافة العباسية الشرعية قائمة في المشرق) وكما قال الإمام أبو زهرة: "ولقد بَلغ الأمويين ثناء مالك على حكمهم في وقت لم يكن على ارتياح تام من العباسيين، فحملوا الناس على علمه، ولعل ذلك كان من التقرب للجمهور، إذ قدروه، أو زلفى لهم ليذكرهم بالخير، أو يستمر على ذكرهم به"[4] فكان نزول الحكام للجمهور لان أكثرهم يتبعون فقهاء المذهب المالكي، ولزيد الإمام مالك في ذكر حكام بني أميّة كما سبق وأن ذكرنا. وفي ذلك قال الحميدي سمعت الفقيه الحافظ أبا محمد علي بن أحمد (ابن حزم):"مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة، فإنّه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاء من قبله، فكان لا يولي قضاء إلى بلادمن أقصى المشرق إلى

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص136. هروس، المقال السابق، ص215. وقد خصص الشيخ أبو زهرة أثناء ترجمة الإمام مالك عنوان مستقل لهيبة مالك، وقال أنّ الروايات اتفقت على أنّ مالكا كان مهيبا، حتى أنّ الرجل يدخل لمجلسه فيقرئ السلام للحاضرين ولا يرد أحد إلاّ همهمة وبصوت خفيض، ويشيرون إليه أن لا يتكلم، وقد يحصل أن ستنكر القادم عليهم ذلك، لكنه ما إن يملأ العين من مالك وسمته، ويقع تحت تأثير نظراته النافذة حتى يأخذ مأخذهم ويجلس معهم وكأنّ على رأسه الطير مثلهم. محمد أبو زهرة: **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ص406-408.**

[2] ابن القوطية، المصدر السابق، ص64. مجهول، أخبار مجموعة (الأبياري)، ص 109.

[3] فرحات الدشراوي، **الصراع المذهبي في الأندلس -عهد الإمارة والخلافة-** المجلة العربية للثقافة، العدد 27، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، مارس-سبتمبر 1994، ص 12.

[4] محمد أبو زهرة: **مالك حياته وعصره-آراؤه الفقهية**، مطبعة الاعتماد بمصر، مكتبة الأنجلو المصرية، د.س.ط، ص427.

أقصى أعمال إفريقية إلاّ أصحابه والمنتمين إلى مذهبه، ومذهب مالك بن أنس عندنا(أي في الأندلس)، فإنّ يحي بن يحي كان مكينا عند السلطان، مقبول القول في القضاء، فكان لا يلي قاض في أقطارنا إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلاّ بأصحابه ومن كان على مذهبه، والناس سراع إلى الدنيا والرياسة، فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به، على أنّ يحي بن يحي لم يل قضاء قط، ولا أجاب إليه، وكان ذلك زائد في جلالته عندهم، وداعيا إلى قبول رأيه لديهم، وكذلك جرى الأمر في إفريقية لما ولى القضاء بها سحنون بن سعيد، ثم نشأ الناس على ما انتشر"[1]

وفي عهد لحكم بن هشام تحولت الفتيا والقضاء وغيرهما لرأي مالك بن أنس بأمر من الحكم كما ذكرت بعض المصادر[2] وقد وجدت عند الخشني وهو ما نقله النباهي عنه ما مفاده أنّ يحي بن يحي رفض منصب القضاء الذي أصر عليه الأمير عبد الرحمان بن الحَكم، ولما ضاق الناس بعدم وجود قاض ينظر في مشاكلهم، سأل أحدهم الأمير عن سبب ذلك، فقال: لم أجد من أثق فيه إلاّ واحد ولكنه أباه، فقيل له: إن لم يقبله فليشر عليك بقاض، ولما بلغ الفقيه يحي بذلك قال: لست أفعل، لأني إن فعلت شركته في جوره إن جار. حينها أمر الأمير صاحب الرسائل بأن يكون رقيبا على الفقيه يحي، ولما أدخل الجامع قال للخصوم: هذا قاضيكم، ودفع إليه الديوان، وبقي يحي على ذلك ثلاثة أيام وهو لا يمد يده لكتاب، ولا يتكلم مع أحد، ولما ضاق به الحال، أشار للأمير على "إبراهيم بن العباس"[3]

المتتبع تاريخيا لكلام ابن حزم فإنّه يجد فيه مبالغة من حيث أنّ يحي بن يحي كفقيه لا نقيس به بقية قضاة الأندلس من المالكية وفقهائها، وهناك دول كانت السلطة على مذهب والعامة على مذهب آخر، أي كانت الغلبة للسلطان لكن المذهب الذي يتبناه لم يسد ولم يبق في هذه المناطق كالعبيديين ومذاهب الخوارج في بلاد المغرب، والأغالبة الأحناف مع العامة من المالكية.

---

[1] الحميدي، الجذوة، ص346. ومع بعض الاختلاف البسيط عند الضبّي الذي سمعه عن غير واحد عن شريح عن أبي محمد بن حزم، الضبّي، البغية، ص447. المقّري، النفح، 230/2.

[2] مجهول: تاريخ الأندلس، تح.بوباية، ص175. المقّري: النفح، 202/4.

[3] هناك روايات في الحادثة، ولكن مفادها هو ما لخصته، للتوسع أنظر: الخشني: قضاة قرطبة، ص30. النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص29.



ذكر عمر الجيدي أنّ قول ابن حزم صحيح وقدّم أمثلة على العثمانيين الذين نشروا المذهب الحنفي بالقوة، والسعوديين الذي فرضوا المذهب الحنبلي[1]، وأشار الجيدي إلى أنّ رأي القاضي عياض يتماشى مع رأي الحافظ ابن حزم في كون المذاهب تنتشر بقوة السلطان والنفوذ، "وبعد موت الأبهري وكبار أصحابه وتلاحقهم به، وخروج القضاء عنهم إلى غيرهم من مذهب الشافعي وأبي حنيفة، ضعف مذهب مالك بالعراق وقل طلبه، لإتباع الناس أهل الرياسة والظهور"[2]

كما أشار القاضي عياض، والونشريسي لدور السلطة في نشر المذهب كهشام الرضى حيث كتب القاضي عياض "...إلى أن أخذ أمير الأندلس إذ ذاك هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الناس جميعا بالتزامهم مذهب مالك، وصيّر القضاء والفتيا عليه وذلك في عشرة السبعين ومائة من الهجرة في حياة مالك رحمه الله تعالى...فالتزم الناس هذا المذهب، وحموا بالسيف عن غيره جملة"[3]. وكذا كتب الونشريسي في حق الحَكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر، أنّه قال: "وكل من زاغ عن مذهب مالك فإنّه ممن رينَ على قلبه، وزُيِّن له سوء عمله، وقد نظرنا طويلا في أخبار الفقهاء، وقرانا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا، فلم نر مذهبا من المذاهب غيره أسلم منه، فإنّ فيهم الجهمية والرافضة والخوارج والمرجئة والشيعة، إلاّ مذهب مالك، فإنّ ما سمعنا أنّ أحدا ممن تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع، فالاستمساك به نجاة إن شاء الله[4] وقد كان الفقهاء يبايعون الأمراء على كتاب الله وسنة رسوله، ومذهب

---

[1] عمر الجيدي، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987م، هامش ص35.

[2] نقلا عن الجيدي، محاضرات، ص36.

[3] عياض، المدارك، 15/1، 16.أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب**، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1401هـ/1981م، 26/12.

[4] ذكر صاحب المعيار الحكم المنتصر بالله، وهو يقصد الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر، لأنّه هو الذي اشتهر بالعلم والفقه وأنّ مكتبته جمعت كثيرا من الكتب والنوادر وكانت له تعليقات على بعضها، أمّا القاضي عياض فقد ذكر بأنّ الحكم المستنصر بعث بكتاب للفقيه أبي إبراهيم، وكان الحكم ممن طالع الكتب ونقّر عن أخبار الرجال تنقيرا لم يبلغ شأوه كثير من أهل العلم، فقال في كتابه "وكل من زاغ عن مذهب مالك...". عياض، المدارك، 13/1. أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار** 357/6.

مالك، وقد اشترط ذلك الفقيه أبو إسحاق السبائي صراحة[1] ولهذا يمكن أنّ دور القضاة والمشاورين مهم في انتشار المذهب من خلال تعيين القضاة والفقهاء في المناصب. كما أمر خلفاء بني أمية بضرورة الأخذ بالمذهب المالكي، فمثلا نجد أنّ الحكم المستظهر قد قال: "... فتقدم إلى القاضي والحكام بالأخذ على أيدي الناس في هذا، فمن خالف مذهب مالك بن أنس رحمه الله بالفتوى أو غيره وبلغني خبره أنزلت به النكال ما يستحق وجعلته سداد وقد اختبرت فيما رأيت في الكتب أنّ مذهب مالك وأصحابه أفضل المذاهب، ولم أر في أصحابه ولا فيمن تقلد مذهبه غير السنة والجماعة فليتمسك بهذا ففيه النجاة إن شاء الله"[2] وقال أيضا: "وبلغني أنّ قوما يفتون بغير مذهب مالك بن أنس وأنهم يرخصون في الطلاق وغيره بما كثر من الفتوى وكل من زاغ عن مذهب مالك فإنّه ممن زين على قلبه وزين له سوء عمله فقد نظرت في أقاويل الفقهاء ورأيت ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا فلم أر مذهبا أنقى ولا ابعد من الزيغ من مذهبه، وجل من يعتقد مذهبا من مذاهب الفقهاء فان فيهم الجهمي والرافضي والخارجي إلاّ مذهب مالك فإني ما سمعت أنّ أحدا تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع فالاستمساك به نجاة إن شاء الله عز وجل"[3]

6) المذهب الحنفي كان المذهب الرسمي للدولة العباسية زمنا، فأرادت الأندلس الاستقلال بمذهب وجدته في المذهب المالكي، وبهذا تستقل السلطة السياسية بسلطة دينية غير التي عند العباسيين.

7)جل الذين دخلوا الأندلس في الفتح، هم من الحجاز في عهد موسى بن نصير، والشام في طالعة بلج بن بشر، فساعدهم ذلك على الاتصال بالإمام مالك وتلامذته، خاصة عند زيارة أهاليهم أو أثناء أداء الحج والعمرة.

---

[1] ذكر ذلك الجيدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، ص33.

[2] ابن سهل: **الإعلام بنوازل الأحكام وفقر من سير القضاة والحكام**، أخرجه فرحات الدشراوي من مخطوط للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، "سلسلة من نصوص ودراسات في تاريخ إفريقية والمغرب، قضية الداعي أبي الخير الشيعي المصلوب بقرطبة في عهد الحكم المستنصر بالله"، **حوليات الجامعة التونسية**، العدد01 سنة 1964م، ص70-71.

[3] قول الحكم المستنصر مكرر مع اختلاف في المصدر: ابن سهل، الإحكام، الدشراوي، ص74.

8) كان الإمام مالك مقيما في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وردت عدّة أحاديث في فضلها وفضل ساكنيها، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة"[1] قال سفيان بن عيينة: نرى المراد بهذا الحديث مالك بن أنس[2]

9) هناك قصة رواها الجغرافي المقدسي وأكد أنّه سمعها من عدّة شيوخ بالأندلس، في أنّ فريقين تناظرا يوما بين يدي الأمير هشام، فقال لهم: من أين أبو حنيفة؟ قالوا: من الكوفة، فقال: من أين مالك؟ قالوا: من المدينة، فقال: علم دار الهجرة يكفينا، فأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة، وقال: لا أحب أن يكون في عملي مذهبان[3]

10) حب مالك لأهل المغرب الإسلامي عموما وخاصة الأندلسيين حيث كان يتتبع أخبارهم فقد لقب أحدهم بالحكيم وهو سعيد بن أبي هند[4]، كما كان مالك يدني أبا عمر حفص بن عبد السلام منه، وقد لزم حفص مالكا سبعة أعوام[5] وكان عبد الرحمن بن عبيد الله وهو من أهل أشبونة مكرما عند مالك[6]

11) ذكر الجيدي بأنّ المذهب المالكي كان مناهضا لمذاهب الخوارج التي تسربت إلى بلاد المغرب في أوائل القرن الثاني الهجري قادمة من العراق، وبحكم أنّ الخوارج كانوا ينكرون إمامة الأمويين، والأندلس كانت أموية فقد عمد الحكام إلى ترسيخه ضد الخوارج[7] والواقع أنّ الفكرة إن صحت في العدوة المغربية لوجود كيانات سياسية قامت لهم (الدولة الرستمية والدولة المدرارية) ووجود

---

[1] وهناك روايات أخرى للحديث أنظر: عياض، ترتيب المدارك، 68/1 وما بعدها.

[2] للتوسع أنظر: عياض، ترتيب، ص70 وما بعدها.

[3] شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الشامي المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ط2، مدينة ليدن المحروسة، 1967م، ص 237.

[4] نفسه، ص136.

[5] نفسه، ص103.

[6] نفسه، ص210

[7] الجيدي، محاضرات، ص37.

العصبية القبلية التي تدافع عنهم ممثلة في قبيلة زناتة مثلا، فإنّ الأندلس كانت في العهد الأموي وقبيل تبني المذهب المالكي بعيدة عن فكر فرق الخوارج عموما، وكانت العلاقة السياسية بين الأمويين في قرطبة والرستميين في تيهرت حسنة كما سنوضح في الأثر السياسي للمذهب الإباضي في الفصل الثالث.

وهناك أسباب أخرى تحتاج للتعمق فيها ولم أذكرها لعدم حصولي على الدلائل عليها لغاية كتابة بحث هذا، منها مثلا ما أورده البعض من أنّ انتشار المذهب المالكي في عهد الأمير هشام لأنّه يمثل الجانب الأندلسي في الأسرة الأموية، فقد كانت أمّه أندلسية وأبوه شاميا[1]

وهكذا أصبح المذهب المالكي هو المذهب الرّسمي في الأندلس، ودارت عليه الفتيا والقضاء، وتشكلت مدرسة أندلسية مالكية، مؤسسها "زياد بن عبد الرحمان"، وتخرج منها العديد من الفقهاء، وقد اتخذ هؤلاء الفقهاء خاصة الأوائل منهم من كلام مالك عندما سئل عن الهيبة التي تعلوه فقال: "يُعلى بهذه المهابة جاه العِلم" شعارا لهم[2] لهذا لم يقبل العديد منهم المناصب الإدارية كالقضاء تورعا وزهدا فيه، كما فعل شيخهم الإمام مالك مع الخلافة العباسية، وقد خلّدت لنا المصادر العديد من الفقهاء، سنذكر بعضا منهم في المباحث الموالية.

وإذا جئنا لتفاصيل دخول وتوسع المذهب المالكي في الأندلس فإننا نعتقد أنّ التقسيم الذي وضعه الدكتور مصطفى الهروس يعد الأصوب والأوضح مقارنة بغيره من الباحثين، وقد قسمه إلى ثلاث مراحل:

---

[1] ذكر ذلك عبد السلام أبو سعد وغيره، بداية لم أجد ما يشير إلى أنّ أم هشام إسبانية، ولكن جلها يؤكد على أنّها جارية وأنّها من النساء المفضلات للأمير عبد الرحمان بن معاوية، فابن عذارى ذكر اسمها "جمال" ولم يفصّل، وذكرها الحميدي بـ حوراء ولم يفصل، وذكر المقّري بأنّها بربرية اسمها راح، وهي أم ولد ويقصد بـ "أم ولد" الجارية التي رزقت من سيدها بولد وعندئذ لا يجوز بيعها ولا هبتها. وقيل اسمها حلل حسب ما نقله عنان. الحميدي، الجذوة، ص30. ابن عذارى، البيان، 61/2. المقّري، النفح، 322/1. محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول القسم الأول من الفتح إلى بداية عهد الناصر**، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، مصر، 1417هـ/1997م، ص224.

[2] حسين مؤنس، شيوخ، ص16. حميد لحمر، **مصطلحات لا يعذر بالجهل في مدرسة الفقه المالكي**، مجلة الحضارة الإسلامية العدد2، أفريل 1996، يصدرها المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر، ص129.

1) **مرحلة الظهور والتأسيس:**

تبدأ مرحلة الظهور بقيام الدولة الأموية في الأندلس وبخاصة عهد أميرها عبد الرحمان الداخل بن معاوية، وبداية حكم ابنه هشام، إذ في هذه الفترة انتقل بعض الفقهاء من الأندلس في رحلة علمية وكانت الحجاز مقصدهم، وهناك كان اللقاء الأول بعالم أهل المدينة مالك بن أنس، فأخذوا عنه الموطأ قبل أن يكتبه، وقد مثلها الفقيهان الغازي بن قيس[1]، وأبو موسى عبد الرحمن الهواري[2] كونهما أول من التقى بالإمام مالك بن أنس وسمعا منه الموطأ، ولما عادا إلى الأندلس جلسا للتدريس، وشوقوا المجتمع وطلبة العلم للالتقاء بمالك والنهل من علمه، كما مثل هاته المرحلة سعيد بن أبي هند، وقرعوس بن العباس[3] وبهذا قد وضعا اللبنات الأولى لمدرسة الأندلس[4]

ومن مميزات هذه المرحلة كما يرى الهروس:

- سيادة المذهب الأوزاعي وشيخهم صعصعة بن سلام كما سنعرف في الفصل الثالث.
- دخول موطأ الإمام مالك بن أنس رواية وسماعا وبدخوله توضع اللبنات الأولى للمدرسة المالكية في الأندلس.
- تشوق علماء الأندلس إلى لقاء الأمام مالك والأخذ عنه مباشرة وتبرز الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق الإسلامي[5]

---

[1] سبقت ترجمته في هذا الفضل.

[2] **عبد الرحمن بن موسى الهواري**: يكنى أبا موسى، وهو من أستجة، لقي الإمام مالك، بعد أن رحل في أوائل عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية، سرقت كتبه أثناء عودته إلى الأندلس، فجاء الناس يهنئونه لقدومه ويعزونه في الكتب التي ضاعت منه، فقال لهم:"ذهب الخرج، وبقي الدرج" يعني في صدره، ويذكر أنّه تولى القضاء عهد عبد الرحمن بن الحكَم. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص213.

[3] ترجمتهما في هذا الفصل (فقهاء المالكية في العهد الأموي).

[4] هروس، المقال السابق، ص210.

[5] مصطفى الهروس: **المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1418هـ/1997م، ص41-42.

2)مرحلة الذيوع والانتشار:

وقد شملت عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن، وبداية ابنه الحَكم، إذ قرّب الأمير هشام العلماء والفقهاء، وكان لا يقبل على عمل ألاّ بمشورتهم، حتى شبهه المقّري وابن عذارى بالخليفة "عمر بن عبد العزيز" لشدة ورعه وزهده وحبه للجهاد ومتابعة ولاته، وفي هذه المرحلة تضاعفت الرحلة الأندلسية للحجاز والالتقاء بالإمام مالك، ويأتي على رأس هذه النخبة الفقيه زياد بن عبد الرحمان الذي أدخل موطأ مالك متقنا متفقها بالسماع منه[1]، ورحل خلال هذه المرحلة جماعة من أصحاب شبطون منهم وسعيد بن عبدوس، محمّد بن بشير المعافري، شبطون بن عبد الله الأنصاري وغيرهم، وكان دور الأمير هشام كبير في اختيار المذهب المالكي كمذهب رسمي للدولة، وقرّب إليه الفقهاء حتى أصبح محل قبول وطاعة في الأندلس رغم كونه متمرد عن الخلافة الشرعية العباسية في المشرق إلاّ أنّه أمير عادل كما يذكر حسين مؤنس[2]

ومميزات هاته المرحلة كما ذكرها الهروس هي:

- دخول موطأ الإمام مالك إلى الأندلس كاملا متقنا.
- كثرة الرواة عن مالك ونشرهم لفقهه ومسائله.
- بداية انقراض المذهب الأوزاعي وتخلي أتباعه عنه.
- قرار الأمير هشام بن عبد الرحمان اعتماد المذهب المالكي في القضاء والفتيا[3]

3) مرحلة السيادة والنفوذ:

وقد شملت عهد الحَكم بن هشام ومن جاء بعده، فالأمير هشام كان مخالفا لسياسة والده في البداية، فحاول تقريب الشعراء وآثر مجالس الخمر على مجالس الفقهاء، هذا ما أثار عليه العامة والفقهاء، فكانت ثورة الفقهاء سنة189هـ/805م، وهيج الربض سنة

[1] سبقت ترجمته في هذا الفصل.

[2] المقّري، النفح، 1/ ص325. ابن عذارى، البيان، 2/65-66. الهروس، المرجع السابق، ص42 وما بعدها. مؤنس، شيوخ العصر، ص18.

[3] الهروس، المرجع السابق، ص50-51.

202هـ/818م[1]. الذي كان لفقهاء المالكية دور فيه، وقد أدرك الحكم ضرورة تقريب فقهاء المالكية، ثم أصدر قرارا يوجب تمسك الأندلسيين بالمذهب المالكي.[2]وقد مثّل هذه المرحلة يحي بن يحي الليثي، طالوت بن عبد الجبار، عيسى بن دينار، ويحي بن مضر القيسي الذي صلبه الحكم وغيرهم[3]، وقد قال البعض أنّ الحكم بن هشام بعد هيج الربض قد وطّد للمذهب المالكي عندما سمح لفقهاء المذهب المالكي أن يسودوا في دولته على غيرهم من المذاهب، وأدرك أنّ القوة العسكرية غير كافية لإخضاع المجتمع الذي يسير وفقها لما يقوله الفقهاء المتجذرون في المجتمع الأندلس[4]وعلى نهجه سار جل حكام بني أمية فيما بعد، مع وجود جانب من الانفتاح على بعض المذاهب في الفترة الموالية كما سبق توضيح ذلك في الفصل الأول، ومع بروز عصر الطوائف شكل فقهاء المالكية المرجعية لأغلب الدويلات والإمارات التي قامت في الأندلس، بل منهم قضاة استطاعوا أن يستقلوا بإمارات حولت القاضي الديني إلى أمير يحكم ويشاور كما هو حال بنو عباد في اشبيلية، وسنستوضح ذلك في الفصل الرابع.

في ختام هذا المبحث يمكن لي التطرق لموضوع أصدر فيه بعض الباحثين حكمهم على مالكية الأندلس، ومفاده هو: **هل مالكية الأندلس مالكية جامدة؟**

اهتم بعض الباحثين بالتمازج الذي ارتبط بين السلطة السياسية ممثلة في الدولة الأموية بالأندلس وبين المذهب المالكي الذي مثل السلطة الروحية، ولكن البعض حكم على مالكية

---

[1] راجع الثورتين في الفصل التمهيدي.

[2] للتوسع في المراحل، أنظر: مصطفى الهروس، "قيام المدرسة المالكية بالأندلس"، **ندوة التراث المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1998، ص207-219.

[3] سنأتي على ترجمتهم في المباحث الموالية. للتوسع في المرحلة أنظر: الهروس، المرجع السابق، ص 51 وما بعدها.

[4] حوالف عكاشة: "ثورة الفقهاء وأسباب سيادة المذهب المالكي بالأندلس"، **أعمال الملتقى الوطني الرابع للمذهب المالكي بعد التأسيس**، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الثقافة بولاية عين الدفلى، 8-10 ربيع الثاني 1429هـ/14-16 أفريل 2008م، ص116-17.

الأندلس أنّها مالكية جامدة، فقد جاء في ملحق كتاب الحضارة العربية في إسبانيا للمستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال: "إذا كانت إسبانيا الأموية قد عُرفت دائما بأنّها قلعة حصينة من قلاع أهل السنة المحافظين، فإنّها قد اشتهرت في الوقت نفسه بأنّها من أقوى حصون المذهب المالكي، لكنها مالكية جامدة، ومن ثم يصحّ لنا أن نطلق عليها اسم مالكية الأندلس"[1]

تعد مسألة التقليد والاجتهاد من المواضيع التي بحث فيها البعض، ولعلي هنا وبما يخدم موضوعي وجدت دراسة الدكتور عمر الجيدي في كتابه مباحث في المذهب المالكي بالمغرب من بين الدراسات القريبة، والتي رد فيها على المبالغين في وصف المالكية بالجمود والتقليد، وأرجع ذلك لكون الدارسين جهلوا تراث المذهب، أو لم يطلعوا عليه بالمقدار الكافي حتى يصدروا فيه رأيا صائبا[2]، وأرجع تاريخ ذلك لعصر ابن حزم الذي كان يصف فقهاء المالكية في عصره بالجمود وله مبررات نفسية وراء ذلك منها حرق كتبه، واتهامهم اياه، والاستخفاف بآرائه ومذهبه وغير ذلك[3] وقد رأى المستشرقان "جولد تسيهر" و"ميجيل آسين بلاثيوس" أنّ المدرسة الإسبانية (الأندلسية) في الفقه قد تخلت سريعا عن دراسة الحديث وأعمال الصحابة رغم أنّهما كانا الأساس الذي قام عليه مذهب إمام المدينة، واكتفت ذات المدرسة بدراسة كتب الفقه التي ألفها المالكية بعد وفاة الإمام مالك[4] ورغم المكانة التي وصل إليها فقهاء المالكية في الجانب الفقهي كحفظ الموطأ والمدونة وغيرهما، ثم الحظوة التي نالوها في الجانب السياسي فإنّ بعضهم قد غالى في تعصبه لآراء مالك وتلامذته، بل حاد بعضهم عن الصواب بسبب التعصب، إذ افتعل الفقيه "أصبغ بن خليل"

---

[1] لا يمكن الحكم إجمالا على أنّ فقهاء المالكية اتصفوا كلهم بهذا الجمود، وسآتي على أمثلة متفرقة تثبت ذلك في هذا البحث. بروفنسال: المرجع السابق، ص 149.

[2] عمر الجيدي: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م، ص 150. ويمكن الرجوع للثعالبي في كتابه الفكر السامي لما تكلم عن أصحاب مالك في القرن الثاني الهجري الذين أخذوا عن مالك مباشرة. ص 211 وما بعدها.

[3] الجيدي، مباحث، ص 149.

[4] قول جولد تسيهر، وآسين بلاثيوس نقلا عن بروفنسال، تاريخ، ص155. وللتوسع في نظرة بعض المستشرقين لتشدد مالكية الأندلس، أنظر: L.Provencal, histoire, tom III, P 457

الذي دارت عليه الفتيا في الأندلس خمسين عاما حديثا لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤيّد رأي مالك في عدم مشروعية رفع اليد بعد تكبيرة الإحرام، كما أنّه وشى بالفقيه الشافعي بقي بن مخلد عند الأمير الأموي محمّد وذلك لإدخاله مسند ابن أبي شيبة في الحديث إلى الأندلس[1]

تتبع الجيدي بعض فقهاء المالكية من الأندلسيين وغيرهم الذين خالفوا مالكا ليثبت عدم صحة الجمود والتقليد، فذكر قول الإمام أشهب "وإن قاله مالك فلسنا له بمماليك" وذلك ردا على من عاتبه في المخالفة، وأن أبا القاسم له مسائل اختلف فيها مع شيخه، وقد ألف أبا عبيد قاسم بن خلف الجبيري كتاب "التوسط بين مالك وابن القاسم في المسائل التي اختلفا فيها من مسائل المدونة" وأشار أنّه في خزانة الجامع الأعظم بمكناس تحت رقم 218.[2] ولابن عبد البر كتاب سماه "اختلاف أقوال مالك وأصحابه" وهو موجود في الخزانة العامة بالرباط رقم 3369ك ومن الأندلسيين نجد يحي بن يحي الذي كان لا يرى القنوت في الصبح ولا الأخذ باليمين مع الشاهد مخالفا لمالك وآخذا برأي الليث بن سعد[3] وخالف مالكا أيضا عبد الملك بن حبيب (ت238هـ)، ومحمد بن لبابة (ت314هـ)، أبو عبد الله بن الفخار القرطبي(419هـ) وغيرهم.[4]

وفي عصر الطوائف كان الإمام ابن حزم عليه ينكر أيضا على المالكية كثرة تقليدهم وجمودهم، فقد ذكر في الإحكام أنّ مفتيا جاهلا كان يأخذ بما يقوله فقيهان كان مدار الفتيا عليهما في الأندلس، ويكتب تحت فتياهما: "أقول بما قاله الشيخان"، وفي مرة اختلف الشيخان في المسألة، فكتب تحت فتياهما نفس ما كان يقوله. فقيل له قد اختلف الشيخان في المسألة، ففال: وأنا

[1] للتوسع في ما ذكرته المصادر من عدم فقه أصبغ لعلم الحديث ومعارضته لجل المهتمين به. أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص33 وما بعدها. ابن الفرضي، تاريخ، ص72 وما بعدها. الحميدي، الجذوة، 153. الضبي، البغية، ص205

[2] الجيدي، مباحث، ص150.

[3] نفسه، ص 151.

[4] نفسه، ص 151 وما بعدها. الثعالبي، الفكر السامي، 211/2 وما بعدها.



أختلف باختلافهما[1] وذكر أنّ المالكية عندهم ولتعصبهم كان إذا عرض عليهم قول الله تعالى وقول رسوله فإنّهم يأخذوا بما وافق قول صاحبهم، وإن لم يوافقاه تركوهما جانبا وظهريا، ثم قال: "وما نعلم في المعاصي ولا في الكبائر -بعد الشرك المجرد- أعظم من هذه"[2]

فمسألة الجمود والتقليد المطلق عند فقهاء المالكية نسبية، فقد خالف يحي بن يحي الليثي مالكا في القنوت مثلا، يبقى أنّ تعصب واهتمام فقهاء الأندلس المفرط لما كتبه المالكية دون غيرهم مما يراه البعض منقصة في حقهم، وبين من يراه عاملا قويا منع تغلغل الكثير من المذاهب الفقهية والعقائدية من الدخول إلى الأندلس، وأنّه جعل الجزيرة على وحدة مذهبية، دون أن ننسى أهمية المذهب بين باقي المذاهب السنية الأخرى.

المبحث الثاني: فقهاء المالكية عهد الدولة الأموية:

سبق وأن ذكرت أنّ الأندلس أخذت في بداية عهدها بالمذهب السني، واختارت في الفقه مذهب أبو عمرو الأوزاعي رحمة الله عليه، ومع قيام الدّولة الأموية في الأندلس بدأ نجم فقهاء المذهب المالكي يلمع في مدن الجزيرة وكورها حتى أخذت به الدولة ليكون المذهب المالكي هو المذهب الرسمي للدولة، سواء في عهد الإمارة أو الخلافة، وتبقى تلك السيادة في عصر الطوائف والمرابطين.

وإذا جئت لأتطرق لكبار فقهاء المالكية في عهد الدولة الأموية عموما فإن هذه الرسالة لا يمكنها حصرهم، ولكن سأركز على الفقهاء الذين أدخلوا المذهب وكانوا قد التقوا بالإمام مالك في حياته، أو من تركوا أثرهم الفكري والسياسي في الجزيرة الأندلسية عهدي الدولة الأموية أو ملوك الطوائف عموما، وساهموا فعلا في إنشاء المدرسة المالكية الأندلسية وتوسيعها في أرجاء الأندلس، أو كانت لهم علاقة مع باقي المذاهب الأخرى.

[1] أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم: **الإحكام في أصول الأحكام**، أحمد محمد شاكر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2006م، ص 78.

[2] ابن حزم، الإحكام، 118/6.

أولا- فقهاء الأندلس المتتلمذين على الإمام مالك بن أنس:

تتلمذ بعض الأندلسيين على يد الإمام مالك مباشرة، إذ كانت الرحلة الأندلسية صوب أرض الحجاز أكثر من غيرها، وسأذكر فيما يلي بعض الفقهاء الذي كان لهم سبق التواصل مع الإمام مالك، ويضافون لمن سبق ذكرهم، وهم زياد، والغازي، يحي بن يحي الليثي.

1) سعيد بن عبدوس الطليطلي، يعرف بالجديّ مصغرا (ت180هـ):

سعيد بن عبدوس من أهل طليطلة، رحل للحجاز وسمع من الإمام مالك الموطأ[1] ويعد سعيد من الأوائل الذين التقوا بالإمام مالك، عرف عنه أنّه رجلا تقيا فاضلا وكان من أهل الفقه والعلم، هذا ما أهله لأن يكون مفتي بلده في وقته، تولى قضاء طليطلة، وذكر ابن وضاح حسب القاضي عياض أنّه التقى بسعيد في طليطلة، وتذكر بعض المصادر أنّ سعيدا أخفى يحي بن يحي الليثي بعد وقعة هيج الربض وسنفصل فيها في الفصل الرابع، توفي سعيد بن عبدوس سنة 180هـ.[2]

2)أبو عثمان، سعيد بن أبي هند الطليطلي ثم القرطبي:

أبو عثمان حسب ما نقله القاضي عياض عن ابن لبابة بأنّ أبا سعيد اسمه عبد الوهاب، وقيل عبد الرحمان بن أبي هند الأصبحي، أصله من طليطلة وسكن قرطبة، كان رجلا فاضلا نبيلا عاقلا، وكانت له هيبة، رحل للحجاز وسمع من الإمام مالك حتى لقبه مالكا بالحكيم، وكان يسأل عنه الأندلسيين ويقول: "ما فعل الحكيم الذي عندكم بالأندلس"، ويذكر بأنّ أبا عثمان قال في حق مالك: "ما هبت أحدا هيبتي لعبد الرحمان بن معاوية حتى حججت فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة حتى صغرت عندي هيبة عبد الرحمان لهيبته"[3] اختلف البعض في تاريخ

---

[1] ابن الفرضي: تاريخ، ص137. عياض: ترتيب، 199/1.

[2] ابن الفرضي، تاريخ، ص137. عياض، ترتيب، 199/1. الخشني، أخبار الفقهاء، ص316. عياض: الترتيب، 199/1.

[3] ذكر محمد بن الحارث أنّ سعيد اسمه عبد الرحمان، والأول هو الصواب حسب كتب الطبقات الأخرى، وكذلك ما ذكره ابن الحارث نفسه من أنّه يخيل إلي أنّ هذا الرجل هو الذي ذكرته في رجال قرطبة وسميته سعيد بن أبي هند، كما يذكر بأنّ الإمام مالك لقبه بهذا اللقب لكلمة سمعها منه، حيث قال مالك مرة: "ما أحسن السكوت وأزينه بأهله". فقال له ابن أبي هند:

وفاته حتى ذكر ابن الفرضي وغيره قد يكون تشابه في الأسماء وهما اثنان، توفي أبو عثمان في صدر أيام الأمير عبد الرحمان بن معاوية[1] وربما الصواب في صدر أيام الأمير عبد الرحمان بن الحَكم بدلا من عبد الرحمان بن معاوية، وذلك أنّ القاضي عياض ذكر بأنّ أبا سعيد كان القائم على القضاء في أيام الحَكم بن عبد الرحمان، وذهب الخشني والقاضي عياض إلى أنّه كان وزيرا لبعض الخلفاء[2]

3) **أبو زكرياء وأبو بكر، يحي بن مضر القيسي، وقيل اليحصبي (ت189هـ):**

يحي بن مضر شامي الأصل، ويعتبر من أهل قرطبة، سمع من سفيان بن سعيد الثوري والإمام مالك، بل أنّ مالكا روى عنه فقد سمع أحد أصحاب مالك رجلا يسأل مالكا في مسألة الطلح المنضود؟ فقال مالك: هو الموز أو شجرة الموز، وقال: أخبرني بذلك عن سفيان يحي بن مضر فقيه الأندلس[3] كان عالما متقنا صاحب رأي[4] وقد ذكره عبد الملك ابن حبيب في طبقة فقهاء الأندلس حسب ما أورده الخشني[5]، وقد روى عنه من الأندلسيين مجموعة منهم يحي بن يحي الليثي، كما شارك يحي بن مضر في ثورة الفقهاء على عهد الحَكم بن هشام ليعوضوه بغيره من البيت الأموي، ولما اكتشف أمر المشاركين من العلماء والفقهاء والصلحاء كان أمر يحي من جملة من صلبهم الحَكم مع أصحابه (قيل كانوا اثنين وسبعين من الفقهاء وأهل الصلاح، وقيل مائة وأربعين)، والجذوع كانت منصوبة من رأس قنطرة قرطبة إلى آخر الرصيف. توفي يحي سنة 189هـ[6]

4) **أبو الفضل (أبو محمد)، قرعوس بن العباس بن قرعوس الثقفي القرطبي (ت220هـ):**

"وكل من سكت يا أبا عبد الله؟" فأعجبت مالك كلمته هذه. وحسب القاضي عياض أنّه قال له: "إنّما يزين الصمت ما بعد". للتوسع: الخشني: أخبار الفقهاء، ص233. ابن الفرضي: تاريخ، ص136.

[1] ابن الفرضي: تاريخ، ص136. 294/1. عياض: ترتيب، 203/1.

[2] الخشني: أخبار الفقهاء، ص233. عياض: ترتيب المدارك، 203/1.

[3] ابن الفرضي: تاريخ، ص429. الخشني، أخبار الفقهاء، ص 347. عياض: ترتيب المدارك، 1/ ص204.

[4] عياض: ترتيب المدارك، 1/ ص204.

[5] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 347.

[6] للتوسع أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص 347. ابن الفرضي: تاريخ، ص429. الحميدي، الجذوة، ص342-343. الضبي: البغية، ص442. عياض: ترتيب المدارك، 1/ ص 204.

سمع قرعوس في رحلته من الإمام مالك بن أنس وسمع عنه الموطأ، ومن سفيان بن سعيد الثوري، وابن جريج والليث بن سعد وغيرهم، وقد كان قرعوس رجلا متدينا فاضلا ورعا، ووصفه يحي بن يحي الليثي بأنّه من أهل العلم وكثير الفقه، وقال غيره لم أر بالأندلس مروءة مثل قرعوس، وكان علمه المسائل على مذهب مالك وأصحابه، ولكنه لا علم له بالحديث[1] وقد ذكر الحميدي والضبي أنّ رواية قرعوس عن عبد الملك ابن جريج فيها نظر، كما ذكر عياض ذلك عن ابن حزم من أنّه محال أن يكون قد روى عنه، وذلك بحجة أنّ ابن جريج توفي سنة 150هـ، وسفيان الثوري سنة 161هـ، وقرعوس سنة 220هـ[2] وقد روى عن قرعوس كلا من أصبغ بن خليل وعبد المالك بن حبيب، وعثمان بن أيوب، وكان حسب القاضي عياض ممن اتهم في هيج الربض مع غيره من الفقهاء والصلحاء، ولما مثل أمام مرسول الأمير الحَكم قال له: "مثلك من أهل الديانة والأمانة في العلم، يتابع السفلة... فقال: معاذ الله أن أفعل وأن أقع في مثل هذا بيد أو لسان، فقد سمعت مالكا والثوري يقولان: سلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار. فقال له الحكم: أنت سمعت هذا منهما؟ قال: لقد سمعت هذا منهما. فخلى سبيله"[3] توفي قرعوس أيام حُكم الأمير عبد الرحمان بن الحَكم سنة عشرين ومائتين[4]

5) **أبو موسى، عبد الرحمان بن موسى الهواري، الأستجي:**

رحل أبو موسى في أول خلافة الأمير عبد الرحمان بن معاوية، ويعتبر من أوائل الأندلسيين الذين لقوا الإمام مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة وغيرهما، كان له اهتمام كبير باللغة العربية، حيث لقي الأصمعي وأبا زيد الأنصاري وغيرهما[5]، ومما يذكر عنه أنّه أثناء رجوعه إلى الأندلس عطب ببحر تُدمير (الاسم القديم لكورة مرسية) وذهبت كتبه، فجاء الناس يهنئونه على سلامة

---

[1] ابن الفرضي، تاريخ، 291. عياض: ترتيب المدارك، 1/ ص 285.

[2] الحميدي: جذوة، ص300. الضبي: بغية، 394. عياض: ترتيب، 286/1.

[3] عياض: ترتيب، 1/ ص286.

[4] ابن الفرضي: تاريخ، ص 291. عياض: ترتيب، 1/ ص286.

[5] ابن الفرضي: تاريخ، ص212. عياض: ترتيب، 294/1.



قدومه، ويعزونه على ضياع كتبه، فكان يقول لهم: ذهب الخرج وبقي الدرج (يعني ما في صدره)[1] عُرف عن عبد الرحمان الفصاحة، وحفظه للفقه والتفسير والقراءات، وقد ذكر ابن الفرضي والقاضي عياض بأنّ له تفسيرا في القرآن وقد رأى كل واحد منهما بعضه، وقد رواه عنه محمد بن أحمد العتبي وغيره[2] وذكر بأنّه استقضي على استجة أيام الأمير عبد الرحمان بن الحكم، وكان القائم بالقضاء أيام الحَكم بن هشام وذلك بعد صعصعة بن سلام، وكان يأتي قرطبة ويسكن بعض قرى مورور، ثم انتقل إلى استجة[3]

6) طالوت بن عبد الجبار المعافري، القرطبي:

يعتبر طالوت من الأوائل الذين رحلوا للمدينة المنورة وسمعوا من مالك بن أنس، وتفقه أيضا على أصحابه، كان جليل القدر عند الفقهاء[4] كان مسكنه في المدينة مجاور للمسجد، أشتهر في هيج الربض الذي حركه الفقهاء، وكان اسمه ضمن القائمة التي طلبها الحَكم، ولكنه اختار البقاء في قرطبة متخفيا بدلا من الخروج منها، وقد احتضنه يهوديا من جيرانه سنة كاملة وأكرمه أيّم إكرام حسب بعض المصادر، ولما رغب طالوت في الخروج أصرّ على أن يبقيه عنده وأنّه وجوده عنده لا يزعجه في شيء، ولكن طالوت أصر على الخروج متوجها إلى أحد تلامذته هو أبو البسام الكاتب لعله يشفع له عند الأمير الحَكم وقد أصبح كاتبا عنده، ولما دخل عنده قصّ عليه قصته مع اليهودي الذي أخفاه سنة كاملة، ثم بات عنده، وفي الصباح توجه الكاتب للأمير الحَكم وقص ما عرفه عن شيخه طالوت، ولما استدعي الأمير الحَكم الفقيه طالوت ودار بينهما الحوار الذي عنّف

---

[1] الخشني: أخبار الفقهاء، ص234. ابن الفرضي: تاريخ، 212.

[2] ابن الفرضي: تاريخ، ص 212. عياض: ترتيب، 294/1.

[3] للتوسع في سيرته والقصص التي رواها عنه رفاقه وطلبته أنظر: الخشني: أخبار الفقهاء، ص234. ابن الفرضي: تاريخ، ص 212. عياض: ترتيب، 1/ ص294. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي: **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1119هـ، ص 253-254.

[4] ابن القوطية، تاريخ، ص70. عياض: ترتيب، 1/ ص293. عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، الكتاب الثالث، تح: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، د س ط، ص 44.

فيه الأمير الحكم الفقيه طالوت بن عبد الجبار، من أنّه كان من الفقهاء الذين يحترمهم ويشاركه حلوه ومره حتى وصل به أن نزل الأمير راجلا في جنازة زوجة طالوت وأرجعه لبيته وغير ذلك من الفضائل التي عددها له، فقال طالوت: "والله ما تركت برك، وما كنت عليه في جانبك حياتي، إن شاء الله، فليت الذي كان لم يكن، قال له: لو لم يكن كان خيرا لك... إلخ"[1] منحه الأمان، ولكن عاقب الكاتب أبو البسام[2] ولم تعرف الأسباب حيث ولم يذكر ذلك ابن الفرضي في تاريخه، ولا الحميدي في جذوته، ولا الضبي في بغيته[3]. بقي طالوت مبرورا محفوظا على ما شرط له حسب ما ذكره ابن القوطية حتى توفي، وحضر جنازته الأمير الحكم.[4]

سمع عن مالك بعض الفقهاء منهم:- عبد الرحمان بن عبيد الله، من أهل اشبونة[5]

- حسان وحفص ابنا عبد السلام السلمي: من أهل سرقسطة، سمعا من مالك[6]
- شبطون بن عبد الله الأنصاري: سمع من مالك، توفي 212هـ[7]
- محمد بن يحي السبائي: من أهل قرطبة، روى عن مالك الموطأ[8]
- داود بن جعفر بن الصُّغيّر: من أهل قرطبة، سمع من مالك[9]

---

[1] ابن القوطية: تاريخ، ص71-72. عياض: ترتيب، 293/1.

[2] للتوسع في قصة طالوت وهيج الربض أنظر: ابن القوطية: تاريخ، ص71. عياض: ترتيب، 293/1-294. عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، الكتاب الثالث، تح: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، د.س.ط، ص 44-47.

[3] ذكر ابن القوطية الحوار الذي دار بين الأمير الحَكم وبين الفقيه طالوت بن عبد الجبار، جاء فيه: "... أين ظفر بك أبو بسّام؟ قال: والله ما ظفر بي، أنا ظفرته بنفسي، وقصدته بوصُلة كانت بيني وبينه، فقال له: أين كنت في عامك هذا؟ قال له: عند رجل من اليهود، فقال الحكم للوزير: يا أبا بسّام، رجل من اليهود حفظ فيه محله من الدين والعلم، وخاطر بنفسه وأهله وولده معي، وأردت أن تنشبني فيما أنا نادم عليه، ثم قال لأبي بسام: اخرج عني والله لا رأيت لك وجها أبدا، وأمر برفع فراشه وعزله". هذا هو المبرر الذي وجد لعزل أبي سام. ابن القوطية: تاريخ، ص 72.

[4] ابن القوطية: تاريخ، ص72.

[5] عياض: ترتيب، 294/1-295.

[6] نفسه، 295/1.

[7] نفسه، 295/1.

[8] نفسه، 295/1.

[9] نفسه، 296/1.

ثانيا– فقهاء مالكية الأندلس من غير المتتلمذين على الإمام مالك:

نشطت الحركة العلمية في الأندلس وكان لفقهاء المالكية دور كبير في نشاطها، وفيما يلي نعرض لأهم الفقهاء الأوائل الذين كان لهم دور في تأسيس المدرسة المالكية بالأندلس، منهم:

1) **أبو محمّد، عيسى بن دينار بن وهب(واقد) الغافقي، القرطبي (ت212هـ/827م)**:

عيسى بن محمد بن دينار قال في حقه الفقيه المالكي الأندلسي"محمد ابن لبابة"[1]:

"فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب، وراويها يحي بن يحي الليثي"[2]

من أهل طليطلة، يكنى أبا محمد، نشأ في طليطلة وطلب العلم في قرطبة، ثم سكن مصر ولقي أبا القاسم تلميذ مالك وسمع منه سماعه عن شيخه مالك بن أنس، وكان ابن القاسم يجله ويكرمه، وكان يصفه بالفقه والورع وكان لا يعد في الأندلس أفقه منه في نظرائه، وروى عن الكثير من علماء المالكية، ويذكر أنّه كان مجاب الدعوة، وكان يصلي الصبح بوضوء العشاء مدّة أربعين سنة، كتب الحكم له الأمان بعد هيج الربض، ودارت عليه الفتيا، له كتاب "الهداية" و"البيوع"[3]

قال في حقه محمد بن عبد لملك بن أيمن: "كان عيسى بن دينار عالما متفننا، وهو الذي علم المسائل أهل مصرنا وفتقها، وكان أفقه من يحي بن يحي على جلالة قدر يحي بن يحي

---

[1] **محمد بن عمر بن لبابة**، يكنى عبد الله بن لبابة الفقيه، روى عن العديد من علماء الأندلس، كان مقدما على أهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتيا، وكان مشاورا أيام الأمير عبد الله، ثم انفرد بالفتيا في عهد الناصر، وله كتاب "المنتخب" الذي قال فيه ابن حزم "ما رأيت لمالكي قط كتابا أنبل منه في جمع روايات المذهب، وشرح مستغلقها وتفرع وجوهها". توفي 314هـ/926م. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص320. الخشني، أخبار الفقهاء ص 144-147. الحميدي، المصدر السابق، ص 67 و68.

[2] ابن خاقان، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمّار، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص234 و235. وابن الفرضي، تاريخ، ص222.

[3] ابن حيان: المقتبس، تح: مكي، ص42، 78، 84، 99. الخشني: أخبار الفقهاء، ص270-272. الحميدي: الجذوة، ص 264. الضبي: البغية، ص351-352. عياض: ترتيب، 373/1. أحمد أمين: الظهر، 50/3.

وعظمه"[1] واعتبره أصبغ بن خليل أول من أدخل الاندلس رأي ابن القاسم، وقد جمع عيسى سماع ابن القاسم عشرون كتاب، وذكر عنه تقديمه للحديث على الرأي. توفي سنة 212هـ[2]

2) أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن عباس بن مرداس السلمي (قيل أنه من موالي بني سليم) (ت238هـ/853م):

كان عبد الملك من ألبيرة وسكن قرطبة، روى في الأندلس عن صعصعة بن سلام، والغازي بن قيس، وزياد بن عبد الرحمان[3] ثم رحل من الأندلس سنة 208هـ، وسمع من أصحاب مالك وغيرهم كعبد الملك بن الماشجون، وأسد بن موسى بن إسماعيل بن أبي أويس وغيرهم، وقيل أنّه أدرك مالك في آخر عمره[4] رجع عبد الملك بن حبيب إلى الأندلس ومعه علم كثير، وألف التآليف كالواضحة في الفقه، قال في حقها العتبي: "رحم الله عبد الملك ما أعلم أحدا ألّف على مذهب أهل المدينة تأليفه، ولا لطالب أنفع من كتبه، ولا أحسن من اختياره"[5] وله "الجوامع" و"فضل الصحابة" و"غريب الحديث" و"تفسير الموطأ" و"حروب الإسلام" وفي التاريخ له "كتاب التاريخ"[6]

كان عبد الملك نحويا وعروضيا وشاعرا وحافظا للأخبار والأنساب والأشعار، طويل اللسان متصرفا في فنون العلوم، وقد ذكر ابن الفرضي بأن ابن حبيب لم يكن علم بالحديث ولا يعرف صحيحه من سقيمه، رغم كونه كثير الحديث كما ذكر الضبي، وقد اشتهر عن ابن حبيب أنّه كان ذابا عن المذهب المالكي، وفضّله البعض عن سحنون التنوخي، وقد روى عنه مطرف بن قيس، بقي بن مخلد، وابن وضاح.

---

[1] محمد بن عبد الملك نقلا عن: ابن الفرضي، تاريخ، ص 262.

[2] للتوسع في فضله ووصيته وفاته أنظر: عياض، ترتيب، 373/1-374. الضبي: البغية، ص352.

[3] ابن الفرضي: تاريخ، ص221. الحميدي: الجذوة، ص36. الضبي: البغية، ص329.

[4] ابن الفرضي: تاريخ، ص221. الضبي: البغية، ص329.

[5] نقلا عن عياض: الترتيب، 384/1.

[6] كتاب التاريخ قد اعتمدت عليه في دراستي هاته.



توفي بالأندلس سنة 238ه وقيل 232ه[1]

روي أنّ سحنون بن سعيد لما جاءه خبر وفاة عبد الملك بن حبيب قال: "مات عالم الأندلس، بل والله عالم الدنيا"[2]

3) **أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز العتبي، من أهل قرطبة (ت255ه/869م)**[3]:

العتبي من أهل قرطبة، سمع في الأندلس من سعيد بن حسان، ويحي بن يحي، ثم خرج من الأندلس وسمع من سحنون بن سعيد، وأصبغ بن الفرج وغيرهما[4] كان حافظا للمسائل عالما بالنوازل، وكان جمع المستخرجة من الأسمعة وهو المشهور "بالعتبية" وإن ذكر بأنّ فيها أخطاء، فقد كان يدخل المسائل الغريبة التي يسمعها في المستخرجة، كان إذا سمع بالمسألة الغريبة قال: أدخوها في المستخرجة[5] كان بن لبابة، وأيوب بن سليمان المعافري، ومحمد بن فطيس الغافقي وغيرهم ممن أخذوا عن العتبي[6] قال عنه الخشني: "من وجوه علماء الأندلس وأشرافهم من الوجاهة والرياسة والقدر الجليل، لم ير له نظير في دقة الذهن وحسن التمييز لصحيح الفتيا"[7] وقال فيه

---

[1] الخشني: أخبار الفقهاء، ص245-254. ابن الأبار القضاعي: **الحلة السيراء**، تح وتع عبد الله أنيس الطبّاع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1381ه/1962م، ص 205-206. ابن الفرضي: تاريخ، ص221-223. الضبي: البغية، 329-330. الحميدي: الجذوة، 250. ابن فرحون: **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تح محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.س.ط، 8/2-15. أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب المعروف بابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، تح عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1982 (المتن والهامش) ص 171 و172. ميكلوش موراني، **دراسات في الفقه المالكي**_ ترجمة سعيد بحيري وصابر عبد الجليل، مراجعة تحرير عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1409ه/1988م، ص 36-67.

[2] عياض: الترتيب، 260/1.

[3] أختلف في نسب عتبة، فقيل هو مولى لآل عتبة بن أبي سفيان كابن الفرضي، وقيل هو بن عتبة بن حميد بن أبي عتبة بن محمد ابن عبيد الله بن يزيد بن أبي يزيد، مولى عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب، وروي عن ابن لبابة أنّه قال: العتبي ليس نسبه، وإنّما كان له جد يسمى عتبة فنسب إليه. ابن الفرضي، تاريخ، ص297. الحميدي، جذوة، ص36.

[4] ابن الفرضي، تاريخ، ص297.

[5] ابن الفرضي، تاريخ، ص297. الحميدي: الجذوة، ص250. الضبي: البغية، ص40. عياض: الترتيب، 449/1-450.

[6] الخشني: أخبار الفقهاء، ص 120.

[7] نفسه، ص119.

تلميذه ابن لبابة: "لم يكن أحد ها هنا يتكلم مع العتبي في الفقه، ولا كان أحد بعده يفهم فهمه إلاّ من تعلم عنده[1] توفي الفقيه العتبي يوم الاثنين 18 ربيع الأول من سنة 255هـ وقيل 254هـ[2]

4) يحي بن إبراهيم بن مُزَين الطليطلي (ت259هـ/873م):

أصله من طليطلة ولكنه خرج منها لقرطبة بعد ثورة وقعت فيها، ولما وصل قرطبة أقطعه الأمير عبد الرحمان قطائع شريفة وابتنى له دار، روى عن الغازي بن قيس، وعيسى بن دينار ويحي بن يحي ونظرائهما، ورحل إلى المشرق في أيام الأمير عبد الرحمان الثاني، فلقي بالمدينة مطرف بن عبد الله صاحب مالك بن أنس فروى عنه الموطأ، وكذلك عن حبيب كاتب مالك، ثم دخل العراق فسمع من القعنبي عبد الله بن مسلمة، وأحمد بن عبد الله بن يونس، وفي مصر من أصبغ بن الفرج وغيره، كان له حظ من علم العربية، ألّف كُتبا حسانا، منها تفسير الموطأ وتسمية الرجال المذكورين فيه، "المستقصية"، وقد أخذ عنه فقهاء كبار، منهم سعيد بن حميد، ومحمد بن عمر بن لبابة وغيرهما، قال في حقه أحمد بن عبد البر: "كان شيخنا ذا وقار، وسمت حسن"، وقال ابن لبابة: "أفقه من رأيت في علم مالك وأصحابه يحي بن مزين" توفي 259هـ وقيل 260هـ [3]

5) أبو القاسم أصبغ بن خليل القرطبي (ت273هـ):

سمع أصبغ من الغازي بن قيس ويحي بن مضر، ومحمد بن عيسى الأعشى، ويحي بن يحي، ثم رحل فسمع من أصبغ بن الفرج وسحنون ين سعيد[4]دارت الفتيا عليه في الأندلس خمسين سنة، ونال بها الرياسة، وقد حدّث عن اصبغ بعض الفقهاء منهم أصبغ أحمد بن خالد وابن أيمن،

---

[1] عياض: ترتيب، 449/1..

[2] أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص119-121. ابن الفرض، المصدر السابق، ص297 و298. الضبي، المصدر السابق، ص40. الحميدي، المصدر السابق، ص36 . موراني، المرجع السابق، ص110-139.

[3] أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 432 و433. الخشني، أخبار الفقهاء، ص370-372. الضبي، المصدر السابق، ص 434. الحميدي، المصدر السابق، ص337. وللتوسع في الأقوال التي جاءت حقه، أنظر: عياض: ترتيب، 442/1.

[4] ابن الفرضي، تاريخ، ص72. الخشني، أخبار الفقهاء، ص33.

ومحمد بن قاسم، وقاسم بن أصبغ وغيرهم[1] قال ابن أبي دليم بأن أصبغ كان له بصر بالوثائق، وقال أحمد بن سعيد في حقه بأنّه من أهل العلم والفقه والورع والرياسة، وذكر ابن لبابة بأنه كان من الحفاظ وحسن القياس والتمييز، وقد كان أصبغ شديد التعصب لرأي مالك[2] كما كان يأخذ برأي ابن القاسم مقارنة مع بقية أصحاب مالك، قال أحمد بن خالد: "دخلت على أصبغ يوما فقال لي: يا أحمد تبصر هذه الكوة -أشار إلى الكوة في بيته- والله الذي لا إله إلاّ هو لقد رددت منها ألفي درهم وأربعمائة درهم، صحاحا بذلن لي على أن أفتي في مسألة بغير قول ابن القاسم مما قاله مالك رحمه ورضي عنهم فما رأيت نفسي سعة أن أفتي بذلك إذا كان الحق عندي من قول ابن القاسم"[3] وقد ذكرت بعض المصادر أن أصبغ بن خليل لم يكن له علم بالحديث، وأنّه فوق ذلك يعادي أهل الأثر[4] توفي أصبغ سنة 273هـ عن عمر ناهز سبع وثمانين سنة.

1) **أبو صالح أيوب بن سليمان المعافري أصله من جيان،** (**ت302هـ**):

يعتبر أبو صالح فقيه من فقهاء المالكية، وكان متفننا في النحو والشعر والعروض وضروب الآداب، قال في حقه جعفر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الذي زار الأندلس ثم خرج منها:

---

[1] ابن الفرضي: تاريخ، ص74.

[2] للتوسع في الأقوال التي قيلت في أصبغ أنظر: عياض: الترتيب، 448/1.

[3] الخشني: أخبار الفقهاء، ص34.

[4] أخذت عن الفقيه أصبغ بن خليل بعض المآخذ كان ابن الفرضي والخشني وغيرهم قد ذكروا بعضها، منها أنّه افتعل حديثا في ترك رفع اليدين في الصلاة بعد الإحرام، حيث ذكر ابن الفرضي أنّ عبد الله بن محمد قال: قال أحمد: حدثني أصبغ بن خليل عم غازي بن قيس عن سلمة بن وردان عن ابن شهاب، عن الربيع بن خثيم، عن ابن مسعود قال: صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلف أبا بكر سنتين وخمسة أشهر، وخلف عمر سنتين، وخلف عثمان أثني عشرة سنة، وخلف علي بالكوفة خمس سنين، فما رفع واحد منه يديه إلاّ في تكبيرة الإحرام وحدها، قال أحمد، وقع الشيخ في عمرة عظيمة منها أنّ الإسناد غير متفق لأنّ سلمة بن وردان لم يروي عن ابن شهاب، وابن شهاب لم يرو عن ابن خثيم حرفا قط أو رآه أو زاره، وذكر أن ابن مسعود صلى وراء علي بالكوفة وابن مسعود توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه، ويمكن تتبع ما ورد في المصادر عن هذه المآخذ كمسالة السند في القرآن، واسم أسيد بن حضير بدلا من خضير، وغيرها عند: الخشني: أخبار، ص34-38. ابن الفرضي: تاريخ، ص72-74. عياض: ترتيب، 448/1-449.

"لقد رأيت رجلا لو حدّثت أنّ في الأرض مثله ما صدقت"، وقال: " الناس عندنا كل ذي فن منفرد بفنه، وهذا رجل يتكلم مع أهل الفنون كلهم في فنونهم"[1]

توفي يوم الخميس لتسع بقين من المحرّم سنة اثنين وثلاث مائة[2].

2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري، الألبيري، (ت399هـ/1009م):

ولد سنة 324هـ بألبيرة، تفقه على يد أبان بن عيسى بن محمد الغافقي، وأحمد بن سعيد بن حزم، ووهب بن مسرة، ومحمد بن قاسم بن هلال وغيرهم[3]

ممن سمع عن ابن أبي زمنين نجد إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي، وإبراهيم بن مخلد، سعيد بن يحي بن سلمة التنوخي، عثمان بن سعيد الأموي المقرئ[4] قال في حقه الحميدي والضبي: "فقيه مقدم، وزاهد متبتل، له تواليف في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين على طريقة كتب ابن أبي الدنيا، وأشعاره كثيرة في نحو ذلك، وله كتاب في الشروط على مذهب مالك بن أنس"[5] إذ من كتبه نجد: منتخب الأحكام، المغرب في اختصار المدونة، قدوة الغازي وغيرها من الكتب[6]

توفي رحمة اله عليه بألبيرة سنة 399هـ.

وهناك فقهاء كثر حفلت بهم كتب الطبقات، منهم أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام (ابن المكوي) الأشبيلي[7] وأبا بكر محمد بن يبقى بن زرب (ت381هـ)، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن بشكوال القرطبي (ت419هـ).

---

[1] أبو بكر محمد الحسن الزبيدي: **طبقات النحويين واللغويين**، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة مصر، 1119هـ، ص 272-273.

[2] الزبيدي، طبقات النحويين، 273.

[3] لمعرفة شيخ ابن أبي زمنين أنظر: عياض: الترتيب، 2/259-260. محمد بن عبد الله بن أبي زمنين: **كتاب قدوة الغازي**، دراسة وتحقيق عائشة سليماني، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1989م، ص 58-64.

[4] للتوسع في معرفة تلامذته أنظر: عياض، الترتيب، 2/260. ابن أبي زمنين، القدوة، ص 68-76.

[5] الحميدي، الجذوة، ص51. الضبي، البغية، ص75-76. وإلى نفس المعنى ذهب ابن خاقان، المطمح، ص266-267.

[6] للتوسع في كتب ابن أبي زمنين ومضمونها أنظر: ابن أبي زمنين، القدوة، ص77-87.

[7] الحميدي، الجذوة، ص117.

لقد مال بعض فقهاء المذهب المالكي إلى التزمت والتشدد وعدم قبول المذاهب الفقهية السنية الأخرى، واهتموا في طلبهم للعلم بالفروع التي قننها طلبة مالك من بعده، وقد رأى المستشرقان "جولد تسيهر" و"ميجيل آسين بلاثيوس" أنّ المدرسة الإسبانية في الفقه قد تخلت سريعا عن دراسة الحديث وأعمال الصحابة، رغم أنّهما كانا الأساس الذي قام عليه مذهب إمام المدينة، واكتفت بدراسة كتب الفقه المبسوطة، كما ألّفها بعض علماء المالكية من الأجيال التي تلت الإمام مالك.[1]

وعلى الرغم من المكانة التي وصل إليها فقهاء المالكية في الجانب الفقهي كحفظ موطأ مالك أو مدونة سحنون وغيرهما، والحظوة التي نالوها في الجانب السياسي، فإنّ الكثير منهم قد غالى في تعصبه لآراء الإمام مالك وتلامذته، حتى حاد بعضهم عن الطريق، بل ومنهم من افتعل أحاديث لم ترو عن النبي صلى الله عليه وسلم ليؤيد رأيه، وخير مثال على ذلك "أصبغ بن خليل" (ت273هـ/886م) الذي دارت عليه الفتيا بالأندلس خمسين عاما، وشُهد له بحفظ رأي مالك، وبصره بعلم الشروط والعقود، لكن ذلك لم يمنعه من افتعال حديث يريد أن يرجّح به رأي مالك في عدم مشروعية رفع اليد بعد تكبيرة الإحرام، كما كان ممن وشى "ببقي بن مخلد" الشافعي للأمير "محمد" كما سبق وأن ذكرنا[2]،

أستطاع فقهاء المالكية في العهد الأموي التحكم في السلطة الروحية للدولة، ونالوا القبول في المجتمع، واستطاعوا أن يكونوا القوة الضاغطة التي تخيف السلطة منذ ثورة الفقهاء عهد الأمير الحَكم وكذا هيج الربض، وفي الوقت ذاته شكلوا المرجعية للفقه المالكي في العالم الإسلامي حينها أو الغرب الإسلامي منه على الخصوص.

---

[1] نقلا عن بروفنسال، تاريخ، ص 155. وعن تشدد مالكية الأندلس، أنظر: L.Provençal, Histoire, Tom III, P.457.

[2] عن عدم فقه الفقيه أصبغ بن خليل لعلم الحديث ومعارضته لجل المهتمين به أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص 33 وما بعدها. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 72 وما بعدها، الحميدي، المصدر السابق، ص 153. الضبي، المصدر السابق، ص 205. عياض: ترتيب، 1/448-449.

المبحث الثالث: فقهاء المالكية عهد ملوك الطوائف

عُرف عصر الطوائف في الأندلس بالتمزق السياسي الذي أدى إلى بروز عديد الدويلات والممالك، خاصة بعد سقوط الخلافة الأموية رسميا في 422هـ، وفي ذات الوقت عرف العصر نهضة ثقافية وعلمية أدخلت هذه الدويلات في المنافسة لتظهر كل دويلة أو إمارة أنّها هي الأحسن والأقوى سياسيا وثقافيا، وخلال هذه الحقبة تجلت بعض المذاهب غير المالكية في الساحة بعدما كانت متخفية في عصر الخلافة الأموية. وقد برز خلال عصر التمزق علماء وفقهاء كثر، خاصة من أصحاب الفقه المالكي، منهم:

أولا- أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت474هـ/1081م):

أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي، أصله من بطليوس، ثم سكن باجة وأخيرا استقر بقرطبة، روى في قرطبة عن القاضي يونس بن عبد الله، وأبا محمد مكي بن أبي طالب المقرئ وغيرهما، ثم رحل إلى المشرق حوالي 426هـ، ومكث فيه ثلاثة عشر عاما، فأقام بمكة مع أبي ذر الهروي ثلاثة أعوام، ثم رحل لبغداد وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويكتب الحديث، وكان ممن لقيهم أبو الفضل بن عمروس إمام المالكية، وأبا الطيب طاهر بن عبد الله رئيس الشافعية، والقاضي أبا عبد الله الحسين بن علي الصيمري إمام الحنفية، وأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشافعي الشيرازي وغيرهم[1]

من شيوخه المحدثين نجد أبو الحسن العتيقي، وأبو عبد الله محمد بن علي الصوري الحافظ وأقام بالموصل مع أبي جعفر السّماني عاما يدرس عليه الفقه[2]

نظرا للوضع المادي الصعب الذي عاشه الباجي أثناء تحصيله العلم بالمشرق فقد عمل حارسا للدرب في بغداد مستعينا بتلك الأجرة لينفق بها على نفسه، ومستغلا ضوء الطريق ليطالع أكثر[3]،

[1] عياض، الترتيب، 348/2. ابن بشكوال، **الصلة**، تح.إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1990م، 318/1.

[2] بن بشكوال، الصلة، 381/1.

[3] عياض، الترتيب، 349/2.

وقد كان الباجي فقيها نظارا محققا رواية الحديث، ومتكلما أصوليا فصيحا شاعرا، ومتقن المعارف[1] فألف عديد الكتب كالمنتقى الذي يعد عمدة في الفقه المالكي، وفصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء الحكام[2].

يذكر أن حلقات العلم الخاصة بأبي الوليد الباجي يحضرها ثلاثة آلاف للسماع منه، وأوصلها بعضهم لأربعين ألف، وكان رحمة الله عليه يتحرك في شرق الأندلس غالبا بين سرقسطة بلنسية ومرسية ودانية، لهذا سمع عنه الكثير من علماء الأندلس في عصره كالشيخ أبو بكر الطرطوشي وابنه أبو القاسم، والقاضي أبو عبد الله بن شبرين[3] وذكر المقّري أن مما يفتخر به أن حافظا المغرب والمشرق قد روى عنه، أبو عمر بن عبد البر، والخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي، وناهيك من أنّهما أسنّ منه وأكبر، وأخذ أيضا أبو عبد الله الحميدي، وعلي بن عبد الله الصقلي، وأحمد بن علي بن غزلون، وأبو علي بن الحسين السبتي وغيرهم[4]

قال في حقه القاضي عياض: "لم يكن بالأندلس قط أتقن منه للمذهب"[5] وقال ابن ماكولا في حقه: "إنّه فقيه، متكلم، أديب، شاعر، سمع بالعراق ودرس الكلام وصنّف إلى أن مات، وكان جليلا رفيع القدر والخطر"[6] وقال في حقه القاضي أبو علي بن سكرة: "ما رأيت مثل أبي الوليد الباجي، وما رأيت أحدا على هيئته وسمته وتوقير مجلسه، ولما كنت ببغداد قدم ولده أبو القاسم، فسرت معه إلى شيخنا قاضي القضاة الشاشي، فقلت له: أدام الله تعالى عزّك! هذا ابن شيخ الأندلس، فقال: لعلّه ابن الباجي، فقلت: نعم، فأقبل عليه"[7]

---

[1] نفسه، 348/2.

[2] سنأتي على بعض مؤلفات الباجي في الفصل الخامس.

[3] عياض، الترتيب، 348/2. ابن بشكوال، الصلة، 319/1.

[4] المقّري، النفح، 278/2.

[5] عياض، الترتيب، 348/2.

[6] ابن ماكولا نقلا عن المقّري، النفح، 283/2.

[7] المقّري، النفح، 283/2.

عاش أبو الوليد الباجي بعد دخوله الأندلس بشظف العيش، حيث كان يأتيه طلاّب العلم فيخرج إليهم ويده المطرقة وصدأ العمل، ولكن بعد أن شاع صيته وكثرت مؤلفاته، وعرف قدره وحقه جاءت الدنيا له صاغرة، فعظم جاهه وقرّبه الرؤساء وولوه القضاء في بعض المناطق، وإن كانت كما قال القاضي عياض أقل من حقه كقضاء أريولة وما شابهها[1]

تبحّر الباجي في فنون لم يتبحر فيها مالكية الأندلس، خاصة في النظر والجدل، لهذا سلّم له المالكية هذه المهمّة، وقد رويت له مع ابن حزم الظاهري مناظرات، مكنّت المالكية من حفظ ماء الوجه مع العالم ابن حزم وكانت السبب في وضع حد لسطوة فقيه الظاهرية ابن حزم وللسانه الصارم ضد فقهاء المالكية، بل ربما كانت السبب في خروج ابن حزم من ميورقة التي كانت فيها المناظرة مع الباجي حسب ابن بسام وتسببت في حرق كتبه[2] ومن جملة المناظرات أختصر ما ذكره المقّري في جواب لإحدى المناظرات كان موضوعها كيف طلب كل واحد منهما العلم: "قال له الباجي: أنا أعظم منك همّة في طلب العلم، لأنّك طلبته وأنت معان عليه، تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق. فقال ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، لأنّك إنّما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، فلم أرجو به إلاّ علوم القدر العلمي في الدنيا والآخرة، فأحمه"[3]

رغم ذلك فقد كان العلماء يمجدون قدر بعضهم، قال ابن حزم في حق الباجي: "لم يكن لأصحاب المذهب المالكي يعد عبد الوهاب (عبد الوهاب بن علي) مثل أبي الوليد الباجي"[4]

كان الباجي من العلماء الذين اتصلوا بالرؤساء أملا في إصلاح حالهم[5] فقد ذكر صاحب الذخيرة أنّه وجد للوزير الكاتب أبي محمّد بن عبد البر رقعة كتبها مجاهد أمير دانية إلى المظفر ببطليوس، من بين ما جاء فيها: "...والفقيه الحافظ أبو الوليد الباجي غذيُّ نعمتك، ونشأة دولتك، هو

---

[1] عياض، الترتيب، 339/2.

[2] ابن بسام، الذخيرة، 56/2. عياض، الترتيب، 350/2. المقّري، النفح، 283/2.

[3] المقّري، النفح، 292/2.

[4] ابن بسام، الذخيرة، 56/2.

[5] مؤنس، شيوخ العصر، ص46.



آحاد عصره في علمه، وأفراد دهره في فهمه، وما حصل أحد من علماء الأندلس متفقها على مثل حظه وقسمه، وقد تقدم له بالمشرق صيت وذكر، وحصل بجزيرتنا ولك فيه جمال وفخر، فإنّه إليك تنعطف أسبابه، وعليك تلتقي وتلتف آرابه، ولكن شددت عليه يدي، وجعلته علَم بلدي، يشاوَر في الأحكام، ويهتدى إليه في الحلال والحرام، فقد ساهمتك به، وشاركتك فيه، كما تساهمنا وتشاركنا في الأحوال السلطانية والأمور الدنيوية"[1]

عاش أبو الوليد الباجي محنة في الأندلس، وكان سببها سوء فهم بعض الفقهاء له، حيث في دانية وأثناء شرح حديث يقول من قال بظاهر اللفظ من أنّ النبي كتب بيده، فإنّ ذلك لا يقدح في معجزته، فأنكر عليه بعض الفقهاء ذلك، منهم ابن الصائغ، وكفره بإجازته الكتابة عن النبي الأمي، وهذا يعتبر تكذيبا للقرآن الكريم، وشنّعوا أمره وساد الكلام عند العامة بما لم يفهم غرضه في الشرح حتى أثاروا عليه الفتنة، ووصل لبعضهم لعنه نثرا وشعرا في المنابر، وضمّن بعض خطبائهم ذلك في الجُمع، من ذلك قول الشاعر عبد الله بن هند:

برئت ممن شرى دنيا بآخرة وقال إنّ رسول الله قد كتبا[2]

وقد ذكر القاضي عياض نقلا عن ثقة أنّ خطيب دانية كان واحدا منهم، ولكن الباجي كان رده عليهم وفق المنهاج العلمي، حيث ألّف رسالة سمّاها "تحقيق المذهب في أنّ النبي كتب" وبين أنّ ذلك لا يقدح في معجزته عليه الصلاة والسلام، ووسع نشرها بإرسالها لعلماء صقلية[3] والحديث هو حديث المقاضاة في يوم الحديبية[4]

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، 56/2.

[2] عياض، ترتيب، 350/2. وزّاني، أبو الوليد الباجي، ص55.

[3] للتوسع أنظر: عياض، الترتيب، 350/2. وقد ذكر خالد وزّاني أنّ الرسالة حققها أحمد لبزاز وقدمها لدار الحديث الحسنية، ونال بها دبلوم الدراسات الإسلامية العليا، والرسالة محفوظة لتلك الدار تحت الرقم العام 8038-8037 لسنة 1976. وزّاني، أبو الوليد، هامش ص 56.

[4] الحديث رقم 4251 أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب عمرة القضاء. ذكره أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم. حدثني عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه قال :لما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب، كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا، ولكن أنت محمد بن

وهناك قصّة ذكرها المقّري مفادها أنّ الفقيه أبا محمّد بن أحمد بن الحاج الهواري من أهل جزيرة شقر كان قد لازم الباجي وتفقه عنه، وكان يأخذ برأي الباجي في حديث المقاضاة، وأنّه عدل بعد ذلك لرؤية رآها وفسرها له أبو الحسن بن مفوّز بما يلي: "أخشى على صاحب هذا المنام أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته أو ينحله (ينسب إليه) ما ليس له بأصل، أو لعلّه يفتري عليه"[1]

توفي أبو الوليد الباجي في المرية سنة 474هـ/1083م كما سبق وأن ذكرنا، وكان جاءها سفيرا بين رؤساء الأندلس يسعى جاهدا لتأليف قلوبهم لنصرة الإسلام، ويحاول جمع كلمتهم مع جيش المرابطين المتواجدين في بلد المغرب[2]

ثانيا- أهم فقهاء المالكية في عصر ملوك الطوائف:

1) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، القرطبي (ت463هـ):

فقيه حافظ، عالم بالقراءات والفقه، والحديث والرجال[3] ولد سنة 362هـ، وضعه ابن فرحون في الطبقة العاشرة من أهل الأندلس، وسماه الفتح بن خاقان إمام الأندلس وعالمها[4] سمع ابن عبد

عبد الله. فقال: (أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله). ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (امحُ رسول الله). قال علي: لا والله لا أمحوك أبدا، **فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب، وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحدا إن أراد أن يقيم بها. فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليا،** فقالوا: قل لصاحبك: اخرج عنا، فقد مضى الأجل. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فتبعته ابنة حمزة، تنادي: يا عم يا عم، فتناولها علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك احمليها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، قال علي: أنا أخذتها، وهي بنت عمي. وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي. وقال زيد: ابنة أخي. فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها، وقال: (الخالة بمنزلة الأم). وقال لعلي: (أنت مني وأنا منك). وقال لجعفر: (أشبهت خلقي وخلقي). وقال لزيد: (أنت أخونا ومولانا). وقال علي: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: (إنها ابنة أخي من الرضاعة). أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1419هـ/1998م، ص.805

[1] المقّري، النفح، 287/2-288.

[2] عياض، الترتيب، 351/2.

[3] الحميدي، الجذوة، 332. الضبي، البغية، 427.

[4] ابن فرحون، الديباج، ص440. ابن خاقان، المطمع، 294.

البر من أكابر فقهاء قرطبة، وممن دخل المدينة من الغرباء لأنّه لم يغادر الأندلس، إذ سمع من ابن المكوي، وأبو القاسم خلف بن القاسم الحافظ، أحمد بن محمد بن عبد الله المقرئ، سعيد بن نصر، أبو الوليد بن الفرضي وغيرهم[1].

خرج ابن عبد البر من قرطبة بعد الفتنة، واستقر في غرب الأندلس، ثم تحول للشرق بين دانية وبلنسية وشاطبة، وتولى قضاء الأشبونة وشنترين[2]

لابن عبد البر عديد المؤلفات، منها "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" وفيه سبعون جزء[3] و"الاستيعاب في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضي الله عنهم والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم على حروف المعجم"[4] وسآتي على أغلبها في فصل الأثر الفكري، وقد قال في حق العالم ابن عبر البر الشيخ أبو علي الجياني: " وصبر أبو عمر على الطلب ودأب فيه، ودرس وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس، وعظم شأن أبي عمر بالأندلس وعلا ذكره في الأقطار، ورحل إليه الناس وسمعوا منه، وألّف تواليف مفيدة طارت في الآفاق"[5] روى عن ابن عبد البر كثير من الأئمة، منهم طاهر بن مفوز، ابن أبي تليد، وأبو علي الغساني، وغيرهم[6]

أثنى العلماء على ابن عبد البر، إذا قال فيه أبو علي الجياني: "وصبر أبو عمر على الطلب ودأب فيه ودرس، وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس... وألّف تواليف مفيدة طارت في الآفاق"[7] توفي رحمة الله عليه بشاطبة ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر من سنة 463هـ[8]

---

[1] الحميدي، الجذوة، 332. الضبي، البغية، 427. عياض، الترتيب، 352/2. ابن فرحون، الديباج، ص440.

[2] عياض، الترتيب، 352/2. ابن فرحون، الديباج، ص441.

[3] الحميدي، الجذوة، 332. الضبي، البغية، 428.

[4] الحميدي، الجذوة، 332. الضبي، البغية، 428. عياض، الترتيب، 353/2.

[5] عياض، الترتيب، 352/2.

[6] الضبي، البغية، 428.

[7] عياض، الترتيب، 352/2.

[8] نفسه، 353/2.

2) أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني (ت460):

هو العالم المحدّث من أهل اشبيلية أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد الرحمان بن عمر بن عبد الله أبي سعيد الداخل بجزيرة الأندلس وكان صاحب صلاة الجماعة بقرطبة على عهد عبد الرحمان بن معاوية وابنه هشام، والهوزني نسبة لهوزن وهم بطن من ذي الكلاع الأصغر، وعائلة الهَوزَني بالأندلس لهم بيت كبير ومشهور، ومنهم عدّة علماء كما ذكر المقَّري التلمساني[1] ولد الهوزني في رجب سنة 392هـ، وروى ببلده عن أبي بكر محمد بن عبد الرحمان العواد، وأبي إسحاق بن قابوس، وأبي القاسم بن عصفور، وغيرهم.[2]

ويذكر أنّ الهوزني كان على علاقة حسنة مع المعتضد العبادي قبل توليه الإمارة، ولما وصلته أوجس من الهوزني وضاق بوجوده في اشبيلية، ولما شعر الهوزني بذلك وكان ذكيا كما تقول المصادر رحل إلى المشرق سنة 444هـ حسب جل المصادر التي ذكرتها في ترجمة الهوزني وسنة 440 عند ابن بسام في الذخيرة، وذلك بعد أن استأذن الحاكم الجديد المعتضد بن عباد بالحج وكان الهوزني خائفا منه أيضا، وفي طريقه دخل مصر وكان له صوت، ومقام محمود، ووصل إلى مكة، وروى في طريقه كتاب الترمذي في الحديث وعنه أخذه أهل المغرب، وأخذ العلم عن أبي محمد بن الوليد وغيرهم، وسمع حينها كتاب صحيح البخاري، وعنه أخذه أهل الأندلس، ولما رجع سكن اشبيلية وخدم المعتضد، ولكنه استأذن الأخير ليسكن مرسية[3] وقد كان الهوزني متفننا في العلوم وصحيح الضبط لها مع ثقوب فهمه، توفي رحمة الله عليه في قصر اشبيلية بعد أن قتله المعتضد بالله عباد بن محمد ظلما، بل ودفن بثيابه وقلنسوته، وهيل عليه التراب دون غسل ولا صلاة وذلك سنة 460هـ لهذا تسبب

---

[1] منهم أبا حفص عمر بن إبراهيم بم محمد الهوزني المعروف بابن أبي هريرة (396-456هـ)، وهو من أهل اشبيلية وقد عرف عنه أنّ له تصرف في عديد الفنون خاصة الحساب. ابن بشكوال، الصلة، 584/2. المقّري، النفح، 373/3.

[2] ابن بشكوال، الصلة، 585/2. أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، قس 81/2-82.

[3] ابن بشكوال، الصلة، 2/ ص585. ابن بسام، الذخيرة، تح، إحسان عباس، قس 82/2.

ابنه أبو القاسم في فساد دولة المعتمد بن عباد، وحرّض عليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأزال ملكه ونثر سِلكه[1]

ذكر صاحب الذخيرة أن الهوزني لما طاب من المعتضد سكن مرسية، وكانت حينها تحت حكم ابن طاهر، وفي هذه الفترة تغلب الروم على بربشت سنة 456هـ وضاقت المدينة بساكنيها وتفاقم الخطب، حينها خاطب الهوزني المعتضد في رقعة فيها أبيات يحرضه فيها على الجهاد جاء فيها:

أعبّاد جلَّ الرزء والقوم هُجَّعُ ... على حالة من مثلهـــــــــــــــــا يُتَوقع

فلقِّ كتابي من فراغك ساعةً ... وإن طال (طاف) فالموصوفُ للطول موضع

إذا لم أبثَّ الداء رَبَّ شكاية (دوائه) ... أضعتُ وأهلُ للملامِ المؤضِّعُ[2]

وجاء في فصل منها: "وكتابي عن حالة يشيب لشهودها مَفرِق الوليد، كما يغبرّ لورودها وجه الصعيد، بدؤها بنسف الطريفَ والتالد، ويستأصل الوليد والوالد، تذرُ النساء أيامى، والأطفال يتامى، فلا أيِّمة إذا تبقى أنثى، ولا يتيم والأطفال في قيد الأسرى، بل تعم الجميع جمّا جما، فلا تحصّ، وتزدلف قُدما قُدما، فلا تنكص، طمَّت حتى خيف على عروة الإيمان الانفضاض، وطَمت حتى خشي على عمود الإسلام منها الانقضاض، وسمت حتى تُوُقع على جناح الدين الانهياض"[3]

وواصل يدفع المعتضد للجهاد والدفاع على حرمة المسلمين لهذا عدّ الهوزني ممن كان يدعوا للحمة المسلمين في الأندلس عصر الطوائف، وكتب: "كأنّ الجميع في رقدة أهل الكهف، أو على وعد صادق من الصرف والكشف، وأنّ لمثلها بالدفاع عن الحريم، ولما نمتثل أدب العزيز الحكيم في قوله: "ولا دفعُ الله النّاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" البقرة: 251. وقوله تعالى:" لَهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره"[4]. ومن أين لنا

---

[1] ابن بشكوال، الصلة، 2/ ص585. المقّري، النفح، 3/371-372.

[2] ما بين قوسين في الأبيات هو وجود اختلاف في كتابة العبارة. المقّري، النفح، 3/372.

[3] ابن بسام، الذخيرة، تح، أحسان عباس، قس 84/2.

[4] سورة الحج: الآية 40.

دفعهم بالكفاية أو كيف ... وان هذا الأمر له ما بعده، إلا أن يُسَنّي الله على يديك دفعه وصده"

وله كلام طويل في ذلك جاء في بعضه أيضا:

أعبّاد ضاق الذرع واتسع الخرق ولا غرب للدنيا إذا لم يكن شرق

ودونك قولا طـال وهو مقصّر فللعين معنى لا يعبره النـطق

إليك انتهت آمالنا فارم ما دهى بعزمك يدمغْ هامة الباطل الحـق

وفي النثر كتب: "وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها، ولا أرجى الدليل من ناط الأمور بأربابها، ولربّ أمل بين أثناء المحاذير مدبّج (مدمج) ومحبوب (محبب) في طي المكاره مدرج، فانتهز فرصتها فقد بان من غيرك العجز، وطبّق مضاربها (مفاصلها) فكأنّ قد أمكنك الحزّ، ولا غرو أن يستمطر الغمام في الجذب، ويستصحب الحسام في الحرب، فالسهام تطيش فتختلف، والرماح تلين وتنقصف، فإن جعجعت أيها الساعي المخب في بغاء الفرج، وتحققت بالحث على جلاء تلك اللجج، ووجدت في ذلك الباب المرتج"[1]

وله أبيات كان من خلالها يستنهض أمراء الطوائف جاء فيها:

بيّت الشرّ فلا يستـزل طـرق النوّام سِمع أزلّ

فثِبُوا واخشوشنوا واحزئلّوا كل ما رزء سوى الدين قُلّ

صرّح الشر فلا يُستقـل إن نهلتم جاءكم بعـد علّ

بدء صعق الأرض نشء (رشّ) وصلُّ ورياح ثم غيـم أبلّ

قد رجت عاد سحابا ي فإذا ريـح دبورٌّ مِحلّ

نقبوا (خفِّضوا) فالداء رزءٌ يحل (أجلّ) واغمدوا سيفا عليكم يسلّ[2]

هكذا كان الهوزني يحرض بني عباد لتوجيه جهودهم للجهاد ضد النصارى واسترجاع المناطق التي أقلعوا في احتلالها فيما عرف بحروب الاسترداد.

---

[1] للتوسع أكثر في الرسالة شعرا ونثرا أنظر: ابن بسام، الذخيرة، تح، إحسان عباس، قس 2/ 86-94. المقّري، النفح، 3/ 392-393.

[2] ابن بسام، الذخيرة، تح، إحسان عباس، قس 2/89-90.. المقّري، النفح، 3/ 392-393.

3) أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد (ت520هـ):

يعتبر القاضي ابن رشد الجد من الفقهاء المخضرمين إن صح التعبير، إذا ولد ونشأ وتعلّم في عصر الطوائف، ولكن في الوقت ذاته عاش في حكم دولة المرابطين بالأندلس، كان مولد ابن رشد في مدينة قرطبة عاصمة الحكم الأموي، وقلعة المالكية في الأندلس، وكانت الأندلس عموما تعيش محنة التفرق والطوائف، وتقاسم ألقاب الخلافة والإمارة، ولد في شهر شوال سنة 450هـ/1058م وكان قد عيّن قاضي الجماعة بقرطبة[1]

قال فيه تلميذه ابن بشكوال: " محمّد بن أحمد بن رشد المالكي، قاضي الجماعة بقرطبة، وصحاب الصلاة بالمسجد الجامع، يكنى أبا الوليد، روى عن أبي جعفر أحمد بن رزق الفقيه وتفقه معه، وعن أبي مروان بن سراج، وأبي عبد الله محمد بن مفرج، وأبي علي الغساني. وأجاز له أبو العباس العذري ما رواه. وكان فقيها، عالما، حافظا للفقه، مقدما فيه على جميع أحل عصره، عارفا بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه، بصيرا بأقوالهم واتفاقهم، واختلافهم، نافذا في علم الفرائض والأصول، من أهل الرياسة في العلم والبراعة والفهم مع الدين، والفضل، والوقار، والحلم، والسّمت والهدى والصالح ...تقلد القضاء بقرطبة، وسار فيه بأحسن سيرة، وأقوم طريقة، ثم استعفي عنه فأُعفي، ونشر كتبه وتواليفه ومسائله وتصانيفه، وكان الناس يلجئون إليه، ويعولون في مهماتهم عليه، وكان حسن الخلق، سهل اللقاء، كثير النفع لخاصته، وأصحابه، جميل العشرة لهم، حافظا لعدهم كثيرا لبرهم"[2]

وقال فيه تلميذه القاضي عياض: "الفقيه القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ومقدمهم المعترف له بصحّة النظر وجودة التأليف ودقّة

---

[1] الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1990 74/1. وقد ترجم بالتفصيل محقق مسائل ابن رشد في الباب الأول عن حياة ابن رشد من نشأة وتعليم وسياسة وتوليه القضاء، يمكن الرجوع إليه: ابن رشد الجد: **مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد)**، تح، محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل بيروت، دار الآفاق الجديدة المغرب، ط2، 1414هـ/1993م، مج21/1 وما بعدها.

[2] ابن بشكوال، الصلة، 839/3-840.

الفقه، وكان إليه المفزع في المشكلات، بصيرا بالأصول والفروع والفرائض والتفنن في العلوم، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، كثير التصنيف مطبوعه، ألّف كتابه المسمى بكتاب البيان والتحصيل في كتاب العتبي المستخرج من الأسمعة، وهو كتاب عظيم نيّف على عشرين مجلد...حسن القلم والروية، حسن الدين، كثير الحياء، قليل الكلام متسمتا نزها"[1]

وقد قال فيه محقق كتاب البيان والتحصيل لابن رشد بعد أن ترجم له: "كان محمّد ابن رشد -بإجماع من ترجموا له- ناسكا عفيفا، كريم الخلق سهل الحجاب، كما كان أستاذا بطبعه، يحب التدريس ويحسن طرق التبليغ، تسعفه مادة غزيرة، وتفكير منظم، وعبارة منطلقة، وحرص على نفع الطلبة، ولم ينل ابن رشد تقدير الأوساط العلمية ببلده وكفى، بل أجله الناس في العدوتين، حتى أمير المسلمين ملك المرابطين في مراكش، واعتقده أهل قرطبة بصفة خاصة وأحبوه لأنّه كان إمامهم وخطيبهم في المسجد الجامع الأعظم، الذي كان يسع أهل المدينة جميعا، ورأوا في العالم بالشريعة المتحلي بها، إياه يستفتون في مسائل دينهم ودنياهم، وإليه يفزعون فيما يلم بهم من ريب الدهر ونوائبه"[2] توفي ليلة الأحد ودفن يوم الأحد 11 ذو القعدة سنة 520هـ[3]

4) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي:

هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى بن يحي بن محمد بن قزمان المعافري، المقرئ، ولد سنة 340هـ في مدينة طلمنكة بالثغر الشرقي إلى الأندلس وإليها ينسب، لكنه عاش في قرطبة وسمع من رجالها، كأبي عبد الله بن مفرّج القاضي، وأبي القاسم خلف بن محمد المكتب،

---

[1] القاضي عياض: **الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض**، تح، ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م، ص54.

[2] أبو الوليد بن رشد القرطبي: **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**، تح، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1408هـ/ 1988م، 1/ ص 14.

[3] ابن بشكوال، الصلة، 840/3. الضبي، البغية، 74/1. أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي: **تاريخ قضاة الأندلس، المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط5، بيروت، 1403هـ/1983م، ص99.

وأبي الحسن الأنطاكي المقرئ وغيرهم من علماء قرطبة وسائر الأندلس[1] رحل إلى المشرق وحج، فلقي بمكة بعض العلماء منهم أبا لطاهر محمد بن محمد بن جبريل العُجيفي، وفي المدينة أبا الحسن يحي بن الحسين المطلبي، وبمصر أبا الطيب بن غلبون المقرئ، وفي القيروان أبا محمد بن أبي زيد الفقيه وغيرهم، دخل الأندلس وعدّ أحد أئمة علم القرآن، وكانت له عناية كاملة بالحديث ونقله وروايته، وكان عارفا بأصول الديانات[2]

عرف عن أبي عمر الطلمنكي كما قال ابن بشكوال أنّه سيف مجرد على أهل الأهواء والبدع، قامعا لهم، غيورا على الشريعة، شديدا في ذات الله[3] وهذا يخالف التهم التي تعرض لها الطلمنكي من قبل مجموعة من رجال العلم وهو في مدينة سرقسطة سنة 425هـ/1033م إذ شهدوا عليه بأنّه مخالف للسنة، وأنّه أخد بمبدأ الخوارج الحرورية، وكتبوا ذلك للقاضي، ولكن الأخير برأه بعد البحث والتقصي[4] والواقع أنّ الطلمنكي كان شديد الوقع على أهل الأهواء والبدع وهذا ما جلب له بعض المخالفين، وموقفه من ابن مسرة وأتباعه واضح بل ألف كتابا في الرد عليهم كما سنعرف.

توفي سنة 429هـ بعد طول التجوال بطلمنكة التي استقر فيها آخر عمره[5]

---

[1] ابن بشكوال، الصلة، 84/1. عياض، الترتيب، 312/2.

[2] ابن بشكوال، الصلة، 84/1.

[3] ابن بشكوال، الصلة، 84/1.

[4] أسهب الدكتور التونسي عمر بن حمادي في هذه القضية وفصل فيها، وللاستفادة يمكن الرجوع: عمر بن حمادي: "قضية أبي عمر الطَلمنكي الأندلسي (340-429هـ/951-1037م)"، **مجلة دراسات أندلسية**، العدد 3، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، جمادى الأولى 1410هـ/ديسمبر 1989م، ص 5-21.

[5] ابن بشكوال، الصلة، 85/1.

الفصل الثاني

المذاهب السنية غير المالكية في الأندلس

المبحث الأول: المذهب الأوزاعي.

المبحث الثاني: المذهب الشافعي.

المبحث الثالث: المذهب الظاهري والحنفي والحنبلي

الفصل الثاني: المذاهب السنية غير المالكية بالأندلس

المبحث الأول: المذهب الأوزاعي في الأندلس

ينتسب هذا المذهب إلى مؤسسه الإمام **أبو عمرو الأوزاعي**[1] شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، من أهم أقواله المشهورة قوله: "إذا أراد الله بقوم شرّا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل". وقوله: "ويل للمتفقهين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات"، كما كانت له مواقف سياسية مشهودة مع الأمراء والحكام، منها ما حكاه الإمام الأوزاعي نفسه، قال: «لما فرغ عبد الله بن علي – عم أبو العباس السفاح– من قتل بني أمية، بعث إليّ، وكان قد قتل يومئذ نيّفا وسبعين منهم، فدخلت عليه، فقال: ما تقول في دماء بني أمية؟ ... قلت: حرام، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يحلّ دم امرئ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث..." فقال: ويلك ؟ وقال: أليست الخلافة وصيّة من رسول الله، قاتل عليها عليّ –رضي الله عنه – بصفّين؟ قلت: لو كانت وصيّة ما رضي بالحكمين، فنكس رأسه، ونكست فأطلت... فأشار بيده: اذهب، فقمت، فجعلت لا أخطو خطوة إلاّ قلت إنّ رأسي يقع عندها».[2]

[1] **الإمام الأوزاعي**: هو الإمام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، سكن دمشق ثم انتقل لبيروت مرابطا حتى توفي بها، كان إماما في الفقه والحديث، وقد حدّث عن عطاء بن أبي رباح (ت115هـ733م) والزهريّ وطبقتهما. سئل الأوزاعي عن الفقه وعمره ثلاث عشرة سنة، وأخذ عنه العلم كبار العلماء من أمثال سفيان الثوري، وعبد الله بن المبارك وهقل بن زياد وغيرهم، وقد اجتمع الأوزاعي بمالك في مسجد المدينة، وظلاّ يتدارسان الفقه والحديث من صلاة الظهر إلى صلاة المغرب، وقد قال الإمام مالك في حقّه "الأوزاعي، إمام يقتدى به". أجاب الإمام الأوزاعي لغزارة علمه في سبعين ألف مسألة، وكان من المعارضين للعمل بالرأي وداعية العمل بالحديث، حتى قال فيه عبد الرحمن بن مهدي "ما كان أحد بالشام أعلم بالسنّة من الأوزاعي"، وعلى الرغم من أنّ القضاء والفتيا دارتا في الشام على مذهبه، فإنّه رفض منصب القضاء، وبقي مذهبه بالشام حتى القرن الرابع الهجري، حيث توسع مذهب الإمام الشافعي على حساب مذهبه. توفي رحمه الله ببيروت سنة157هـ/774م. الشيرازي، المصدر السابق، ص76. الذهبي، سير، 296/5 و297. ابن قتيبة، المعارف، ص 496 و497. ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1405هـ/1985م، 488/7. خضري بك، المرجع السابق، ص265 و266. أحمد فرج، المرجع السابق، ص280.أحمد عبد المنعم البهى، **الأوزاعي فقيه الشام والأندلس وإمامهما**، مجلة العربي، عدد 107، عام 27 جمادى الثانية 1387هـ/أكتوبر1967م، الكويت، ص37.

[2] عن هذه الواقعة وغيرها، أنظر: الذهبي: سير، 302/5 و303 و305. الخضري بك، المرجع السابق، ص 266. البهى، المقال السابق، ص40.

أولا– دخول المذهب الأوزاعي إلى الأندلس:

دخل المذهب الأوزاعي إلى الأندلس في أواخر عهد الولاة، واستمر إلى بدايات عهد الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن الداخل، واختلفت المصادر في تحديد أول من أدخل المذهب الأوزاعي إلى الأندلس، فمنهم من يذكر أسد بن عبد الرحمن السبئي، ومنهم من يرجح صعصعة بن سلاّم الشامي، وسآتي على فقهاء الأوزاعية في الآتي:

1) **أسد بن عبد الرحمن السبئي وقيل السائي(ت116هـ/734م):**

أسد بن عبد الرحمان من قرية ربلس (إقليم همذان) من كورة البيرة[1]، أصله شامي ونزل بهذه القرية، وقد شحت المصادر في ذكر تفاصيل حياته، سمي في وقته "بأفقه الناس في مسائل الجهاد"، إذ كان فقيها عالما، روى عن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وعن أبي مسلم مكحول بن سهراب الدمشقي)[2].

2) **صعصعة بن سلاّم الشامي (ت192–807هـ):**

صعصعة بن سلاّم فقيه من أصحاب الأوزاعي، بل من أظهر تلامذته في عاصمة بني أمية، فقد ذكر أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس، أنّه دمشقي، ويكنى أبا عبد الرحمن، أمّا انتسابه للأندلس فهو بحكم استقراره فيها، روى عن الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز، ونظرائهما من الشاميين، ثم قدم مصر وروى عنه موسى بن ربيعة الجمحي، وقد أُعتبر صعصعة بن سلاّم أول من أدخل الحديث ومذهب الأوزاعي إلى الأندلس[3]. وبهذا يعتبر ابن الفرضي وغيره أنّ صعصعة هو أول من أدخل المذهب الأوزاعي إلى الأندلس.

---

[1] **إلبيرة (Elvira)**: من كور الأندلس، نزلها جند دمشق من العرب وموالي عبد الرحمن بن معاوية، بينها وبين غرناطة 6 أميال، وهي تقع بين القبلة والشرق من قرطبة، أنظر: الحميري، الروض، ص 28 و29.

[2] أبو عبد الله، وقيل أبو أيوب، وقد ذكر أبو حاتم أنه ما بالشام أفقه منه. عن ترجمتة، أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 424/4–427.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 169. الحميدي، المصدر السابق، ص214. الضبي، المصدر السابق، ص 281. ليفي بروفنسال، الحضارة، ص 153.

روى عنه من أهل الأندلس عبد الملك بن حبيب، وعثمان بن أيوب وغيرهما، وقد ذكره الأول في كتابه "طبقات الفقهاء"، وفي أيّامه غرست الأشجار في المسجد الجامع، وبقي غرس الأشجار في المسجد حتى بعد دخول المذهب المالكي الذي يكرهه[1].

ومما يذكر عنه ما أوصى به ابنه، فقال له: "يا بني، أظهر اليأس فإنّه غنى، وإياك والطمع وطلب الحاجات، فإنّه فقر حاضر...". ومما رووه عن الإمام الأوزاعي أيضا قوله: "فضل العلم خير من فضل العبادة، ورأس الدين الورع، ومن ورع فقد ذكر الله جلّ وعز، وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن".[2]

وهكذا وجد مذهب الإمام الأوزاعي في الأندلس التربة التي احتضنت مذهبه، وأخذت بمنهجه رغم وجود مذاهب أخرى عاصرته، والفضل في ذلك يعود إلى الفقيهين أسد بن عبد الرحمن وصعصعة بن سلاّم، وإن كان الدور الأكبر في نشر المذهب يعود إلى صعصعة بحكم تواجده في عاصمة بني أميّة قرطبة، خاصة لما اختير مذهب الإمام الأوزاعي رسميا كمذهب يدور عليه القضاء وكذا الفتيا، في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل، وصدر من ولاية ابنه هشام، ولكن يبقى من أدخل المذهب هو أسد بن عبد الرحمان لفارق تاريخ الوفاة بينه وبين صعصعة بن سلاّم.

ثانيا: أسباب دخول المذهب الأوزاعي وأهم فقهائه في الأندلس:

أول ما يتبادر إلى الذهن هو طرح السؤال عن العوامل التي ساعدت على دخول هذا المذهب إلى الأندلس؟ ولم كان أول المذاهب الفقهية دخولا وانتشارا فيها؟

بعد الإطلاع على ما استطعت جمعه من معلومات عن هذا المذهب في الأندلس، خلصنا إلى ما يلي:

---

[1] اختلف في تاريخ وفاته، فقيل سنة 180هـ، وقيل 201هـ. أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص 208. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 168 و169. الحميدي، المصدر السابق، ص214. الضبي، المصدر السابق، ص 281.

[2] الخشني، أخبار الفقهاء، ص208.



1- كان اهتمام المذهب الأوزاعي بالتشريعات الحربية وأحكام الجهاد[1]، وهذا يناسب وضع الأندلس خلال هذه الفترة، إذ كانت حياة سكانها قائمة على مبدإ الجهاد ضد النصارى الأسبان.[2] ذكر القاضي عياض بأن الإمام الأوزاعي تناظر مع الإمام مالك وكان الإمام الأوزاعي يجر مالكا للنقاش في المغازي والسير، فقوي عليه، فلما رأى مالك ذلك جرّه إلى الفقه فقوي مالك عليه[3]

2- جل الجند الفاتحين والقادمين من المشرق، هم من الحجاز وبخاصة من الشام (مركز انتشار المذهب الأوزاعي)، ومثال ذلك طالعة "بلج بن بشر" سنة 125هـ/742م.[4]

3- ميل الأندلسيين إلى البساطة في أخذ الدّين دون تعقيد (قبول أهل الحديث دون أهل الرأي)، وسيخلفهم المذهب المالكي الذي يعتبر من أهل الحديث أيضا كما عرفنا في التمهيد.

رغم توسع المذهب المالكي على حساب المذهب الأوزاعي في الأندلس أواخر عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن، فإنّ بعض الفقهاء قد حافظوا على المذهب بعده كما سنعرف.

رغم أنّ المذهب الأوزاعي كان هو المذهب الأول دخولا إلى الأندلس وتبنته الإمارة الأموية في أول عهدها، فإنّ فقهاء هذا المذهب لم أجد لهم ذكرا كبيرا في المصادر العامة، وكتب الطبقات بخاصة، وما وجد منهم نجد المصادر قد شحت في التعريف بهم وترجمتهم، منهم أذكر:

[1] ذكر المستشرق الألماني شاخت أنّ الإمام الأوزاعي نقل وتأثر في فقهه بالتشريع الروماني، غير أنّ من يقرأ له يقطع هذا الرأي ويدرك بأنّه لم يهتم بأي تشريع غير الشريعة الإسلامية، مع العلم أنّ الإمام الأوزاعي كان من المجاهدين المرابطين في مدينة بيروت، التي كانت رباطا في صدّ العدوان البزنطي. أنظر: عن شاخت والرد عليه أنظر: مراد يحي، **افتراءات المستشرقين على الإسلام والردّ عليها**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م، ص 288. وعنه نقلنا قول شاخت، العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 319.

[2] النعنعي، المرجع السابق، ص170. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص319. أحمد السامرائي، المرجع السابق، ص63.

[3] عياض، المدارك، 123/1.

[4] بروفنسال، الحضارة، ص55. أحمد السامرائي، المرجع السابق، ص57.

3) **زهير بن مالك بن سرحان بن زهير بن مالك بن أبي الأملح عدي بن جذيمة بن معد البلوي** (**ت بعد 238هـ وقبل 250هـ**):

من أهل قرطبة، يكنى أبا كنانة، أقطع الأمير عبد الرحمان الداخل جدهم "عدي بن جذيمة" أراضي بجهة فحص البلوط، وهي تنسب إليهم "قوم بني الأملح"، لهذا كان زهير مضطرب السكن بين مدينة باجة[1] وفحص البلوط[2]، يذكر أنّه كان فقيها على مذهب الأوزاعي، وقد ذكر ابن الحارث أنّ الفقيه عبد الملك بن حبيب المالكي، كان يعذل (يلوم) أبا كنانة على انحرافه عن مذهب أهل المدينة، وتمسكه برأي الأوزاعي، فكان يقول له:"حسدتني إذ انفردت بالأوزاعية دون أهل البلد". ولا ندري إن كان قد تولى منصبا في حياته، ونرجّح عدم وقوعه في ظل توسع المذهب المالكي. توفي في صدر أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن.[3]

4) **عبد الملك بن الحسن بن محمد بن رزيق بن عبيد الله بن أبي رافع** (**ت 232هـ/846م**):

من أهل قرطبة، يكنى أبا مروان، ويعرف بزونان، كناه ابن الحارث، أبا الحسن، وقد روى عن صعصعة بن سلام الأوزاعي، وكانت له رحلة سمع فيها من أشهب بن عبد العزيز (ت204هـ/819م) وعبد الرحمن بن القاسم (ت191هـ/806م)، تولى عبد الملك منصب الفتيا

---

[1] **باجة**: (Beja) في البرتغال الحالية، وهي من أقدم مدن الأندلس، بينها وبين قرطبة 100 فرسخ، وبها ثار العلاء بن مغيث الجذامي على الأمير عبد الرحمن الداخل كما ذكرنا سابقا، سمّاها القيصر "يوليش جاشر" باجة، ومعناها "الصلح"، منها عدّة علماء كأبي الوليد الباجي. أنظر: الحميري، الروض، ص 75.

[2] **فحص البلوط**: (Los Pedoches) من ناحية قرطبة، بينه وبينها مرحلتان أو ثلاث، ومن هذا الفحص، جبل البرانس، فيه معدن الزئبق، والزيتون المتناهي الجودة، وهو كثير أشجار البلوط، إليه ينسب القاضي منذر بن سعيد البلوطي. أنظر: الحميري، الروض، ص435 و436.

[3] ذكر الخشني أنّ وفاته كانت في صدر حكم الخليفة محمد، والأصل هو الأمير بدلا من الخليفة، لأنّ الخلافة لم تعلن حتى 316هـ/928م في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر كما عرفنا سابقا. أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص100 و101. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 131. الحميدي، المصدر السابق، ص 194. الضبي، المصدر السابق، ص 256.

في عهد الأمير هشام، وصدرا من عهد ابنه الحَكَم، وقد كان على مذهب الأوزاعي، ثم رجع إلى مذهب المدينيين (المالكي). توفي في أواخر عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم[1]

5) **مصعب بن عمران:**

يكنى مصعب بأبي محمد، دخل الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وكان راوية عن الأوزاعي وغيره من الشاميين، كما روى عن المدينيين[2] لهذا نقول إنّه جمع بين مذهبين من أهل الحديث، وهناك من يذكر بأنّ مصعب لم يقلّد مذهبا بعينه، وكان يقضي بما يراه صوابا، وما عُرف عنه أنّه كان خيّرا فاضلا.[3]

6) **محمد بن إسحاق بن إبراهيم:**

قد شحت المصادر كثيرا في التعريف به سوى ما ذُكر عنه من أنّه كان يروي عن الإمام الأوزاعي، وحتى هذه الرّواية فيها شك، إذ قيل إنّه منكر الحديث.[4]

ثالثا– أسباب أفول واندثار المذهب الأوزاعي في الأندلس:

تضافرت بعض العوامل والأسباب التي أدت إلى أفول مذهب الإمام الأوزاعي في الأندلس وتوسع مذهب الإمام مالك مكانه، وفي باقي المناطق كتوسع مذهب الإمام الشافعي مكانه في دمشق، وقد جمع مصطفى الهروس بعض الأسباب الخاصة بالأندلس، ويمكن إجمال أهمها في:

1)عدم اهتمام فقهاء الأوزاعية بنشر مذهب إمامهم ونصرته والدفاع عنه، خاصة المناظرات والجلسات العلمية مع غيرهم من فقهاء المذاهب الأخرى، واستدل الهروس على ذلك بمقولة

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 220. الحميدي، المصدر السابق، ص 250. الضبي، المصدر السابق، ص 328.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص397.

[3] نفسه، ص 397. النباهي، المصدر السابق، ص 47.

[4] أورد الحميدي حديثا، قال: روى عن إبراهيم بن أبي عبلة، روى...قال: حدثنا محمد بن إسحاق الأندلسي، قال: أخبرنا غالب بن عبيد الله القرقساني، حدّثنا سعيد بن المسيب، قال: سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا آوى إلى بيته يصنع؟ قالت: يرقّع ثوبه، ويخصف نعله، ويعالج سلاحه، وقد قيل: محمد بن إبراهيم بن محمد الأندلسي عن الأوزاعي، منكر الحديث. أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص296. الحميدي، المصدر السابق، ص39.

نقلها عن الرازي في تاريخه مفادها أنّ "سعيد بن عبد العزيز" وهو من كبار فقهاء المذهب الأوزاعي قال لأصحابه معاتبا: "ما لكم لا تجتمعون، ما لكم لا تتذكرون"[1]

2)عدم وجود إستراتيجية ملائمة وبيئة مناسبة في اختيار أماكن المذهب وانتشاره، وسوء التوزيع الجغرافي، خاصة أنّها بعيدة عن طرق الحج الموصلة للأماكن المقدسة في الحجاز، وأشار الهروس إلى أنّ المقريزي ذهب لهذا القول وأعتبره من بين الأسباب التي عجلت بانقراض المذهب الأوزاعي[2]

3)منافسة فقهاء المالكية لفقهاء الأوزاعية خاصة الذين أدخلوا المذهب المالكي إلى الأندلس[3]، وأثناء ترجمتنا للفقيه الأوزاعي زهير بن مالك أنّ الفقيه المالكي عبد الملك بن حبيب كان يلومه على تركه لمذهب إمام المدينة وأنّه لا يزال على مذهب الأوزاعي، كما كان زهير متنقلا بين باجة وفحص البلوط لهذا لم يستطع ربما تأسيس مدرسة لها أتباع يأخذون عنه المذهب[4]

4)الإمارة الأموية كانت تبحث عن السند الشرعي القوي الذي يمنحها الشرعية في ضل وجود الخلافة العباسية القائمة في بغداد، فأخذت في البداية بمذهب أهل الشام كما عرفنا للأسباب السالفة الذكر، ولكنها سرعان ما وجدت في المذهب المالكي القوة الدينية التي يمكن أن تعقد معها معنويا ميثاق الوحدة، وقد حافظت عليه طيلة حكم الأمويين في الأندلس وحتى بعد سقوط خلافتهم رسميا سنة 422هـ.

5) عدم تغطية فقهاء الأوزاعية لجميع المناصب الدينية في الدولة، وبمجرد دخول فقهاء المالكية تجلى الفارق في التسيير وقدرة فقهاء المالكية على الانتشار، وقبول العامة لهم، وبرز دور القضاة والمشاورين في تعيين أتباع المذهب في المناصب الحساسة خاصة الفقيه يحي بن يحي الليثي.

---

[1] الهروس، المرجع السابق، ص48-49.

[2] نفسه، ص 49.

[3] نفسه، ص49.

[4] الخشني، أخبار الفقهاء، ص100 و101. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 131. الحميدي، المصدر السابق، ص 194. الضبي، المصدر السابق، ص 256.

في الختام نستنتج أنّ مذهب الإمام الأوزاعي هو أول المذاهب الفقهية السنية دخولا إلى الأندلس، وقد سير الأمور الدينية فترة ثم ما لبث أن انقرض في الأندلس كما انقرض في الشام.

6) قوة الفقه المالكي مقارنة بالفقه الأوزاعي الذي اهتم بالتشريعات الحربية أكثر، فقد ذكر القاضي عياض بأن الإمام الأوزاعي تناظر مع الإمام مالك وكان الإمام الأوزاعي يجر مالكا للنقاش في المغازي والسير، فقوي عليه، فلما رأى مالك ذلك جرّه إلى الفقه فقوي مالك عليه[1]

المبحث الثاني: المذهب الشافعي في الأندلس

ينسب المذهب الشافعي إلى الإمام "**محمد بن إدريس الشافعي**[2]، المكي، الغزّي (غزّة) المولد، نسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمّه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد

---

[1] عياض، المدارك، 123/1.

[2] **الإمام الشافعي**: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام ابن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله القرشي الشافعي، حفظ القرآن الكريم في السن السابعة، وأخذ يتعلم اللغة العربية، ثم حبب إليه الفقه، فأخذه مع الحديث في مكّة من مسلم بن خالد الزنجي – مفتي مكة –، ومن سفيان بن عيينة وغيرهما، ثم ارتحل إلى المدينة للأخذ من عالمها مالك بن أنس، وكان قد حفظ كتابه "الموطأ" قبل أن يلتقي به، ولما قرأه عليه أجازه، ومكث معه تسع سنوات، ثم عاد إلى مكة، ومنها انتقل إلى اليمن مع واليها لما زار الحجاز، خاصة إذا علمنا أنّ الإمام من عائلة فقيرة، وهناك خاض غمار السياسة إلى أن وقعت له محنته مع والي "نجران" الذي اتهمه بالتشيع لآل علي، وهذا الموضوع يخشاه العباسيون كثيرا، رغم أنّ تشيع الشافعي لم يكن يدعو إلى حق آل علي في الحكم، فإنّه اتهم بالرفض (رفض إمامة الشيخين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب)، وردّ عليهم بقوله:

إن كان رفضا حب آل محمّدٍ فليشهد الثقلان أنّي رافضي.

فاقتيد الإمام الشافعي إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية للنظر في أمره، وقد كان مآله القتل لولا تدخل قاضي بغداد وصاحب الشافعي"محمد بن الحسن الشيباني"، رجع الشافعي بعد هذه المحنة مرّة ثانية للعلم، وكما قيل "ربّ محنة أورثت خيرا عظيما"، إذ لو بقي في الولاية لما عاد ربّما إلى العلم، عندها قرأ فقه أبي حنيفة النعمان، فجمع بين علم أهل الحديث وعلم أهل الرأي، وأ صّل الأصول وقعّد القواعد لعلم جديد هو "علم أصول الفقه".

عرض على الشافعي القضاء فرفضه، وبعد توسع الفكر الاعتزالي في العراق وتبني الخلافة له في عهد المأمون بن هارون الرشيد (198-218هـ/813-833م)، رحل الإمام الشافعي إلى مصر، وبقي فيها إلى أن توفي في رجب 204هـ/819م، تاركا مائة وسبعة وأربعين كتابا، فضلا عن المؤلفين الكبيرين "الرسالة" و"الأم. عن تفاصيل حياته وأهم أصول مذهبه وتلاميذه أنظر: الذهبي، سير، 6/7-42. ابن عبد البر، الانتقاء، ص115-162. ابن خلكان، وفيات، 163/4-169. أبو بكر هداية الله الحسيني، **طبقات الشافعية**، تحقيق وتعليق عادل نويهض، منشورات دار المعارف، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص11-14. الخضري بك، المرجع السابق، ص251-257. أبو زهرة، المذاهب، ص 427 وما بعدها.

المطلب. ولد محمد بغزّة سنة 150هـ/767م، وهي السنة التي توفي فيها الإمام أبو حنيفة النعمان، توفي والده وهو في المهد، فحملته أمّه إلى مكّة خوفا أن يضيع نسبه[1]

أولا– دخول المذهب الشافعي إلى الأندلس:

دخل المذهب الشافعي إلى الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/852-886م)، الذي كان ميالا لحرية الفكر والرأي، ومولعا بالعلم والأدب، كما كان حريصا على تشجيع العلوم التي حذّر منها فقهاء المالكية، وبقي الأمر على حاله في عهد الإمارة.[2]

كان للشافعية عدد كبير في الأندلس، ومن رواد المذهب:

1) قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار:

أحد أعلام الأمّة أبو محمد الأندلسي القرطبي مولى الوليد بن عبد الملك[3] من أهل قرطبة، يكنى أبا محمد، أول من أدخل هذا المذهب إلى الأندلس، وكان داعيته في عاصمة بني أمية.[4]

كانت لقاسم بن محمد رحلتان في طلب العلم، الأولى أقام فيها اثني عشرة سنة، والثانية ستة أعوام، ولقي خلالهما سحنون بن سعيد (ت240هـ/854م)، والمزني، والحارث بن مسكين، وحرملة راوية ابن وهب، ومحمد بن إبراهيم الشافعي، كما لزم ابن عبد الحكم في مصر للتفقه وغيرهم، ويُذكر أنّه كان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد، ويميل إلى مذهب الشافعي، وتأكدت شافعيته رغم أخده عن كبار فقهاء المذهب المالكي، عندما طلب منه ابنه بأن يوصيّه. قال له: "أوصيك بكتاب الله، فلا تنس حظك منه ... وإن أردت أن تأخذ من هذا الأمر بحظ،

---

[1] الذهبي: سير، 3/7-5. الخضري بك، المرجع السابق، ص251. مصطفى الشكعة، **المطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، ط2، القاهرة، 1403هـ/1983م، ص121.

[2] ابن الخطيب، تاريخ، ص 22. بروفنسال، الحضارة، ص 159. دومينيك ايرفوا، المقال السابق، ص1185. ماريا ايزابيل فييرو، **الزندقة والبدع في الأندلس**، ترجمة يعقوب دواني، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، المرجع السابق، مج1245/2.

[3] تاج الدين السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، تح عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1986م، ج2/ ص344.

[4] بالنتيا، المرجع السابق، ص431. بروفنسال، الحضارة، ص 159. دومينيك إيرفوا، المقال السابق، ص 1185.

يعني الفقه، فعليك برأي الشافعي، فإني رأيته أقل خطأ"، ونظرا لتخوفه من المالكية فقد كان يداريهم[1] وذكر ابن الفرضي بأن قاسما سمع من أبيه محمد بن قاسم وغيره، كما كان معتنيا بحفظ رأي مالك وأصحابه، بصيرا بعقد الشروط، نافذا فيها[2]و بما أنّه تميّز في زمانه فقد ذكره ابن حزم في رسالته عن فضائل أهل الأندلس حين ذكر، "وإذا ذكرنا قاسم بن محمد، لم نباه به إلاّ القفال ومحمد بن عقيل الفريابي"[3]، ولم يفخر به ابن حزم وبقية الأندلسيين فقط، بل وجد التقدير والاحترام خارج بلده، فقد عُرض عليه البقاء في مصر لغزارة علمه لكنه رفض، قال أسلم بن عبد العزيز أحد تلامذته: سمعت عن ابن عبد الحكم أنّه قال: "لم يقدم علينا من أهل الأندلس أحد أعلم من قاسم بن محمد، ولقد عاتبته في حين انصرافه إلى الأندلس، وقلت له أقم عندنا فإنّك تعتقد هاهنا رياسة، ويحتاج الناس إليك". فقال: "لا بدّ من الوطن".[4]

قال الخشني: قال لي أحمد بن سعيد بن حزم: سمعت محمد بن عمر بن لبابة وقد ذكر قاسم بن محمد، فأثنى عليه وقال: "جَالسَ الناس هناك (المشرق) وناظرهم، وكان يحسن هذا المعنى جدا" يعني الفقه والحجة والتصرف، خاصة إذا علمنا أنّ رحلته الأولى، لم يشتغل فيها إلاّ بالمناظرة، والثانية كتب وروى فيها.[5]

روى عنه ابنه محمد، ومحمد ابن عمر بن لبابة، وأسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، وغيرهم[6]، وقد كان يدرّس علومه في قرطبة، مجمع العلماء والفقهاء، وتحت رعاية الأمير محمد بن

[1] الخشني، أخبار الفقهاء، ص301 و302. المقري، النفح، 267/2.
[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 288.
[3] ابن حزم نقلا عن الحميدي، المصدر السابق، ص 396. الضبي، المصدر السابق، ص 390. المقري، النفح، 156/4.
[4] الخشني، أخبار الفقهاء، ص304. المقري، النفح، 267/2.
[5] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 302.
[6] الحميدي، المصدر السابق، ص 296. الضبي، المصدر السابق، ص 390. السبكي، طبقات الشافعية، ج2/ ص344.

عبد الرحمان الأوسط، الذي منحه حمايته في مواجهة دعاة التقليد من فقهاء المالكية.[1] توفي قاسم بن محمد في عهد الأمير عبد الله بن محمد، عام 278هـ/890م، وصلى عليه محمد بن وضاح[2]

ثانيا- أهم فقهاء الشافعية في الأندلس:

ذاع صيت علماء وفقهاء الأندلس في الأمصار، وكان منهم فقهاء الشافعية، فبعد ترجمتي لقاسم بن محمد أواصل مع البقية:

2) **بقي بن مخلد بن يزيد:**

شيخ الإسلام كما سماه الإمام الذهبي، وهو من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الرحمن، ولد في رمضان 201هـ أو 202هـ، وهو من أرباب العلم ورواته، كانت له رحلتان أقام في إحداهما عشرة أعوام، وفي الأخرى خمسا وعشرين سنة[3] زار خلالهما جل مراكز العلم في العالم الإسلامي، وأخذ عن مشاهير علماء السنّة خاصة المحدّثين منهم، وقد فاق عددهم المائتين، منهم: الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت241هـ/855م)، إبراهيم بن محمد الشافعي، أبو ثور (ت240هـ/854م) صاحب الشافعي، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت235هـ/849م)، سحنون بن سعيد القيرواني (240هـ/854م)، وغيرهم.[4]

---

[1] بروفنسال، حضارة، ص 159.

[2] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 305. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 288. الحميدي، المصدر السابق، ص296. الضبي، المصدر السابق، ص 390. المقري، النفح، 268/2.

[3] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 49. الذهبي: السير، 490/8. بالنتيا، المرجع السابق، ص 433.

[4] عن تفصيل أسماء من أخذ عنهم بقي بن مخلد في الأندلس والعراق والحجاز وخراسان ومصر والقيروان وغيرها من حواضر العالم الإسلامي، أنظر: ابن الخياط، المصدر السابق، (مقدمة الكتاب)، ص 9-10. الخشني، أخبار الفقهاء، ص 50-55. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 82 و83. الحميدي، المصدر السابق، ص 156. الضبي، المصدر السابق، ص 209. الذهبي، سير، 490/8 و491.

يعتبر بقي بن مخلد من دعاة المذهب الشافعي رغم أنّ المصادر لم تذكر هذا بوضوح إذ غلّبت عدم تقلده لأيّ مذهب[1]، لكنني أرجّح ميله الكبير لهذا المذهب ، ويرجع ذلك للأسباب التالية:

- إدخاله مصنّفات الإمام الشافعي، وبخاصة كتاب الفقه "الأم".[2]

- كثرة علماء الشافعية الذين أخد عنهم، وقد سبق ذكر بعضهم.

- رعاية الأمير محمد بن عبد الرحمن لكبار فقهاء الشافعية، وكان بقي بن مخلد من ضمنهم.

- آراءه الفقهية الشافعية التي كان يدرّسها في جامع قرطبة، وإنكار فقهاء المالكية عليه ذلك، وإنكاره عليهم التقليد.

- جل دعاة المذهب الشافعي فيما بعد، كانوا ممّن تتلمذوا على يديه، منهم: هارون بن نصر، أسلم بن عبد العزيز بن هاشم، حسن بن سعد بن إدريس، عثمان بن سعيد الكناني وعثمان بن وكيل وغيرهم.

وقد خلّدت لنا كتب الطبقات مسيرة بقي بن مخلد، والطرق التي نهجها في تحصيله لهذا العلم، ومدى اهتمامه الكبير بحفظ الأحاديث والعناية بها، وعلى سبيل المثال لا الحصر، ذكر الخشني أنّ عبد الرحمن بن بقي بن مخلد، حكى له عن أبيه أنّه سأل يوما يحي بن معين في بغداد عن الإمام أحمد بن حنبل، فقال له: "ما أقول ذلك سيدنا وخيّرنا وأفضلنا". ثم خرج من عنده يسأل عن مسكنه، فلما وصله قال له: أبا عبد الله إنّي رجل غريب من أقصى المغرب، لم تكن رحلتي لهذا البلد إلاّ من أجلك وذهبت إلى أن تحدثني وأكتب عنك. فقال لي: يا هذا، ما كان لي شيء أحب إليّ من عون مثلك، غير أنّك صادفتني ممتحنا بالمحنة التي ترى[3] وهذا شيء قد منعته، قال: فسقط ما كان بيدي، فقلت له:يا سيدي ففسح لي في الحيلة. فقال لي: وما حيلتك ؟ قلت له:

[1] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 55. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 83. الضبي، المصدر السابق، ص 209. بروفنسال، حضارة، ص 160. بالنتيا، المرجع السابق، ص 433. حسين مؤنس، شيوخ العصر، 45. وقد وجدناه في طبقات الحنابلة عند: القاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى، **طبقات الحنابلة**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.س.ط، 120/1.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 83. الذهبي، سير، 492/8.

[3] محنة قوله بأنّ "القرآن كلام الله" وليس "بمخلوق" كما قالت المعتزلة، وقد تبنته الدولة العباسية في عهد المأمون، والمعتصم، والمتوكل

إنّي رجل مجهول العين في هذا البلد، فآتيك كل يوم في زيي سائل وأنادي بالباب، فإذا سمعتني تفضّل بالخروج إليّ وأنا أستعد بكاغدي ومحبرتي فتملي عليّ ما أمكن كلّ يوم. فقال لي: نفعل، فكنت آتيه كل يوم وبيدي قصبة، وفي رأسي خرقة فأصيح بالباب: الأجر رحمكم الله، وكذلك يصيح السؤال عندهم، فيخرج إليّ فيملي عليّ حديثين أو ثلاثة ثم أخرج. فكان هذا شأني معه برهة، فكتبت عنه على هذه الوتيرة نحو ثلاثمائة حديث، ثمّ إنّ الله جلّ وعزّ تفضل بكشف تلك الحالة عنه، فظهر للناس فسمعت منه بعدُ مع الناس.[1]

يروى عن بقي بن مخلد عدّة أخبار عجيبة، فقد كان مجاب الدّعوة (كنزول الغيث بعد صلاته بالناس صلاة الاستسقاء)، وقصته مع الشاب المأسور من طرف الروم وبكاء أمه، وغيرها من القصص.[2]

كانت لبقي لقاءات مع بعض الأمراء الأمويين منهم محمد بن عبد الرحمن وابنه المنذر، وأول احتكاك كان في عهد المحنة التي خاضها فقهاء المالكية المتعصبين ضده بسبب تدريسه "مسند ابن أبي شيبة" في المسجد الجامع بقرطبة، حتى وصل بأصبغ بن خليل القول "لأن يكون في تابوتي رأس خنزير أحبّ إليّ من أن يكون فيه مسند ابن أبي شيبة"[3]، ولما وشي به للأمير محمد استدعاهم وقرأ هذا المسند، ثم أمر خازن كتبه بأن ينسخ له نسخة منه، وقال لبقي: "أُنشر علمك وارو ما عندك" ونهاهم أن يتعرضوا له.[4]

---

[1] أنظر الخشني، أخبار الفقهاء، ص 49 و50. الذهبي، سير، 493/8.

[2] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 56. ابن بشكوال، الصلة، 197/1 و198. الحميدي، المصدر السابق، ص 157 و158. الضبي، المصدر السابق، ص210 و211.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 73. حسين مؤنس، شيوخ العصر، ص 48.

[4] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق مكي، المصدر السابق، ص 145-150. الخشني، أخبار، ص 57. ابن عذارى، البيان، 111/2. النباهي، المصدر السابق، ص 18 و19. عنان، دولة، ص 315 و316.

روى عن بقي بن مخلد الكثير، منهم: أسلم بن عبد العزيز بن هاشم القاضي، محمد بن عمر بن لبابة، محمد بن وزير، أحمد بن خالد بن يزيد، الحسن بن سعد بن إدريس بن رزين البربري الكتامي، علي بن عبد القادر بن أبي شيبة الأندلسي (ت 325هـ/936م)، وغيرهم.[1]

أمّا عن وفاته، فقد قال عثمان بن محمد: قال لي محمد بن إبراهيم بن الحباب: لما توفي بقي بن مخلد، وقف الناس على بابه ينتظرون خروج نعشه، وكان محمد بن عبد السلام الخشني حاضرا معهم، ولما نظر إلى بقي في نعشه على أعناق الرجال سقط مغشيا عليه، ووُقِف بالنعش انتظارا لإقامته، فلما أفاق أخذ رداءه فألقاه عن نفسه ومشى حاسرا، وقال:"هكذا ينبغي أن يُمشى في جنائز أهل العلم"، كان ذلك يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة 276هـ/889م[2]

قال فيه الشاعر:ألا أيها الموت الذي غال روحه عمرت به لحدا وأوحشت مسجدا[3]

3)**عبد السلام بن السمح بن نابل بن عبد الله بن عبد العزيز الهواري:**

يكنى أبا سليمان (303-387هـ/915-997م)، أصله من مورور[4]، رحل إلى المشرق ومكث فيه مدّة طويلة، وزار عدّة مراكز علمية أخرى في العالم الإسلامي، فسمع بجدّة "نوادر علي بن عبد العزيز" و"موطأ القعنبي"[5] من حسين بن حميد النجيرمي، وتفقه بمصر على مذهب الشافعي، وقرأ القرآن وجوّده، ثم قدم الأندلس وسكن الزهراء، وما عرف عنه أنّه كان حافظا للمذهب الشافعي حسن القيام به، وكان كثير التهجد، وذكر ابن الفرضي أنّه قرأ عليه

---

[1] أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص83. الحميدي، المصدر السابق، ص 157. الضبي، المصدر السابق، ص 210.

[2] أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص 61 و62. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 84. الحميدي، المصدر السابق، ص 157. الضبي، المصدر السابق، ص 210. ابن بشكوال، الصلة، 1/195-198.

[3] عن بقية الأشعار الواردة في رثائه، أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص 62.

[4] كور مورور متصل بأحواز قرمونة، وهي في الغرب والجوف من كورة شذونة وأحوازها متصلة بأحوازها، وهي من قرطبة بين القبلة والمغرب. أنظر: الحميري، الروض، ص 564.

[5] عن هذه الرواية والروايات الأخرى، أنظر: أبي عبد الله مالك بن أنس، **الموطأ**، رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي (ت221هـ/834)، تح، عبد الحفيظ منصور، الدار التونسية للنشر، د.س.ط، ص12 وما بعدها.

كتاب"الأبيات" لسبويه وكتاب "الكافي في النحو" وغيره، ولا نعلم إن كان قد تولى منصبا ما في مدينة عبد الرحمن الناصر الزهراء، توفي يوم الثلاثاء، 12 صفر من عام 307هـ/919م.[1]

4) يحي بن عبد العزيز:

يكنى أبا زكرياء، ويعرف بابن الخزار، وهو من أهل قرطبة، سمع في الأندلس من العتبي، وعبد الله بن خالد ونظرائهما، ثم رحل إلى المشرق، فسمع بمصر من المزني، والربيع بن سليمان المؤذن وغيرهما، وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وغيره، كما سمع من أبي يحي محمد بن عبد الله المقرئ الذي سمع منه "جامع سفيان الكبير" وغيرهم من الفقهاء والعلماء، ولما رجع إلى الأندلس أدخل لهم كتبا غريبة، وسُمع منه الناس "مختصر المزني" و"رسالة الشافعي" وكان يميل في فقهه إلى المذهب الشافعي، وقد اختاره الأمير عبد الله بن محمد، مشاورا له.[2]

سمع الناس منه في القيروان، "المستخرجة" للعتبي، منهم أحمد بن نصر، وحبيب بن الربيع وغيرهما. وأورد لنا "الخشني" حادثة جرت له في مصر مع محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، إذ دخل عليه مرّة وقرأ عنده كتابا يردّ فيه الأخير على الإمام الشافعي في مسألة فقهية، ثم قال له محمد: كيف رأيته؟ فسكت، ثم قال له في الثانية: عزمت عليك لتقولن. فقال له: أصلحك الله، هذا الرّد على الشافعي أو على النبي؟ وما ذنب الشافعي، إنّما احتج بالحديث. فألقى محمد الكتاب، ولم يقرأ الكتاب بعدها لأحد. توفي يوم الأربعاء 5 شوال 290هـ، وقيل في ربيع الأول295هـ، ودفن بمقبرة الربض.[3]

وعرفت الأندلس أيضا فقهاء دافعوا عن المذهب الشافعي منهم:

5) هارون بن نصر:

يكنى أبا الخيار، وهو من أهل قرطبة، صحب بقي بن مخلد نحوا من أربعة عشرة سنة، وكان محدّثا، وأكثر الرواية خاصة وأنّه عني بكتب الشافعي وحفظها وتفقه فيها، وكان من أهل

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 233 و234. بالنتيا، المرجع السابق، ص 437.

[2] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 374. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 436.

[3] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 375. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 436.

النظر في المسائل بصيرا بالحجة، وقد أثنى عليه محمد بن عمر بن لبابة، ولا ندري إن كان قد تولى منصبا ما، خاصة وأنّ الشافعية في زمانه قد تولوها. توفي عام 302هـ/914م.[1]

ومن الشافعية أيضا في عهد الإمارة الأموية:

6) محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن الحسن بن كليب الخشني:

ولد سنة 221هـ/835م، كان يغلب عليه رواية الحديث وحفظ اللغة، رحل إلى العراق قبل 240هـ/854م، فسمع من أبي إبراهيم إسماعيل بن يحي المزني صاحب الشافعي، وأحمد بن حنبل، وغيرهما. حدّث عنه بالأندلس جماعة منهم: أسلم بن عبد العزيز بن هاشم القاضي، أحمد بن خالد، ومحمد بن قاسم بن محمد البياني، وغيرهم، توفي في شعبان 286هـ/899م.[2]

7) مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة الليثي:

من أهل قرطبة، يكنى أبا عبيدة، سمع في الأندلس ثم رحل إلى المشرق سنة 259هـ، فسمع بمكة من علي بن عبد العزيز والربيع المؤذن صاحب الشافعي وغيرهما، وذكرت كتب الطبقات روايات له هو الآخر، جمعها في المشرق عن الشافعي والربيع بن سليمان، وقد أصابته الوساوس في آخر حياته، ولكن ذلك في واقع الأمر هو انتحال لأفكار المعتزلة، وقد رأوه يكتب في الطب والنجم (جل من كتب فيهما اتهم بالزندقة والاعتزال)، أثنى عليه محمد بن عمر بن لبابة توفي سنة 304هـ/916م.[3]

وفي عهد الخلافة الأموية، نال المذهب الشافعي الحظوة، وأصبح له وزن معتبر، بل ودخل البيت الأموي حيث أخذ به

---

[1] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 339 و340. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 423. الحميدي، المصدر السابق، ص 329. الضبي، المصدر السابق، ص 423. الذهبي، سير، 134/9. بالنتيا، المرجع السابق، ص 433.

[2] أنظر تفاصيل حياته وأهم من أخذ عنهم: الخشني، أخبار الفقهاء، ص 132-137. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 304 و305. الحميدي، المصدر السابق، ص 61 و63. الضبي، المصدر السابق، ص 88 و89.

[3] أمّا بشأن اعتقاده مذهب المعتزلة، فإننا سنذكره في الفصل الرابع، أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص 193-195. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 392 و393. الحميدي، المصدر السابق، ص 318. الضبي، المصدر السابق، ص 411.

8) عبد الله بن عبد الرحمن الناصر بن محمد:

كان فقيها ومن دعاة الشافعية، أخذ عبد الله المذهب عن حسان بن سعد وأحمد بن محمد بن عبد البر، كما كان شاعرا وإخباريا ومتنسكا حتى لقب بالزاهد لكنه اتهم بالاشتراك في مؤامرة خلعِ والده الذي أعطى ولاية العهد لأخيه الحَكَم، فأصدر أبوه فيه حكم الإعدام سنة 338هـ/950م، ثم أعلن عبد الرحمن الناصر المذهب المالكي كمذهب رسمي للدولة، والتزم الشافعية الظل إلى غاية حكم ابنه الحَكَم المستنصر، وتغلب الحاجب المنصور بن أبي عامر على ابنه هشام المؤيد.[1]

9) عمر بن حفص بن غالب:

يكنى أبا حفص، وهو من أهل قرطبة، كما يعرف بابن أبي تمام، سمع من شيوخ الأندلس كمحمد بن وضاح ومحمد بن عبد السلام الخشني وغيرهما، ثم رحل إلى المشرق سنة 260هـ/873م، فروى عن سفيان بن عيينة، وكان يروي عن يونس بن عبد الأعلى، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم وأخيه سعد، وقد أُعتبر عمر بأنّه شيخ فقيه، عالم بالمسائل، عاقد للشروط، ومن أهل الطهارة والصلاح، وقد روت عنه كتب الطبقات قصصا وقعت له في بلاد المشرق، ولكن هذه المصادر لم تذكر شيئا ولو وجيزا عن دوره الديني أو السياسي داخل الأندلس. روى عنه من شيوخ الأندلس وهب بن مسرّة الحجارى وغيره، توفي في شعبان سنة 317هـ/929م.[2]

10) أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو:

مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو من أهل قرطبة، يكنى أبا الجعد، سمع أسلم من بقي بن مخلد وصحِبه طويلا، ولما رحل سمع في المشرق من علماء عدّة، خاصة الشافعية منهم، فلقي

---

[1] المقّري، النفح 123/5. ليفي بروفنسال، الحضارة، ص 161. بالنتيا، المرجع السابق، ص 434. ابرفوا، المقال السابق، ص 1185. ماريا ايزابيل، المقال السابق، ص 1246.

[2] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 275-277. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 256 و257. الحميدي، المصدر السابق، ص 267. الضبي، المصدر السابق، ص 355.

إسماعيل بن يحي المزني، والربيع بن سليمان صاحب الشافعي وغيرهما،، توفي عام 319هـ/931م، وهو ابن سبع وثمانين سنة.[1]

11) خلف بن عبد الله بن مخارق الخولاني: من أهل الجزيرة، سمع من ابن بدرون، ومحمد بن يزيد ببجانة[2]، ورحل حاجا فسمع من ابن المنذر ومن ابنه الشافعي بمصر. دخل السياسة من خلال توليه الفتيا في بلده ليصبح فقيها مشاورا، كما كان صاحب صلاة الجزيرة، ويذكر بأنّه سكن قرطبة، وكان فيها حوالي عام 299هـ/912م.[3]

12) عثمان بن سعيد الكناني:

أصله من أهل جيان[4]، وسكن قرطبة، يكنى سعيد ويعرف بحرقوص، سمع في الأندلس من بقي بن مخلد الذي كان من رؤساء أصحابه وغيره، كان جامعا للكتب معتنيا بالعلم مناظرا على مذهب الشافعي وغيره، كما كان متفننا في الرواية والآداب، توفي سنة 320هـ /932م.[5]

13) أحمد بن بشر بن محمد بن إسماعيل بن البشر بن محمد التجيبي:

يعرف بابن الأغبش، وهو من أهل قرطبة، ويكنى أبا عمر، سمع من شيوخ الأندلس، كابن وضاح، والخشني، ومطرف بن قيس، وعبيد الله بن يحي، وطاهر بن عبد العزيز، وغيرهم. حاز

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 81. الحميدي، المصدر السابق، ص 152 و153. الضبي، المصدر السابق، ص 204 و205. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، تقديم صلاح الدين الهواري، ص78.السامرائي، المرجع السابق، ص 64. بالنتيا، المرجع السابق، ص 433.

[2] **بجانة:** بينها وبين المرية خمسة أو ستة أميال، وكانت في القديم مشهورة أكثر من المرية، ثم هاجر أهلها للمرية وخربت بجانة، وقد بنيت في شكلها على طراز قرطبة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن. أنظر: الحميري، الروض، ص 79 و80.

[3] أنظر ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 116. بالنتيا، المرجع السابق، ص 434.

[4] **جيان:** تقع على سفح جبل عال جدا وهي موصوفة بالحصانة، ولكور جيان أقاليم عدّة وبها أسواق كثيرة، وهي أشبه بكورة ألبيرة في طيب بقعتها ووفور غلّتها وكثرة خيرها وحريرها.. أنظر: الحميري، الروض، ص 183 و184.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 242 و243. الضبي، المصدر السابق، ص 361 و362. بالنتيا، المرجع السابق، ص 433.

التقدم في علوم عدّة كمعرفة لسان العرب، وكان مشاورا في الأحكام، ويذهب في فتياه إلى مذهب الشافعي، توفي في ذي الحجة سنة 327هـ/938م، في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر.[1]

14) محمد بن قاسم بن محمد:

من أهل قرطبة، ولد يوم الجمعة 13 جمادى الآخرة سنة 263هـ/877م، أخذ العلم في الأندلس من أبيه قاسم بن محمد، ومن بقي بن مخلد كبير المذهب الشافعي، كما رحل فسمع بمكة من أبي محمد أحمد بن محمد الشافعي وغيره، غلب عليه علم الحديث وكتابة الوثائق والشروط، إذ كان مشاورا في أيام أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر، توفي في ذي الحجة سنة 329هـ/941م، ودفن بقرطبة.[2]

15) حسن بن سعد بن إدريس بن رزين بن كسيلة الكتامي:

من أهل قرطبة، يكنى أبا علي، ولد عام 248هـ/862م، سمع من بقي بن مخلد كثيرا، ومن محمد بن وضاح، ثم رحل إلى المشرق فسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وغيره، كما سمع في صنعاء ومصر، ولما رجع إلى الأندلس نال الرياسة وأدرك درجة السؤدد، تولى قسم الصدقات مدّة، كان الحسن يميل إلى قول الشافعي، ومما ذكره ابن الفرضي عنه أنه كان يحضر الشورى، ولما رأى الفتيا دائرة على مذهب المالكيين، ترك شهودها ولزم بيته، سمع الناس منه، ثم رحل رحلة ثانية إلى المشرق، توفي يوم الجمعة الذي صادف يوم عرفة 332هـ/944م.[3]

16) أحمد بن محمد بن عبد البر القرطبي:

يكنى أبا عبد الملك، وهو من موالي بني أميّة، سمع من ابن لبابة، وأسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، ومحمد بن قاسم وغيرهم، كان فقيها ومتصرفا في علوم عدّة، إلاّ أنّ علم الحديث

---

[1] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 19 و20. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 37. الحميدي، المصدر السابق، ص 106. الضبي، المصدر السابق، ص 148.

[2] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 171-175. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 329 و330. الحميدي، المصدر السابق، ص 77 و78. الضبي، المصدر السابق، ص 106 و107.

[3] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 71 و72. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 96 و97.

يغلب عليه. توفي بالسجن في رمضان من عام 338هـ/949م، بعد اتهامه في حادثة عبد الله بن عبد الرحمن الناصر الذي قيل أنّه دبّر مؤامرة ضد أبيه كما ذكرنا.[1]

وفي عهد الخليفة الحَكم المستنصر، تحرر الشافعية نوعا ما من الضغط المفروض في عهد أبا عبد الرحمن الناصر، ومن جملة شافعية عصر الحَكَم، نجد:

17) أحمد بن عبد الوهاب بن يونس:

المعروف بابن صلى الله، ويكنى أبا عمر، أصله من أهل قرطبة، سمع من شيوخ عصره وصحب عبيدا الشافعي وتفقه معه، كان يميل إلى الفقه الشافعي وناظر عنه، كما كان له باع في العربية واللغة، هذا ما جعله يكون من المقربين للخليفة المستنصر، وكان رجلا حافظا للفقه، عالما بالاختلاف ذكيا بصيرا بالحجاج، حسن النظر، وقرأ كتب الفتوح، وقد اتهمه بعض فقهاء المالكية بمذهب الاعتزال، توفي سنة 399هـ/1008م في عهد سيطرة الدولة العامرية.[2]

18) عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن بن يحي التجيبي:

يعرف بابن الزيات، ويكنى أبا محمد، أصله من قرطبة، ولد سنة 314هـ/926م، رحل إلى المشرق رحلتين، فسمع بالعراق من أبي بكر الشافعي وغيره، كما كان له سماع في البصرة والإسكندرية والقيروان، ذكر ابن الفرضي أنّه سمع منه الكثير، وأجاز له في جميع ما رواه[3]، كما روى عنه أبو عمر بن عبد البر الحافظ وغيرهما، فقد كان كثير الحديث، صدوقا فيما يروي، إلاّ أنّ ضبطه لم يكن جيّدا، وقد كتب الناس عنه قديما وحديثا، توفي في سنة 390هـ/1000م.[4]

19) يوسف بن محمد بن سليمان الهمداني:

يكنى أبا عمر، وهو من أهل شذونة، ولد سنة 304هـ/916م، أشتهر بتعلقه بالمذهب الشافعي، سمع في مسقط رأسه من أبي رزين، ثم انتقل إلى قرطبة فسمع من محمد بن عبد الملك بن أيمن،

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 42.

[2] ابن الفرضي، ص 49. بالنتيا، المرجع السابق، ص 435 و436. السامرائي، المرجع السابق، ص 64.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 204.

[4] نفسه، ص 204. الحميدي، المصدر السابق، ص 221. الضبي، المصدر السابق، ص 288. بالنتيا، المرجع السابق، ص 438.

وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن عبد السلام الخشني، ومحمد بن عمر بن لبابة، وغيرهم. رحل إلى المشرق وأقام عشرة أعوام، فسمع بمصر من عبد الله بن جعفر ابن الورد وغيره، عني بنسخ الكتب منها في التاريخ والفقه وغيره، من أهم ما كتبه بيده كتاب الشافعي الكبير، قال ابن الفرضي عنه أنّه في مائة وعشرين جزء، وكان للخليفة المستنصر نسخة منه، وقدّمه الأخير للصلاة في قلسانة[1]، عُرف عنه أنّه خطيب أديب، وسمع منه ابن الفرضي وأجاز له. توفي سنة 383هـ /993م.[2]

20) سلمة بن سعيد بن سلمة بن حفص بن عمر بن يحي بن سعيد بن مطرف بن برد الأنصاري:

من أهل أستجة، يكنى أبا القاسم، ولد سنة 327هـ/939م، سكن قرطبة ثم رحل إلى المشرق الذي مكث فيه ثلاثا وعشرين سنة، لقي خلالها أبا بكر بن محمد بن الحسن الآجري، وأبا الحسن الدارقطني، وأبا محمد بن أبي زيد الفقيه وغيرهم، ولما رجع من المشرق ذكر أنّه ساق معه ثمانية عشر حملا من الكتب، سمع عنه الكثير من الناس، فقد كان حافظا للحديث ويملى من صدره حتى شبه بالمحدثين في عصره، كما كان ثقة فيما نقل وضبط، وقد قال عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره بأنّه شافعي المذهب، توفي سنة 406هـ/1015م.[3]

وقد ذكرت كتب الطبقات بعض الشافعية لكنها شحت في المعلومات عنهم، منهم:

21) أحمد بن محمد بن قاسم:

يكنى أبا بكر، كان يروي عن أبيه عن جده قاسم بن محمد، وروى عنه أبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن التاهرتي أحد شيوخ أبي عمر بن عبد البر، كان يميل إلى مذهب الشافعي، وله كتاب في الرّد على المقلدين، وكان يعرف بصاحب الوثائق.[4]

---

[1] **قلسانة**: بالسين أو بالشين، من كورة شذونة وهي أرض سهلية على وادي لكة، بها جامع حسن البناء وبها كان قرار العمال والقواد على شذونة، والأخيرة تعرف بمدينة ابن السليم Medinacelli وبنو سليم انضووا إليها عند خراب مدينة قلشانة، وبينهما خمسة وعشرون ميلا. أنظر: الحميري، الروض، ص 466.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 453 و454. بالنتيا، المرجع السابق، ص 437.

[3] الحميدي، المصدر السابق، ص 208. ابن بشكوال، الصلة، 350/1 و351. بالنتيا، المرجع السابق، ص 438.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 47. الحميدي، المصدر السابق، ص 93. الضبي، المصدر السابق، ص 132.

22) هشام بن سعيد الخير بن فتحون أبو الوليد الكاتب:

محدث سمع بالأندلس ثم رحل إلى المشرق للحج، وأثناء طريقه سمع في القيروان من أبي عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الفاسي، وغيره، وفي مصر من عبد الجبار بن عمر بن أحمد المقرئ وغيره، وفي مكة من الفقيه الشافعي أبي بكر محمد بن أبي سعيد الإسفرايني وغيره، ثم رجع إلى الأندلس حيث سمع من القاضي أبي الحزم خلف بن عيسى بن سعيد الخير الوشقي، المعروف بابن أبي درهم وغيره، وصف بأنّه كان منقطعا إلى الخير، توفي بعد سنة 430هـ/1039م[1]

23) عبد الله بن سعيد الأموي:

يكنى أبا محمد، ويعرف بالبُشكلاري (قرية من قرى جيان قرطبة)، ولد سنة 377هـ/987م، روى بقرطبة عن أبي حفص بن نائل، وأبي عثمان بن القزاز، وأحمد بن فتح الرسَّان وغيرهما، كان ثقة فيما رواه، وكان شافعي المذهب، توفي عام 477هـ/1084م.[2]

24) عثمان بن وكيل:

ذكره ابن الفرضي ولم يذكر تاريخ وفاته، سوى أنّه من أهل قرطبة، سمع من بقي بن مخلد، وكان من ثقات أصحابه، وكان حافظا للمذهب الشافعي الذي يغلب عليه.[3]

25) ابن آمنة الحجارى:

ذكره ابن حزم وأثنى عليه، وهو عالم، فقيه شافعي المذهب.[4]

بالإضافة إلى أنّ الكثير من فقهاء المالكية بالأندلس قد سمعوا من فقهاء الشافعية، لكنهم حافظوا على مذهبهم، ومن كبار هؤلاء، منهم:

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص 330. الضبي، المصدر السابق، ص 424 و425.

[2] ابن بشكوال، الصلة، 427/2.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 243. بالنتيا، المرجع السابق، ص 433.

[4] الحميدي، المصدر السابق، 366. الضبي، المصدر السابق، ص467. المقري، النفح 148/4. بالنتيا، المرجع السابق، ص 433.

26) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري:

يكنى أبا عمر، ولد عام 362هـ/972م، كان عالما حافظا ومكثرا لعلم القراءات، وعلوم الرجال، وعلم الحديث، والأكثر علمه بالخلاف الفقهي، ورغم مالكيته فإنّه يميل في مناظراته إلى قول الشافعي، خاصة وأنّه سمع من أكابر أهل الحديث في قرطبة، من أمثال قاسم بن أصبغ، وأبي الوليد بن الفرضي، ومن الغرباء القادمين إليها،، توفي بشاطبة في عصر الطوائف سنة 460هـ/1068م.[1]

لقد سبق أن ذكرنا بأنّ الشافعية بعد مقتل الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر سنة 338هـ/949م من قِبل أبيه، قد التزموا الظل حتى تولى الحَكم المستنصر الخلافة سنة 350هـ961م، فقام بإظهار التسامح مع المذهب الشافعي وغيره من المذاهب الأخرى، ولما وصل صدى هذا الانفتاح إلى العلماء والفقهاء بالمشرق، قدم بعض من فقهاء الشافعية إلى الأندلس، وكان لهم دور كبير في نشر المذهب بداخلها، خاصة عند الطبقة المثقفة وعلماء الحديث، ومن هؤلاء:

27) علي بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشر:

أصله من أنطاكية وبها ولد سنة 299هـ/911م، يكنى أبا الحسن، سمع في مسقط رأسه من عالم القراءات إبراهيم بن عبد الرزاق، الذي جوّد عليه القراءات السبعة، وأخذ أيضا عنه علما كثيرا رواية، وروى أيضا عن الشاميين والمصريين وغيرهم، لهذا أصبح رأسا في علم القراءات وبصيرا بالعربية والحساب، وله حظ وافر في الفقه على المذهب الشافعي، دخل الأندلس في شهر ربيع الآخر سنة 352هـ/963م، في عهد الخليقة الحكم المستنصر الذي أكرمه وأعطاه المنزلة العالية، كما قرأ الناس عنه كثيرا، وكتبوا وسمعوا، وكان لا يتقدمه أحد في الأندلس في علم القراءات، توفي بقرطبة، عام 377هـ/987م.[2]

---

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص 332 و33. الضبي، المصدر السابق، ص 427 و428.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 253.



28) عبيد الله بن عمر بن محمد بن جعفر القيسي:

يقال له عبيد ويكنى أبا القاسم، أصله من أهل بغداد التي ولد بها سنة 295هـ/907م، تفقه عبيد الله بمسقط رأسه على المذهب الشافعي الذي تحقق فيه وناظر، كما أخذ عن بعض المالكية، كأبي الفرج عمرو بن محمد البصري، ورحل فجاب بعض مراكز العلم في حواضر العالم الإسلامي، كحلب ودمشق ومكة ومصر، هذه المراكز التي كان فيها كبار المذهب الشافعي، كما أصبح عالما بأصول الفتوى، وحسن النظر في القياس، وإماما في القراءات، وكثير الرواية للحديث حتى نسبه البعض إلى الكذب، قدم إلى الأندلس في أواخر حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر، أي في محرّم 347هـ/958م، وقد أنزله ابنه الحَكم المنزلة الرفيعة، إلى أن توفي بقرطبة سنة 360هـ/971م.[1]

كما قدم بغدادي آخر إلى الأندلس، لكن نهايته لم تكن كسابقه، هو:

29) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي بردة:

يكنى أبا الطيب، شافعي بغدادي، سمع الحديث من أبي القاسم البغوي، وأبي بكر بن أبي داود، وابن مجاهد وغيرهم، أمّا في الفقه فقد درس على رئيسي الشافعية في وقتهما، علي بن إسحاق المروزي، وسعيد الإصطخري. دخل محمد بن أحمد الأندلس في عهد الخليفة الحَكم المستنصر سنة 361هـ/971م، فأكرمه أحسن إكرام. وُصف هذا الفقيه بأنّه لم يصل إلى الأندلس أفهم منه في فقه الشافعي، لكن لم تعرف له كتبا ألّفها أو أدخلها إلى الأندلس، وحسب قوله، قد سرقت له مع ماله في بلاد المغرب، وبعد وفاة الحَكَم خلفه ابنه هشام المؤيد الذي وصلته عن الفقيه أخبار تنسبه إلى الاعتزال، فأمر بإخراجه، وكان ذلك في رجب سنة 373هـ/983م، لينتقل إلى بلاد المغرب وبالضبط إلى تيهرت عند بنت له، وتوفي في نفس السنة المذكورة.[2]

ومن الشافعية الغرباء الذين نالوا المكانة السياسية في الأندلس:

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 209 و210. الضبي، المصدر السابق، ص 308. بالنتيا، المرجع السابق، ص 437.
[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 384 و385. بالنتيا، المرجع السابق، ص 436.

30) عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأموي الأصيلي:

من أهل أصيلة، ولد سنة 324هـ/935م، دخل الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر دون أن تثبت شافعيته بعد، فسمع بالأندلس من وهب بن مسرّة، وأحمد بن سعيد، وأبي بكر اللؤلؤي وغيرهم، ثم رحل إلى المشرق سنة 351هـ/962م، فسمع ببغداد من أبي بكر الشافعي، وأبي علي الصواف وغيرهما، وبمكة من أبي زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي، الذي سمع منه صحيح البخاري، كما تفقه بمذهب الإمام مالك، رجع عبد الله بن إبراهيم الأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر، فقرأ الناس عليه صحيح البخاري وكان مشاورا في عهد الحكم، ولما تغلب ابن أبي عامر في عهد الخليفة القاصر هشام المؤيد قدّم عبد الله إلى الشورى ثم ولاّه قضاء سرقسطة[1]، ورغم حكمه بالمذهب المالكي فإنّه كان يميل إلى آراء الشافعي، توفي سنة 392هـ/1001م.[2]

وقبيل سقوط الدولة الأموية رسميا في 422هـ/1031م، دخل بعض الشافعية إلى الأندلس، منهم:

31) الخليل بن أحمد بن عبد الله بن أحمد السبتي الشافعي:

أبو سعيد الفقيه، ولد سنة 360هـ/971م، دخل الأندلس في أواخر عهد الخلافة الأموية، سنة 422هـ/1031م، وحدّث بها عن أبي سعيد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص الماليني، وأبي حامد الإسفراييني وغيرهم، وقد حدّث عنه أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري في مدينة المرية[3]، وقد وُصف بأنّه أديب نبيل، وله تصرف في علوم كثيرة، مع صدقه

[1] **سرقسطة**: تقع في شرق الأندلس، وهي المدينة البيضاء لأن أسوارها القديمة بنيت من حجر الرخام الأبيض، وهي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر، آهلة وتقع على ضفة نهر كبير يأتي بعضه من جبال قلعة أيوب، ومن خواصها أنّها لا تدخلها حيّة البتة وإن جلبت إليها ماتت، وقد بنى مسجد المدينة، التابعي حنش الصنعاني السابق الذكر. أنظر: الحميري، روض، ص 317.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 205 و206. الحميدي، المصدر السابق، ص 225 و226. الضبي، المصدر السابق، ص 294 و295.

[3] **المرية**: مدينة محدثة، أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله "عبد الرحمن بن محمد" سنة 344هـ/955م، اتخذها العرب رباطا لهم ومحارسا، لما قدم المجوس (النورمانديون) وتطوّفوا بساحل الأندلس، يحيط بالمدينة سور حصين بناه أمير المؤمنين عبد الرحمن. أنظر: الحميري، روض، ص 537 و538.

وصحّة عقله وثقوب فهمه، ولا ندري إن خالط السياسة خلال هذه الفترة، أو في عهد عصر ملوك الطوائف.[1]

32) علي بن إبراهيم بن علي التبريزي:

يكنى أبا الحسن، يعرف بابن الخازن، ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، دخل بغداد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، ثم قدم الأندلس سنة إحدى وعشرين وأربعمائة. كان من أهل العلم بالآداب واللغات، حسن الحظ جيّد الضبط، عالما بفنون العربية، ثقة فيما رواه، وكان شافعي المذهب، سمع الناس منه في شرق الأندلس بعض ما رواه، ثم دخل طليطلة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة، وأهم ما سمع عنه تفسير القرآن الموسوم بشفاء الصدور.[2]

وفي الأخير لا أنسى أنّ **ابن حزم، علي بن سعيد،** كان شافعيا قبل أن يكون ظاهريا، لكني صنفته ضمن فقهاء الظاهرية وليس الشافعية لأنه عدل عن مذهبهم.[3]

المبحث الثالث: المذهب الظاهري والحنفي والحنبلي:

أولا–المذهب الظاهري في الأندلس:

ينسب المذهب الظاهري إلى **أبي سليمان داود الظاهري**[4]. والذي قال في حقه ظاهري الأندلس ابن حزم، "كان داود عراقيا، كتب ثمانية عشر ألف ورقة. من أصحابه أبو الحسن عبد

---

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص 186 و187. ابن بشكوال، الصلة، 288/1. الضبي، المصدر السابق، ص 249.

[2] ابن بشكوال، الصلة، 621/2 و622.

[3] سآتي على حياته في مبحث المذهب الظاهري.

[4] **داود الظاهري:** أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني، ونسب إلى أصبهان لأنّ أمّه أصبهانية، ولد سنة 202هـ وقيل 200هـ، نشأ في بغداد وتوفي بالكوفة سنة 270هـ/883م، سمع من سليمان بن حرب، وعمرو بن مرزوق، وإسحاق بن راهويه، وأبي ثور الكلبي وغيرهم، كان إماما ورعا ناسكا زاهدا، وقد حدّث عنه أبو بكر محمد بن داود، ويوسف بن يعقوب الداوودي وغيرهما، كان في أول أمره شافعيا متعصبا له، وقد صنّف كتابين في فضائله والثناء عليه، على الرغم من أنّ أباه حنفي المذهب، انتحل لنفسه مذهبا خاصا أساسه العمل بظاهر الكتاب والسنّة، ما لم يدل دليل منهما أو من الإجماع على أنّه يراد به غير الظاهر، فإن لم يوجد نص عمل بالإجماع، وقد رفض القياس رفضا باتا وقال إنّ في عموميات النصوص من الكتاب والسنة، ما يفي بكل جواب كان الإمام داود يقول بأنّ القرآن محدث ولفظي بالقرآن مخلوق، ولما سئل مرّة عن

الله بن أحمد بن رويم، وأبو بكر بن النجار، وأبو الطيب محمد بن جعفر الديباجي، وأحمد ابن مخلد الإيادي، وأبو سعيد الحسن بن عبيد الله صاحب التصانيف، وأبو بكر بن أحمد الدجاجي، وأبو نصر السجستاني وغيرهم".[1]

ولداود الكثير من الكتب منها: الإيضاح في خمسة عشر مجلدا، والإفصاح، والأصول، والدعاوى، وكتاب كبير في الفقه سماه "الذب عن السنّة والأخبار" في أربع مجلدات، وإبطال القياس.[2]

دخل المذهب الظاهري إلى الأندلس كغيره من المذاهب مع عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال وإن كان الآخذون به قلّة، فإنهم قد نالوا الحظوة السياسية أكثر من غيرهم، عدا أصحاب المذهب المالكي، وبعد تتبعي لكتب الطبقات التي أرّخت للفترة، أذكر رواد هذا المذهب، ومنهم:

1) عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال:

من أهل قرطبة، يكنى أبا محمد، كانت له رحلة إلى بغداد لقي فيها أبا سليمان داود بن سليمان القياسي، وأدخل أكثر كتبه إلى الأندلس، فأخلّت به عند أهل وقته، ولقي المزني وحدّث عنه، وقد كان فقيه جليل، وكان فقه داود، الغالب عليه[3] وقد ذكر الخشني عن أحمد بن عبادة أنّ عبد الله بن محمد كان نبيل وعين من عيون هذا البلد في الفضل والعلم، وقد وُصف بالتواضع وحب الرّحلة.[4] حدّث عنه: محمد بن عبد الملك بن أيمن(ت330هـ/942م)، وقاسم بن أصبغ (ت340هـ/951م)، ومحمد بن قاسم وغيرهم،[5] وقد أشاد بعبد الله بن محمد، إمام الظاهرية في الأندلس ابن حزم، فقال: "و إذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد

القرآن قال: أمّا الذي في اللوح المحفوظ فغير مخلوق، وأمّا الذي هو بين الناس فمخلوق. الذهبي، سير، 8/389-394. الخضري بك، المرجع السابق، ص 267.

[1] ابن حزم نقلا عن الشيرازي، لمعرفة المزيد من متتبعي هذا المذهب أنظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص 175 وما بعدها. الذهبي، سير، 8/391 و393. الخضري بك، المرجع السابق، ص 267 و268.

[2] عن بقية كتبه وآرائه الفقهية، أنظر: الذهبي، سير، 8/392 وما بعدها. الخضري بك، المرجع السابق، ص167 وما بعدها.

[3] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 217. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 180. الحميدي، المصدر السابق، ص 233.

[4] الخشني، المصدر السابق، ص 217 و218. الصبي، المصدر السابق، ص 304.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 181.

البلوطي لم نجار بهما إلاّ أبا الحسن بن المغلس، والخلال والديباجي ورُويم بن أحمد"[1] وقد ذكر المستشرق بالنتيا، أنّ عبد الله بن قاسم هو أول من نشر مذهب الظاهر في الأندلس، وأنّه كان مالكيا، لكنه تتلمذ على داود الأصبهاني، ونسخ كتبه بخط يده وأقبل بها إلى الأندلس، وكان عارفا بمذهب الشافعي، لكنه انصرف إلى مذهب داود واجتهد في نشره.[2] توفي حسب ابن الفرضي وبالنتيا، عام 272هـ/885 – 886م.[3]

2)فضل الله بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم بن نجيح النفزي الكزني:

من أهل قرطبة، يكنى أبا سعيد، وهو أخو قاضي الجماعة منذر بن سعيد، رحل فضل الله مع أخيه سعيد إلى المشرق، فسمع من ابن ولاّد، والنحاس في مصر، كما شارك أخاه في أشياخه، ولما عاد إلى الأندلس انخرط في السياسة، إذ تولي قضاء فحص البلوط، سنة 330هـ/941م.[4]

وبعد خمس سنوات من توليه المنصب، توفي فضل الله في ربيع الأول من عام 335هـ /946م.[5]

ومن ظاهرية الأندلس الذين حفلت بهم كتب الطبقات في المشرق والمغرب، ونال الحظوة التي لم ينلها فقيه قبله من المذاهب غير المالكية:

3) منذر بن سعيد بن عبد الله[6] بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله البلوطي:

من أهل قرطبة، يكنى أبا الحّكم، أصله من كزنة (فخد من البربر، إذ يذهب نسبه لقبيلة نفزة البربرية)، ولد سنة 273هـ/886م، وقد سمع بالأندلس من عبيد الله بن يحي الليثي المصمودي وغيره.[1]

---

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص 233. المقري، النفح، 156/4.

[2] بالنتيا، المرجع السابق، ص 439.

[3] ذكر الخشني والحميدي والضبي أنّه توفي في 292هـ. أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص 218. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 181. الحميدي، المصدر السابق، ص 233. الضبي، المصدر السابق، ص 304. بالنتيا، المرجع السابق، ص 439

[4] ذكر ابن الفرضي أنّه رآه بخط الخليفة المستنصر، في جمادى الأولى 330هـ/941م.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 279. الضبي، المصدر السابق، ص 388.

[6] ذكر ابن الفرضي بأنّه ابن عبد الملك، لكنه في الأصل ابن عبد الله حسب جل المصادر التي ستسرد في ترجمته.

رحل منذر حاجا سنة 308هـ/920م، لكنه أقام في رحلته أربعين شهر، فسمع حينها في مكة من أبي بكر محمد بن منذر، وأخذ عنه مؤَلفه "الإشراف في اختلاف العلماء"، وقد أخذ أيضا من غيره، وروى بمصر كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي عن أبي العباس بن ولاد، كما سمع من أبي جعفر أحمد بن محمد بن النحاس، وغيرهما.

وما قد غلب على منذر التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن علي الأصبهاني، كما كان بصير بالجدل ومذهب أهل الكلام، ولا يقتنع بالتقليد، لهذا كان يعيب على مالكية الأندلس هذه الصفة، لمّا عاد إلى الأندلس، وقد روى له الحميري في الروض، ثلاث أبيات تدل على ذلك:

غديري من قوم إذا ما سألتهم دليلا يقولون هكذا قال مالك

فإن زدت قالوا قال سحنون مثله وقد كان لا تخفى عليه المسائل

فإن قلت قال الله ضجّوا وأعولوا عليّ وقالوا أنت خصم مماحك[2]

أول منصب تولاه منذر كان قضاء ماردة[3]، وقد لقي ربه سنة 355هـ/966م، في عهد الخليفة الحَكم المستنصر، وهو ابن اثنين وثمانين سنة وتسعة أشهر، وقد صلى عليه ابنه عبد الملك، ودفن بمقبرة قريش بقرطبة[4] روى عن منذر جماعة منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهني (ت395هـ /1005م)، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي (ت396هـ/1006م)، وغيرهما.[5]

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 404. الحميدي، المصدر السابق، ص 310. ابن خاقان، المطمح، ص 238 و239. الضبي، المصدر السابق، ص 406. ابن خلدون، تاريخ، 152/6. المقري، النفح، 356/1.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 404 و405. الحميري، روض، ص 95 و96. محمد الشريف قاهر، **منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي خطيبا، قاضيا، شاعرا**، القسم الأول، مجلة الدراسات الإسلامية، عدد 1، ربيع الثاني 1423هـ/2002م، يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، ص 70-72.

[3] ماردة: مدينة بجوفي قرطبة منحرفة إلى المغرب قليلا، وقد كانت مدينة ينزلها الملوك.الحميري، المصدر السابق، ص 518 و519.

[4] الخشني، قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 237. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 404. النباهي، المصدر السابق، ص 75.

[5] الحميدي، المصدر السابق، ص 316. الضبي، المصدر السابق، ص 407.

ومما يُذكر عن منذر بن سعيد أنّ الجاه الذي اكتسبه، قد قام على الخطابة والذكاء والنصح الذي تميّز به، خاصة في التعامل مع الخلفاء، واكتساب ثقتهم، حتى عُدّ في نظر الناس أنّه واحد من رجال السلطان وحاشيته، وبهذا أتقن فن "شيخ البلاط" كما لم يتقنه قبله أحد في الأندلس. وكان منذر في القضاء يحكم بمذهب مالك، أمّا إذا توجه للتدريس أو لبحث حُكمٍ يخصه، فيأخذ بمذهب أهل الظاهر.[1]

حفلت كتب الطبقات بسرد عدّة قصص ووقائع ومواقف لمنذر بن سعيد البلوطي، سواء أثناء رحلته في طلب العلم، أو في الأندلس بعد عودته وتوليه منصب القضاء، ولعلّنا سنختار أهمها، ونحيل إلى البقية في الهامش، فمن مواقفه المشهودة التي كانت السبب في تعلق الخليفة عبد الرحمن الناصر به، هي خطبته التي ألقاها في الحفل الذي أقامه الخليفة الناصر بمناسبة استقباله سفراء "قسطنطين السابع بن ليون" (صاحب القسطنطينية) سنة 338هـ949م، حيث أشار الخليفة إلى ابنه وولي عهده الحَكم المستنصر، أن يقدم له خطيبا، فاختار الحَكم، ابن عبد البر الأندلسي، ولما عجز من هول المحفل، عوّض بالبغدادي الوافد، بحر اللغة، أبي علي القالي[2]، ولما تقدّم هو الآخر بهت للمنظر، وما استطاع التفكير ولا الكلام، فقام "منذر بن سعيد" وواصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالة، وملأ الأسماع جلالة، فخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه، وثبات قلبه، وبلاغة لسانه، وكان الأشد إعجابا به الخليفة الناصر، حيث سأل ابنه الحكم عنه، فقال له: هذا منذر بن سعيد البلوطي. فقال: والله لقد أحسن ما شاء ولئن أخرني الله بعدُ لأرفعنّ من ذكره، فضع يا حَكم يدك عليه واستخلصه، وذكّرني بشأنه، فما للصنيعة مذهب عنه، ثم ولاه الصلاة والخطابة في المسجد وغيرهما كما ذكرنا سابقا.[3]

---

[1] الزبيدي، طبقات، ص 295. بروفنسال، حضارة، ص 163. حسين مؤنس، شيوخ العصر، ص 71 و72.

[2] هناك اختلاف فيمن كان المقدم أولا لإلقاء الخطبة. فمنهم من يذكر ابن عبد البر، ومنهم من يذكر أبي علي القالي، أنظر: المقري، النفح، 353/1. ابن خاقان، المطمح، ص 240. شريف قاهر، المقال السابق، ص 81.

[3] الحميدي، المصدر السابق، ص 315. ابن خاقان، المطمح، ص 239 وما بعدها. النباهي، المصدر السابق، ص 66-68. الضبي، المصدر السابق، ص 407. ابن الخطيب، تاريخ، ص 37. ابن عذارى، البيان، 215/2 و216. المقري، النفح، 356/1 وما بعدها.

كان منذر بن سعيد جريء النصح ولا يداهن أو يخاف من المنصوح ولو كان خليفة المسلمين، حيث يُذكر أنّ الخليفة الناصر لما بنى قصره في مدينته الزهراء، جعل لسطح القبيبة الصغرى قراميد ذهب وفضة، كما جعل لون سقفها، صفراء فاقع إلى بياض ناصع يسلب الأبصار، وأنفق على ذلك أموالا طائلة، وقال للحاضرين من الوزراء وأهل الخدمة، هل رأيتم أو سمعتم قبلي من فعل هذا ؟ فقالوا: لا والله يا أمير المؤمنين، وإنّك لأوحد في شأنك كله، وبالغوا في مدحه وإطرائه، ثم دخل عليه القاضي منذر بن سعيد ناكصا رأسه وقد أخد مكانه، ولما سأله الخليفة كما سأل البقية، أقبلت دموعه تنحدر على لحيته وقال له: والله يا أمير المؤمنين، ما ظننت أنّ الشيطان أخزاه الله يبلغ منك هذا المبلغ حتى ينزلك منازل الكافرين. فاقشعرّ الخليفة عبد الرحمن من قوله وقال: أنظر ما تقول؟ وكيف أنزلتني منازل الكافرين؟. قال: نعم، أليس الله تبارك وتعالى يقول ﴿ ولَوْلَا أَنْ يَّكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلنَا لِمَنْ يَّكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ومَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ولِبُيُوتِهِمُ أَبْوَابًا وسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾.[1]

فبُهت الخليفة! ونكّس رأسه ودموعه تجري على لحيته ندما، وخشوعا لله تبارك وتعالى، ثم أقبل على منذر وقال له: "جزاك الله تعالى يا قاضي خيرا عنّا، وعن المسلمين والدين، وكثّر في الناس أمثالك، فالذي قلت والله الحق"، وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى، وأمر بنقض سقف القبّة وأعادها ترابا.[2] هكذا كان منذر الظاهري على عكس فقهاء الحقبة الذين كانوا يداهنون الحاكم كثيرا خاصة إذا كان الأخير هو عبد الرحمن الناصر.

وعلى الرغم من صرامة منذر بن سعيد، فإنّه كان كثير الدعابة، فقد حدّث ابنه سعيد قال: قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم مع أبينا للإفطار بداره البرّانية، فإذا سائل يقول: يا أهل الدار الصالح أهلها، أطعمونا من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنّة هذه الليلة. وكان يكثر من ذلك، فقال القاضي: إن أستجيب لهذا السائل فيكم، فليس يصبح منّا واحد".

---

[1] سورة الزخرف، الآيتان: 33 و34.

[2] ابن خاقان، مطمح، ص 257-259. الحميري، روض، ص 95. المقري، النفح، 2/109-111.



كما كان مستجاب الدعوة، وتجلى ذلك في صلوات الاستسقاء، وكان يقرع الخليفة كلّما رأى فرصة للنصح، خاصة إذا تعّلق الأمر بمسائل القضاء.[1]

وقد عرفت الأندلس ظاهري آخر عدّ من أكبر مشايخ الإمام ابن حزم الظاهري وهو:

4) مسعود بن سليمان بن مفلت:

يكنى أبا الخيار، وهو من شنترين، كان فقيه زاهد يميل إلى الاختيار والقول بالظاهر، وقد ذكره ابن حزم وكان أحد شيوخه[2]

حدّث عنه أبو مروان الطبني، وقال: كان صاحبي عند جماعة من شيوخي وقد أنشدني هذا البيت:

نافسِ المحسن في إحسانه فسيكفيك مسيئا عمله.

و لم يزل أبو الخيار هذا طالبا متواضعا، عالما، متعلما، إلى أن لقي الله عز وجل على هذه الحال، وقد قال فيه ابن حيان، إنّه كان داودي المذهب، ولا يرى التقليد، توفي في ذي القعدة من عام 426هـ/1035م.[3]

5) هشام بن غالب بن هشام الغافقي الوثائقي:

يكنى أبا الوليد، وهو من أهل قرطبة، ولد سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، روى عن أبي بكر بن زرب القاضي، ابن العطار وغيرهما. كان خيّرا فاضلا، من أهل العلم الواسع والفهم الثاقب، أخذ من كل من علم بحظ وافر، خرج هشام من قرطبة أثناء الفتنة، وسكن غرناطة، ثم استقر باشبيلية، توفي في ربيع الآخر من عام 430هـ/1039م.[4]

6) أبو عمرو الغافقي، بكر بن خلف بن سعيد عبد العزيز بن كوثر الغافقي (505هـ):

[1] لمعرفة المزيد من هذه الوقائع والقصص، أنظر: ابن خاقان، مطمح، ص 245 وما بعدها. الحميري، روض، ص 95. المقري، النفح، 108/2 و236-241. شريف قاهر، المقال السابق، 83/1 وما بعدها.

[2] الحميدي، المصدر السابق، ص 316. ابن بشكوال، الصلة، 891/3. الضبي، المصدر السابق، ص 408.

[3] ابن بشكوال، الصلة 891/3.

[4] نفسه، 937/3.

بكر بن خلف من أهل إشبيلية، كان فقيها على مذهب أهل الظاهر لا يرى التقليد، ألّف قصيدة تأيّد الأخذ بالحديث والتعويل عليه، وإطراح أهل الرأي وقد رواها عنه ابنه عبد الله[1]

7) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف معدان ابن سفيان بن يزيد:

مولى يزيد بن أبي سفيان، وجدّه يزيد أول من أسلم من أجداده لأنّ أصله من الفرس، وجده خلف هو أول من دخل الأندلس، ولد علي بقرطبة في شهر رمضان 384هـ/994م، ونشأ في تنعّم وعز السلطة وبين القصور، إذ أنّ أباه كان وزير. صحب ابن حزم في صغره شيخه أبا علي الحسين بن علي الفاسي، ثم درس الحديث الذي سيزيد من معارفه في أصول الدين، عن أبي عمر أحمد بن محمد بن جسور(ت400هـ/1009م)، وابن عمر الطلمنكي (ت429هـ/1038م)، ودرس تاريخ الطبري وتمعن فيه، فأدرك منه تاريخ البشر والأديان، وتعلّم المنطق عن الكتاني الطبيب، والأدب عن عبد الرحمن بن أبي يزيد.[2]

دخل ابن حزم غمار السياسة قبل أن يفرغ للعلم ويتبحر فيه، وهذا لطبيعة نشأته بين القصور، ولم يقبل على دراسة الفقه إلاّ بعد بلوغه سن السادسة والعشرين من عمره، وكان دافع ذلك أنّه شهد جنازة، فدخل المسجد قبل صلاة العصر وجلس ولم يركع، فقال له رجل: قم فصلّ تحية المسجد، قال: فقمت وركعت، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة، دخلت المسجد وبادرت بالركوع، فقيل لي: اجلس، ليس ذا وقت صلاة، وكان بعد صلاة العصر، قال: فانصرفت وقد حزنت وقلت للأستاذ الذي ربّاني: دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون. قال: فقصدته وأعلمته ما جرى، فدلني على موطأ مالك فبدأت به عليه[3] وهكذا فإننا نجد ابن حزم قد بدأ تعلمه

---

[1] ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي)، **التكملة لكتاب الصلة**_ المطبعة الشرقية للأخوين فونطانا، الجزائر، 1337هـ/1919م، ص 257.

[2] الحميدي، المصدر السابق، ص 277. الضبي، المصدر السابق، ص 365. ابن خلكان: وفيات، 325/3. الذهبي، سير، 91/11. بالنتيا، المرجع السابق، ص 213.

[3] الذهبي، سير، 96/11 و97.

الفقه بمذهب الأمام مالك، ثم مال إلى فقه الإمام الشافعي، ثم انتقل بعد ذلك لمذهب أهل الظاهر الذي استحسنه، وحافظ عليه ودافع وناظر عنه. هذا ما ذهب إليه جل المؤرخين كابن حيان وغيره، وعدّ الفقيه مسعود بن سليمان بن مفلت، أبا الخيار السابق الذكر، أستاذه في هذا المذهب، وكما يرجّح بالنتيا أنّ ابن حزم أصبح ظاهريا بعد 419هـ/1029م،[1]

كان ابن حزم حسب ابن عبود جد متخصص ومبدع في معارفه، حيث طور التاريخ الأندلسي، وله باع في أغلب المعارف[2] كما سنذكر ذلك في الفصل الخامس.

وذكر صاحب المعيار كلاما لابن حزم ينكر فيه على المالكية تعصبهم في التقليد، وقال أنّ قول الله تعالى وقول رسوله إن وافق قول صاحبهم أخذوا به، وإن لم يوافق رفضوه[3] وإن كان هذا الحكم يحتاج لأدلة قوية حتى يصبح حقيقة ولا يمكن أن نقيس على قول واحد أو مجموعة صغيرة تعصبت لراي مالك واصحابه.

بعد وفاة شيخ ابن حزم، أبا الخيار (ت426هـ/1035م) أقبل على تأليف الكتب[4]، خاصة بعد الاضطهاد الذي تعرض له على مستوى السلطة السياسية (ملوك الطوائف) والسلطة الدينية (فقهاء المالكية)، فاعتزل الدنيا والناس، وانزوى في موطن أسرته "مُنتِ لِشم" وهي بلدة على مقربة

---

[1] الذهبي، سير، 91/11. المقري، النفح، 293/2. بالنتيا، المرجع السابق، ص 215.

[2] M'hammed BENABOUD: **Religious knowledge and political power of the ULAMA IN AL-ANDALUS during the period of the TAIFA states**, **saber religioso y poder politico en el islam**, Actas del Simposio Internacional (Granada, 15-18 octuber 1991), agencia espanola de cooperacion internacional, Madrid, 1994. p41.

[3] أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه مجموعة علماء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981م/1401هـ، ص356.

[4] مؤلفات ابن حزم المطبوعة عديدة وقد حفلت بها المكتبات في العالم وترجمت لعديد اللغات، وهناك كتب مفقودة لا تزال قيد البحث وهي أيضا عديدة، فتفرغه للتأليف وانعزاله عن السياسة بعد أن فشل في إرجاع ملك بني أمية، كان خيرا للأمة، ومنبين العناويين المفقودة يمكن الرجوع لـ: عبد الحليم عويس: **ابن حزم الأندلسي وجهوه في البحث التاريخي والحضاري**، الصحوة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، ص 97-109. وعن مصادر علم ابن حزم وأهم مؤلفاته أنظر: محمد أبو زهرة: **ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1978م، ص59 وما بعدها.

من "ولبة" أو "أونبة" كما سمّاها الحميري، وربّما كانت قرية "كازا مونتيخا" Casa montija كما ذكر بالنتيا.

عانى ابن حزم عندما أحرقت كتبه من طرف المعتمد بن عباد (ملك اشبيلية).

ويمكننا تلخيص حياته في ثلاث مراحل هي: الحياة السياسيّة، ثم الدينيّة، ثم العلميّة.

توفي ابن حزم في شعبان سنة 456هـ/1063م.[1]

وفي أواخر عهد الدولة الأموية، دخل بعض الظاهرية إلى الأندلس، منهم:

8) محمد بن عبد الله بن طالب البصري الظاهري:

يكنى أبا عبد الله، ولد سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة، بدأ طلب العلم في سن كبيرة، ولأنّه كان تاجر، فقد تجول كثيرا ببلاد المشرق، وأخذ عن كثير من مشايخ المناطق التي دخلها.

وصل محمد الأندلس، سنة عشرين وأربعمائة، فسمع الناس منه، ومن بينهم ابن خزرج، الذي ذكر بأنّه سمع منه وقال أنّه كان على مذهب داود الظاهري.[2]

ثانيا– المذهبان الحنفي والحنبلي:

عرف العالم الإسلامي مذاهب سنيّة أخرى خلال الحقبة المدروسة، لكن جلّها لم يصل إلى الأندلس، مثل بعض المذاهب التي لم يكتب لها البقاء، منها (مذهب أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، الليث بن سعد ..)، ونستثني مذهب الإمام الأوزاعي، والمذهب الظاهري.

---

[1] عن ترجمة ابن حزم، أنظر: ابن حزم، **الأخلاق والسير في مداواة النفوس**، شركة الشهاب، الجزائر، د.س.ط، ص 5-07. الذهبي، سير، 11/90-103. أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1971، ص 5-8. المقري، النفح، 292/2 وما بعدها. لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**،_ضبطه، يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، 4/78-92. وما بعدها. محمد إبراهيم بن أحمد بن جعفر الكتاني الحسيني، **الإجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب**، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2004م/1425هـ، ص 69 وما بعدها. محمد مرزوق، **جوانب من الفكير السياسي بالأندلس من خلال نماذج معينة**، المجلة العربية للثقافة، العدد 27، ربيع الأول 1415هـ/سبتمبر1994م، ص36 وما بعدها.

[2] ابن بشكوال، الصلة، 866/3.

أمّا المذاهب الفقهية التي انتشرت في المشرق الإسلامي، وأخذ بعض الأندلسيين عن مشايخها دون قدرتهم على تشكيل تكتل كبير داخل الأندلس فنجد المذهبان الحنفي والحنبلي، قال عياض في مداركه "وأدخل بها قوم من الرحالين والغرباء شيئا من مذهب الشافعي وأبي حنيفة، وأحمد وداود فلم يمكّنوا من نشره، فمات لموتهم على اختلاف أزمانهم، إلاّ من تدين به في نفسه ممن لا يؤبه لقوله، على ذلك مضى أهل الأندلس إلى وقتنا هذا"[1] والقاضي عياض توفي سنة 544هـ، وفيما يلي نحاول إبراز أهم ما وجدناه:

1) المـذهب الحنبـلي:

ينسب المذهب الحنبلي للإمام أحمد بن محمد بن حنبل[2]، وقد أُختلف في الإمام أحمد، أهو من المحدّثين أو من أصحاب الفقه والحديث معا، فمنهم من عدّه في الصف الأول كالطبري، وابن قتيبة الذي لم يصنفه في زمرة الفقهاء وأدرجه مع المحدّثين، لكن الكثير قد ذكروا بأنّه جمع بين الحديث والفقه، منهم الإمام النسائي الذي قال: جمع أحمد بين المعرفة بالحديث والفقه. وعدّه

[1] عياض، المدارك، 16/1.

[2] **الإمام أحمد بن حنبل**: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المروزي، ثم البغدادي، ولد بمرو سنة 164هـ/781م، وحملته أمه رضيعا إلى بغداد، واشتهر باسم حنبل نسبة لاسم جده وليس والده. وقد ظهر نبوغه منذ صغره، واختار في صدر حياته أن يكون محدثا، لهذا كان كثير الترحال (البصرة، الحجاز، اليمن...)، وقد التقى بأنبغ تلامذة الإمام أبا حنيفة النعمان كأبي يوسف، الذي أخذ عنه الحديث بدلا من الفقه، وكذا بالشافعي وغيرهما، وقد ذاق الإمام أحمد الويلات زمن المحنة في عهد الخلفاء العباسيين (المأمون، المعتصم، الواثق) بسبب مسألة خلق القرآن، والتي أيّدوا فيها قول المعتزلة بأنّ القرآن مخلوق، وكان الإمام أحمد قد أنكر عليهم ذلك وقال بأنّ القرآن كلام الله، لكنّ هذه المحنة في الواقع، قد رفعت من قيمة الإمام خاصة في عهد الخليفة المتوكل الذي تولى الحكم بعد الخليفة الواثق. من أهم تلامذته: أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ، المعروف بالأثرم، وأحمد بن محمد بن الحجاج المروزي، وإسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه المروزي وغيرهم. توفي سنة 241هـ /855م. عن تفاصيل حياة الإمام أحمد ومذهبه الفقهي، أنظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص 169 وما بعدها. ابن عبد البر، المصدر السابق، ص 5. الذهبي، سير، 455/7. الخضري بك، المرجع السابق، ص 260 و261. أبو زهرة، المرجع السابق، ص 468 وما بعدها. الشكعة، المطالعات، ص 139 وما بعدها. سعد رستم، **الفرق والمذاهب الإسلامية**، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سورية، 2004م.

البعض أنّه صاحب فقه وحفظ وأنّه كان يرفض الأخذ بالرأي والقياس، لهذا عدّ إمام أهل السنة ومدرسة الحديث[1] وباهتمام الإمام أحمد بالحديث لم يعتبره الأندلسيون أنّه فقيه بل محدث.

لا ندري متى دخل المذهب الحنبلي إلى الأندلس، خاصة وأنّ معتنقيه كانوا قلّة، كما لا نعرف له دورا سياسيا، ونجد غالبية من درسوا هذا المذهب هم من المحدّثين وليسوا من الفقهاء، وإذا جئنا لنبحث عن أسباب نقص معتنقي المذهب في الأندلس فإني أجد ما يلي:

1- اعتبار الإمام أحمد بن حنبل من المحدّثين وليس من الفقهاء، والدليل على ذلك نجده عند ابن عبد البر الأندلسي وكتابه "الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء" الذي لم يذكر فيه الإمام أحمد، بل اكتفى بالفقهاء الثلاثة (مالك بن أنس، أبو حنيفة النعمان، محمد بن إدريس الشافعي)، ولم يأتي على ذكر الإمام أحمد سوى عندما تحدّث عمّن أخذ من الإمام الشافعي، فقال " وممن أخذ من الشافعي ببغداد وجالسه وفضّله: أبو عبد الله أحمد بن حنبل... وكان محله من العلم والحديث ما لا خفاء به، وكان إمام الناس في الحديث... وكان أعلم الناس بحديث الرّسول صلى الله عليه وسلم، وله اختيار في الفقه على مذهب أهل الحديث.."[2]

وابن حزم في إحكام الأحكام وهو يتحدث عن التقليد دائما يذكر أبو حنيفة ومالك والشافعي ولم يكن يذكر مذهب الإمام أحمد[3]، فربما في الأندلس لم يعدوه حتى فترة الدراسة بأنّه مذهب فقهي مستقل بدلا من يعدوا الإمام أحمد محدّث، فهو يعتبر بأنّ فقهه على مذهب أهل الحديث.

---

[1] عن تفاصيل حياة الإمام أحمد ومذهبه الفقهي، أنظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص 169 وما بعدها. ابن عبد البر، المصدر السابق، ص 5. الذهبي، سير، 455/7. الخضري بك، المرجع السابق، ص 260 و261. أبو زهرة، المرجع السابق، ص 468 وما بعدها. الشكعة، المطالعات، ص 139 وما بعدها. سعد رستم، **الفرق والمذاهب الإسلامية**، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سورية، 2004م.

[2] ابن عبد البر، الانتقاء، ص 166.

[3] أنظر باب إبطال التقليد عموما، فإنّ ابن حزم يذكر جل الفقهاء ولا يذكر أحمد إلاّ قليلا. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، تح. أحمد محمد شاكر، منشورات دار الآفاق الجديدة، لبنان، د.س.ط، 59/6، 68 وغيرهما.

2- فقه الإمام أحمد رحمه الله، لم يتوسع كثيرا في المسائل الفقهية المستجدة، وأن مصادر تشريعه أيضا أقل من المذاهب الأخرى، ذكر القاضي عياض لهذا لم تتبنّاه الدول القائمة خلال هذه الفترة على الأقل، مقارنة بالمذهب المالكي أو الحنفي، أو التعمق الذي وصل له الإمام الشافعي (علم أصول الفقه).

3- إقامة الإمام أحمد بالعراق (بغداد)، جعل أهل الأندلس أقل اتصال به، مقارنة لو كان في مصر أو منطقة الحجاز (طريق الحج).

وعلى الرغم من ذلك فإني أجد في الأندلس من تأثر بمذهبه، أو على الأقل قد سمع منه، أو عن ابنه عبد الله، أو من أحد تلامذته.

من أهم الحنابلة الذين وجدتهم بعد تتبعي لكتب الطبقات الأندلسية:

1) **عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري:**

من أهل قلعة أيوب[1]، يكنى أبا محمد، ولد سنة 320هـ/932م، وقد سمع في الأندلس من ابن شبل، وأحمد بن يوسف بن عباس، ووهب بن مسرّة وغيرهم، رحل عبد الله إلى المشرق سنة 350هـ/961م، وكان اهتمامه بعلم أحمد، إذ التقى ببغداد مع أبي علي بن الصواف، وسمع منه كتاب "العلل" لأحمد بن حنبل، ومن أبي أحمد بن جعفر بن حمدان، الذي سمع منه "مسند أحمد" والتاريخ، كما سمع بالكوفة، ومصر وحواضر أخرى، ولما عاد إلى الأندلس كان قد لزم العبادة والجهاد، كما كان صلبا في الحق ولا يخاف في الله لومة لائم، ونظرا لسعة علمه فقد حاول الخليفة الحكم أن يوليه القضاء، ولما طلب منه أن يعفيه منه، وافق الخليفة على ذلك. وقد شبه عبد الله، بسفيان الثوري لسعة علمه وورعه، سمع منه ابن الفرضي كتاب "معاني القرآن"، كما سمع منه علماء كُثر، منهم محمد بن أحمد بن يحي القاضي، وأحمد بن عون الله، وعباس بن أصبغ وغيرهم، توفي بقلعة أيوب عام 383هـ/993، وهو ابن ثلاث وستين سنة.[2]

---

[1] **قلعة أيوب**: بالقرب من مدينة سالم، ودروقة التي تفصلها عنها ثمانية عشر ميلا، وهي مدينة حصينة شديدة المنعة، كثيرة الأشجار والثمار. أنظر: الحميري، الروض، ص 469.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 202 و203.

2) يحي بن أصبغ بن خليل:

من أهل قرطبة، رحل إلى العراق، وسمع من عبد الله بن أحمد بن حنبل وطبقته، وغيره من أهل الحديث. توفي سنة 305هـ/917م.[1]

3) أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن الحسن بن كليب الخشني:

كانت له رحلة إلى العراق، ويقال أنّه التقى بالإمام أحمد بن حنبل. توفي عام 286هـ/899م.[2]

4) أبو محمد،عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن:

رحل إلى العراق وغيره، فسمع من أبي بكر أحمد ابن جعفر بن مالك القطعي صاحب عبد الله بن أحمد بن حنبل. روى عنه أبو عمر بن عبد البر[3]

5) أبو عبد الله، محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج:

رحل إلى العراق وسمع من عبد الله بن أحمد بن حنبل، له مصنّف في صحيح الحديث وغريبه، وقد كان رفيع المحتوى خاصة وأنّ ما فيه لا يوجد في كثير من المصنفات توفي سنة 330هـ/942م.[4]

كما سمع من الإمام أحمد بن حنبل، فقيه الشافعية في الأندلس "بقي بن مخلد"، الذي سمع منه أثناء محنته وبعدها، كما ذكرنا سابقا.

أمّا عن الغرباء الذين دخلوا الأندلس، وكانوا على مذهب أحمد بن حنبل، فنجد:

6) سالم بن علي بن ثابت بن أبي يزيد الغساني اليماني:

يكنى أبا يزيد، ولد سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، قدم الأندلس مع أبيه تاجرا سنة ست عشرة وأربعمائة، وكان حنبلي المذهب، روى عن شيوخ بلده وغيرهم، وقد سمع منه أبو محمد بن خزرج. ولا ندري تاريخ وفاته.[1]

---

[1] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 379 و380. الحميدي، المصدر السابق، ص 337. الضبي، المصدر السابق، ص 434.

[2] الضبي، المصدر السابق، ص 88 و89.

[3] الحميدي، المصدر السابق، ص 221. الضبي، المصدر السابق، ص 288.

[4] الضبي، المصدر السابق، ص 87.



كما دخل آخرون في عصر الطوائف منهم، محمد بن عبد الملك بن سليمان بن أبي الجعد التستري الحنبلي[2] و غيره.

وفي الأخير يمكننا القول أنّ فقهاء المذهب الحنبلي، لم يكن لهم دور كبير في في الأندلس، إلاّ ما ذكر عن عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم الذي كان مجاهدا في الثغور الشمالية لإسبانيا، وعرض عليه الخليفة الحكم القضاء فرفضه.

لكن رغم هذا فإنّ مجال البحث يبقى متواصلا، فربما هناك مصادر أو مخطوطات لم تحقق بعد، فيها أسماء لفقهاء على المذهب الحنبلي وغيره، لأنّ كتب الطبقات التي استطعت الوصول إليها، قد ركزت كثيرا على فقهاء المذهب المالكي كما عرفنا.

2) المذهب الحنفي:

ينسب هذا المذهب إلى عالم العراق أبو حنيفة النعمان[3] وقد دوّن تلامذة الإمام فقهه منهم يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري المعروف بأبي يوسف، وكان له كتاب الآثار، والرّد على

---

[1] ابن بشكوال، الصلة، 363/1.

[2] عنه أنظر، ابن بشكوال، نفسه، 868/3.

[3] **الإمام أبو حنيفة النعمان:** أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي يقال بأنّه من أبناء الفرس، ولد سنة 80هـ/699م بالكوفة، روى عن عطاء بن أبي رباح، والشعبي حماد بن أبي سليمان، وغيرهما، وقد أدرك الإمام تحول الخلافة من الأمويين إلى العباسيين، بدأ تعليمه بعلم الكلام، الذي ناظر به المعتزلة والنحل الأخرى كالخوارج، ثم انتقل لتعلّم الفقه وبرع فيه، ولما سئل الإمام أبو حنيفة عن مكان أخذه للعلم، قال: "كنت في معدن العلم والفقه، فجالست أهله، ولزمت فقيها من فقهائهم"، ويقصد بمعدن العلم "الكوفة" التي آل إليها علم الإمام علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وإبراهيم النخعي وغيرهم، وفيها انتشر علم القياس. وقد عدّ أبو حنيفة رائد هذه المدرسة (الرأي) التي سبق شرحها. أصول التشريع في مذهبه الفقهي سبعة هي (القرآن، السنة، أقوال الصحابة، القياس، الاستحسان، الإجماع، العرف) لم يترك الإمام مؤلفات في الفقه، سوى بعض الرسائل في الرّد على الدهريين وغيرهم، من أهل النحل والبدع. توفي الإمام أبو حنيفة سنة 150هـ/767م. لمعرفة المزيد عن ترجمة الإمام وفقهه ومناظراته، وتلامذته، أنظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص 134 وما بعدها. ابن عبد البر، الانتقاء، ص 183 وما بعدها. الذهبي، سير، 222/5. أبو زهرة، المذاهب، ص345 وما بعدها. الخضري بك، المرجع السابق، ص 229 وما بعدها. الشكعة، المطالعات، ص 98 وما بعدها. سعد رستم، المرجع السابق، ص 145 وما بعدها.

سير الأوزاعي، كتاب الخراج، ومنهم أيضا محمد بن الحسن الشيباني الذي له الجامع الصغير والجامع الكبير، وغيرهما[1]

وإذا جئت إلى الأندلس فإنّ المذهب الحنفي لم يتوسع كالتوسع الذي عرفه المذهب المالكي، أو المذاهب سابقة الذكر، فقد ذكر القاضي عياض:"وغلب مذهب أبي حنيفة على الكوفة والعراق...ودخل منه شيء ما وراءها من المغرب قديما بجزيرة الأندلس وفاس"[2].

من أهم أسباب عدم إنتشار المذهب الحنفي في الأندلس ما يلي:

1- هناك قصة رواها "المقدسي" في أنّ فريقين تناظرا يوما بين يدي الأمير هشام (فقيه حنفي وآخر مالكي)، فقال لهم: من أين أبو حنيفة؟ قالوا: من الكوفة، فقال: من أين مالك؟ قالوا: من المدينة، فقال: علم دار الهجرة يكفينا، فأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة، وقال: لا أحب أن يكون في عملي مذهبان، وقد سمعت هذه الحكاية من عدّة مشايخ بالأندلس.[3] وإن كانت الرواية يغلب عليها الطابع القصصي إذ لا يعقل أن يكون الأمير هشام جاهل بالفقيه أبي حنيفة النعمان، ولكنها توضح بأن المذهب لم يكن قد توسع بين العامة بل عند بعض الخاصة من التجار أو الأفراد لهذا أمر بإخراجهم.

2- رحلة الأندلسيين لم تكن صوب العراق، بقدر ما كانت صوب الحجاز (الحج) هذا باستثناء القلة منهم أحمد بن إبراهيم بن فروة اللخمي الفرَضي، ومحمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري الذي سمع بالمدينة والعراق[4]

---

[1] الشيرازي، المصدر السابق، ص 134 وما بعدها. ابن عبد البر، الانتقاء، ص 183 وما بعدها. الذهبي، سير، 222/5. أبو زهرة، المذاهب، ص345 وما بعدها. الخضري بك، المرجع السابق، ص 229 وما بعدها. الشكعة، المطالعات، ص 98 وما بعدها. سعد رستم، المرجع السابق، ص 145 وما بعدها.

[2] عياض، ترتيب، 65/1.

[3] سبق وأن ذكرت هذه الرواية في أسباب انتشار المذهب المالكي بالأندلس، المقدسي، المصدر السابق، ص 237.

[4] سآتي على ترجمتهما في هذا المبحث.



3- المذهب الحنفي كان المذهب الرّسمي للدولة العباسية، فأرادت الأندلس الاستقلال بمذهب آخر وجدته في المذهب المالكي، وقد بات التخوف من مذهب أهل العراق أن ينقل بعض الأفكار التي تخرج بني أمية عن الخلافة الشرعية في بغداد.

4- يذكر ابن خلدون بأنّ طبيعة أهل الأندلس والمغرب، أميل لطبيعة أهل الحجاز في البداوة، على عكس أهل العراق[1] وبالتالي كانوا لا يرغبون في فقه يستخدم القياس والرأي في جزء كبير.

وعلى الرغم من ذلك، فإننا تتبعنا كتب الطبقات التي أرّخت للفترة، ووجدنا بعض الأحناف، لكن لم يكن لهم دور سياسي أو فكري بارز، وغالبيتهم كانوا في عهد الخلافة وليس الإمارة، منهم:

1) **محمد بن عبد الله بن محمد الخولاني:**

المعروف بابن القون، ويكنى أبا عبد الله، أصله من باجة، وتحول عنها إلى اشبيلية التي سكنها، سمع محمد من يحي بن إبراهيم بن مزين، ومحمد بن أحمد العتبي، وغيرهما من المالكية، ثم رحل إلى المشرق سنة 266 هـ/879م، فسمع بمكة ومصر. كان فقيها في الرأي حافظا له، وعاقدا للشروط، ويذكر ابن الفرضي أنّ أبو محمد الباجي قال عنه: لم يكن من أهل الحديث وإنّما بابه الرأي. وهذه ميزة بعض الفقهاء الأحناف في العراق، كما كان رجلا ورعا ثقة، وكان الناس يقصدونه من قرطبة، منهم خالد بن سعد، وقد أثنى عليه محمد بن عمر بن لبابة، ولا أدري إن كان قد تولى مناصب سياسية أو لا، توفي سنة 308هـ/920م.[2]

2) **أحمد بن عمر بن لبابة:**

من أهل قرطبة، يكنى أبا عمر، سمع من أبيه ومن غيره، كان حافظا لرأي مالك عالما بأصول مذهبه، كما كان ذكي العقل، حاد الذهن، حسن التصرف، يتكلم في كل علم ويغلب عليه علم الرأي، وكان حافظا له وللمناظرات، شاوره أحمد بن بقي لما كان على القضاء.

---

[1] ابن خلدون، تاريخ، 568/1.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 317.



توفي أحمد "بشنت برية"، ودفن بقلعة رباح[1]، أثناء العودة من فتح سرقسطة، في صفر سنة 326هـ/937م، أمّا ابن الفرضي فيذكر سنة 325هـ/936م.[2]

3) **أيوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن بلكايش بن إليان (يوليان القوطي)**:يكنى أبا سليمان، وهو من أهل قرطبة، سمع من بقي بن مخلد كثيرا، ثم رحل إلى المشرق ودخل العراق، فسمع من قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق وغيره، وأدخل معه إلى الأندلس الكثير من كتب العراقيين وكان مائلا في مذهبه إلى الحجة ولا يرى التقليد. توفي 326هـ/937م[3].

وممن شحت المعلومات عن ذكر المعلومات عنهم:

4) **أحمد بن يوسف**:من أهل قرطبة، يعرف بالطبلاطي، ويكنى أبا القاسم، كان معتنيا بدرس الرأي والشروط. توفي سنة 327هـ/938م.[4]

5) **أيوب بن سليمان بن أبي رفاعة**: من أهل قرطبة، سمع من سليمان بن محمد بن وضاح ومن غيره، عني بالكتب التي تدرس المسائل والرأي، فقد كان من خيار المسلمين وفضائلهم حسب الخشني[5].

6) **زيد بن بشير**: فقيه على مذهب الكوفيين (حنفي)، روى عنه سليمان بن عمران، قاضي المغرب.[6]

كما عرفت الأندلس بعض المالكية الذين تأثروا ببعض القضايا في الفقه الحنفي، منهم:

7) **محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري**:

---

[1] قلعة رباح: من عمل جيان، وهي بين قرطبة وطليطلة، بها حصن حصين على نهر آنة، وهي مدينة محدثة في أيام بني أميّة، أنظر: الحميري، الروض، ص 469.

[2] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 30 و31. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 41.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 79.

[4] نفسه، ص 40.

[5] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 33. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 79.

[6] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 133. الحميدي، المصدر السابق، ص 192. الضبي، المصدر السابق، ص 254.

المعروف بالأعشى، وهو من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، سمع من العراقيين والمدنيين، إذ رحل 179هـ/795م، سنة وفاة الإمام مالك، وكان يذهب في الأشربة مذهب أهل العراق، توفي عام 221هـ/837م.[1]

8) **محمد بن سليمان بن محمد بن تليد:** من أهل وشقة، تولى قضاء سرقسطة في عهد الأمير محمد والمنذر وعبد الله، وفي عهد الأخير تولي قضاء وشقة[2]، كان مالكيا لكنه في الأشربة يذهب مذهب أهل العراق، توفي رحمه الله سنة 295هـ/908م[3]

ومن الأحناف القادمين من المشرق، نجد:

9) **عيسى بن محمد بن هارون بن عتاب النسفيِ الأستاذ:** يكنى أبا موسى، ولد سنة 339هـ وقدم مع أبيه سنة 422هـ، قد اشبيلية تاجرا مع أبيه محمد سنة 422هـ/1030م، قرأ القراءات على أبي طاهر البغدادى المقرئ، وسمع عليه تواليفه، كان من أحفظ الناس لأخبار العلماء، وأميزهم بالتعديل والتجريح، وكان حنفي المذهب ثقة فيما رواه[4]

10) **عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن مُجاهد الرّقي:**

يكنى أبا عمرو، قدم الأندلس سنة 423هـ، كان حنفي المذهب، كما كان واسع الرواية عن مشايخ العراق ممن كانوا على مذهبه[5]

11) **تمام بن الحارث بن أسد بن عُفير البصري:**

يكنى أبا سهل، ولد سنة 351هـ/962م، قدم الأندلس مع ابنه سهل تاجرين سنة 420هـ/1126م، له رواية عن شيوخ البصرة وغيرهم، وكان ثقة فضلا على مذهب أبي حنيفة، وكان ممن لقيه باشبيلية وأخذ عنه أبو محمد بن خزرج.[1]

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 296 و297. الضبي، المصدر السابق، ص 93.

[2] **وشقة:** مدينة حصينة بالأندلس لها سوران من حجر، بينها وبين سرقسطة خمسون ميلا، إذ تقع شرقها. أنظر: الحميري، الروض، ص 612.

[3] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 168. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 309.

[4] ابن بشكوال، الصلة، 640/2.

[5] نفسه، 519/2-520.



12) **محمد بن الفضل بن عبيد الله بن قُثم القرشي العباسي:**

يكنى أبا هاشم، ولد سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، قدم الأندلس تاجرا سنة اثنين وعشرين وأربعمائة، وهو بغدادي على مذهب أبي حنيفة وأصحابه، كان عالما بالنحو على طريقة الكوفيين، وكان صحيح العقل وحسن الخلق، وفصيح اللسان، كما كان واسع الرواية.[2]

13) **أحمد بن إبراهيم بن فروة اللخمي الفرضي:** يكنى أبا عبد الرحمان، يعتبر أحمد من أهل قرطبة، رحل للمشرق ودخل العراق، فسمع من بعض العلماء روى كتاب فرائض أيوب بن سليمان، عن عبد الغني ابن أبي عقيل، عن أيوب، وممن سمع منهم عُبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريري، وبندار محمد بن بشار، كان مغفّلا إذ ذهب في شرب النبيذ الصُلب مذهب أهل العراق، توفي أيام الأمير عبد الله سنة تسعين ومائتين[3]

وفي الأخير نقول أنّ المذهب الحنفي لم يكن له أثر فاعل في الأندلس مثله مثل المذهب الحنبلي، سواء فيما تركوه لنا من آثار تدل على باعهم الفقهي والأدبي والعلمي، أو حتى في الجانب السياسي، لكن الظروف عموما لم تكن في صالحهم، ولعلّ الأندلس قد عرفت غيرهم وهمشتهم كتب الطبقات، أو أنّ من أرّخوا لهم لم تصلنا كتبهم بعد، خاصة وأنّ السلطة الأموية بالتعاون مع السلطة المالكية لم تترك لهم مجالا للظهور، فما بالك بالتوسع ونشر فقههم. ويبقى مجال البحث في هذا الموضوع خصب للباحثين.

[1] ابن بشكوال، الصلة 203/1.

[2] نفسه، 867/3.

[3] ابن الفرضي، التاريخ، مر شلحة، ص28.

الفصل الثالث

المذاهب غير السنية في الأندلس

المبحث الأول: المذهب الإباضي.

المبحث الثاني: المذهب الشيعي.

المبحث الثالث: المذهب المعتزلي.

المبحث الرابع: المذهب المسري

الفصل الثالث: المذاهب غير السنية في الأندلس

لم تكن الأندلس ببعيدة عن الأفكار والمذاهب التي نشأت في المشرق الإسلامي، بل وصل تأثيرها عبر سبل متعددة منها رحلة الأندلسيين للحج، أو إلى حواضر الإسلام الأخرى، أو عن طريق الدّعاة الذين دخلوا الأندلس، وقبل البدء في ذكر أهم المذاهب العقائدية، لا بأس أن أعرّف باختصار معني العقيدة، وحتى نستطيع تمييز المذاهب العقائدية عن المذاهب الفقهية، خاصة إذا علمنا أنّ الإسلام عقيدة وشريعة (فقه)، فالعقيدة هي أصل الدين والشريعة فرعه.

1- تعريف العقيدة:

لغة: على وزن فَعِيلَة، من عقد، كعَقَدَ الحَبْلَ والبيعَ والعهد والزواجَ والبَيعَةَ، ويعقده: شدّه وأوثقه، والعقد نقيض الحلّ[1]

اصطلاحا: سنقتصر على التعريف الاصطلاحي للعقيدة من المصادر والمراجع السنيّة، على اعتبار أنّها تقرب لنا المعنى الحقيقي لمفهوم العقيدة عند أهل السنّة في الأندلس.

وقد عرّفها أبو بكر جابر الجزائري بأنّها "مجموعة من قضايا الحق البديهيّة المسلّمة بالعقل، والسمع والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازما بصحتها، قاطعا بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنّه يصح أو يكون أبدا".[2] وقد اختلفت الأسباب التي أدّت لنشأة الفرق

---

[1] ابن منظور، لسان، 9/309-312. الرازي، مختار الصحاح، المصدر السابق، ص 288. إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات وآخرون، **المعجم الوسيط**، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، تركيا، د.س.ط، 1 و2، ص613 و614. محمود الخالدي، **العقيدة وعلم الكلام**، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، 1989، الجزائر، ص 16.

[2] أبو بكر جابر الجزائري، **عقيدة المؤمن**، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع والترجمة، ط2، القاهرة، مصر، 1424هـ /2003م، ص 21. للتوسع في المعنى الاصطلاحي أنظر: الخالدي، المرجع السابق، ص 16-18. وهناك تخصص مفرد لدراسة علم العقيدة الإسلامية، وفي مجمله تنتظم تحته ستة أمور للدراسة هي: 1- المعرفة بالله وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والمعرفة بدلائل وجوده، ومظاهر عظمته في الكون والطبيعة. 2- المعرفة بكتب الله التي أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل، والخير والشر، والحلال والحرام، والحسن والقبيح. 3- المعرفة بأنبياء الله ورسله، الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى وقادة الخلق والحق، 4- المعرفة بما وراء الطبيعة، أو العالم غير المنظور، من ملائكة وجن وما إلى ذلك. 5- المعرفة باليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء وثواب وعقاب، وجنّة ونار. 6- المعرفة بالمخطط العام للقضاء والقدر والذي يسير عليه نظام الكون في الخلق

والمذاهب العقائدية، إلاّ أنّ أهمها كانت سياسية (الإمامة) ثم تحولت إلى فرق ومذاهب لها آراؤها العقدية، ومنها من تأثرت بالفلسفات اليونانية[1]

المبحث الأول: المذهب الإباضي في الأندلس

يجد الدّارس لتاريخ نشأة المذهب الإباضي اختلافات عميقة في مسألة انتمائه إلى فرق الخوارج؟ وهل سبب ظهور المذهب كان سياسيا (مسألة التحكيم)؟ أو دينيا ؟ أم هما معا؟[2]

ينتسب الإباضية (الأباضية) إلى عبد الله بن إباض التميمي[3] وإليه ترجع التسمية. قال نور الدّين السالمي (إباضي) في هذا المعنى:

والتدبير. للتوسع أنظر: أحمد علي الملا، **دراسة في علم العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة**، قصر الكتاب، ط1، البليدة، الجزائر، 1406هـ/1986م، ص 13 وما بعدها

[1] هناك فِرق عقائدية سياسية كالشيعة والخوارج، وهناك العقائدية فقط كالمعتزلة والمرجئة، وللتوسع أنظر: البغدادي، الفرق، ص 16 وما بعدها. أبو زهرة، المذاهب، ص 11 وما بعدها. رستم، الفرق، المرجع السابق، ص 19 وما بعدها.

[2] يكاد يجمع المؤرخون وأصحاب المقالات من أهل السنة، بأنّ الإباضية فرقة من الخوارج وسار على ذلك بعض الباحثين المعاصرين والمستشرقين، أمّا المراجع الإباضية فقد نفت ذلك وقدمت مبرراتها التاريخية في المسألة. للتوسع في الموضوع أنظر: البغدادي، المصدر السابق، ص 78. أبو محمد علي ين أحمد بن سعيد ابن حزم، **الفصل في الملل والنحل والأهواء**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ج4، ص 188 و189. الشهرستاني، الملل 115/1. أبو زهرة، المرجع السابق، ص 76. صابر طعيمة، **الإباضية عقيدة ومذهبا**، دار الجيل، بيروت، 1406هـ/1986م، ص 43 وما بعدها. ألفرد بيل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، لبنان، 1987، ص 145. وقد ردّ الإباضية على هؤلاء وغيرهم في مسألة التبعية للخوارج، وللتوسع في هذه الردود أنظر: علي يحي معمر، **الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث**، المطبعة العربية، غرداية، 1987م، ص 15-288. ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي، **الخوارج والحقيقة الغائبة**، دار المنتظر، بيروت، لبنان، 1420هـ 2000م، ص 184-188. محمد ناصر بوحجام، **توضيح مكانة الإباضية من الخوارج**، المطبعة العربية، غرداية، 1996م. إبراهيم بحاز وآخرون: **معجم مصطلحات الإباضية، العقيدة، الفقه، الحضارة**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط2، سلطنة عمان، 1433هـ/2012م، 20/1-25.

[3] **عبد الله بن إباض المري التميمي(ت86هـ/705م)**: نشأ في البصرة، وعاصر افتراق المسلمين في صفين، كما عاش في فترة حكم الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى عهد عبد الملك بن مروان، هذا الأخير الذي كانت له معه رسائل تبرأ في بعضها من ابن الأزرق (الخوارج)، وإلى ابن إباض أخذ المذهب تسميته وذلك لدفاعه المستميت عن المذهب عكس الإمام جابر الذي اختار الكتمان خوفا من استبداد الأمويين. للتوسع أنظر: سالم بن حمود بن شامس السيابي، **إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء**، تحقيق وشرح د.السيدة إسماعيل كاشف، مطابع سجل العرب، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1979،

فما الإباضيون إلاّ علما	لخلفاء الحق منّا فاعلما
وأصله أنّه فتى إباض	كان محاميا لنا وماضي
إنّ المخالفين قد سمونا	بذاك غير أننا رضينا
مدافعا أعداءنا بالحجة	وحاميا إخواننا بالشوكة[1]

من خلال ذلك نجد أنّ أصحاب المذهب يعتبرون أنّ أبا الشعثاء جابر بن زيد الأزدي التابعي[2] هو مؤسس المذهب وليس عبد الله بن إباض، ولكن ابن إباض هو الواجهة العلنية للجماعة، وكان يحاجج ويجادل الأمويين ويبين مواقف أصحاب مذهبه، لهذا نُسب أصحابه إليه رغم عدم رضاهم بذلك ولكن أذعنوا للأمر الواقع، وهم يحبذون تسميتهم بأهل الدعوة وأهل الاستقامة، وجماعة المسلمين[3] ويذكر النامي من خلال المصادر الإباضية أنّ عبد الله بن إباض كان له دورا ثانويا في تأسيس الحركة الإباضية، مقارنة بمؤسسها جابر بن زيد، وأنّ الأوامر كانت تأتيه من

ص 49 وما بعدها. إبراهيم بن بكير بحاز ومحمد بن موسى بابا عمي وآخرون، **معجم أعلام الإباضية من ق(1 – 15)هـ، قسم المغرب**، نشر جمعية التراث، ط1، غرداية، الجزائر، 1420هـ /1999م، الترجمة رقم 577: ج3/551-553.

[1] نور الدين السالمي، **رسالة كشف الحقيقة** (رسالة صغيرة في شكل منظومة)، ص 19-31. بكير سعيد أعوشت، **رجال خالدون في ذاكرة الإسلام**، المطبعة العربية، غرداية، 1994، ص 19 و20.

[2] **أبو الشعثاء جابر بن زيد** (18-93/22هـ): ولد بعمان في عهد خلافة عمر بن الخطاب، لكنه عاش في البصرة وأخذ فيها العلم، روى العلم عن ثلاثة من الصحابة، عائشة أم المؤمنين، عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين، وقد عدّ مفتي البصرة، وبشأن انتمائه للإباضية فقد ذكر ابن سعد روايات تنفي علاقة الإمام جابر بالإباضية، منها أنّ الحسن البصري زاره عندما كان مريض وقال له: إنّ الإباضية تتولاّك، فقال: أبرأ إلى الله منهم. وقد بررت الأقلام الإباضية هذا الجواب بأنّ الإمام جابر قد طبّق في جوابه مبدأ الكتمان الذي يعتبر مسلكا من مسالك الدين. أنظر: ابن سعد، الطبقات، 182/7. زيانة بنت خلفان الحارثية، **الإمام جابر بن زيد وتأسيسه الفكر الإباضي**، مكتبة الجيل الواعد، ط1، مسقط، سلطنة عمان، 1427هـ/2006م، ص 115-121. السيابي، المرجع السابق، ص 13 وما بعدها. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، الرجمة رقم 230: ج2/217.

[3] مصطفى بن صالح باجو: **أبو يعقوب الورجلاني أصوليا –دراسة لعصره وفكره الأصولي مقارنا بأبي حامد الغزالي-**، وزارة التراث والثقافة، ط2، سلطنة عمان، 1428هـ/2007م، ص49.

جابر، يبقى أنّه قد دعا علنا إلى آراء مذهبه إذا ما قورن مع غيره الذين آثروا الستر، وجهره اعتمد فيه على سند قبيلته القوية تميم[1]

وقد استنتج بيار كوبرلي (Pierre CUPERLY)خلال دراسته للعقيدة الإباضية أنّها بحثت من خلال تمييز ذاتها عن فروع أخرى متطرفة من الخوارج، وأخذهم بطريق الوسطية المعتدلة مع التمسك بالمطلب الأساسي للمحكمة الأولى، والمتمثل في نقاوة الإيمان، ورفض التطرف، مقارنة مع الحركات الخارجية الأخرى المتطرفة، وهذا ما جعلها تبقى إلى اليوم في عُمان وتنزانيا (زنجبار)، وتونس (جربة)، وليبيا (جبل نفوسة، زوارة)، الجزائر (مزاب)[2]

ويقترب الإباضية في عقائدهم من المعتزلة[3] ومرجعهم في الحديث هو مسند الربيع بن حبيب[1]، وقد وصل المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب الإسلامي عن طريق داعيته سلمة بن سعد[2]، ثم وصل حملة العلم الخمسة الذين نشروه أكثر[3] ومن بلاد المغرب دخل المذهب إلى الأندلس.

---

[1] عمرو خليفة النامي: **دراسات عن الاباضية**، تر ميخائيل خوري، مر ماهر جرار، دقق وراجع أصوله وعلق عليه محمد صالح ناصر، ومصطفى صالح باجو، دار الغرب الإسلامي، ط2، تونس، 2012م، ص45.

[2] بيير كوبرلي: **مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها –بحث مقارن في اللاهوت الإباضي في بلاد المغرب وعُمان–**، تر عمار الجلاصي، أعده للنشر موحمد ؤمادي، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2011م، ص17.

[3] **من بين المعتقدات نجد:** نفي رؤية الخالق في الآخرة عكس معتقد أهل السنة، وأنّ القرآن مخلوق (هذا رأي إباضية المغرب عكس بعض إباضية المشرق)، ولا فرق بين الإيمان والإسلام، لهذا كُفر مرتكب الكبيرة (كفر نعمة وليس كفر شرك) وأنّ الإيمان يزيد ولا ينقص، في حين أهل السنة يرون أنّ الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وغيرها من المسائل التي تتطابق جلها مع رأي المعتزلة. للتوسع أنظر: أبو عمار عبد الكافي، **كتاب الموجز في تحصيل السؤال، وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف**، تح عمار الطالبي، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1971 ص 267 وما بعدها. أبو حفص عمرو بن جميع، **عقيدة العزابة**، تحقيق وتعليق عمر بن أحمد بازين، المطبعة العربية، ط1، غرداية، الجزائر، 1417هـ/1996م، ص 1 وما بعدها. أحمد بن حمد الخليلي، **الحق الدامغ**، دار البعثة، ط2، قسنطينة، 1412هـ/1492م، ص 25 وما بعدها، ابن ادر يسو، المرجع السابق، ص 265 وما بعدها. عدون جهلان، **الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش**، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، د.س.ط، ص49 وما بعدها. إبراهيم بحاز، **الميزابيون المعتزلة (قراءة جديدة لنصوص قديمة)**، مجلة الحياة، دورية تصدر عن معهد الحياة بالقرارة، العدد1 المطبعة العربية، نشر جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1418هـ/1977م، ص132. للتوسع في عقيدة أهل السنة، أنظر: ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، حققها وراجعها مجموعة من العلماء، المكتب الإسلامي، ط9، 1408هـ/1988.

استطاع عبد الرحمن بن رستم[4] أحد حملة العلم الخمسة أن يؤسس دولة إباضية مستقلة في المغرب الأوسط، أخذت اسمها من اسم أبيه رستم (الدولة الرستمية)[5] واتخذ تيهرت عاصمة لها.[6]

---

[1] **الربيع بن حبيب**: هو الربيع بن عمرو الأزدي الفراهيدي البصري (75-175)هـ، أخذ فقهه عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وأبي نوح، وضمام، للتوسع أنظر: الربيع بن حبيب، **الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب**، ترتيب الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، المطبعة العربية، 1985. السيابي، المرجع السابق، ص 40 وما بعدها.

[2] **سلمة بن سعد (سعيد)** ابن علي بن أسد الحضرمي اليمني (حي سنة 135هـ/752م). أنظر: أحمد بن سعيد الدرجيني، **كتاب طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1394هـ/1974م، 1، ص 11 و12. معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج391/3 و392.

[3] **حملة العلم الخمسة** هم: أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، عبد الرحمن بن رستم، عاصم السدراتي، إسماعيل ابن درّار الغدامسي، أبو داود القبلي النفزاوي. أنظر ترجمتهم في: الدرجيني، المصدر السابق، ص 19. معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، 505/3-508. 499/3 و500. 109/2 و110. 285/2.

[4] **عبد الرحمن بن رستم**: هو عبد الرحمان بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى الملك الفارسي، ولد في العراق ونشأ بالقيروان، انتقل إلى البصرة رفقة حملة العلم المذكورين سابقا سنة 135هـ/752م لأخذ الفقه الإباضي عن أبي عبيدة مسلم، ولما عادوا كان قد استطاع تأسس دولة إباضية مستقلة في المغرب الأوسط مع دعاة المذهب، واختير لأن يكون إماما لها (160-171هـ/777-787)م. أنظر: ابن الصغير، **أخبار الأئمة الرستميين**، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، مطبوعات الجميلة، الجزائر 1986 ص26 وما بعدها. أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**، تحقيق ودراسة محمد حسن، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية ق5هـ/11م، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1995، ص 42 وما بعدها. إبراهيم بحاز، **عبد الرحمن بن رستم (160-171هـ/777-788م) مؤسس أول دولة إسلامية مستقلة في بالجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص 07 وما بعدها.

[5] **الدولة الرستمية (160-296هـ / 777-909م)**: أسسها عبد الرحمن بن رستم في المغرب الأوسط، وكانت على المذهب الإباضي، وقد توالت سلالته على حكمها، حتى أسقطها أبو عبد الله الشيعي داعية الدولة الفاطمية. لمعرفة تفاصيل الدولة الرستمية، أنظر: إبراهيم بن بكير بحاز، **الدولة الرستمية (160-296هـ / 777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، نشر جمعية التراث، ط2، 1414هـ/1993م، ص 98 وما بعدها. سليمان الباروني، **الأزهار الرياضية في أيمه وملوك الإباضية (القسم الثاني)**، تحقيق وفهرسة أحمد كروم وآخرون، تقديم إبراهيم بحاز وأحمد بن سعود السيابي، دار البعث، ط3، قسنطينة، الجزائر، 1423هـ/2002م. ص 112 وما بعدها.

[6] **تيهرت (تاهرت)**: مدينة مشهورة من مدن المغرب الأوسط، كانت على المذهب الاباضي، كما كانت فيما سلف مدينتين كبيرتين، قديمة وحديثة، بنيت على سفح جبل قزول. للتوسع أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 126 و127. الباروني، المرجع السابق، ص 7 وما بعدها. بحاز، الدولة الرستمية، ص 85-97.

أولا– العلاقات الأموية–الرستمية:

عرفت الأندلس في العهد الأموي وجود علاقة وطيدة ربطت بينها وبين الدولة الرستمية الإباضية في المغرب الأوسط، وسمحت هذه الفترة بانتقال بعض الإباضية من المغرب الإسلامي إلى الأندلس واستقرارهم فيها، لهذا أكاد أجزم بأنّ هذا المذهب وحامليه، لم يدخلُ الأندلس من المشرق مباشرة، وإنّما دخلوه من بلاد المغرب الإسلامي، وأنّ ذلك تمّ في العهد الأموي وليس في عهد الولاة.

ولعلّ من يطالع هذا البحث، يرى فيه تناقضا مع ما كنت ذكرته من قبل في الفصلين الأول والثاني، من أنّ الدولة الأموية كانت متعصبة للمذهب المالكي دون غيره من المذاهب السنية الأخرى، ثمّ يجدني أحدثه عن العلاقة الوطيدة التي ربطت الأمويين بالرستميين وهم إباضية، فما السرّ وراء هذه العلاقة الوطيدة؟

فأقول إنني بعد الاطلاع على بعض المصادر والمراجع التاريخية، خلصت إلى استنتاج المبررات التالية:

1- الحصار المفروض على الإمارة الأموية والمتمثل في الإمارات المسيحية في الشمال، ودولة الأدارسة[1] العلوية في الجنوب (المغرب الأقصى).

2- الحصار الذي كانت الدولة الرستمية مطوقة به، والمتمثل في دولة الأغالبة[2] السنّة في الشرق، ودولة الأدارسة العلويين في الغرب.

[1] دولة الأدارسة:(172-375هـ/788-985م)، أسسها إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب، الذي فرّ من المشرق خوفا من العباسين المحاربين الشيعة، ونزل عند قبيلة أوربة بالمغرب الأقصى، عاصمتها فاس، امتد نفوذها حتى شمل تلمسان وقرطبة.إسماعيل العربي، **دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 72 وما بعدها.

[2] **الدولة الأغلبية**(184-296هـ/800-908م) نسبة لأغلب بن سالم، لكن مؤسسها هو إبراهيم بن الأغلب، كانت عاصمته العباسية التي ابتناها سنة 185هـ وهذا لإظهار ولائه للدولة العباسية، ثم ستكون رقادة، كانت هذه الدولة سنية المذهب، وقد فتحت هذه جزيرة صقلية 212هـ/827م، سقطت الدولة سنة 296هـ من طرف الداعي الفاطمي أبو عبد الله الشيعي. أنظر: حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، 2/171-180. 3/163-178.

3- وجود عدو مشترك يتربص بهما في كل لحظة، وهي الخلافة العباسية وأعوانها في بلاد المغرب (الأغالبة) والتي هدفها الإطاحة بهما على اعتبار أنّهما خارجين عن الخلافة الشرعية (جماعة المسلمين).

4- أورد صاحب مروج الذهب أنّ عبد الرحمن بن رستم فارسي، ثم أورد قولا مفاده أن عبد الرحمن من بقايا الإشبان، وهؤلاء هم من أصل فارسي[1].

5- وجود البربر في الأندلس[2]، والدولة الرستمية قامت بدعم من البربر.

هذه المبررات وغيرها جعلت التقارب الرستمي-الأموي يتمتن ويتوثق فيما بينهما، خاصة في الجانب الاقتصادي والسياسي والعسكري، أمّا في الجانب الديني المذهبي فأكاد لا نجد له أثرا، ولم تذكر المصادر المتاحة لنا أن عالما أو طلبة إباضيين قد ذهبوا إلى الأندلس بهدف الاستقرار أو نشر دعوتهم بها، خاصة إذا علمنا أنّ وجهتهم العلمية كما ذكر الباحث بحاز، هي مدينة البصرة والمشرق الإسلامي.[3] لوجود أقطاب الإباضية بهما.

كما قد يرجع ذلك إلى سيطرة فقهاء المذهب المالكي على الحياة الدينية في الأندلس، وتشددهم في منع دخول المذاهب السنية الفقهية، فما بالك بالمذاهب الأخرى، خاصة إذا علمنا أنّ صاحب "كتاب الواضحة" الأندلسي"عبد الملك بن حبيب" قد قال:"و من عُرف ببعض الأهواء المخالفة للجماعة مثل الإباضية، والمرجئة، والقدرية وأشباههم، فلا يصلى خلفهم..."[4]. وقد كان رأي الإمام مالك في الإباضية أن يستتابوا (على اعتبار أنّهم من الخوارج) ولما علم أنّ العلاّمة عكرمة مولى ابن عباس (ت104هـ/722م) كان على رأي الخوارج (الصفرية) أسقطه من الموطأ، قال ابن المديني (ت234هـ/ 848م): "لم يسمّ مالك عكرمة في شيء من كتبه إلاّ في

---

[1] المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1385هـ /1965م، 186/1.

[2] محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1382هـ/1963م، 350/2.

[3] بحاز، الدولة الرستمية، ص 386.

[4] الدشراوي، المقال السابق، ص 21.



حديث ثور عن عكرمة عن ابن عباس في الذي يصيب أهله وهو مُحرِم، قال يصوم ويهدي".[1] هذا التأثير نجده واضحا في الأندلس، لهذا لم ينتشر هذا المذهب وغيره من المذاهب الأخرى بالصفة التي نراها في العدوة المغربية والمشرق الإسلامي.

وإذا رجعنا تاريخيا لتحديد تاريخ العلاقة بين الدولتين الأموية والرستمية على اعتبار أنها الأساس لمعرفة الدور السياسي للمذهب الإباضي في الأندلس، فإننا نجدها تعود إلى عهد الأمير الأول عبد الرحمان الداخل، الذي كان قد اتصل بالعائلة الرستمية في شمال إفريقيا.[2]

وفي عهد الأمير الحَكم بن هشام حسب ابن القوطية قد وجد الخوارج في طليطلة، حيث ذكر: "ثم ظهرت بالجزيرة خارجيَّة تُشبه مذاهبهم مذاهب الخوارج أيام تورثهم على عليّ ومعاوية، ومن بعدهم، فكتب عباسُ بن ناصح للحكم شعرا يُغري بهم ويحض على إنكار ما أحدثوه. وفي الشعر:

صل بالأفيل الذي ربَّوا لفتنتهم   من قبل أن يرحلوه نحونا جَذَعا

فقال الحَكم: إي والله، نفعل، وخرج بنفسه حتى أتى الجزيرة، ونزل على بابها، وحمل السيف على أكثر أهلها"[3]

وتوطدت العلاقة أكثر في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحَكَم، الذي استقبل في بلاطه وفدا رسميا من تاهرت سنة 207هـ/822م، وكان يوم استقبالهم يوما مشهودا، وأغدق عليهم الهدايا الثمينة أثناء رجوعهم[4] وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدل على الروابط الوثيقة التي جمعت بينهما.

---

[1] قد كان لهذه الآراء أثرها في الأندلس، وإن كانوا قد وصفوهم بالبدعية ولم يكفروهم، لأنّ أصل الصلاة خلفهم وعليهم جائزة عند أهل السنة، لهذا كتب ابن عبد البر الأندلسي تعليقات في هذا المجال، وقال إنّ المقصود برفض الصلاة خلفهم رجاء الانتهاء عن بدعهم، والإباضية كما عرفنا يعترفون بعدم تبعيتهم للخوارج. عن كلام ابن عبد البر وللتوسع في الموضوع، أنظر: التهامي، المرجع السابق، ص 77 و78. 218 و219.

[2] فيلالي، المرجع السابق، ص 97.

[3] ابن القوطية، المصدر السابق، ص 67-68.

[4] هناك من يرى بأن الوفد يتكون من أبناء الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن، وهناك من يرى بأنهم إخوة عبد الوهاب وهم عبد الغني، دحيون، بهرام. أنظر: ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق محمود مكي، المصدر السابق، ص 488، فيلالي، المرجع السابق، ص 98.

ثانيا– أهم الإباضية في الأندلس:

من الأسماء الإباضية التي عرفتها الأندلس خلال هذه الفترة نجد:

1) **محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم:**

دخل أبوه "سعيد" الأندلس في عهد الأمير الحكم بن هشام واستقر بناحية الجزيرة، و**عبد الرحمن بن رستم**: الذي رجّح بروفنسال أن يكون ابنا أو أخا لمحمد بن سعيد بن عبد الرحمن السابق الذكر، وكان لبعض قبائلهم دويلات قامت أواخر الخلافة الأموية وعصر الطوائف كبني دمر في مورور وبني برزال في قرمونة[1]

تحدّث ابن حزم عن بعض الإباضية في الأندلس من خلال كتابيه "الفصل" و"جمهرة أنساب العرب"، وبذلك يتأكد لنا أنّ الإباضية كانوا منتشرين في الأندلس بما فيها العاصمة قرطبة، ومن جملة ما ذكر أنه سأل أحد علماء الإباضية وهو "**أبو محمد بويكني الإباضي**" عن أنساب بعض البربر، فقال له من جملة ما ذكر "بنو برزال وبنو واسين إباضية"، مع العلم أنّ هذا العالِم قد شهد له علي ابن حزم بأنّه كان ناسكا عالما بأنساب البربر.[2]

وقد أطلعنا ابن حزم أيضا ببعض المعلومات عن إباضية الأندلس، فقال: "...كما أنّ النكار من الإباضية هم الغالبون على خوارج الأندلس ... وإلى قول الثعالبة (من الصفرية)، رجع عبد الله بن إباض، فبرئ منه أصحابه، فهم لا يعرفونه اليوم، ولقد سألنا من هو مقدمهم في علمهم ومذهبهم عنهم فما عرفه أحد منهم.."[3]. وهكذا نفهم أنّ الإباضية كانوا موجودين في الأندلس ومعروفين، إلا أنّ غالبيتهم كانوا على مذهب النكار[4]، كما أشار ابن حزم إلى جهل هؤلاء

---

[1] سآتي عن دورهم السياسي في الفصل الرابع عندما أتحدث عن الأثر السياسي للإباضية.

[2] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص498.

[3] ابن حزم، الفصل في الملل، ج191/4. وللمزيد من التوسع، أنظر: ج188/4-192.

[4] **النكارية**: هي فرقة من فرق الإباضية، ظهرت بعد وفاة الإمام عبد الرحمن بن رستم ومبايعة ابنه عبد الوهاب بالإمامة بعده، هذا ما لم يقبل به أحد المشاورين السبعة لخلافة عبد الرحمن بن رستم وهو "يزيد بن فندين" إذ كان يعتقد أنّها ستؤول له، وسمي بالنكاري لإنكاره بيعة عبد الوهاب، وبهذا اللقب سمي أتباعه، من أهم الشخصيات المشهورة في هذا المذهب أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفريني (صاحب الحمار)، الذي ثار على الدولة الفاطمية في بلاد المغرب 331هـ/942م، وقد لقيت ثورته

الإباضية لإمامهم "عبد الله بن إباض"، وقد بيّن الباحث بحاز أنّ هؤلاء الذين سألهم ابن حزم، قد يكونوا من عامة الناس.[1]

ولا ننس أنّ النكار في العد الرستمي عندما حاربهم الإمام عبد الوهاب قد فرو للمغرب الأدنى وربما أيضا الأندلس، وقد أطلعنا ابن حزم أيضا عن بعض المسائل التي شاهدها في إباضية الأندلس، قال: "و قد شاهدنا الإباضية عندنا بالأندلس، يحرّمون طعام أهل الكتاب...و يوجبون القضاء على من نام نهارا في رمضان فاحتلم..."[2].

من خلال ما سبق يمكننا القول بأنّ أصحاب المذهب الإباضي كانوا موجودين في الأندلس، وحتى إن لم يظهروا جليا للمجتمع ولم يكونوا معروفين، فإن قيام دويلات لهم في عهد ملوك الطوائف (بنو برزال وبنو دمر) كما سنعرف سيجعلنا نجزم بأثرهم في الأندلس، ولكن ربما أخذوا بمسلك الكتمان[3] وهو من مسالك الدين عندهم في حالة عدم وجود إمامة الظهور، ويبقى الأمر عن هذا المذهب في الأندلس يحتاج للمزيد من الدراسة مقارنة بما ناله إخوانهم في بلاد المغرب.

التأييد من طرف الخليفة الأموي "عبد الرحمن الناصر"، ولعلّ انتشارهم في الأندلس يعود إلى هذه الفترة إذ بعد القضاء على ثورة صاحب الحمار هاجر أتباعه إلى الأندلس. للتوسع أنظر: أبي زكرياء يحي بن أبي بكر، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1399هـ/1979م، ص 58 وما بعدها. الباروني، المرجع السابق، ص 135 وما بعدها. فيلالي، المرجع السابق، ص 169 وما بعدها. طعيمة، الإباضية، المرجع السابق، ص 50-55.

[1] بحاز، الدولة الرستمية، ص 386. وقال لي مشافهة أنّهم ليسوا من خاصة المذهب الإباضي، وأنّه سيجد نفس الجواب لو سأل أناسا آخرين عن أيمة مذاهبهم جويلية 2007.

[2] ابن حزم، الفصل، 189/4.

[3] **الكتمان**: وترد في بعض المراجع لفظة التقيّة بدلا من الكتمان، وإن كان الإباضية يرجحون لفظة الكتمان باعتباره مسلكا من مسالك الدين، ويقصد به عند الإباضية إخفاء المسلمين الإتيان بالأحكام الشرعية لعجزهم عن إظهارها، وقد قالت الإباضية بها مخالفين رأي بعض فرق الخوارج التي ترى فيها سمة من سمات النفاق، وأدلة الإباضية ومن أخذوا بها من الفرق الأخرى **قوله تعالى**: ﴿وَ قَالَ رَجُلٌ مُّومِنٌ مِنَ آلِ فِرعَونَ يَكتُمُ إِيمَانَهُ﴾ غافر:28. للتوسع أنظر: عمرو بن جميع، المرجع السابق، ص 16 و17. عمار الطالبي، **آراء الخوارج**، نشر المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1971. 133/1-136. إبراهيم بحاز، **مشوهات الإباضية، نظرة من الداخل والخارج**، مجلة الحياة، دورية تصدر عن معهد الحياة بالقرارة، العدد الخامس، المطبعة العربية، نشر جمعية التراث، غرداية، رمضان 1422هـ/ ديسمبر 2001م. ص35 وما بعدها.

المبحث الثاني:المذهب الشيعي في الأندلس

قبل التطرق لموضوع الشيعة في الأندلس، لا بأس بتقديم مختصر للتعريف بهم، وبأهم فرقهم، ثم دراسة كيفية دخولهم إلى الأندلس ودورهم السياسي بها.

الشيعة **لغة** من التشيع وهم الصّحبُ والأتباع. أما الشيعة في **عرف** الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسّلف، فهم أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم أجمعين.[1] وقد عرّفهم الشهرستاني بأنهم: "هم من شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إمّا جليا وإمّا خفيا، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية[2] من عنده."[3]

فالشيعة إذا يرون في التشيع عقيدة دينية خالصة[4] ويرى آخرون من المسلمين أنّ التشيع فكرة سياسية ثم تحولت لتصبح معتقدا[1]، أمّا أهل السنة عموما فلهم تشيعهم الخاص في حب آل

---

[1] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 246/1. أحمد بن أبي الضياف، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس عهد الأمان**، الدار التونسية للنشر، تونس، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1396هـ/1976م، ج154/2.

[2] **التقية**: سبق وأن عرفنا الكتمان في المذهب السابق (الإباضي)، لكن ما نضيفه للمذهب الشيعي هي أنّ التقيّة جزء مكمل للدين، وقالوا فيما يرووه عن آل البيت "التّقية ديني ودين آبائي" و"إنّ تسعة أعشار الدين في التقيّة، ولا دين لمن لا تقيّة له".أنظر: أسد رستم، الفرق، المرجع السابق، نقلا عن المحدّث الكليني (معتمد الشيعة في الحديث) في كتابه الكافي، ص 257-259. محمد الحسين آل كاشف الغطاء (شيعي)، أصل الشيعة وأصولها، تحقيق علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي، ط2، بيروت، 1417هـ/1997، ص 315 وبعدها.

[3] الشهرستاني، الملل 146/1.

[4] لهم في ذلك أدلة بعضها مؤول وآخر مكذوب، ولا بأس من ذكر أهمها: جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من حجة الوداع في غدير خم (جم) أنّه قال:"من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" وقوله أيضا "أنا مدينة العلم وعلي بابها" وقوله "علي منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبي بعدي" وقوله عليه الصلاة والسلام "لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق". وهناك عدّة رُدود على هذه التأويلات القائلة بأحقية الإمامة للإمام علي. فقط لا يسعنا المجال لذكرها، ويكفي لو أنّها كانت كذلك لما بايع الإمام علي الخلفاء الثلاثة قبله ولما رضي بالتحكيم في واقعة صفين مع معاوية بن أبي سفيان (36هـ/656م)، وجلهم يسبون الصحابة ويطعنون فيهم رضوان الله عليهم.للتوسع أنظر: ابن النديم، الفهرست ص 249. حافظ عامر، **الاثناعشرية، النشأة والعقائد**، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، د.س.ط، 170 وما بعدها. جعفر السبحاني، **الشيعة في موكب التاريخ**، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،

البيت، لما ورد من أدلة تدعو لذلك، لكنهم لا يرون في هذا الأمر عقيدة أو فكرة سياسية تجعلهم مقتنعين بأحقيتهم بالخلافة، ولا يكفرون صحابيا، لهذا تأثروا كثيرا بما حلّ بآل البيت من قمع وقتل في العهد الأموي على الخصوص، كمقتل "**الحسين بن علي**" رضي الله عنهما في كربلاء 61هـ /680م.[2]

انقسم المذهب الشيعي إلى عدّة مذاهب وفرق تكاد لا تحصى، منها التي انقرضت وزالت لشدّة غلوها وتطرفها كالسبئية[3] وغيرها، ومنها الباقية إلى الآن من أمثال الإمامية[4] والزيدية[1]، وغيرهما كثير، خاصة إذا علمنا أنّ كلّ واحدة منها قد تفرعت إلى عدّة مذاهب أخرى.

بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م، ص 13 وما بعدها. صابر طعيمة، **الشيعة معتقدا ومذهبا**، توزيع المكتبة الثقافية، ط1، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988، ص 29 وما بعدها.

[1] كان الشيعة يرون أنّ الإمام علي من قرابة النبي عليه الصلاة والسلام فهو ابن عمه، وأنّه من السابقين للإسلام، وأنّ النبي قد تزوج ابنته أم المؤمنين عائشة، وأنّ سبطي النبي الحسن والحسين سيدا أهل الجنة، كانا محل إشراق وأنس للنبي صلى الله عليه وسلم غير ذلك، لهذا رأوا أنّه أحق بالإمامة. وفيما يذكر أنّ لابن سبأ دور كبير في ترسيخ العقائد الفاسدة وبثها في الأوساط الشيعية، كما اختلطت عقيدتهم بالمجوس والفلاسفة، وديانات الشرق كالهندية..إلخ. للتوسع في هذا الموضوع والرّد على معتقداتهم بالتفصيل أنظر: حافظ عامر، المرجع السابق، ص 11 وما بعدها. عبد الله بن عبد الله الموصلي، **حقيقة الشيعة**، توزيع مكتبة ابن تيمية، ط5، القاهرة، 1407هـ/1997م، ص 16 وما بعدها. وعن الشيعة خلال ق4هـ/10م، أنظر: آدم ميتز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الإسلامية**، تر، محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط3، القاهرة، مصر، 1377هـ/1957م، 101/1-128.

[2] من بين هذه الأدلة **قوله تعالى** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهْلَ البَيتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب:33. **وقوله تعالى** ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْرًا إلاّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾ الشورى:23. وغير ذلك. أنظر: ابن الأبار القضاعي، **درر السّمط في خبر السبط**، تحقيق عز الدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ص 27. الشكعة، المطالعات، ص 207 و208.

[3] **السبئية** (السّبائية) نسبة إلى عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني، وقد ألّهت هذه الفرقة الإمام علي. عن هذه الفرقة وغيرها من الفرق المغالية، أنظر: الشهرستاني، الملل 173/1 وما بعدها.

[4] **الإمامية**: وهم القائلون بإمامة الإمام علي بعد النبي صلى الله عليه وسلم، نصا ظاهرا، وتعيينا صادقا، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين، كما سبق وأن ذكرنا، وقد انقسمت الإمامية إلى عدّة فرق منها الإثناعشرية، الإسماعيلية، الباقرية، وغيرهم كثير. للتوسع في هذه الفرق، أنظر: الشهرستاني، الملل، 162/1 وما بعدها. ابن خلدون، تاريخ، 249/1 و250. الشكعة، المطالعات، 210 وما بعدها. السبحاني، المرجع السابق، ص 24 وما بعدها. موسى لقبال، **ملحة أبي عبد الله الإيكجاني (مذهبية وتوحيد)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص 16.

وقد استطاع الشيعة أن ينشئوا دولا لهم في بلاد المغرب الإسلامي، وكانت أول كيان لهم هو الدولة الأدارسة[2]التي كانت على المذهب العلوي الزيدي، ثم الدولة الفاطمية[3] (297-567هـ / 910-1171م) التي كانت على المذهب الإسماعيلي.[4]

وقد أوضح الدكتور عز الدين موسى في مقدمة كتاب درر السمط، أنّ فهم ظاهرة التشيع في الأندلس لابد أن نميّز فيها بين المصطلحات التالية: التشيع المذهبي الذي له قواعده وآراؤه

---

[1] الزيدية: نسبة لزيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهؤلاء هم الأكثر تسامحا عن غيرهم من الشيعة، فلم يكفروا الخليفة أبو بكر وعمر، ولهم في ذلك قاعدة الاعتراف بالإمام المفضول مع وجود الأفضل. للتوسع في مذهبهم وعقيدتهم أنظر: الشهرستاني، الملل، 154/1-162. ابن خلدون، تاريخ، 251/1. الشكعة، المطالعات، ص 220-227. طعيمة، الشيعة، 138 وما بعدها. لقبال، ملحة أبي عبد الله، 16.

[2] كانت هذه الدولة على مذهب فرع من فروع الشيعة الزيدية، وهم الحسينيون (نسبة للحسين بن علي). أنظر: محمد بن عميرة، **دور زناته في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 138. إسماعيل العربي، دولة الأدارسة، ص 51 وما بعدها.أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.س.ط، ص 228 وما بعدها.

[3] **الدولة الفاطمية**: داعيتها أبو عبد الله الشيعي، وإمامها هو عبيد الله المهدي الذي أخرج الإمامة من التستر والتقية إلى الظهور، ويشك الكثير في أصله ويقولون بعدم انتسابه لعلي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما، وإنّما إلى عبد الله بن ميمون القداح، منهم الطبري وابن حزم وابن النديم وابن عذارى. للتوسع في الدولة الفاطمية ونسب مؤسسها، أنظر: ابن النديم، الفهرست، ص 264 وما بعدها. ابن أبي الضياف، المرجع السابق، ص 153 وما بعدها. مرمول محمد الصالح، **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 27 وما بعدها. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة المغرب العربي**، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.س.ط، ج3، مج2، ص 47 وما بعدها. موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 193 وما بعدها. ألفرد بيل، الفرق، ص 157 وما بعدها.

[4] **المذهب الإسماعيلي**: نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ثم أخ الحسن، بن علي بن أبي طالب، وهم متفقون مع الإثناعشرية إلى الإمام جعفر الصادق، ثم يختلفون في ابنه إسماعيل الذي مات في حياته، أو أنّه كان ثملا شاربا للخمر، فتحولت الإمامة إلى أخيه موسى الكاظم، وللإسماعيلية عدّة تسميات منها الرافضة، الباطنية، السبعية. لمزيد من التوسع أنظر: الشهرستاني، الملل، 190/1-198. الشكعة، المطالعات، ص 228-246. صابر طعيمة، **العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها**، توزيع المكتبة الثقافية، ط2، بيروت، 1411هـ/1991م، ص 93 وما بعدها. مصطفى غالب، **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، بيروت، 1979م، ص 38 وما بعدها.

وتنظيماته ودعاته، دعوة النسب الطالبي، حب آل البيت، وقد سبق ذكره في بداية كلامنا عن الشيعة، البكاء لآل البيت (دون تشيع مذهبي).[1]

بهذا التصنيف، نكون قد فهمنا ولو شكليا التشيع في الأندلس بصفة خاصة، والعالم الإسلامي بصفة عامة، ونبدأ في ذكر بعض الثورات ذات التوجه الشيعي بالأندلس ودورها السياسي، وأهم ردود فعل السلطة السياسية منها، دون نسيان الدور الكبير الذي قام به فقهاء المالكية ضدهم، فأهل الأندلس على العموم، والمالكية على الخصوص، يأخذون برأي الإمام مالك في موقفه من الشيعة، الذي تذكر بعض مصادر التفسير من أنّه يرى بأنّهم كفّار[2]، قال مالك: "من أصبح من الناس في قلبه غيظ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية"[3]

قال مالك: أهل الأهواء كلهم كفر وأسوأهم الروافض. قيل فالنواصب؟ قيل لهم الروافض: الروافض رفضوا الحق ونصبوا له العداوة والبغضاء، معناه أنّ الأربعة أهل الحق فمن رفض واحدا منهم فقد ناصب[4]

من المعلوم أنّ الصراع الأموي مع مذاهب الشيعة في المشرق كان قبل قيام دولة عبد الرحمان الداخل في الأندلس، بل وقد دخل الجزيرة من كان قد حارب الشيعة في المشرق منهم حسب محمود مكي:

---

[1] ابن الأبار، درر السمط، ص 27.

[2] واستقى حكمه من **قوله تعالى** ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ والذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ ورِضوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنَ اثَرِ السُجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّورَاةِ ومَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ اخْرَجَ شَطْئَهُ فَئَازَرَهُ فَاستَغْلَظَ فاستَوى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الكُفَّارَ﴾ سورة الفتح:29. جاء في تفسير القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: روى أبو عروة الزبيري: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله، فقرأ مالك هذه الآية...حتى بلغ قوله "يُعْجِبُ الزُرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الكُفَّارَ" فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيض على أحد من أصحاب رسول الله، فقد أصابته هذه الآية. وعلّق القرطبي من أنّ مالك قد أحسن في تأويله. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.س.ط، 296/16 و297.

[3] للتوسع في حكم العلماء من الروافض الشيعة، أنظر: التهامي، المرجع السابق، ص 78 وما بعدها.

[4] عياض، المدارك، 91/1-92.

1) **شمر بن ذي الجوشن الكلابي**: هو الذي قتل الحسين بن علي بنفسه في كربلاء ثم هرب من الكوفة إلى الشام خوفا من انتقام المختار بن أبي عبيد الثقفي، ودخل الأندلس مع طالعة بلج بن بشر، ووصل حفيده الصميل بن حاتم لمركز كبير في الدولة[1] كما عرفنا في عهد الولاة.

وفي المقابل نجد أنّ التابعي:

2) **حنش الصنعاني**: وهو الذي سبق ذكره أثناء حديثنا عن فتح الأندلس قد شارك في صف علي بن أبي طالب وضد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في معركة صفين، وشارك مع عبد الله بن الزبير ضد عبد الملك بن مروان[2] ولكن حسب محمود مكي لم تعرف له نزعة علوية أثناء فتح الأندلس في العهد الأموي.[3]

3) هناك من لهم صلة بالثورات العلوية قبيل قيام الدولة الأموية في الأندلس وبعدها، منهم:

أ) **ثورة عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر**: وهو الذي قُتل جده عمار في معركة صفين، ولم يكتب لهذه الثورة النجاح.[4]

ب) **ثورة الحسين بن يحي بن سعد بن عبادة الحزرجي**: ثار سنة 165هـ/782م بسرقسطة في عهد عبد الرحمان الداخل[5]، وقد كان جده سعد من شيعة علي بن أبي طالب، ومن سلالته حسب ابن بسام ينتسب شاعر الحموديين أبو بكر عبادة بن ماء السماء الذي أظهر تشيعه في شعره[6]

---

[1] محمود علي مكي، **التشيع في الأندلس من الفتح حتى نهاية الدولة الأموية**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، 1424هـ/2004م، ص5-6.

[2] المقّري، النفح، 04/4.

[3] مكي، التشيع، هامش ص7.

[4] المقّري، النفح، 92/3. 52/4. مكي، التشيع، 8.

[5] ابن عذارى، البيان، 56/2. مكي، التشيع، ص8.

[6] سأتي ببعض أشعاره في الأثر الأدبي للشيعة في الأندلس. ابن بسام، الذخيرة، 292/1، 297.

. **أولا–الشيعة في الأندلس قبل قيام الدولة الفاطمية:**

وصل الفكر الشيعي إلى الأندلس قبل ظهور دولة الفاطميين لبلاد المغرب الإسلامي، ومما يذكر عن أوائل الشيعة الداخلين حسب ما تراه هذه الفرقة "**هاشم بن الحسين بن إبراهيم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب**"، حيث نزل بلبلة، وتعرف منازلهم بمنازل الهاشمي، وحسب المقري، فإنّ اسم هاشم قد ذكره الخليفة الحَكم المستنصر في كتابه "أنساب الطالبيين والعلويين القادمين إلى المغرب"[1] ولا ندري إن كان شيعي المعتقد والمذهب، أو تشيع النسب الطالبي فقط. وذكر بالنثيا أنّ "رسائل إخوان الصفا" أدخلها مسلمة المجريطي[2]

كما عرفت الأندلس بربريا ادعى النسب العلوي يسمى شقنا بن عبد الواحد المكناسي، وفيما يلي أعرض لأهم الشيعة في الأندلس:

1) **شقيا (شقنا) بن عبد الواحد المكناسي:**

شقيا بربري الأصل وعمل مدرسا للصبيان، ثم زعم أنّه ينتسب إلى ولد الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء، خاصة إذا علمنا أنّ أمه تسمى فاطمة، وتسمَّى هو بعبد الله بن محمد، أعلن شقنا ثورته في عهد الأمير الأموي الأول عبد الرحمن بن معاوية[3]

قد استفحل دور المذهب الشيعي في الأندلس لما قامت الدّولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، وكانت الأخيرة تهدف وتطمح لتوسيع مدّها الشيعي في الغرب الإسلامي عموما، وإسقاط الدولة الأموية الحاكمة في الأندلس، وقد رأى الدكتور فرحات الدشراوي بأنّ الصراع بين الدولتين له امتداد قديم لصراع كان بين "بني هاشم" الذين انحدرت منهم الدولة الفاطمية و"بني أميّة"[4]

---

[1] المقري، النفح، 51/4.

[2] بالنثيا، المرجع السابق، ص 11.

[3] سنأتي على ثورته في الفصل الثالث من الباب الثاني. وعنه أنظر ابن عذارى، البيان 54/2 و55. ابن الأبار، درر السمط، ص32. ابن الأثير، الكامل، 34/5. بالنتيا، المرجع السابق، ص 3 و323.

[4] الدشراوي، المقال السابق، ص 24.

أمّا بالنسبة للدّعوة الشيعية التي كانت بإيعاز من الدّولة الفاطمية، فإنّ الدكتور محمود مكي، وفتحي زغروت قد أرجعا دخولها الأندلس إلى طريقين هما:

أ) الاحتكاك الثقافي الذي كان يتم بين طلاب العلم الوافدين من الأندلس، إلى الشمال الإفريقي والعراق ومصر، منهم في عصر الطوائف أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي الكرماني (458هـ/1066م) الذي أدخل رسائل إخوان الصفا إلى الأندلس وهي ذات نزعة شيعية[1]

ب) رحيل بعض الدّعاة، ومعتنقي المذهب الشيعي إلى الأندلس كجواسيس للحركة الشيعية[2]

وإن شحّت المصادر التي ألّفت للعلماء والفقهاء من ذكر أسماء شيعية، سواء لقلة عددهم، أو لعدم التعرف عليهم خاصة إذا علمنا أنّهم يعتقدون بمبدأ التقيّة، أو لأنّ أصحاب المصادر السنيّة قد همّشتهم وعزفت عن ذكر أسمائهم، فإننا يمكن ذكر:

2) محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري القرطبي المعروف بالأعشى:

يكنى أبا عبد الله رحل للمشرق في السنة التي توفي فيها الامام مالك سنة 179هـ، كان يذهب مذهب أهل العراق خاصة في الاشربة حسب ابن الفرضي، وقد استنتج مكي من خلال ذكر محمد بن عيسى لعلي كثيرا، وأنّه توجه للعراق في وقت كانت وجهة الأندلسيين للمدينة أين يوجد علم إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وكذا من خلال الشيوخ الذين درس عليهم كوكيع بن الجراح أنّه يبدوا أول من أدخل معه الأندلس بعض التاثيرات الشيعية، توفي محمد بن عيسى سنة 221هـ[3] وربما الترجمة تحتاج للدليل على تشيعه.

ثانيا- الشيعة في الأندلس أثناء وبعد قيام الدولة الفاطمية:

1) محمد بن إبراهيم بن حيون:

---

[1] الكرماني: من أهل قرطبة، وهو أحد الراسخين في علم العدد والهندسة حتى لم يوجد من يجاريه، ولما رجع من المشرق إلى الأندلس اهتم بالطب واستوطن سرقسطة. صاعد، طبقات الأمم، تح.مؤنس، ص92.

[2] زغروت، المرجع السابق، ص 261.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص296. المقّري، النفح، 278/2. مكي، التشيع، ص16.

يكنى أبا عبد الله، أصله من وادي الحجارة لكنه سكن قرطبة، سمع من عبد الله بن مسرة، وأبو عبد الله الخشني وغيرهما، ومكث في المشرق خمس عشرة سنة، ويذكر ابن الفرضي بأنّه لم يكن بالأندلس قبله أبصر بعلم الحديث، ولم يذهب مذهب مالك كشيوخ عصره، ووزن ابن حيون بالتشيع لشيئ كان يظهره من معاوية بن أبي سفيان، والله أعلم بالنيات، توفي ابن حيون بقرطبة سنة 305هـ/917م[1].

2) محمد بن شجاع:

من أهل وشقة، يقال إنّه كان يرى نكاح المتعة، الذي هو من فقه الشيعة، ولا نعرف عنه أشياء أخرى، سوى أنّه قد قتل ببرشلونة سنة 301هـ/913م[2].

في الوقت الذي كانت الدولة الفاطمية تسعى للإطاحة بالدولة الأموية، كانت الأخيرة أيضا تسعى لزعزعة كيان الدولة الفاطمية من خلال تدعيم المعارضة في بلاد المغرب، وما تدعيم ثورة صاحب الحمار (أبو يزيد مخلد بن كيداد الإباضي النكاري)[3] إلاّ دليل على ذلك، رغم عدم انتمائه مذهبيا لأهل السنة، والتفصيل في هذا الموضوع يدخلنا حتما لموضوع آخر هو العلاقات الأموية الفاطمية، وهو ما ليس بضروري في بحثنا خاصة إذا علمنا أنّ هذه الجزئية قد نالت حظا من الدراسات[4].

سبق وأن ذكرنا بعض الثورات التي أعلن أصحابها عن التشيع صراحة، وكانت قبل قيام الدولة الفاطمية، فإننا سننتقل إلى ذكر بعض الثورات التي تأثرت بالفكر الشيعي الإسماعيلي، أو أعلنت عن تبنيه صراحة، أو هي ثورات كان أصل قيامها عصبيا (بربر، مولدون، عرب...) ووجدت الدّعم من قبل الفاطميين.

[1] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 148 و149. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 313 و314، الحميدي، المصدر السابق، ص 38.

[2] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 180. الحميدي، المصدر السابق، ص 54.

[3] عن هذا التدعيم أنظر: زغروت، المرجع السابق، ص 39 وما بعدها. فيلالي، المرجع السابق، ص 139 وما بعدها. لقبال، دور كتامة، ص 381-386.

[4] أنظر مثلا كتاب زغروت، العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي.

ولا بأس بأن نذكر أوائل دعاة المذهب الإسماعيلي القادمين إلى الأندلس من المشرق، وهما:

1) أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني:

المعروف بأبي اليسر الرياضي(ت298هـ/910م)، وذكره صاحب أخبار مجموعة بأبي اليسر الشاعر، أصله من بغداد، وقد سمع فيها من الجاحظ، والمبرد وابن قتيبة، وجملة من المحدثين والفقهاء والنحويين، كما سمع من الشعراء الكبار من أمثال البحتري ودعبلا الخزاعي وغيرهما، وقد نشر شعر دعبل في الأندلس وهو من أهم ألسنة الشيعة في المشرق، ثم رحل إلى القيروان في عهد بني الأغلب فأكرموا وفادته، ولما دخل الأندلس، قدّم الولاء لبني أميّة، ومنح الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحَكم كتابا مفتعلا على لسان ابن الشيخ بالشام، لكن أمره قد كشف، ولما علم الأمير محمد بأنّه جاء ليشحد أكرمه وأمر بتوسيع منزله، ولم يجد أبو اليسر بدا من الفرارّ إلى مصر، وفي الأخيرة سجنه حاكمها آنذاك "أحمد بن طولون" (254-270هـ/868-883م) وذلك لبثه الأفكار الفاطمية في مصر، ولما قامت الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، فرّ من مصر وعيّنه عبيد الله المهدي كاتبا له جزاء دعوته للفاطميين، ومساعدته للداعي أبو عبد الله الشيعي في تخليص الإمام عبيد الله المهدي من سجن سجلماسة المدرارية، توفي أبو اليسر في القيروان سنة 298هـ/910م.[1]

2) أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي:

وهو الدّاعي الثاني بعد وفاة أبو اليسر، وقد عاصر دولة الإمام المهدي وابنه القائم، وأهم دور كان له هو التجسس على دولة بني أميّة في الأندلس سياسيا واجتماعيا ودينيا، فقد دخلها عدّة مرّات متسترا بستار العلم، وقد نجح فيما كلّف به أفضل من أبي اليسر حسب رأي الدكتور فيلالي، وقد تولى منصب الكتابة مع خطة البريد، حتى توفي.[2] وقد أشار

---

[1] المقري، النفح، 118/4 و119. ابن الأبار، التكملة، 225/1. فيلالي، المرجع السابق، ص 128 و129. عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي، الأدب في المغرب والأندلس إلى آخر عصر ملوك الطوائف**، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، لبنان، 1984، ص154 و155.

[2] فيلالي، المرجع السابق، ص 129.

الأستاذ آسين بلاثيوس إلى دور ابن هارون في نشر تعاليم الشيعة الفاطمية والمعتقدات المعتزلية في الوقت نفسه[1].

3) أبو القاسم محمد بن علي الموصلي ابن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م):

يعتبر ابن حوقل من الرحالة والجغرافيين الكبار الذين عرفهم العالم الإسلامي، ولكتابه المسالك والممالك والذي يعرف بكتاب صورة الأرض أهمية جغرافية وتاريخية واقتصادية واجتماعية هامة، ونظرا لتشيعه فقد ساهم كثيرا في وصف الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية للدولة الأموية في الأندلس والتي دخلها سنة 367هـ/ عهد أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله[2] (الناصر لدين الله)، وكذا تدقيق الموقع الجغرافي والمساحة وأهم طرقها ومسالكها وغير ذلك، وكل هذا ليقدم هذه المعلومات للدولة الفاطمية في العدوة المغربية التي كانت تنتظر توجيه ضربة عسكرية قوية لإسقاط الدولة الاموية[3] وقد وصف ابن حوقل أهل الأندلس بما يلي: "ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم، وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال..."[4] ثم كتب:"وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها"[5] هذه المواصفات ستشجع الدولة الفاطمية لتوجيه ضربة عسكرية للدولة الأموية ولكن يظهر أن الفاطميين لم يستبشروا بهذه الضربة إن وجهت خاصة وأن خليفة الأندلس عبد الرحمان الناصر لدين هو أقوى حاكم على الأرض.

ومن أدباء الشيعة في الأندلس **ابن هانئ الأندلسي** (362هـ/972م)[6]

وعلى الرغم من أنّ بني حمود كانوا شيعة علوية إلاّ أنّ تأثيرهم المذهبي لم يظهر جليا بسبب[7]:

---

[1] قول آسين بلاثيوس نقلا عن مكي، التشيع، ص27.

[2] ابو القاسم بن حوقل، **كتاب صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص104.

[3] مكي، التشيع، ص28.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 104-105.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص108.

[6] سنأتي على ترجمته التفصيلية في الفصل الخامس.

[7] تم الإعتماد على مكي في هذه الاستنتاجات. مكي، التشيع، ص50.

1- حكم الحموديون الأندلس لما دخلوا قرطبة، وهي التي حاربت المذاهب غير المالكية فما بالك بغير السنية، وقد فهمت الدولة الحمودية هذا الأمر لهذا لم تحاول تغيير النظم الإدارية والقضائية التي وجدتها.

2- لم يستتب الأمر للحموديين في قرطبة إذ تخلل ذلك ثورات عدّة مما جعل الدولة لا تستطيع فرض أرائها ومعتقداتها.

3- لم يحكم الحموديون الأندلس كلها بل قرطبة والجزيرة الخضراء ومالقة كما أشرت في الفصل التمهيدي.

كما أنّ تأثير الألقاب الشيعية في أمراء بني امية المتغلبين عصر الفتنة البربرية بدت جلية عند بعضهم منها أنّ محمد بن هشام بن عبد الجبار قد لقب نفسه بالمهدي، وهذا اللقب كما يذكر ابن عذارى "لم يتلبّس به أمويٌّ قط فكان ذلك أوّل مناكيره"[1]

وكذلك بعد ما قتل سليمان المستعين هشام المؤيد شاع لدى المروانية وأنصارهم من أنّ هشاما لم يمت وإنّما رحل للمشرق وساح في ذلك الأفق لأداء جميع المناسك وسيعود، وهذه عقيدة الشيعة في الرجعة قد تأثروا بها كما يذكر ابن عذارى[2]

المبحث الثالث: المذهب المعتزلي في الأندلس

أولا- تعريف المعتزلة:

المعتزلة هي فرقة من فرق الإسلام، كانت نشأتها عقائدية متأثرة في ذلك بالعقل والجدل الذي جاءت به الفلسفة اليونانية، ثم دخلت أبواب السياسة في العهد العباسي وأصبح لها دور كبير.[3]

[1] ابن عذارى، البيان، 61/3.

[2] ابن عذارى، البيان، 197/3-198. وقد قدّم الدكتور محمود مكي نماذج أخرى يمكن الرجوع إليها، مكي، التشيع، ص51-53.

[3] الشكعة، المطالعات ص347. ناصر بن عبد الكريم العقل، **رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع**، وموقف السلف منها، دار الوطن للنشر، ط2، الرياض، السعودية، 1423هـ/2002م، 349/2 وما بعدها.

اختلفت المصادر والمراجع في نشأة المعتزلة وأصل تسميتهم بهذا الاسم إلى عدّة روايات[1] وأشهرها أنّ واصل بن عطاء[2] رأس المعتزلة وداعيتهم بعد معبد الجهني وغيلان الدمشقي، كان يحضر لمجلس الحسن البصري (ت110هـ/728م) وحينها كانت مسألة مرتكب الكبيرة قد شغلت الأذهان، وبينما الجمع جلوس حتى دخل رجل إلى المجلس وسأل الحسن عن رأي الدين في مرتكب الكبيرة، فأجابه بأنّه منافق[3] ولكن واصل اعترض على هذا الرأي وقال أنّ مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن بل هو في منزلة بين المنزلتين، فلما سمع الحسن بمقالة واصل طرده من مجلسه، فاعتزل سارية من سواري مسجد البصرة وانظم إليه عمرو بن عبيد بن باب، فقال الناس حينها: إنّهما قد اعتزلا قول الأمّة. وسمي أتباعهما بـ: **المعتزلة.**[4]

للمعتزلة أسماء أخرى منها: العدلية (أصحاب العدل)، القدرية، المعطلة[5]

وللمعتزلة خمس أصول اعتقاديه، ولا يمكن أن يسمى المعتزلي بهذا الاسم إلاّ إذا قال بها، وقد جمعها لنا أبو الحسن بن الخيّاط في كتابه الانتصار"و ليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى

---

[1] الشكعة، المطالعات، ص 347 و348. أبو زهرة، المذاهب، ص 124 وما بعدها. سعد رستم، الفرق، ص 90-92. عماد إسماعيل النعيمي، **مدرسة البصرة الاعتزالية**، دار الحكمة للطباعة والنشر، سلسلة تراث البصرة رقم 6، 1990، ص 12 و13.

[2] **واصل بن عطاء**: أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزّال، ولد سنة 80هـ/699م بالمدينة، وعاش في البصرة، وقد أعتبر أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا، لكنه عجيب في كلامه الذي كان يتجنب ذكر الراء في كلامه، له عدّة تصانيف منها "أصناف المرجئة"، "التوبة"، "المنزلة بين المنزلتين" وغيرهم، توفي سنة 131هـ/748م. أنظر: الشهرستاني، الملل 46/1. ابن خلكان، الوفيات 7/6-11. النعيمي، المرجع السابق، ص 45-49.

[3] اختلفت الآراء في هذه المسألة، وللتوسع أنظر: البغدادي، الفرق، ص 115-117.

[4] هناك روايات أخرى للحادثة لكنّها تصبّ كلها في نفس معنى جواب واصل بن عطاء. أنظر: البغدادي: الفرق، ص 116. الشهرستاني، الملل، 47/1 و48. أبو زهرة، المذاهب، ص 124.

[5] هناك من يفرّق بين القدرية والمعتزلة في بعض المعتقدات، خاصة مسألة علم الله الأزلي للحوادث، للتوسع في الموضوع أنظر: الشهرستاني: 43/1. سعد رستم، الفرق، ص 93-95.

يجمع القول بالأصول الخمسة كلها، وهي التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[1]

ولعلّ من أشهر المسائل التي عرف بها المعتزلة في الأمصار هي مسألة الاستطاعة (الحريّة)، وخلق القرآن وقد وصل المعتزلة في العصر العباسي بالمشرق إلى هرم السلطة السياسية عندما تبنى الخلفاء الثلاثة: عبد الله المأمون (198-218هـ/813-833م) والمعتصم (218-227هـ/833-842م) والواثق (218-232هـ/833-847م)[2] هذا المذهب، واصطبغت حاشية القصر بالمعتزلة، دون نسيان الدور المستميت الذي كان لهم في الدفاع عن الإسلام من الزنادقة، والمجسمة، والرافضة وغيرهم، لقوة الجدل العقلي عندهم.[3]

أثّر المذهب الاعتزالي العقائدي في الكثير من المذاهب كالشيعة الزيدية على الخصوص، والإباضية[4].

ثانيا- أهم المعتزلة في الأندلس:

سبق لنا وأن ذكرنا أنّ المذهب المالكي كان هو المذهب الرسمي للدولة الأموية في الأندلس، وكان معارضا لأي مذهب أو فكر جديد عليه، والمذهب المعتزلي واحدا منهم، وقد رأى

---

[1] نقلا عن أبي زهرة، المذاهب، ص 126-129. وللتوسع في أصول المعتزلة وفرقهم أنظر: البغدادي، الفرق، ص 112 وما بعدها. الشهرستاني: 46/1 وبعدها. سعد رستم، الفرق، ص 95 وما بعدها. الشكعة، المطالعات، ص 249-251. النعيمي، المرجع السابق، ص 17 وما بعدها. حسين جابر بني خالد، **أوجه التشابه بين المعتزلة والاباضية المعاصرة في العقيدة وموقف أهل السنة منها**، مجلة الدراسات، المجلد 27، علوم الشريعة والقانون، العدد 2، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية، نوفمبر 2000، شعبان 1421هـ، ص 511-513.

[2] للتوسع في العلاقة التي ربطت الخلفاء الثلاثة بالمذهب الاعتزالي أنظر: العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 101 وما بعدها.

[3] أبو زهرة، المذاهب، ص 131. الشكعة، المطالعات، ص 256. سعد رستم، الفرق، ص 89.

[4] انقسم المعتزلة فيما بينهم في مسألة الإمامة والخلافة، فمنهم من أخذ برأي الشيعة (البيت العلوي)، ومنهم من اتبع رأي المحكمة (تمنح لمن اتصف بالورع والعلم)، ومنهم من قبل بالسلطة العباسية وانخرط فيها كالجاحظ. سعد رستم، الفرق، ص 91 و92. النعيمي، المرجع السابق، ص 66. وعن أهم أوجه الشبه بين الاباضية والمعتزلة، أنظر: بني خالد، المقال السابق، ص 514-521.

المستشرقان "آسين بلاثيوس" و"ليفي بروفنسال" بعد إحصائهما لمعتزلة الأندلس، أنهم كانوا قادرين على تأليف مذهب مستقل وقوي[1] وهذا ربّما لكثرة عددهم، ولو أنّ مصادر تلك الفترة لم تذكر الغالبية منهم، وقد رجّح بروفنسال أنّ الاعتزال لم يسبق فترة حكم الأمير محمد الأول(238-273هـ/852-886م) وذكر أنّه تزامن مع لحظة دخول كتب الجاحظ[2] ومؤلفاته إلى الأندلس، والتي انتشرت على نطاق واسع بين مثقفي قرطبة[3]

ويُذكر أنّ أول من أدخل المذهب إلى الأندلس، هو طبيب قرطبي لم يذكر اسمه، رحل إلى المشرق في القرن الثالث الهجري، وحضر مجالس الدرس في العراق، ثم عاد إلى بلده لينشر بين أهلها كتب الجاحظ[4]

ومما يلاحظ على الاعتزال في الأندلس كما يراه المقدسي، هو أخذه بالعمل السري أكثر من تكتم المذهب الإسماعيلي، ودرّسوها لطلابهم خفية، وازداد العمل السري أكثر في عهد الخلافة الأموية، خوفا من اختلاط الفكر الاعتزالي بالفكر المسري الفلسفي.[5]

من أهم الشيعة في الأندلس نجد:

أ)**عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى:**

يكنى أبا وهب، وهو من قرطبة، وأضاف الخشني أنّ أصله من فحص البلوط، سمع بالأندلس من يحي بن يحي، ثم رحل إلى المشرق، فسمع من مطرف بن عبد الله المدني بالمدينة،

---

[1] نقلا عن ايرفوا، علماء الأندلس، المقال السابق، ص 1186.

[2] أبو عمرو عثمان بن بحر الكناني، يلقب بالجاحظ (159-255هـ/775-868م)كان رأس الناثرين في عصره، وكان عالما متبحرا في الجدل وعارفا بالفلسفة والكلام، كما كان أديبا وله في ذلك عدّة مؤلفات، كالحيوان، البخلاء وغيرهما، وكان قد عدّل آراء إبراهيم بن النظّام وهو من كبار مؤسسي مذهب الاعتزال ووجهها وجهة أكثر حريّة. أنظر: بالنتيا، المرجع السابق، ص 324. عبد الله شريط، **تاريخ الثقافة في المشرق والمغرب**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر، 1983، ص 173 وما بعدها. النعيمي، المرجع السابق، ص 58 و59.

[3] بروفنسال، الحضارة العربية، ص 165.

[4] بالنتيا، المرجع السابق، ص 324.

[5] بروفنسال، الحضارة العربية، ص 165 و168.

ومن أصبغ بن الفرج في مصر، ومن سحنون بن سعيد في إفريقية وغيرهم[1] كان عبد الأعلى من بين الذين جمعوا بين الفقه المالكي والاعتزال، فقد ذُكر أنّه أنتسب للقدَر، وأنّه كان يطالع كثيرا كتب المعتزلة وينظر في كلام المتكلمين، لهذا أنكر فقهاء المالكية عليه ذلك من أمثال: محمد بن عمر بن لبابة الذي صحبه طويلا.[2] وأضاف الخشني بأنه ناظر في الفقه المالكي كبار المالكية في الأندلس وغيرها كعبد الله المدني في المدينة وسحنون بن سعيد في القيروان[3] ونظرا لسعة علمه وحفظه للرأي وتمكنه من علم النحو فإنّه اختير لأن يكون مشاورا في الأحكام، بل وقرّبه الأمير عبد الرحمن بن الحكم (ت238هـ/852م)، ومن بعده ابنه محمد (ت273هـ/886م) وجعلاه من المقربين المشاورين[4] خاصة إذا علمنا أنّ عهد الأمير محمد قد عرف الانفتاح على العلوم والمذاهب (خاصة المذهب الشافعي) التي لم تعرفها الأندلس من قبل. توفي عبد الأعلى سنة اثنين وستين ومائتين (262هـ/777م)[5]

ب)**خليل بن عبد الملك بن كليب:**

المعروف بخليل الغفلة[6] وهو من أهل قرطبة، لم تذكر لنا المصادر التي تيسرت لنا خلال الفترة، تاريخ ولادته أو وفاته، سوى أنّه عاصر بعض الفقهاء المشهورين من أمثال محمد بن وضاح (ت363هـ973م) وبقي بن مخلد.[7]

---

[1] ابن الفرضي، المرجع السابق، ص 228. الخشني، أخبار، ص 258.

[2] الخشني، أخبار، ص 263 و264. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 228.

[3] عن هذه المناظرة وغيرها أنظر: الخشني، أخبار، ص261 وما بعدها.

[4] نفسه ص 259 و260. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 229. بالنتيا، المرجع السابق، ص 324.

[5] ذكر الخشني أنّه توفي سنة 261هـ، وللمزيد من سيرة الرجل أنظر: الخشني، أخبار، ص 258-264. الحميدي، المصدر السابق، ص 257. الضبي، المصدر السابق، ص 342.

[6] ذكره ابن حزم في رسائله بخليل بن إسحاق، وذكر بروفنسال أنه عرف بخليل الغفلة وليسّ الفضلة التي ذكرها ابن الفرضي. ابن حزم: الرسائل، 186/2. بروفنسال، الحضارة، ص165.

[7] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 120.

رحل خليل إلى المشرق ودرس عند الكثيرين، ولما عاد إلى الأندلس أعلن صراحة عن استقلال الإرادة وحريّة الإنسان في أفعاله، ورفض مبدأ الجبرية أو الإيمان بالقضاء والقدر، ولما تبيّن لصاحبه ابن وضاح فكره، هجره وابتعد عنه.[1]

تذكر المصادر أنّ خليلا بن عبد الملك أتى بقيا بن مخلد، فقال له بقي: أسألك عن أربع، فقال خليل ما هي: قال ما تقول في الميزان؟ قال: عدل الله، ونفى أن تكون له كفتان، فقال له: ما تقول في الصراط؟ فقال: الطريق –يريد الإسلام– فمن استقام عليه نجا، فقال: ما تقول في القرآن؟ فلجلج ولم يقل شيئا وكأنه ذهب إلى أنّه مخلوق، فقال له: فما تقول في القدر؟ فقال: أقول إنّ الخير من عند الله والشر من عند الرجل، فقال له بقي: والله لولا حالة (؟) لأشرت بسفك دمك، ولكن قم فلا أراك في مجلسي بعد هذا الوقت.[2]

كما لم تذكر المصادر، أنّ خليلا قد لقي مضايقات أو محاكمات من طرف السلطة السياسية، أو من فقهاء المالكية، إلاّ بعد وفاته حين قام أبو مروان بن أبي عيسى وجماعة من الفقهاء بالدخول إلى بيته وأخرجوا كتبه ثم أحرقوها، ولم يتركوا منها إلاّ كتب المسائل (الفقه)[3]

ت)**عبد الله بن نجيح بن مسرّة:**

يكنى أبا محمد، وهو من أهل قرطبة، كان مولا لرجل بربري من أهل فاس[4] وقد كانت لعبد الله رحلتين إلى المشرق، الأولى عندما كان صغيرا إذ صحبه معه أخوه إبراهيم الذي كان تاجرا، فسمع بالبصرة من بندار محمد بن بشار، وعمرو بن علي قلاس، وغيرهما،

[1] نفسه ص 120. بروفنسال، الحضارة، ص 165.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 120. بروفنسال، الحضارة، ص 166 و167.

[3] ابن الفرضي، نفسه ص 120. بالنتيا، المرجع السابق، ص 324.

[4] ذكر الخشني أنّه مولا لبربري من أهل فارس بدلا من فاس، وربما الأخير أصح، لأنّ البربر كما تذكر المصادر هم سكان المغرب الإسلامي، وهناك من ذكر بأنّه من موالي بني أميّة، ونسبه بعضهم إلى مولا لأبي قرّة البربري الجياني. أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 179. الخشني، أخبار، ص 218.

و كان قد شارك محمد بن عبد السلام الخشني في جل شيوخه بالبصرة، بل وكان في الأندلس يقارن كتبه بكتب عبد الله ليصححها، أمّا رحلته الثانية فقد كانت في أخر عمره إذ وصل إلى مكّة التي كان له بها جاه عريض تاركا كتبه عند ابنه محمد في الأندلس.[1]

كان عبد الله رجلا فاضلا كثير الصلاة، وعرف عنه انتحاله للقدر على رأي المعتزلة، وذكر ابن الفرضي بأنّ خليلا كان صديقا لعبد الله.[2]

روى عن ابن مسرّة بعض الفقهاء، منهم عثمان بن عبد الرحمن، ومحمد بن قاسم، وقاسم بن أصبغ، وثابت بن حزم السرقسطي، ومحمد بن عبد الله بن مغيث[3] وغيرهم.

توفي عبد الله بن مسرّة بالمشرق في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائتين (286هـ /899م)[4]

ث)يحي بن يحي: يكنى أبا بكر:

يعرف بابن السمينة، وهو من أهل قرطبة، جمع ضروبا متعددة من المعرفة ويمكن اختصار شخصية ابن السمينة في الفقرة التي أوردها ابن الفرضي عنه حين ذكر: "كان متصرفا في ضروب العلم، متفننا في الآداب ورواية الأخبار، مشاركا في الفقه والرواية وعقد الشروط، بصيرا بالاحتجاج والكلام، نافذا في معاني الشعر وعلم العروض، والتنجيم والطب"[5]

---

[1] الخشني، أخبار، ص 218. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 179 و180.

[2] الخشني، نفسه ص 218. ابن الفرضي، نفسه ص 180.

[3] ابن الفرضي، نفسه، ص 319.

[4] لمعرفة المزيد عن شخصية عبد الله بن مسرّة أنظر: الخشني، أخبار، ص 218. ابن الفرضي، نفسه، ص 179-180.

[5] ابن الفرضي، نفسه ص 438. وقد ذكره الزبيدي في الطبقة الخامسة من طبقة النحويين واللغويين الأندلسيين، الطبقات، ص 289.

رحل يحي بن يحي إلى المشرق، ومال إلى كتب الحجة ومذهب المتكلمين (المعتزلة)، ثم رجع إلى الأندلس وأخذ عن خليل بن عبد الملك الفكر الاعتزالي كالقول بالاستطاعة، وأكد صاعد وغيره بأنّ يحي كان معتزلي المذهب ثم أصابته علة أبقته في منزله.[1]

توفي يحي بن يحي سنة خمس عشرة وثلاثمائة (315هـ/927م)[2]

وهكذا نجد أنّ علماء المذهب المعتزلي في الأندلس، كانوا يجمعون بين الفقه والأدب والاعتزال. ومن معتزلة الأندلس المشهورين:

ج) **مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة الليثي**[3]:

يكنى أبا عبيدة، وهو من أهل قرطبة، ويعرف بصاحب القبلة، سمع بالأندلس وكتب، ثم رحل إلى المشرق سنة تسع وخمسين ومائتين، فلقي جماعة من أهل الحديث والفقه، فسمع بمكة من محمد بن إدريس بن وراق الحميدي وغيره، وبمصر من الربيع بن سليمان المؤذن صاحب الشافعي، والمزيني وغيرهما[4]

وُصف أبو عبيدة بأنّه صاحب فقه وحديث، وأنّه كان من أصدق أهل زمانه، وكان يقول: "لأن أَخِرّ من السماء أهون عليّ من أن أكذب"[5]

كما أنّ أبا عبيدة قد أشتهر بعلم الحساب ودراسة حركة الكواكب وأضاف له الخشني علمه بالطب، ونظرا لاهتمامه الكبير بحركة النجوم والكواكب وأمر اتجاه القبلة فإنّه عرف بها "صاحب القبلة"، وأفرد الخشني عن غيره من المصادر بأنّ يعلى بن سعيد أخبره أنّه تحدث يوما مع أبي عبيدة في أمر القبلة، فقال له: "ما أنصفني معلمك ابن خمير، وقفت أنا وهو بمكة في المسجد عند

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 439. صاعد، المصدر السابق، ص 87. ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.س.ط، ص 482.

[2] ابن الفرضي، نفسه ص 439. صاعد، المصدر السابق، ص 87.

[3] ورد في بعض المصادر بأنّه مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة البلنسي بدلا من الليثي. أنظر: الحميدي، المصدر السابق، ص 318. الضبي، المصدر السابق، ص 411.

[4] الخشني، أخبار، ص 193. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 392.

[5] الخشني، أخبار، ص 193. صاعد، المصدر السابق، ص 86. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 392.

ميزاب البيت وأثبت له الرسوم التي بها يستدل على القبلة حيثما كان، فلمّا وصل إلى الأندلس ذكرّته بهذا ودعوته إليها، لكنّه لم يذهب إلى ما عرف منها". قال أبو يعلى: أتيت ابن خمير فذكرت له قول أبي عبيدة، سكت ساعة ثم قال:"مخالفة العامة حرب"[1] لهذا لم يتوان أبو عبيدة في جهره بموضوع القبلة حتى لا يكذب، وإن وجد معارضة من عامة أهل الأندلس، وقد كتب فيه أحمد بن عبد ربه:

أبا عبيدة ما السؤال عن خبر   تحكيه إلا سوار الذي سألا

أبيت إلاّ شذوذا عن جماعتنا   ولم تصب رأي من أرجى ولا اعتزل[2].

أثنى العديد من الفقهاء على أبي عبيدة لسَمته وورعه، منهم محمد بن عمر بن لبابة (ت314هـ /926م)، وأسلم بن عبد العزيز (ت319هـ/931م)، الذي اشترك معه في بعض شيوخه بالمشرق، وروى عنه عثمان بن عبد الرحمن، وقاسم بن أصبغ وعبد الله بن يونس، وجماعة سواهم، توفي أبو عبيدة سنة خمس وتسعين ومائتين (295هـ /908م)[3]

ح) **فرج بن سلام، يكنى أبا بكر**: من أهل قرطبة، كان معتنيا بالأخبار والأشعار والأدب، كما كان مهتما ومشتغلا بالطب، رحل فرج كغيره من جل علماء وفقهاء الأندلس إلى المشرق، والتقى في العراق بالأديب المعتزلي عمرو بن بحر الجاحظ، وأخذ منه كتاب "البيان والتبيين" وغيره من الكتب التي ألّفها سماعا[4] ثم رجع إلى الأندلس، ويذكر أنّ الجاحظ قد خصّ فرج أثناء عودته إلى الأندلس بالعطاء الجزيل جزاء مشاركته له وعشرته معه، لكنّ فرج أبى قبول هذا العرض، ولم

---

[1] الخشني، أخبار، ص 193. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 392. صاعد، المصدر السابق، ص 86.

[2] أي مذهب الإرجاء (يقولون أنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة) والمعتزلة، عن المرجئة وتقسيماتهم أنظر: الشهرستاني، الملل 139/1 وما بعدها. أبو زهرة، المذاهب، ص 118-128.هناك مجموعة من الأبيات قيلت فيه، واقتصرنا نحن على هذين البيتين فقط، كما وجدنا اختلاف في بعض العبارات بين الأبيات الواردة عند ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 392 وعند صاعد، المصدر السابق، ص 86.

[3] تذكر بعض المصادر أنّ وفاته كانت في 304هـ كالحميدي، المصدر السابق، ص 318، والضبي، المصدر السابق، ص 411. وللتوسع أكثر في بعض آرائه الفقهية وغيرها أنظر: الخشني، أخبار، ص193-195. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 392 و393. صاعد، المصدر السابق، ص 86 و87.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 276. ابن حيان، المقتبس، تح. مكي، الهوامش ص 537.

يأخذ شيئا من المال، وطلب منه أن يساعده في اصطناع ثياب عراقية رفيعة تطرز باسم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأندلسي المشجع للعلم كما عرفنا سابقا، خاصة وأنّ الجاحظ صاحب جاه في العراق، فتجشم الجاحظ صعوبة ذلك وكلّم له صاحب طراز السلطان في ذلك، وعمل له منها في الستر المكتوم عدّة أثواب رفيعة القدر، وجاء بها إلى الأندلس ومنحها إلى الأمير محمد، ونال فرج بها منزلة رفيعة عنده.[1]

هذه العبارة الأخيرة جعلتنا نعود إلى كتب الطبقات والمصادر والمراجع السياسية التي تناولت تاريخ الأندلس خلال فترة حكم الأمير محمد، لعلنا نجد اسم فرج ضمن الوزراء والمشاورين أو فقهاء القصر، لكننا لم نجد له أثر سياسي يذكر، سوى ما ذكره ليفي بروفنسال من أنّه كان من صنائع الأمير هشام بن عبد العزيز[2] ولعل الكتب التي تناولته لم نعثر عليها، أو أنّها لا تزال في طي النسيان والفقدان كما هي الكثير من المخطوطات العربية في العالم.

وقد اعتبر المستشرق الإسباني بلاثيوس، فرج من أوائل من أدخل تعاليم المعتزلة إلى الأندلس[3] توفي فرج بن سلام بـ: يلش من عمل ريّة[4] ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته.

خ) **أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير**: يكنى أبا عمر، وهو واحد من المعتزلة الذين نالوا حظا في السياسة، ولد أحمد سنة خمس وخمسين ومائتين، عاش في قرطبة التي هو واحد من أهلها، وكان قد سمع من ابن وضاح، وعبد الله بن مسرّة وغيرهما، ثم حجّ سنة خمس وسبعين ومائتين، ولما عاد إلى الأندلس تولى خطّة الوزارة ثم منصب أحكام المظالم، وقد كان صلبا في أحكامه لا يخشى إلاّ الحق.[5]

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تح. مكي، ص 164.

[2] ابن حيان، المقتبس، تح. مكي (حواشي الكتاب)، ص537 نقلا عن ليفي بروفنسال.

[3] نفسه،(حواشي الكتاب) ص 537 نقلا عن آسين بلاثيوس.

[4] ريّة (Reiyo):هي كورة من قبلي قرطبة، نزلها جند الأردن، وهي كثيرة الخيرات. أنظر: الحميري، الروض، ص 279 و280. المقري، النفح 254/1.ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 276.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 41.

وقد ذكره ابن حزم وقال أنّه تولى منصب صاحب السكة وأنّه كان يقول إنّ الله عاقل.[1] ومنهم أخوه الحاجب موسى بن حدير[2]

حدّث عن أحمد بن محمد بعض الأندلسيين منهم خالد بن سعد، وقد توفي أحمد سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.[3]

دخل الأندلس بعض المعتزلة في عهد الإمارة منهم:

د) **أحمد بن سليم القروي، يكنى أبا جعفر**: نزل أحمد ببجانة، وكان كغيره من المعتزلة، فقيها على المذهب المالكي إذ كان يروي عن سحنون بن سعيد، لكنه كان يميل في الفتيا إلى مذهب الاستطاعة الذي هو المذهب المعتزلي، وقد شحت المصادر عن ذكر اسمه، توفي أحمد سنة تسعين ومائتين.[4]

أمّا من دخل الأندلس في عهد الخلافة فنجد مثلا:

ذ) **محمد بن أحمد بن أبي بردة البغدادي**: سبق لنا وأن ذكرناه في المذهب الشافعي، لأنّه كان شافعي المذهب، لما دخل الأندلس كان الخليفة الحكم بن عبد الرحمن قد أكرمه، ولما أظهر الاعتزال في عهد "هشام المؤيد" أمر بإخراجه، وكان ذلك في رجب من عام 373هـ/983م، لينتقل إلى بلاد المغرب وبالضبط إلى تيهرت عند بنت له، وتوفي في نفس السنة المذكورة.[5]

ر) **أحمد بن محمد بن هارون البغدادي، يكنى أبا جعفر**: أدخل أحمد معه إلى الأندلس كتب أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة[1] رواية عن ابنه جعفر، وبعض كتب عمرو بن بحر

---

[1] ابن حزم: الفصل 202/4 و203. ابن حزم، الرسائل، 186/2.

[2] ابن حزم، الرسائل، 186/2.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 41.

[4] الخشني، أخبار، ص 13.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 384 و385. التهامي، المرجع السابق، ص 221. الدشراوي، المقال السابق، ص 20.

[1] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (216-276هـ/831-889م). أنظر: شريّط، المرجع السابق، ص 191-2002.

الجاحظ رواية، ويذكر أنّه دخل الأندلس متجسسا، وقد سمع منه بعض رجال الأندلس كأحمد بن عبد الله القرش، وغيره.[1]

ومن حسبوا على المذهب أيضا:

ز) **إبراهيم بن موسى بن جميل** المكنى بأبي قاسم، الذي توفي بمصر سنة ثلاثمائة هجرية[2] وغيره.

وسأذكر بعض المعتزلة الذين انتسبوا لمذهب ابن مسرة الجبلي، في المبحث الموالي.

المبحث الرابع: المذهب المسري:

ينسب هذا المذهب إلى **محمد بن عبد الله بن نجيح**، يكنى أبا عبد الله، وهو من أهل قرطبة، ولد يوم الثلاثاء لسبع مضين من شعبان سنة 269هـ/883م، إذ سمع بها من أبيه المعتزلي عبد الله، ومن محمد بن وضاح، ولم تذكر المصادر حياته قبل هجرته الأولى إلى المشرق، سوى أنّه كان يتعبد ويحدّث ببعض الآراء المعتزلية التي كانت السبب في رميه بالزندقة، فخرج ابن مسرة إلى المشرق فارا في أواخر عهد الأمير عبد الله[3] وادعى أنّه يريد الحج، وظل خارج الأندلس حتى عهد الأمير عبد الرحمن الناصر.[4]

رافق ابن مسرّة في طريقه إلى الحج أربعة تلاميذ، منهم محمد بن حزم بن بكر التنوخي"ابن المديني"، محمد بن وهب القرطبي "ابن صقيل" -فسمع في المشرق من أبي سعيد بن العربي-[1] ولم تذكر المصادر الاسمين الآخرين

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 60 و61.

[2] لمعرفة المزيد عن مسيرة الفقيه، أنظر: ابن الفرضي، نفسه، ص 20 و21 .

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 323. يوسف القفطي، **كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تصحيح محمد أمين الخانجي الكتبي، مطبعة السعادة، ط1، مصر 1326هـ، ص 13.

[4] أحمد أمين، ظهر، 69/3.

[1] أو سعيد بن العربي: كان يظهر أنّه يروي الحديث على مذهب أهل السنة، لكنه كان يتكلم في الباطنية، ويعلم دقائق أسرار الصوفية وآرائهم الاشراقية، وبدوره قد كتب رسالة في الرد على ابن مسرّة. بالنتيا، المرجع السابق، ص 327.

رجع ابن مسرّة إلى الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الناصر كما عرفنا، فانقطع إلى جبل قرب قرطبة واعتكف فيه، وقد روى أحد تلامذته الأربعة أنّ ابن مسرّة لما وصل المدينة المنورة زار بيت "ماريا القبطية" زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وسجّل بدقة مقاسات إحدى غرفتي البيت وتخطيطه، ولما عاد إلى الأندلس بنى بيتا مثله.[1]

أولا– مذهب ابن مسرة الجبلي:

ذكر الخشني أن الأفكار التي جاء بها ابن مسرّة من المشرق بعد عودته، قد وقف الناس منها لفرقتن:

1– فرقة تبلغ به مبلغ الإمامة في العلم والزهد، لما ظهر لها من براعته في العلم وصدقه في الزهد[2].

2– فرقة تطعن عليه في البدع لما ظهر لها من كلامه في الوعد والوعيد، ولتأويله في آي القرآن وخروجه عن العلوم المعلومة بأرض الأندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم[3]

وسنحاول تقسيم الآراء حول أفكار ابن مسرّة، فمنهم من عدّه متصوفا[1] باطنيا[1]، ومنهم من اعتبره معتزلي المذهب، وذهب به آخرون إلى اعتباره فيلسوفا يتكلم بأفكار الإغريق وسنفصل فيما يلي أدلة كل رأي:

---

[1] بحثت المستشرقة كلود عدّاس عن سر جاذبية بيت ماريا القبطية مقارنة ببقية الأماكن التي كان الرسول صلى الله عليه يرتادها، فلم تصل لذلك. أنظر: كلود عداس، **التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي**، مقال في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، المرجع السابق: 1268/2.

[2] الخشني، أخبار، ص 178.

[3] نفسه، ص 178.

[1] **التصوف**: أختلف في أصل كلمة التصوف فمنهم من أرجعها إلى: الصّفّة وهي فِناء ملحق بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلّم بالمدينة، وفيه انقطع بعض الصحابة للعبادة والجهاد، منهم أبو ذر الغفاري، أبة موسى الأشعري وغيرهما، لكنّ هذه التسمية بعيدة عن أصل الاشتقاق، فنقول "صفّي" بدلا من "صوفي". ومنهم من أرجعها إلى الصفاء أو الصفو، ولما استثقلت كلمة "صفوي" حوّلت إلى "صوفي"، ومنهم من أرجعها للبس الصوف وهو مظهر من مظاهر الزهد، ولعلّها هي الأقرب، ومنهم من أرجعها إلى الأصل اليوناني "صوفيا" التي تعني الحكمة وهناك أصول متعددة نسبت لكلمة صوفي، لا يسعن البحث لذكرهاو يمكن أن نعرّفه بأنّه مذهب سلوكي روحي يهدف إلى الرقي بالنفس الإنسانية من خلال ترك ملذات وشهوات الدنيا،

أ) **القائلون باعتزاله**: يذهب ابن الفرضي إلى أنّ ابن مسرّة معتزلي المذهب وقال إنّه عندما كان في المشرق اشتغل بملاقاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة، ولما عاد إلى الأندلس درّس تلامذته عن الاستطاعة وإنفاذ الوعيد، وكان يحرّف التأويل في كثير من القرآن[2] وهذا ما ذكره الخشني أيضا في أنّ فرقة من الناس قد ذهبت به مذهب الاعتزال فكلامه كان في الوعد والوعيد[1] وتأويله للقرآن.[2]

والإقبال على النفس لاستكمال فضائلها وتنقية سريرتها، كما كان يفعل بعض الصحابة رضوان الله عليهم وبعض التابعين، وقد سميّ ذلك زهدا، ولم يسمّ تصوفا إلاّ في القرن الثالث هجري كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، مع العلم أنّ التصوف المشرقي تأثر بتعاليم حضارة الفرس والهند واليونان، والتصوف المغربي هو مزيج ما بين تعاليم الأفلاطونية الحديثة والتعاليم اليونانية والرومانية. أنظر: عبد الرحمن ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د.س.ط، ص 161 وما بعدها. ابن خلدون، تاريخ 611/1. أسعد السحمراني، **التصوف منشؤه ومصطلحاته**، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ص 5 وما بعدها. الشكعة، المطالعات، ص 182 وما بعدها. رستم، الفرق، ص 175 وما بعدها. قول ابن تيمية في كتابه "الصوفية والفقراء" نقلا عن التهامي، المرجع السابق، ص 81. أحمد أمين: ظهر 68/3.

Louis Gardet, la mystique, que sais-je ? PUF. 2eme édition, France,1981. P.99 et suite.

وللمقارنة بين التصوف عند جل الأديان أنظر: Louis Gardet, **Etudes de philosophie et mystique compares**, Librairie philosophique, J.Vrin, Paris, 1972. P.187 et suite.

[1] **الباطنية**: هم الفرق المتعددة، يقولون بأنّ للنصوص الشرعية ظاهرا وباطنا، فالظاهر للعوام والمحجوبين، والباطن للخواص، وقالوا بالحلول وبالإتحاد، كما تطلق لفظة الباطنية على معتقدي المذهب الإسماعيلي من الشيعة، لهذا رمي بها بعض المتصوفة في الأندلس لاعتقادهم بأنّ أفكارهم هي شيعية إسماعيلية ونموذج ابن مسرّة واحد منهم كما سنعرف، وتشمل أيضا المتصوفة القائلون بعلم الباطن والظاهر، آخذين من قصّة سيدنا موسى مع الخَضِر في سورة الكهف:67-82 دليلا لذلك، وقد وصل ببعض المتصوفة الباطنيين القول "حدّثني قلبي عن ربي". للتوسع في هذه الآراء وأدلتها وفي نقدها أيضا أنظر: عياض، المدارك 172/1. ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 102 وما بعدها. طعيمة، العقائد الباطنية، ص 11 وما بعدها. وعن أهم انحرافات المتصوفة أنظر: التهامي، المرجع السابق، ص 82 -89 و382 وما بعدها.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 324.

[1] **الوعد والوعيد**: يرى أهل السنة أنّ الوعد والوعيد في القرآن من كلام الله الأزلي، فكل من نجا فبوعده، وكل من هلك فبوعيده، ولا مجال للعقل في المسألة، أمّا المعتزلة فيرون أنّه لا كلام في الأزل، وإنّما أمر ونهى، والعقل مناط الثواب أو العقاب. للتوسع أنظر: الشهرستاني: 42/1.

[2] الخشني، أخبار، ص 178.

هذه الأفكار كما ذكرت المستشرقة ماريا كانت السبب في اتهامه بالزندقة ضمن ثمانية أندلسيين اتهموا بها فيما بين القرنين (2-5هـ/ 8 -11م)، فقالت "..لأنهم نادوا بآراء المعتزلة، لكنهم رغم ذلك لم يحاكموا".[1]

ب) **القائلون بتصوفه:** سبق لنا وأن ذكرت أنّ ابن مسرّة لما عاد إلى الأندلس، كان قد انقطع إلى جبل بقرطبة، وبنا به بيتا يشبه بيت أم المؤمنين ماريا القبطية لكي يتعبد فيه، لكن مظاهر الزهد في الأندلس كانت الغطاء الذي تُبثّ فيه الأفكار غير المرغوب فيها من طرف السلطة وفقهاء المالكية، وأنا في بحثي هذا لا أقصد التصوف الزهدي الذي عرف عند كثير من فقهاء المالكية وغيرهم، وإنّما أريد التفرّد **"بالتصوف"** المنحرف الذي حاد فيه أصحابه عن النهج السوي الذي رسمه السلف الصالح، فتركوا الجهاد بحجة أنّ الجهاد الأكبر هو جهاد النفس.

وابن مسرّة واحد من هؤلاء، فابن الفرضي الذي يعتبره من المعتزلة قال فيه "و كان مع ذلك يدعي التكلم على تصحيح الأعمال ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق في نحو من كلام ذي النون المصري الأخميمي[2]و أبي يعقوب النهرجوري[1]، وكان له لسان يصل به إلى تأليف الكلام، وتمويه الألفاظ، وإخفاء المعاني"[2] لكن ابن الفرضي كان يعتبره معتزليا واعتبر هذا تمويها منه فقط.

أمّا الخشني معاصر ابن مسرة فقد أثبت ذلك حين اعتبره زاهدا، وأنّ كلامه يشبه كلام المتقدمين من أهل علم الباطن، ككلام ذي النون المصري وأبي سعيد الإسكافي ونظرائهما[3] ونفس الرأي ذهب إليه المؤرخَان الحميدي والضبي، إذ اعتبراه من أهل الزهد والعبادة، لكنه فسق فيهما،

---

[1] ماريا إيزابيل، المقال السابق، ص 1249 و1250.

[2] **ذو النون بن إبراهيم الاخميمي المصري:** من طبقة جابر بن حيان في انتحال صناعة الكيمياء، وتقلد علم الباطن والإشراف على كثير من علوم الفلسفة، وكانت له كرامات تذكر. القفطي، المصدر السابق، ص 127. أحمد أمين، ظهر 159/4 و160.

G.C.Anawati et Louis Gardatet, **mystique musulmane**, **aspecte et lendances**, Librairie phillosophique.J.vrin, Paris, 1961. P.27

[1] النهرجوري: أبو يعقوب إسحاق بن محمد الصوفي، ترجمته عند: الذهبي، سير 437/9.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 223.

[3] الخشني، أخبار، ص 178.



فقد كان يدقق في غوامض إشارات الصوفية، ونسبت إليه مقالا كان الحميدي قد تعوذ منها.[1] وهذا دليل آخر على تصوف ابن مسرّة، إذ كان زهده صوفيا باطنيا وليس سنيا، ولو كان كذلك لمدح كغيره دون أن يتعوّذ الحميدي من المقالات التي نسبت إليه.

وصرّح صاعد الطليطلي، وكذا القفطي الذي نقل عنه، عند ترجمتهما لأمبذقليس[2] بأنّ ابن مسرّة باطني[3] وربما المقصود بكلمة باطني عند المصدرين هي التصوف الباطني، وليس باطنية الشيعة الإسماعيلية كما ذكرنا سابقا.

وقد اختلف المعاصرون في تصنيف ابن مسرّة، ولعلنا نذكر هنا قول الدشراوي والمستشرقة كلود عداس، فالأول ذكر أنّ ابن مسرّة عُرف عنه نشر تعاليمه في رياضة النفس على الأحوال والمقامات التي تؤدي إلى كشف الحقائق وإدراك حجاب المعرفة العلوية، أي تجلي الحقائق الربانية[4] وهذا يدخل في معنى التصوف، أمّا المستشرقة كلود عداس فلها دراسة مستفيضة عن شخصية ابن مسرّة ووصلت إلى أنّه متصوف باطني.[1]

وفي الأخير نصل إلى أنّ ابن مسرّة قد أنشأ مذهبا لوحده، جمع فيه بين **الاعتزال** الذي تأثر فيه من أبيه ومن لقيهم في المشرق، و**التصوف** الذي أخذه عن متصوفة المشرق كذي النون

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص 56. الضبي، المصدر السابق، 76.

[2] **أبيذقليس** (**أمبذوقليس**): حكيم كبير من فلاسفة اليونان، وهو أول الحكماء الخمسة المعروفين بأساطين الحكمة، وأقدمهم زمانا، عاش في زمن داود عليه السلام، وقيل أنّه أخذ الحكمة عن لقمان الحكيم بالشام، ثم انصرف إلى بلاد اليونان فتكلم في خلقة العالم، ومن الفرق الباطنية من يقول برأيه، وينتمي في ذلك إلى مذهبه، وابن مسرّة واحدا منهم. صاعد، المصدر السابق، ص 21. القفطي، المصدر السابق، ص 13. بالنتيا، المرجع السابق، ص 329. وللمزيد من الأفكار التي دعا إليها ابن مسرّة أنظر: ابن حزم، الفصل 198/4 و199.

[3] صاعد، المصدر السابق، ص 33. القفطي، المصدر السابق، ص 13.

[4] الدشراوي، المقال السابق، ص 20.

[1] للتوسع في هذا الموضوع يجب الرجوع إلى هذا المقال الرائع الذي كتبته المستشرقة في شأن دراستها لابن مسرّة (و إن كانت متخصصة في دراسة تصوف ابن عربي الذي جاء بعد قرنين تقريبا من عصر ابن مسرّة) حيث حللت كتب ابن مسرّة، وردت على الكثير من المستشرقين كآسين بلاثيوس وليفي بروفنسال، بل حتى على بعض المؤرخين كابن الفرضي مثلا الذي قالت بأنّ كلامه أخذه عن الخطاب بن مسلمة وهو من أشد أعداء ابن مسرّة الجبلي. عداس، المقال السابق، ص 1261 وما بعدها.

المصري والنهرجوري، وسهل التستري وغيرهم، و**الفكر الفلسفي** كالنظرية الأفلاطونية الحديثة[1] القائلة بوحدة الوجود، وأنّ هناك مادة روحانية تشترك فيها جميع الكائنات ما عدا الذات الإلهية[2] ومما ذكره غير واحد من أنّ ابن مسرة تأثر أيضا بفلسفة أبيذقليس وبهذا يكون ابن مسرّة أول من أدخل التصوف الفلسفي إلى الأندلس.[3]

بالإضافة إلى ما ذكر عن ابن مسرّة، فقد كان عالما حاذقا في عدّة علوم، منها اللغة العربية والبلاغة، فافتتن الناس به، وكسب العديد من التلاميذ والأتباع، وإن كان ابن الفرضي قد ذكر بأنّ كثيرا من أتباعه لما عرفوا سوء معتقده تركوه، ولم يبق معه إلا من غلب عليهم الجهل[1] وربما عبارة الجهل التي قصدها ابن الفرضي هي الجهل بالدين كعقيدة، وليس الجهل من حيث أنّ أتباعه أناس غير واعين، لأنّ نظرتنا إلى كلام ابن مسرّة العقلاني تعتبر صعبة الفهم، وتحتاج إلى تركيز كبير مع الإلمام بعدّة معلومات ومصطلحات فلسفية، وأكد ابن حيان سعة علمه فقال:"لقد أوتي من

---

[1] **الأفلاطونية الحديثة:** وهي التي جاء بها أفلوطين المصري (203-270)م والتي تنص على وحدة الوجود، فسمى الأصل بالواحد (الخير)دون أن يسميه، وكل ما يخرج منه هو الموجود، وإليه يعود في النهاية، وبسبب كمال الواحد فإنه يشع أو يفيض (نظرية الفيض) والعقل هو أول ما نشأ عن هذا الفيض، وبعد إطالة التفكير يحمل هذا النضج في طياته ثمرة النفس، والمعرفة عند أفلوطين تنحصر بالذوق والكشف، أي بالمعرفة القلبية، فمن أقوالهم "يجب عليّ أن أدخل في نفسي، ومن هنا أستيقظ، وبهذه اليقظة اتحد بالله"، وهذا تلميذ أفلوطين فورفوريوس (ت304م) يقول "إنّ الغاية من الفلسفة هي الخلاص من الشرور بمجاهدة النفس والقضاء على شهواتها، وبهذه المجاهدة تتوصل إلى معرفة الله" وقد اشتهرت هذه النظرية في العصور الوسطي خاصة وأنّها تركز على مجاهدة النفس، وتأثر بها المتصوفة المسلمين، وابن مسرّة واحد من هؤلاء. للتوسع أكثر أنظر: محمد جواد مغنية، **فلسفات إسلامية**، دار الهلال، دار الجواد، ط6، بيروت، لبنان، 1993، ص 444 و445. بيتر كونزمان، فرانز فيدمان، أطلس الفلسفة، ترجمه عن الألمانية، جورج كتورة، مطبعة تيبوس برس، بيروت، لبنان، 2001، ص63.

[2] بروفنسال، الحضارة، ص 173 و174. بروكلمان، المصدر السابق، ص 300 و301. أرفوا، المقال السابق، ص 1188 وقد استنتجه من كتاب عنوانه "من مؤلفات ابن مسرة المفقودة ".

[3] محمد قريبيز، **تاريخ دخول التصوف إلى الغرب الإسلامي**، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الموسم الثقافي: 1998-1999، الجزائر،ص 309.

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 323. الحميدي، المصدر السابق، ص 56. الضبي، المصدر السابق، 76. أحمد أمين، ظهر: 70/3.

عذوبة الكلام ومتانة الحجج والغوص في دقيق المعاني، والافتنان في ضروب العلم ما يسلب به القلوب ولا يعييه عنه صواب"[1]

والأندلس في تلك الفترة كانت نوعا ما بعيدة عن هذه الأفكار والمفاهيم الفلسفية والكلامية التي جاء بها ابن مسرّة. توفي ابن مسرّة في شوال سنة 319هـ/ 931م.[2]

ثانيا– أهم أتباع ابن مسرة:

كان لابن مسرّة أتباع كثر أخذوا مذهبه، فمنهم من سمع عنه مشافهة، ومنهم من وصلته أفكاره عن طريق تلامذته أو من أخذوا عنهم، ومن أهم هؤلاء نجد:

1) **أحمد بن فرج بن منتيل بن قيس:** يكنى أبا عمر، وهو من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق وسمع من الشعراني، وبمصر من محمد بن سعيد بن سفيان بن سعيد المؤذن، وغيرهما، ولما رجع إلى الأندلس سمع منه بعض الفقهاء من أمثال خلف بن قاسم، وعبد الرحمن بن عبيد الله، وقد نسب أحمد لاعتقاد ابن مسرة الجبلي، توفي أحمد في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.[3]

2) **محمد بن مفرج بن عبد الله مفرج المعافري:** يكنى أبا عبد الله، وهو من أهل قرطبة، ويعرف أيضا بالفني، سمع بالأندلس من قاسم بن أصبغ وغيره، ثم رحل للمشرق فسمع بمكة من ابن الأعرابي، وبمصر من عبد الملك بن محمد بن بحر بن شاذان الجلاب، ويعتبر أول من أدخل كتب أبا جعفر أحمد بن محمد رواية، منها إعراب القرآن، الناسخ والمنسوخ، كان يعتقد بمذهب ابن مسرّة، لهذا تركه الناس، توفي محمد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.[1]

3) **أحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجة الأنصاري:** يكنى أبا عمر، وهو من بجانة، كما يعرف بابن أخت عبدون، كانت لأحمد رحلة إلى المشرق سمع فيها من أبي الفضل جعفر

---

[1] نقلا عن قريبيز، المقال السابق، ص 308.

[2] الخشني، أخبار، ص 178. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 324.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 43 و44.

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 359 و360.



بن أحمد بن عبد السلام البزاز بمصر، وكان يحدث في الأندلس عن تاريخ ابن البرقي، وفي الاعتقاد كان على مذهب ابن مسرّة، توفي سنة 376هـ/986م.[1]

4)**رشيد بن فتح الدجاج**: يكنى أبا القاسم، وهو من أهل قرطبة، سمع في الأندلس من أحمد بن خالد، وأحمد بن زياد وغيرهما، رحل إلى المشرق حاجا، فسمع بمصر من ابن الورد، وأبي العباس أحمد بن الحسن وغيرهما، كما سمع بمكة من محمد بن الحسن الآجري، وأبي الحسن الأصبهاني، ونظرائهما، وقد اعتنى رشيد بالحديث الشريف، ولما عاد إلى الأندلس سمع منه بعض الفقهاء، وابن الفرضي واحد منهم، والذي ذكر أنّه كان يهتم بمذهب ابن مسرة، توفي سنة 376هـ/986م.[2]

5) **محمد بن أحمد بن حمدون بن عيسى بن علي بن سابق الخولاني**: يعرف بابن الإمام، ويكنى أبا عبد الله، ولد سنة خمس وثلاثمائة، سمع في الأندلس من أحمد بن خالد، وقاسم بن أصبغ وغيرهما، كما كان حافظا للأخبار والأنساب، عالما باللغة، بليغا لسنا، وكان مشهورا باعتقاد ابن مسرّة ولا يتستر به، توفي سنة 380هـ/990م.[3]

6)**محمد بن عبد الله بن عمر بن خير القيسي**: يكنى أبا عبد الله، أصله من جيان وسكن قرطبة، ولد سنة ثلاث وثلاثمائة، سمع محمد في الأندلس من أحمد بن خالد، ومحمد بن قاسم وغيرهما، ثم رحل إلى المشرق سنة اثنين وثلاثين ومائتين، ورجع إلى الأندلس لفترة قصيرة ثم عاد إلى المشرق أعواما، كان ضابطا لما كتب، صدوقا، لكنّه قد نسب لمذهب ابن مسرّة، توفي محمد سنة 382هـ/992م.[1]

7)**عبد العزيز بن حكم بن أحمد بن الإمام محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن**: يكنى أبا الأصبغ، وهو من أهل قرطبة، ولد سنة عشر وثلاثمائة، ينتمي

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 54.

[2] نفسه، ص 126 و127.

[3] نفسه، ص 368 و369.

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 371.

للبيت الأموي الحاكم، سمع في الأندلس من عبد الله بن يوسف، قاسم بن أصبغ، ومن خاله أحمد بن محمد بن عبد البر غيرهم، كان عالما في النحو والغريب من الشعر، كما كان شاعرا ميالا إلى الكلام والنظر، واشتهر بانتحاله لمذهب ابن مسرّة، كما تميّز بالأدب والحِلم، توفي سنة 387هـ/997م.[1]

8) **إسماعيل بن عبد الله الرعيني**: عاش في مدينة المريّة، وادعى أنّه وريث المسريّة التي عدّل في بعض مبادئها، فدعاه أنصاره بالإمام، ومعنى ذلك أنه أصبحت له سلطة سياسية ودينية، وقد ذكره ابن حزم في كتابه الفصل، إذ قال بأنّه عاصره لكن لم يلقاه، وقال إنّه كان من المجتهدين في العبادة، والمنقطعين للزهد، لكنّه أحدث أقوالا سبعة منها أنّ الأجساد لا تبعث، وإنّما تبعث الأرواح فقط، وأنّ الإنسان بعد موته يحاسب ويصير إمّا إلى الجنة أو إلى النار، وأنّ العالم لا يفنى أبدا بل هكذا يكون بلا نهاية، وغيرها من الأفكار التي كانت السبب في تكفيره ونفور أهل المريّة عنه، وذكر أنّ أتباعه كانوا يؤدون له زكاة أموالهم، وممن أشتهر بالأخذ عنه، ابنته التي كانت تدعى بالمتكلمة، وبقيت معه حتى بعد افتراق المقربين عنه، كزوج ابنته المتكلمة، لكنّ واقع الأفكار التي كان إسماعيل يدعو لها هي غير الأفكار المسريّة[2] ولا نعرف بالضبط من هم شيوخه ولا أهم أتباعه، كما لم نجد تاريخ ولادته أو وفاته.

وهناك الكثير ممن اتهموا بالانتساب إلى مذهب ابن مسرّة أو أنهم فعلا كانوا قد أخذوا بمذهبه، منهم أبناء قاضي قرطبة منذر بن سعيد البلوطي الظاهري، كعبد الوهاب (ت436هـ/1044م).[1]

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 227.

[2] للتوسع أكثر في شخصية إسماعيل الرعيني، أنظر: ابن حزم، الفصل 199/4 و200. بالنتيا، المرجع السابق، ص 331. ابن التهامي، المرجع السابق، 405.

[1] ابن بشكوال، الصلة 555/2. ولمعرفة المزيد من الشخصيات المسريّة أنظر: إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط5، بيروت، لبنان، 1978، ص 35 و36. ميغيل كروز هيرنانديس،

وإن كانت فترة دراستنا لهذا البحث تتوقف عند معركة الزلاقة فقط، فإنّ تأثير فكر ابن مسرّة قد انتشر بعدها سواء في الأندلس، خاصة عند أبي العباس بن العريف (536هـ/1141م)، وأبي بكر بن برجان (ت536هـ/1141) شيخ ابن عربي، وأبي بكر الميورقي (ت 537هـ/1142م)، أو في المشرق عن طريق المتصوف الأندلسي محي الدين بن عربي (ت638هـ/1240م)، بل وأخذ عنه بعض مفكري اليهود كابن جبرول، والنصارى كالأسقف دومنجو جنذالد، هذا ما اعترف به كبار المستشرقين من أمثال آسين بلاثيوس.[1]

ثالثا– الردود على مذهب ابن مسرّة:

نظرا لتأثير فكر ابن مسرّة الكبير في العالم الإسلامي عموما والغربي منه على الخصوص، فقد ردّ عليه العديد من العلماء المشارقة والمغاربة على السواء، فمن الأندلسيين نجد:

1) **عبد الله بن محمد الأموي النحوي** (ت399هـ/1008م) إذ جمع كتابا في الرد على محمد بن عبد الله بن مسرّة، وقد أكثر فيه من الأحاديث والشواهد[2].

ومن **المغاربة** نجد:

2) **ابن أبي زيد القيرواني:** (ت386هـ/996م) ردّ على ابن مسرّة بكتاب سماه "الرد على ابن مسرّة المارق".[1]

ومن المشارقة نجد:

3) **أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، وأحمد بن محمد بن سالم التستري**.[1]

الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية (دراسة شاملة)، ترجمة رشيد الحور، من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس 1092/2 وما بعدها

[1] للتوسع أكثر في هذه الشخصيات، أنظر: بالنتيا، المرجع السابق، ص 332 و369 وما بعدها. هيرناندريس، المقال السابق، ص 1093 و1116. عداس، المقال السابق، ص 1259 وما بعدها.

[2] **عبد الله بن محمد بن نصر بن أبيض بن محبوب بن ثابت الأموي النحوي:** يكنى أبا محمد، وهو من أهل طليطلة لكنه سكن قرطبة، ولد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، عني كثيرا بعلم الحديث ومالكي المذهب. ابن بشكوال، الصلة 388/1 و389.

[1] التهامي، المرجع السابق، ص 427.

وفي الأخير نصل إلى أنّ الاعتزال والتصوف المنحرف والمذهب المسري قد كان لهم وجود بالأندلس، وجعلوا من السلطة السياسية الأموية تراقب تحركاتهم في كل لحظة وحين، خوفا من أن يشكلوا لها حزبا سياسيا دينيا ويهددوا تواجدها، وشدد فقهاء المالكية المدعمين من طرف السلطة على أمثال هؤلاء، خوفا من تحريف عقيدة أهل السنة والجماعة، أو لخوف البعض على مناصبهم ومكانتهم في الدولة، لهذا تمّ طرد الغرباء عندما عُلم بفكرهم الغريب عن أهل الأندلس من أمثال محمد بن أحمد بن أبي بردة المعتزلي.

وقد صدرت الأحكام والفتاوى بشأن مروق ابن مسرّة وأتباعه، بل وأحرقت كتبهم، واستتيب أتباعه خاصة في عهد الفقيه القاضي محمد بن يبقى بن زرب، والخليفة عبد الرحمن الناصر، وحجابة المنصور بن أبي عامر، بل ووصلت ببعض المسرية لإدعاء الإمامة ومنافسة الحاكم كإسماعيل بن عبد الله الرعيني ومنحه أتباعه زكاة أموالهم، وهذا أكبر خرق لسلطة الدولة.

أمّا التصوف بمعنى الزهد فليس هو المقصود في الدراسة، ويمكن الرجوع للمقال الهام الذي كتبته مانويلا مارين (Manuela MARIN)حول الظهور المبكر للزهد في الأندلس، وبينت بعض آراء من سبقها في الدراسة كآسين بلاثيوس ومحمود مكي[2]

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 324.

[2] مانويلا مارين: "الظهور المبكر للزهد في الأندلس"، تر مصطفى بنسباع، **المغرب والأندلس نصوص دفينة ودراسات**، تقديم وتنسيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، 2008م، ص37-54.

الفصل الرابع

الأثر السياسي للحركات المذهبية في الأندلس

المبحث الأول: نظام الحكم ووظائفه.

المبحث الثاني: المعارضة والتمرد والحروب.

المبحث الثالث: الدويلات المذهبية المستقلة.

الفصل الرابع: الأثر السياسي للحركات المذهبية في الأندلس

تعاقب على حكم الأندلس بعد فترة حكم الولاة مجموعة من الدول، وخلال فترة دراستنا نجد الدولة الأموية (إمارة وخلافة)، وحكم ملوك الطوائف، ولا شكّ أن للمذاهب السائدة مواقف اتجاه نظام الحكم الواقع من حيث التأييد والمعارضة. فما موقف الحركات المذهبية التي شهدتها الأندلس من أنظمة الحكم خلال عصري الدولة الأموية وملوك الطوائف؟

المبحث الأول: نظام الحكم ووظائفه:

أولا-المذاهب والسلطة والحاكمة:

اختلفت آراء أصحاب المذاهب التي عرفتها الأندلس من أنظمة الحكم القائمة، منها:

1) عهد الإمارة الأموية (138-316هـ/756-929م):

وقفت المذاهب السنيّة، وكذا المذهب الإباضي موقف المؤيد أو الساكت الراضي عن الإمارة الأموية في الأندلس، ودليل ذلك هو عدم وجود ثورة تحركها المذهبية حسب ما توصلت إليه وتسعى في ذات الوقت لإسقاط نظام الحكم، أمّا ما كان في شكل معارضة أو تمرد أو ثورة على حاكم بعينه فهذا لا يعني عدم قبول النظام القائم وإنّما رجاء إرجاعه لجادة الصواب أو تبديله بمن هو أفضل منه في العائلة الأموية، وقد أشرت لذلك أثناء سرد حكام إمارة بني أميّة، وسأذكر أيضا في مبحث التمرد، ولكنها في الواقع ليست ذات طابع مذهبي.

أ) **مسألة السند الشرعي**: تبنت الإمارة الأموية كما ذكرنا مذهب الإمام الأوزاعي في بداية عهدها، ولم يظهر لفقهاء هذا المذهب تنافر بينهم وبين السلطة الأموية، خاصة وأنّ مؤسس الإمارة عبد الرحمان الداخل بن معاوية لم يقم بما يجعل العلماء في عصره يعلنون الثورة عليه، فمثلا لم يعلن نفسه خليفة للمسلمين كي يكون ندا للخليفة الشرعي العباسي، ولم يأمر بالدعاء له على المنابر وإنّما قام بالدعوة للعباسيين، فقد أورد ابن الأبار وغيره[1] ذلك: "...ويقال: إنّه أقام

[11] ابن الأبار، الحلة، 1/35-36. وأنظر للمقري، النفح، 1/318. حجي، التاريخ الأندلسي، ص240.

أشهرا دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور، متقيلا في ذلك يوسف الفهري الوالي قبله، إلى أن أفرد نفسه بالدعاء...وسلك الأمراء من ولده سُنَّته في ذلك إلى عهد عبد الرحمان بن محمد الناصر لدين الله، فهو الذي تسمى بالخلافة بعد سنين من سلطانه، ودُعي بأمير المؤمنين لما استفحل أمره واستبان له ضعف ولد العباس وانتثار سلطانهم بالمشرق".

معنى ذلك أنّه كان ذكيا أو عارفا بحدود الخلافة الشرعية، فلو طلب الخلافة لتعارض ذلك مع الإمامة الشرعية العباسية في المشرق، ولألّب عليه ذلك الفقهاء والعلماء وربما سقطت دولته جراء ذلك، وقد ذكر حسين مؤنس بأنّ ذلك سيفتح الباب لأي منافس للبيت الأموي في الأندلس، ويحصل المنافس على تأييد الخلافة العباسية (الخلافة العامة)، لذلك كان الأمير عبد الرحمان يدعوا للخليفة العباسي زمنا حتى قضى على معارضيه ومنافسيه واستقر له الأمر[1] وهكذا نجد أنّ فقهاء المذهب الأوزاعي كانوا لجوار الإمارة الأموية وتولوا المناصب فيها خاصة القضاء والشورى والصلاة كما سنعرف.

ارتبطت أيضا السلطة السياسية الأموية مع السلطة الدينية لفقهاء المالكية، وذلك بعد انحسار سلطان الأوزاعية على الأندلس، فقوة المذهب ودعاته وتوسعه في الأندلس كان له بالغ الأثر كما عرفنا ليكون القوة الروحية الأولى في الجزيرة. فما موقف فقهاء المالكية وغيرهم من السلطة الأموية الحاكمة؟

سأورد هنا بعض الآراء القولية والفعلية التي وافقت فيها المذاهب السائدة على نظام حكم الإمارة الأموية، وأقصد هنا مسألة منح الشرعية للأمارة.

أدرك **صقر قريش** عبد الرحمان بن معاوية بعد قضائه على خصومه السياسيين وإعلان تجديد حكم الدولة الأموية في الأندلس مدى أهمية كسب السند الشرعي لإمارته الجديدة خاصة والخلافة الشرعية العباسية قائمة، كما لم يتخذ لنفسه لقب خليفة وسار على ذلك النهج أمراء الدولة حتى سنة 316هـ عندما أعلن الأمير عبد الرحمان نفسه خليفة. وقد كان

[1] مؤنس، شيوخ العصر، 14.



دور فقهاء السنة على العموم والمالكية منهم على الخصوص بارزا في منح الشرعية لهذه الإمارة الجديدة، حيث يذكر حسين مؤنس: " ومما كان رأي رجال العلم المحققين في رجال مثل عبد الملك بن حبيب وعيسى بن دينار، ويحي بن يحي الليثي، فإنّ أمثال أولئك الرجال قاموا بوظيفتهم في بنيان الدولة الأموية الأندلسية، وأضفوا على تصرفاتها في نظر الرعيّة تأييدا حقيقيا كان له أبعد الأثر في تثبيت دعائم أركانها وتمكينها من السيطرة الفعلية على بلادها وتمتع البيت الأموي الأندلسي بثقة الشعب الذي كان يحكمه، وهي ثقة لم يظفر بمثلها الأمويون في المشرق ولا العباسيون خلال عصرهم الذهبي"[1]

كما اهتم الأمير عبد الرحمان بمسألة السند الشرعي فإنّ ابنه **الأمير هشام الرضا** قد اهتم بذلك أيضا، وقد أورد مؤنس عبارة هامة ودقيقة في هذا الشأن جاء فيها: "وكان هشام في أشد الحاجة إلى تأييد هؤلاء الفقهاء، فإنّ الإمارة التي أنشاها أبوه كانت –رغم استتباب أمرها وتوفر أسباب القوة السياسية والعسكرية لها– في حاجة إلى سند شرعي، فهي مهما بلغت قوتها لم تخرج من الناحية الشرعية الصرفة عن كونها إمارة خارجة عن الخلافة العباسية"[2] لهذا وجدت نماذج كثيرة للأمير هشام وهو يقرب فيها فقهاء المالكية، ويشكر إمامهم مالك بن أنس كما سبق وذكرنا.

بعد وفاة الأمير هشام خلفه ابنه **الحَكم** الذي حاول أثناء حكمه تهميش الفقهاء والتصغير من دورهم المتصاعد في الدولة، وعمل في المقابل على تقوية ملكه بتكوين جيش قوي يضمن للإمارة قوتها، لكن سلوكه ذاك كان سببا في قيام بعض الثورات ضده وكان للفقهاء يد فيها بتأليب العامة عليه، خاصة إذا علمنا أنّ الحَكم قد أحاط نفسه بحرس من الصقالبة، ووضع "ربيعا قومس" النصراني رئيسا لهم، بل وكلّفه بجمع الضرائب[3]

---

[1] مؤنس، شيوخ العصر، ص5-6.

[2] نفسه، 13-14.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص15.



هذه السياسة التي انتهجها الأمير الحَكم في ظل تهميشه للفقهاء وعدم استشارتهم في قراراته الحاسمة جعلتهم ينقمون عليه أكثر وفكروا مع بعض الناقمين لسياسته للإطاحة به وتعويضه بابن عمه سنة 189هـ/805م كما سنعرف في ذكرنا للثورات، واستمر التمرد بتأييد من الفقهاء سنة 202هـ/818م في ثورة هيج الربض[1] لهذا سيتدارك الحَكم قيمة الفقهاء ودورهم في الدولة وفي استتباب حكم الإمارة فيصدر قانون العفو للفقهاء المشاركين في الثورة أو كانت لهم علاقة بها، ويدرك رسميا أهميتهم في الدولة والمجتمع ويسعى لتقريبهم.

أورد ابن الفرضي قصّة مفادها الدور الذي ناله الفقهاء بعد ذلك في الدولة، وأن لا خيار للأمير إلاّ احترامهم وتقريبهم، حيث قال إنّ والد الفقيه "قرعوس بن العباس" (ت220هـ) ولي على السوق، وكان رجلا صارما حتى وصل بابنه قرعوس ليسأل مالكا عن الضرب الشديد الذي كان أباه يضرب به الناس، ويذكر مرة أنّه كان خارجا من المسجد ووجد رسول أحد المقربين للأمير يحمل خمرا لسيده، فلما سأله والد قرعوس، قال الرسول: "إنّ مولاي عند الأمير وبعثني في هذا الشراب"، فأمره بكسره وإهراقه، وضرب الرسول ضربا وجيعا. فلما علم مولاه بالأمر قال:" ذهب ملكنا وغلبنا على أمرنا"، فلما سأل الأمير عن سبب ذلك، أخبره بما حل لرسوله، فقال الأمير: "هذا قوة ملكنا، ألا استتر رسولك"[2] من هنا ندرك مدى الشرعية التي منحها فقهاء المالكية على الخصوص للإمارة الأموية، وبالمقابل المكانة التي نالوها في ظلها.

ب)**المظاهر الكبرى للتأييد:** من خلال ما سبق يمكن توضيح بعض مظاهر التأييد في الآتي:

➢ **التوجيه والاستشارة والمشاروة:**

انتشرت الاستشارة في العهد الأموي كثيرا، وإن كانت ليست بمنصب ولكن تدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كان لفقهاء المالكية عمل بها، وربما كان ذلك تأسيا بما قاله الإمام مالك رحمة الله، فقد أورد القاضي عياض في مداركه:"حق على كل مسلم أو رجل

---

[1] سبق لي ذكر الواقعتين ولكن سآتي على تفصيلهما في المبحث الموالي. ابن عذارى، البيان، 2/71-77. ابن الخطيب، الأعمال، ص15.

[2] ابن الفرضي، تاريخ، ص291.



جعل الله في صدره شيئا من العلم والفقه أن يدخل إلى ذي سلطان، يأمره بالخير وينهاه عن الشر، ويعظه ... لأنّ العالم إنّما يدخل على السلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر، فإذا كان، فهو الفضل الذي لا بعده فضل"[1]

نالت طبقة الفقهاء المشاورين المكانة في الأندلس[2] ورغم عدم كون الفقهاء المشاورين هيئة أو مجلسا يجتمع في أوقات محددة أو وفق نظام ما، إلا أنّ أهميتهم كانت بارزة، فقد يستشيرهم الحاكم أثناء اختياره لقاضي الجماعة[3]

- **المهمات الرسمية والخاصة:**

نظرا لمكانة الفقهاء الاجتماعية وقدرتهم العلمية فقد كانوا يكلفون من قبل الأمراء لبعض المهام، كالوساطة بين الحكام والثائرين عليهم، أو إرسالهم للكور والمدن التي يشكوا أهلها من ولاتهم، أو الإشراف على بناء المساجد وما شابه ذلك[4]

وهنا نرى أنّ التأييد في عهد الإمارة كان هو من العوامل التي أدت إلى ارتقاء طموح السلطة الحاكمة ورفع نمط حكمها للخلافة.

2) عهد الخلافة الأموية (316-422هـ/929-1086م):

يعتبر تاريخ 316هـ/929م تاريخا حاسما في الدولة الأموية، إذ تحولت الإمارة الأموية إلى خلافة كما سبق وأن ذكرنا، وبقيت الخلافة قائمة إلى سقوطها سنة 422هـ/1086م، حدث ذلك في عهد الأمير عبد الرحمان الناصر بن محمّد (300-350هـ) ويعود سبب الإعلان لاعتبارات عدّة سبق ذكرها أثناء ترجمتي لعبد الرحمان الناصر. ما يهم هنا هو:

---

[1] عياض، الترتيب، 111/1.

[2] قام الباحث الكبيسي بوضع وجه للمقارنة بين الفقهاء المشاورين والمستشارين، للتوسع في ذلك أنظر: خليل إبراهيم الكبيسي: **دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية في عصري الإمارة والخلافة**، شركة البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1425هـ/2004م، ص112-116.

[3] مؤنس، شيوخ العصر، ص29.

[4] للتوسع في هذه المهام أنظر: الكبيسي، دور الفقهاء، ص117 وما بعدها.

ما موقف الفقهاء من إعلان الناصر لدين الله نفسه خليفة للغرب الإسلامي وفي ظل وجود خلافة سنية شرعية عباسية قائمة في المشرق، وكذا وجود خلافة شيعية فاطمية قائمة في بلاد المغرب الإسلامي؟

أ)الموقف من قيام الخلافة الأموية:

عهِد الأمير عبد الرحمان الناصر لما تلقب بلقب أمير المؤمنين لصاحب الصلاة في قرطبة أحمد بن بقي بن مخلد، بأن تكون الجمعة المقبلة مستهل ذي الحجة باسم أمير المؤمنين[1] وقد لقيت التأييد من الفقهاء[2] لاعتبارات سبق ذكرها[3] وكان كما عرفنا من أسباب إعلان الخلافة رغبة الأندلسيين في أن يكون أمير قرطبة خليفة عليهم وهو أقوى حاكم حينها على وجه الأرض، والمؤكد أن تأييد العامة هو نتاج للموقف الذي كان عند فقهاء المالكية المنتشرين في المجتمع الأندلسي.

ب) موقفهم من ولاية العهد للصبي هشام بن الحَكَم:

بعد وفاة الخليفة عبد الرحمان الناصر آلت الخلافة لولي عهده مباشرة الحَكم المستنصر، وقد كان حكيما وتشبع بخبرة سياسية ودينية كبيرة خاصة أنّه تولي الحكم وهو كبير السن، واستفاد من خبرة والده الذي حكم الأندلس خمسين سنة. وسيبرز دور الفقهاء أيضا مع نظام الحكم بوفاة الحَكم المستنصر، حيث وقع خلاف بين من يخلفه على رأس الحكم في الأندلس، إذ ذهبت طائفة إلى تعيين أحد الأعمام أو أبنائهم الكهول، وبين من أراد مبايعة

[1] ابن عذارى، البيان، 198/2-199. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص29.

[2] أنظر الملحق رقم: 02.

[3] للتذكير في العوامل نجد: ضعف الخلافة العباسية في المشرق، وعجزها عن حماية العالم الإسلامي. قيام خلافة شيعية في المغرب ممثلة في الدولة الفاطمية والتي كانت تطمح في السيطرة على الأندلس والمشرق. رفع مكانة أمير قرطبة السياسية والدينية. الاستجابة لرغبة الأندلسيين لأن يكون الأمير عبد الرحمان خليفة لهم. للتوسع في السيرة والعوامل أنظر: ابن عذارى، البيان، 156/2 وما بعدها. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص28 وما بعدها. ابن خلدون، تاريخ، 178/4 وما بعدها. المقّري، النفح، 339/1. العبادي، في التاريخ السياسي والعباسي، ص378 وما بعدها. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص286 وما بعدها. صالح بوتشيش: المرجع السابق، ص05.

ابن الحَكم المستنصر الصبي هشام، وقد نجحت الطبقة السياسية ممثلة في المصحفي وابن أبي عامر في اختيار هشام الذي لم يبلغ الحلم أصلا إذ كان عمره حوالي عشر سنين، ليكون مبايعا بالخلافة، ووجدت هذه البيعة التأييد والدعم خاصة من فقهاء المالكية[1]

وذكر ابن حيان نقلا عن كتاب الدولة العامرية قوله: "وأُجلس هشام بن الحَكم للخلافة صبيحة يوم الاثنين بعده لثلاث خلون من صفر 366هـ، ودعا الناس إلى البيعة، فاستوسقوا إليه، ولم يختلف فيها منهم إثنان، واتّصل على أخذها على النّاس أياما، وكتب بها إلى الأقطار، فلم يردّها أحدٌ"[2] وقد فصّل ابن الخطيب كثيرا في هذه المسألة، وأورد جل العلماء والفقهاء الذين حضروا البيعة، منهم قاضي الجماعة "أبا بكر يحي بن زرب"، وقاضي قرطبة "أبا المطرف عبد الرحمان بن محمد بن عيسى بن فطيس"، والقاضي محمّد بن اسحاق بن سليم وغيرهم[3] كما يمكن أن نشير أن الخليفة الناصر قد عيّن ابنه الحَكم المستنصر على ولاية العهد وسنّه لم يبلغ الرابعة عشر من عمره، إلاّ أنّ طول عمر الخليفة الناصر جعل الحكم المستنصر يتولاها وهو كبير كما وضحنا سابقا، ومؤكد أن ذلك تم بموافقة الفقهاء وصمت الكثير منهم لقوة الأمير عبد الرحمان الناصر.

من خلال ما سبق نلمس التأييد الكبير الذي قدمه فقهاء المذهب المالكي على الخصوص للخلافة الأموية بالأندلس، فبعد تأييد عبد الرحمان الناصر عندما أعلن الخلافة، نجدهم يؤيدون بيعة الصبي هشام بالخلافة قبل الحلم. كما نجد دور أغلب فقهاء المذهب المالكي في تأييد السلطة في الفترة العامرية وما ترتب عنها سياسيا، وصمت الكثير منهم وقد

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص44. وأنظر الملحق رقم: 03.

[2] ابن حيان نقلا عن ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص48.

[3] يمكن الرجوع للفقهاء والعلماء الذين حضروا ووافقوا على بيعة الصبي هشام بالخلافة عند: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص48-57.

تم الحجر على خليفة الدولة هشام المؤيد[1] والأكثر من هذا ما وقع من ولاية العهد من هشام المؤيد لعبد الرحمان شنجول العامري، وقد كانت تلك البيعة[2] سببا في بداية عصر الفتنة البربرية وما انجر عنه من تبعات في قرطبة العاصمة أو في أرجاء الجزيرة عامة.

3) عهد ملوك الطوائف:

نظرا للوضع السياسي الذي شهدته الأندلس باندثار عقد الخلافة الأموية سنة 422هـ وانقسام جغرافية الأندلس إلى فسيفساء من الدول والإمارات كما سبق وأن عرفنا، فقد تباينت مواقف المذاهب من الولاء إلى إمارة أو لأخرى، إلاّ أنّ حنين الخلافة الأموية بقي يراود الكثيرين وسعى بعض علماء المذاهب إلى رأب الصدع وتوحيد الأندلس ثانية لكن لم يتسن لهم ذلك، فقد **أشاد ابن الحزم الظاهري** بالدولة الأموية بل ورفع من مكانتها في قوله: "فلم يكُ في دول الإسلام أنبل منها، ولا أكثر نصرا على أهل الشرك، ولا أجمع لخلال الخير، وبهدمها انهدمت الأندلس، وذهب بهاء الدنيا بذهابها"[3] وربما نأتي هنا إلى رواد الإصلاح السياسي في عصر الطوائف، ونتغافل على البعض الآخر، لأنهم كثر ووقف الكثير منهم موقف المؤيد لإمارة على أخرى، بل منهم من تغلب على الحكم في بعض المناطق وشكّل إمارة قوية مستقلة **كبني عباد** في إشبيلية[4] لهذا مسألة موقف المذاهب في عصر الطوائف من مسألة الحكم تستحق دراسة علمية مستقلة، وسآتي على دور العالمين أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي المالكي، وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري لإبراز دورهما في توحيد الجهود ورأب الصدع لإرجاع الوحدة والخلافة الأموية.

---

[1] يمكن التوسع في هذا الجانب من خلال الدراسة التي قام بها: فوزي عناد العتيبي: **فقهاء الأندلس والمشروع العامري (367-399هـ/978-1009م)**، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، السعودية، 1431هـ/2010م، ص170 وما بعدها.

[2] أنظر الملحق رقم 04.

[3] ابن حزم نقلا عن: ابن عذارى، البيان، 39/2.

[4] عن مملكة بني عباد أنظر عصر الطوائف في الفصل الأول.

أ) دور ابن حزم الظاهري في إرجاع الخلافة الأموية:

يعتبر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري (ت456هـ) من العلماء والفقهاء المخضرمين، إذ عاش في كنف قصور الخلافة الأمويّة آخر عهدها، وعاش تفكك عقد الخلافة وفترة عصر الطوائف، وقد أثّرت الفتنة البربرية 399هـ في ابن حزم، حيث استقر في المرية (404-407هـ) عند مملكة خيران العامري واختير كوزير، ثم انتقل إلى بلنسية بعد وشاية أدخلته السجن، وسعى ابن حزم كثيرا لإرجاع ملك بني أميّة لهذا بايع "عبد الرحمان الرابع" الملقب بالمرتضى سنة 408هـ كونه أمّل ابن حزم في إرجاع الوحدة السياسية للأمويين في الجزيرة الأندلسية، وسار في الجيش المتوجه من بلنسية إلى قرطبة قصد إرجاعها من بني حمود المتغلبين، ولكن انهزام المرتضى سنة 409هـ بدد مساعي ابن حزم وقبض عليه ثم خرج إلى شاطبة[1]

ورغم تجديد ابن حزم لمحاولات تحركه في جولات بين ملوك الطوائف ليجمع كلمتهم سياسيا فإنّه فشل ووجد معارضة قوية من حكام الطوائف أدت ببني عباد في إشبيلية لإحراق كتبه، وربما السبب يعود لظاهريته أيضا ونقده اللاذع لفقهاء المالكية ووصفهم بالجمود، وبحكم أنّ فقهاء المالكية كانت لهم السيطرة والحظوة في الإمارات الإندلسية فقد ألبوا عليه الحكام ورفضوا استقباله، ثم دخل ابن حزم في العزلة كما عرفنا وتفرّغ للتأليف الذي نستفيد منه نحن اليوم.

ب) دور أبي الوليد الباجي المالكي في إرجاع وحدة الأندلس السياسية:

عايش أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي(ت474هـ) فترة نهاية عهد الدولة الأموية، وعاصر سقوطها سنة 422هـ، وفي نفس الوقت شاهد الانقسام الذي عرفته الجزيرة الأندلسية، ورغم أنّه سافر بعد ذلك في رحلته العلمية سنة 426هـ. فإنّه لما عاد من رحلته التي دامت ثلاثة عشر عاما ووجد ملوك الطوائف أحزابا متفرقة، مشى بينهم في الصلح كما ذكر المقّري، ولكن

[1] للتوسع في الفكري السياسي لابن حزم وموقفه من سقوط الخلافة الأموية وسعيه لإرجاعها أنظر: نجاح محسن: **الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 1999م، ص 14 وما بعدها. سالم يافوت: **ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1430هـ/2009م، ص 56-59. سهى بعيون، إسهام العلماء، ص213-215.

محاولته باءت بالفشل، فرغم المكانة العلمية التي نالها الباجي فإنّ الحكام كانوا يجلّونه في الظاهر، ويستثقلونه في الباطن، لهذا لم يغير شيئا[1] ومما زاد في حماسة الباجي لرأب الصدع هو الاستقواء بشوكة النصارى في الشمال، وتحالف بعض الممالك الأندلسية معهم كما سبق وأن وضحت، فكان الباجي يتردد على شرق الأندلس بين سرقسطة ودانية وبلنسية ومرسية[2] وكان يحاول على الأقل الإصلاح والتوفيق بين الجيران[3] وقد ذكر عياض بأنّ الباجي وافته المنية بالمرية لما دخلها سفيرا بين رؤساء الأندلس يؤلفهم على نصرة الإسلام، ويروج جمع كلمتهم مع جنود ملوك المغرب المرابطين على ذلك، لكن الموت أدركه قبل إتمام مهمته[4].

لكن واقعًا سيدخل المرابطون الأندلس ويبعثون نفسًا جديدا في الجزيرة بتحقيقهم للنصر الكبير الذي كان في معركة الزلاقة 479هـ بقيادة يوسف بن تاشفين.

ثانيا- الوظائف الإدارية والعسكرية:

يمكن عرض بعض النماذج منها:

1) **الوظائف الإدارية:** شكلت المناصب الإدارية والعسكرية فضاء واسعا لعديد المذاهب كي تنال منه منصبا، خاصة وأنّ أغلب هذه المناصب تستدعي الحنكة السياسية والعسكرية والخبرة والذكاء والنباهة، وهذا لا يخرج من كون أغلب المناصب كانت لصالح مذهب الدولة. وسآتي على ذكر ما جمعته من المصادر وبعض الدراسات السابقة.

برز أعلام المذاهب في بعض وظائف الدولة والتي منها **الولاية على الكور والأقاليم،** وكانت جل هذه الوظائف من نصيب المالكية، ومن من كانت تتوفر فيهم شروطها

فمن **الإباضية** نجد محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرّحمن بن رستم وقد كان له دور في مواجهة وإخماد الثورات التي نشبت في عهد عبد الرحمن بن الحكم، لهذا عيّنه على الثغر الأدنى

---

[1] المقّري، النفح، 292/2.

[2] عياض، ترتيب، 348/2.

[3] مؤنس، شيوخ، ص46.

[4] عياض، الترتيب، 351/2.



(طليطلة).[1] ورغم أنّ محمد بن سعيد كان أديبا وحكيما وشاعرا ولاعبا للشطرنج، وأنّه تزوج إحدى بنات المغني زرياب[2] ولكن المصادر لم تتوسع في ترجمته.

ومن المناصب الهامة في الدولة نجد **الوزارة**[3] **والحجابة**[4] وهما من اجل المناصب في الدولة الأموية وعصر الطوائف، لما لهما من مكانة كما عرفنا، ويعود التنظيم الحقيقي للوزارة في الأندلس لعهد الأمير "عبد الرحمان الأوسط" وقبله كان الأمر للمشاورين ثم اختار الأمير عبد الرحمان بن معاوية الداخل من بين مشاوريه حاجبا له، والوزارة وإن كانت واقعا فإنّها لم تظهر كلقب وخطة إلاّ في عهد الأمير عبد الرحمان الأوسط[5]، وقد أشار ابن حيان لوزراء الأمير عبد الرحمان الأوسط بقوله:"قال ابن مفرِّج: وكان قد اجتمع للأمير عبد الرحمان من سَرَاة الوزراء أولي الحلم والنهى والمعرفة والذكاء عصابة لم يجتمع مثلها عند أحدٍ من الخلفاء

---

[1] ابن عذارى، البيان، 83/2.

[2] فيلالي، العلاقات، ص 99-100.

[3] **الوزارة**: هي أم الخطط السلطانية والرتب المملوكية كما يقول ابن خلدون، وقد اختلف نظام الوزارة في الأندلس عنه في المشرق، إذ كانت الوزارة في بداية عهد الخلافة العباسية تعتمد على شخص واحد، ويحمل لقب وزير، يتولى المهام الإدارية والسياسية والاقتصادية وغيرها، بإعانة موظفين تابعين له، وبإشراف مباشر من الخليفة، وبهذا يخفف الوزير الوزر والعبئ على الخليفة، أمّا في الأندلس فقد كان هناك تعدد في الوزراء، ولكل وزير عمل محدد واختصاص دقيق يقوم به، فالمال له وزير، والترسيل وزير، والمظالم وزير، وللثغور وزير، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون. ويعتبر أبو عثمان عبيد الله بن عثمان أو من تولى مهام الوزارة وإن لم يطلق عليه لفظ وزير. للتوسع في موضوع الوزارة في الأندلس وعدد الوزراء خلال العهد الأموي وملوك الطوائف أنظر: ابن خلدون، العبر، 1 /294-299. المقري، النفح، 4 /24، 42. أسامة عبد الحميد حسين السامرائي: **تاريخ الوزارة في الأندلس (138-897هـ/755-1492م)**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2012م، ص56. واحصاء عدد الوزراء خلال فترة الدراسة في الملحق ص489 وما بعدها.

[4] **الحجابة**: سبقت ترجمة الحجابة في الفصل الأول، وقد كان منصب الحجابة من المناصب التي استحدثها عبد الرحمان الداخل في إمارته، واختار لها أحد مشاوريه ولقبه بالحاجب، ولا يرتقي لها إلاّ إذا كان قد مر بمجموعة من المناصب التي أهلته ليرتقيها، وقد عطل منصب الحجابة لفترات في العهد الأموي خاصة عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان وعهد الخليفة عبد الرحمان الناصر لأسباب، وقد غلب على هذا المنصب وأهم المناصب الحساسة في الدولة بعض العائلات منها: آل أبي عبده، وآل شُهيد، وآل فطيس. وقد تغلب الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر وابنيه على الخلافة كما سبق وأن وضحنا. وعن الحاجب وأهم الحجاب ومهامه أنظر. سالم بن عبد الله الخلف: **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، 1423هـ، 1 /411 وما بعدها.

[5] سالم بن عبد الله الخلف، المرجع السابق، 1 /457.

قبلهم ولا بعدهم"[1] ولم تكن للوزارة في عهد الفتنة وبداية الطوائف قيمة تذكر لاعتلاء الجهلة والعامة لها ورفض أهل المروءة لها، وباتت اسما براقا بلا فاعلية وقوة[2] فمثلا **من الظاهرية** نجد أبا محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم، إذ دخل ابن حزم غمار السياسة قبل أن يفرغ للعلم ويتبحر فيه كما سبق وأن ذكرنا، ولما شبّت الفتنة البربرية، أُخرج ابن حزم من قرطبة، لأنّه من البيت المناصر لبني أميّة ومتمسك بحقهم في العرش، ونهبت قصور ابن حزم الذي توجه للمريّة وأقام فيها داعيا لتأييد عبد الرحمن الرابع الملقب "بالمرتضى" بل وسار مع جيش المرتضى لحرب بني حمود المتغلبين على قرطبة، لكن الجيش انهزم في موقعة غرناطة 408هـ/1018م،[3] فقتل المرتضى وأسر ابن حزم ثم أخلي سبيله، فلجأ إلى شاطبة[4] التي فيها ألّف كتابه "طوق الحمامة" وظلّ يدعوا لعبد الرحمن الخامس الذي كان يطلب الخلافة لنفسه، ولما وفّق عبد الرحمن الخامس وارتقى عرش الخلافة وتلقب بالمستظهر 414هـ/1023م[5] استقدم ابن حزم، وأقامه وزيرا عنده، لكن هذه الخلافة لم تدم سوى شهرين، فنفي ابن حزم للمرّة الثانية، عندها آل على نفسه أن لا يضع يده في السياسة، وكرّس حياته لدراسة الدين والفقه[6]

[1] وقد ذكر ابن حيان أسماؤهم منهم: العباس بن عبد الله القرشي، الوليد بن عبد الله القرشي، عبيد الله بن يحي بن خالد، عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الحاجب القائد الكاتب، عبد الرؤوف بن عبد السلام، عيسى بن شهيد الحاجب. ابن حيان، المقتبس، تح مكي، ص168-169.

[2] عن هذه الحقبة وأهم من تولاها أنظر: سالم الخلف، المرجع السابق، 1 /478-481.

[3] **المرتضى هو**: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر. عنه أنظر: ابن الخطيب، تاريخ، ص 130 و131 . ابن عذارى، البيان، 125/3 وما بعدها. ابن بسام، الذخيرة، 283/1 وما بعدها.

[4] **شاطبة**: مدينة جليلة متقنة محصنة، وكثيرة الثمار طيبة الهواء، وهي قريبة من جزيرة شقر، تشتهر بعمل الكاغد الذي عمّ المعمورة شرقا وغربا. أنظر: الحميري، روض، ص 337.

[5] **المستظهر هو**: عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، كنيته "أبو المطرف"، بويع عند خروج القاسم والبربر من قرطبة يوم الثلاثاء 10رمضان 414هـ، لكنه قتل بعد حكم سبع وأربعون يوما فقط، وقد كان أديبا شاعرا. أنظر: ابن الخطيب، تاريخ، ص 134. ابن عذارى: البيان، 135/3-140. ابن بسام، الذخيرة، 28/1-34.

[6] الذهبي، السير، 92/11. بالنتيا، المرجع السابق، ص 214. سالم الخلف، المرجع السابق، 1 /454.

من **الإباضية** نجد "محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرّحمن بن رستم" الذي صرفه الأمير عبد الرحمن بن الحكم للحجابة والوزارة[1] و"عبد الرحمن بن رستم" الذي رجّح ليفي بروفنسال أن يكون ابنا أو أخا لمحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن سابق الذكر، تولى عبد الرحمن الوزارة والحجابة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحَكم، وقد كان يتداول منصب الحجابة مع عيسى بن شهيد[2].

ومن **المعتزلة** نجد **أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير** يكنى أبا عمر، وهو واحد من المعتزلة الذين نالوا حظا في السياسة، ولد أحمد سنة خمس وخمسين ومائتين، عاش في قرطبة التي هو واحد من أهلها، وكان قد سمع من ابن وضاح، وعبد الله بن مسرّة وغيرهما، ثم حجّ سنة خمس وسبعين ومائتين، ولما عاد إلى الأندلس تولى خطّة الوزارة ثم منصب أحكام المظالم، وقد كان صلبا في أحكامه لا يخشى إلاّ الحق.[3] وقد ذكره ابن حزم وقال إنّه تولى منصب صاحب السكة وأنّه كان يقول إنّ الله عاقل.[4] ومنهم أخوه الحاجب موسى بن حدير[5] حدّث عن أحمد بن محمد بعض الأندلسيين منهم خالد بن سعد، وقد توفي أحمد سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.[6]

كما نجد من أصحاب المذاهب من تولى **خطة البريد** فمثلا من **الشيعة** نجد "أبا جعفر بن أحمد بن هارون البغدادي" الذي كان داعية الدولة الفاطمية في الأندلس الأموية، نجح فيما

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، الحواشي ص 449. ماريا خيسوس فيغيرا، **محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة**، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورجلان: 17-26 صفر 1397هـ/6-15 فبراير 1977، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، مج277/1.

[2] ابن حيان، المقتبس، تح. مكي، ص 25-28. فيلالي، المرجع السابق، ص 100. ماريا خيسوس، المقال السابق، ص 281.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 41.

[4] ابن حزم: الفصل 202/4 و203. ابن حزم، الرسائل، 2 /186.

[5] ابن حزم، الرسائل، 2 /186.

[6] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 41.

كلّف به أفضل من أبي اليسر حسب رأي الدكتور فيلالي، وقد تولى منصب الكتابة مع خطة البريد، حتى توفي[1].

2) الوظائف العسكرية:

من المناصب الهامة في الجانب العسكري **قيادة الجيوش** إذ يعتبر محل اهتمام أي دولة من الدول التي تقوم في أرجاء المعمورة، وقد كان الأمراء والخلفاء في الأندلس عادة ما يقودون الجيوش بأنفسهم، وإن تعذر عليهم ذلك يخرج فيها أبناؤهم ومعهم خير القادة في الدولة، تبقى الإشارة إلا أنّ الخليفة عبد الرحمان الناصر كان يقود الجيوش بنفسه ولم يعلم أنّه منح القيادة لأبنائه[2] فمن القادة **الإباضية** نجد "محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرّحمن بن رستم" الذي أسهم في إخماد ثورة هاشم الضرّاب[3] هذا الذي خرج من قرطبة إلى طليطلة، وجمع حوله أهل الشرّ وبعض البربر سنة 214هـ/829م وأعلن الثورة على الأمير عبد الرحمن، عندها أرسل الأخير محمد بن سعيد وكان عاملا على الثغر لإخمادها، ونظرا لقوتها فإنها بقيت حتى سنة 216هـ/831م، وكان حينها الأمير عبد الرحمان قد أرسل للقائد محمد كتابا يعنفه فيه على تقصيره، ولكنه نجح في الأخير من إخمادها.[4]

ونظرا للخبرة العسكرية التي اكتسبها محمد بن سعيد، فإنّ دوره سيعود من جديد عند مهاجمة النورمان لأشبيلية عام 230هـ/844م، والتي بقوا فيها سبعة أيام، ودخلوا أيضا المناطق المجاورة لها، وعلى الرغم من القوة النورمانية التي انتصرت على الجيوش الأندلسية في المناطق التي دخلوها، وأغضبت الأمير عبد الرحمان الأوسط، فإنّ الأمير أرسل قوة ثانية بقيادة **محمد بن سعيد بن رستم** ومعه بعض الوزراء ومن توافد إلى قرطبة من رجال الكور، فنزل الجيش في قرمونة، وحضر معهم جيش الثغر الأعلى بقيادة موسى بن موسى القسوي، ووضعت خطة

---

[1] فيلالي، المرجع السابق، ص 129.

[2] عن قيادة الجيوش خاصة في العهد الأموي أنظر: سالم خلف، المرجع السابق، 2 /509-517.

[3] هاشم الضرّاب: سمي كذلك لأنّه لما دخل قرطبة كان يضرب بالمعول عند الحدادين كأجير. ابن عذارى، البيان، 2 /83.

[4] ابن عذارى، البيان، 83/2.

محكمة انتهت بهزيمة النورمان المجوس وأسقط منهم خمسمائة مقاتل، بما فيهم قائدهم، وغنم أربع مراكب بما فيها، ثم أمر بإحراق المراكب وبيع ما فيها. ويذكر أنّ المجوس فروا وبعضهم دخل أشبونة ثم فروا منها، وبعضهم تحصنوا في جزيرة قبطيل، ولما لحق بهم ابن رستم وحاصرهم استسلموا له، فعرض عليهم الإسلام فاستجابوا واستقروا في جنوب اشبيلية واشتغلوا كما يذكر بتربية المواشي وذاعت شهرتهم بصناعة اللبان ومشتقاتها خاصة الأجبان، توفي محمد بن سعيد في 17 صفر 235هـ/849م.[1] ومما ذكره ابن القوطية أنّ الأمير عبد الرحمان عمل على بناء سور لمدينة اشبيلية وبنى بها دارا للصناعة البحرية الحربية[2] هذه الانجازات تنم عن دور هذه الشخصية الرستمية في بلاد الأندلس عصر الأمويين.

ثالثا– الوظائف الدينية:

شهدت الأندلس كغيرها من حواضر العالم الإسلامي تبني عدّة وظائف دينية فرضتها الشريعة الإسلامية من جهة، ولتنظيم أحوال الناس وعدل الدولة من جهة أخرى، وقد كان لبعض هذه المناصب الدور الأهم في توحيد الرقعة السياسية للأندلس في العهد الأموي على الخصوص، ثم لبقاء عديد الإمارات والممالك في عصر الطوائف.

يقول ابن خلدون بشأن الخطط الدينية: "فاعلم أنّ الخِطط الدينية الشرعية من الصلاة والفُتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة، فكأنّها الإمام الكبير والأصل الجامع، وهذه كلها متفرعة عنها وداخلة فيها لعموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر أحوال الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ أحكام الشرع فيها على العموم"[3] من خلال هذا المعنى العام للخطط الدينية نجد **القضاء**[4] إذ يذكر ابن خلدون أنّ القضاء من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنّه

[1] ابن عذارى، البيان، 2/87-88. سالم خلف، المرجع السابق، 2 /563-565. معجم أعلام الإباضية، 4/791.

[2] ابن القوطية، المصدر السابق، ص81-83.

[3] ابن خلدون، التاريخ، 1 /272-273.

[4] **القضاء**: القضاء لغة انقطاع الشيء وتمامه، فيقال "قضى الحاكم" إذا فصل في الحكم، و"قضى دينه" أي قطع لغريمه قِبَله بالأداء، و"قضيتَ الشيء" أحكمت عمله ومنه قوله تعالى"إذا قضى أمرا" آل عمران: الآية 47 أي أحكمه وأنفذه. وذكر

منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع[1] وذكر النباهي مبرزا مكانة القضاء في الإسلام من أنّه ليس في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء[2] وكان القضاء في الأندلس قبل فترة الدراسة (عهد الولاة) موجودا ومعتمدا، وكان يطلق على المكلف به "قاضي الجند" غالبا، وبعد دخول عبد الرحمان الداخل إلى لأندلس وتجديده إحياء ملك أجداده أستحدث اسما جديدا عرف "بقاضي الجماعة"[3] وهو يعدل قاضي القضاة في المشرق ولم يكن هذا الاسم قبله حسب الخشني وغيره[4] وحسب سالم خَلف فإنّ الدولة الأموية قد ضمّت أربعة أصناف من مراتب القضاة، فنجد "المسدد" وهو قاضي القرى الصغيرة، و"القاضي" وهو الذي يتولى القضاء في الكور، و"قاضي القضاة"[5] وهو الذي يشرف على عمال الثغور وقضاته، و"قاضي الجماعة" وهو الذي يوجد في العاصمة قرطبة[1].

الخشني بأنّ القاضي أعظم الولاة خطرا بعد الإمام، الذي جعله الله زماما للدين، وقواما للدنيا، لما يتقلده القاضي من تنفيذ القضايا تنفيذ الأحكام في الدماء والفروج والأموال والأعراض وما يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضار. الخشني، قضاة قرطبة، ص25. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص15.

[1] ابن خلدون، التاريخ، 258/1.

[2] النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص15.

[3] هناك جرد إحصائي لقضاة الجماعة في الأندلس عهد الإمارة الأموية (41 قاضيا، منهم 11قاضيا تربطهم صلات عائلية مما يرجح بأنّ بعض العائلات احتكرت المنصب، أو لمكانتهم العلمية التي جعلتهم أهلا لها) قام بها الدكتور محمد أحمد أبو الفضل وقد رتب القضاة كرونولوجيا ومعتمدا على أهم المصادر الأندلسية التي تناولت الفترة خاصة كتب التراجم يمكن الاستفادة منها. محمد أحمد أبو الفضل، **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1996، ص290 وما بعدها.

[4] ذكر الخشني أنّ عبد الرحمن بن معاوية لما دخل قرطبة وجد فيها يحي بن يزيد قاضيا فأثبته ولم يعزله، وقال: رأيت سجلا عقده سعيد بن محمد بن بشير بقرطبة يقول فيه : حكم محمد بن بشير قاضي الجند بقرطبة، وأنّ تسمية قاضي الجماعة مستحدث ولم يكن في القديم. لمعرفة قضاة الأندلس عهد الولاة ومن بعدهم أنظر: محمد بن الحارث الخشني، **قضاة قرطبة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1410هـ/1989م، ص47. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص37. .Lèvi-Provençal, Histoire, tom III, p118-121

[5] **قاضي القضاة**: ذكر شبارو أنّه في الأندلس كان قاضي القضاة يعرف بقاضي الجماعة، وذلك طيلة حكم بني أمية، المعاصرين للخلافة العباسية، وكان قاضي الجماعة يقضي في قرطبة حاضرة الخلافة، وقد ظل هذا المنصب أرفع المناصب حتى عصر بني أموية، بما فيهم عصر الطوائف الذي تلا سقوط الخلافة، وأنّ عصر الطوائف بدويلاته الصغيرة كان في كل امارة

ونظرا لعظم الأمانة في منصب القضاء، نجد أنّ عديد الفقهاء والعلماء كانوا رافضين لتوليه، وهناك أسباب سياسية ومذهبية، أو لكبر سن العلَم وغيرها من الأسباب، ولا بأس أن آتي هنا على ذكر بعض من عُرض عليهم القضاء ولكنهم رفضوه، ثم أذكر عددا من القضاة حسب انتمائهم المذهبي.

عُرض منصب القضاء على "مصعب بن عمران" الذي كان **أوزاعيا**، إذ أشار الأمير عبد الرحمان بن معاوية لحاشيته على من يوليه القضاء، فاقترح ابن الأمير هشام وابن مغيث الحاجب عليه الفقيه مصعب بن عمران، ولما جيء به وعرض عليه منصب القضاء رفضه، فكان رد فعل الأمير عبد الرحمان قاس عليه وعلى من اقترحه[2].

ومن الفقهاء أيضا "زياد بن عبد الرحمان" الذي كان **مالكيا** وقد عَرض عليه الأمير هشام بن عبد الرحمان القضاء فخرج هاربا بنفسه، وقال الأمير قولته: "ليت الناس كزياد حتى أكفي حب أهل الرغبة في الدنيا" حسب الخشني، أو "ليت الناس كلهم كزياد حتى ألغي أهل الرغبة في الدنيا" حسب النباهي المالقي، ولما تكرر الطلب من وزراء الأمير هشام قال: "أمّا إذا أكرهتموني القضاء فزوجتي طالق ثلاثا"[3] ومنهم الفقيه **المالكي** "إبراهيم بن محمد بن باز" الذي رفض تولي القضاء للأمير "محمد بن عبد الرحمان بن الحكم"، ولما كرر له ذلك قال: "إن ألح علينا الأمير في هذا ومثله، هربت بنفسي من بلده ! فما لي وله؟" هذا ما جعل الأمير يُعرض عنه[4]

هكذا كان الورع والخوف عند كبار الفقهاء وتخوفهم من منصب القضاء، وهناك العديد من هذه النماذج كأبان بن عيسى بن دينار"(ت262هـ/874م) **المالكي** الذي ولاه الأمير محمد بن عبد الرحمان بن الحكم قضاء جيان بالقوة، بل وأمر حرسه بحمله لجيان ووضعه في منصب

قاضي الجماعة. عصام محمد شبارو: **قاضي القضاة في الإسلام**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1992م، ص11.

[1] سالم خلف، المرجع السابق، 2 /624.

[2] الخشني، قضاة قرطبة، ص27-28. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص26.

[3] الخشني، أخبار الفقهاء، ص97. الخشني، قضاة قرطبة، ص28. النباهي، تاريخ قضاة، ص26.

[4] الخشني، قضاة قرطبة، ص32-33. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، 26-27.

القضاء، فيُذكر أنّه حكم بين الناس ذلك اليوم وفي الليل هرب، فأصبح الناس يقولون "هرب القاضي" ولما وصل خبره للأمير قال:" هذا رجل صالح فرّ بدينه! فيسأل عن مكانه ويؤَمَّن مما أكره"[1] وهناك نماذج في العهد العامري، فمثلا عرض القضاء على الفقيه المالكي "أبو عيسى أحمد بن عبد الملك الأشبيلي(ت401هـ/1011م) عُرض عليه القضاء مرتين من قبل الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، ولكنه رفض، فمن قوله: "أعوذ بالله من ذلك، لست والله الذي لا إله إلاّ هو أتهم إلى هذا ولا أقبله البتة، فإنّي لا استطيع ولا أصلح وما أفتي الناس في ذلك إلاّ وأنا مضطجع أكثر أوقاتي لكبري وضعفي، ووالله لقد صدقتك، فانظر للمسلمين وانصح لإمامك (يقصد الخليفة هشام المؤيد) وفقه الله[2] وهناك نماذج أخرى يمكن الرجوع إليها في مصادر القضاء الثلاثة المذكور في الهامش.

ولا بأس أن نأتي هنا على العلماء والفقهاء الذين تولوا منصب القضاء حسب مذهبيتهم، إذ نجد:

تولى **المالكية** منصب القضاء أكثر من غيرهم باعتبار مذهبهم هو المذهب الرسمي للجزيرة طيلة فترة الدراسة باستثناء بعض الدويلات عهد ملوك الطوائف، فمثلا تولى للأمير عبد الرحمان الثاني أحد عشر قاضيا[3] وممن اشتهروا بهذا المنصب نجد أبو بكر بن السليم، محمد بن إسحاق بن منذر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن السليم بن أبي عكرمة (302-367هـ) قاضي الجماعة بقرطبة، رغم أنّه كان يتهرب من السلطان وحاشيته فإنّ الحَكَم أعجب به حتى قبل توليه الخلافة، فقام باستدراجه من مدخل العلم ودواوين بيت حكمته لكثرة الكتب التي فيها، ثم قدمه للشورى، ولما تولى الحَكم الخلافة قدمه للمظالم والشروط، ثم ولاه قضاء الجماعة بعد وفاة الظاهري منذر بن سعيد البلوطي سنة 356هـ، وجمع له معها الجمعة والصلاة، كان أبو بكر حافظا للفقه بصيرا بالاختلاف، وعالما بالحديث وضابطا لما رواه، قال في حقه الخليفة الحكم

[1] الخشني، قضاة قرطبة، ص34-35. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، 27.

[2] النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص28.

[3] ابن حيان، المقتبس، تح مكي، ص177.

المستنصر "لم يلِ القضاء بقرطبة أفقه منه، ولا أعلمه إلاّ منذر بن سعيد، لكنه أرسخ في علم أهل المدينة من منذر"[1] والشاهد هنا أنّ القاضي أبو بكر لما توفي الخليفة الحَكم تولى إبنه هشام الخلافة من بعده وكان سنه إحدى عشرة سنة كما سبق وأن ذكرنا، ولما اجتمع الناس للصلاة على الخليفة الحَكم فقيل لجعفر بن عثمان، من يصلي على أمير المؤمنين؟ فقال: ولي عهده، فتقدم هشام للصلاة، فسمع أكابر الخدم القاضي يهمس ويقول: وما تغني صلاة أمير المؤمنين عنه أو نحو هذا، فبرز من الصف حتى وصل خلف ولي العهد هشام، مؤذناً لهم بتكبيره، فيقال بأنّه نوى التقديم للصلاة عليه، "وروي عنه أنّه قال: لولا أنّي نويت عقد الصلاة بمقامي هذا لدفن بغير صلاة، وليست بأشد عقوباته لتقديمه على الأمة صبيا لم يدرك الحلم"[2] ولما وصل هذا الكلام للحاجب محمد بن أبي عامر تحامل عليه إلاّ أنّ القاضي كان صادعا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم، ولما علم القاضي بأنّ أبا عامر يقلل من مكانته قلل من شدة وطأته عليه، ولما توفي قال فيه ابن أبي عامر: "هل سمعتم بالذي عاش ما شاء، ومات حين شاء؟ فقد رأيناه وهو هذا"[3] ومعناه كما ذكر صاحب تاريخ القضاء في الأندلس بأنّ أبا عامر قصد بكلامه أنّه رجل ثبت في وجهه ولم يخف سطوته وجبروته[4]

ومنهم أيضا أبو موسى، عبد الرحمان بن موسى الهواري، الأستجي: قد سبقت ترجمته، وقد استقضي على استجة أيام الأمير عبد الرحمان بن الحكم[5]

---

[1] أبو بكر محمد بن إسحاق بن السليم (ت: تنسب مدينة بني السليم إليهم في كورة شذونة، وهو قاضي الجماعة بقرطبة، سمع من محمد بن قاسم وغيره ثم رحل سنة إثنين وثلاثين وثلاثمائة لمكة والمدينة ومصر، ولما رجع للاندلس أقبل على العبادة والزهد ودراسة العلم حتى وصل به الأمر أن كان يصطاد السمك في نهر قرطبة ويبيعه ليسترزق به. للتوسع أكثر أنظر: عياض، ترتيب المدارك، 2/174-179. الحميدي، جذوة المقتبس، ص39-40. الضبي، بغية الملتمس، 50-51. النباهي، تاريخ قضاة، 90-91.

[2] عياض، ترتيب المدارك، 2/178.

[3] عياض، ترتيب المدارك، 2/179.

[4] محمد عبد الوهاب خلاف، **تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي**، المؤسسة العربية الحديثة، ط1، مصر الجديدة، 1413هـ/1992م، ص90.

[5] ابن الفرضي، تاريخ، ص212.

ومن **القضاة الأوزاعية** نجد مصعب بن عمران: حيث ذكر النُباهي[1] أنّ الأمير عبد الرحمن بن معاوية استشار في قاضٍ يوليه على قرطبة، فأشار عليه ولده هشام وحاجبه ابن مغيث بالفقيه مصعب بن عمران، فأرسل الأمير في إحضاره إليه، ثم أدخله في مجلسه الخاص، ولما عرض عليه القضاء، أبى وقدّم اعتذاره، فأصرّ الأمير عليه، لكنه أبى، فغضب عليه الأمير، ثم أعفاه. ولما ولي هشام الإمارة بعد وفاة أبيه، اختار مصعبا للقضاء، وعزم عليه عزما شديدا، وذكر بعضهم أنّه قال له: "لئن لم تعمل على القضاء، لأسطونّ بك سطوة تزيل اسم الحلم عني". فخاف عمران على نفسه وتولاها بشروط.[2] وكان عمران يقضي بما يراه صوابا، وعُرف عنه أنّه كان خيّرا فاضلا[3].

ومن **القضاة الشافعية** نجد **بقي بن مخلد بن يزيد (276هـ/889م)**: رغم أنّ بقي بن مخلد لم يتول المنصب ورفض توليه في عهد المنذر بن محمد، ولما استكرهه عليه، قال له بقي: "ما هذا جزاء محبتي وانقطاعي وصياغتي". فقال له المنذر: "أمّا إذا أبيته فأشر عليّ بقاضٍ ترضاه للمسلمين" ولما أبى، قال له الأمير: "لابدّ أن تلي أو تشير" فقال: أشير عليك برجل من آل زياد يسكن بريّة، يعرف بعامر بن معاوية(ت237هـ/851م). فقبل منه وأرسل الأمير في عامر، فولاه.[4] ومنهم **عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأموي الأصيلي (392هـ/1001م)** دخل الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، كان مشاورا في عهد

[1] النبّاهي، والأصل ربما "البنّاهي" أي نسبّق الباء على النون، أنظر مقال: محمد بن شريفة، **البنّاهي لا النبّاهي**، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، تصدر عن مطبوعاتها، العدد13، ص 71-85.

[2] أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي، **تاريخ قضاة الأندلس (كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان 1400هـ/1980م، ص12 و45.

[3] أنظر ترجمته في المذهب الأوزاعي، وللتوسع أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 397. النباهي، المصدر السابق، ص 47.

[4] النباهي، المصدر السابق، ص 18 و19.



الحَكم، ولما تغلب ابن أبي عامر في عهد الخليفة القاصر هشام المؤيد قدّم عبد الله إلى الشورى ثم ولاّه قضاء سرقسطة[1]، ورغم حكمه بالمذهب المالكي فإنّه كان يميل إلى آراء الشافعي[2].

ومنهم **أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو (ت319هـ/931م)** الذي تولى قضاء الجماعة بقرطبة مرتين في عهد عبد الرحمن الناصر، وقد عرف عنه بأنّه كان جليلا في القضاء، ثقة في الرواية، يميل إلى مذهب الشافعي[3].

ومن **القضاة الظاهرية** نجد **فضل الله بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله بن نجيح النفزي الكزني** هو أخ قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي، ولما عاد فضل الله إلى الأندلس انخرط في السياسة، إذ تولي قضاء فحص البلوط، سنة 330هـ/941م.[4]

ومنهم أيضا قاضي الجماعة **منذر بن سعيد بن عبد الله[5]بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله البلوطي** الذي انخرط في السياسة، والتي بدأها بتوليه قضاء مدينة ماردة[6] وما والاها من مدن الجوف، ثم ولي قضاء الثغور الشرقية، ثم تولي قضاء الجماعة بقرطبة بعد محمد بن أبي عيسى، وذلك يوم الخميس5 ربيع الثاني سنة 339هـ/950م، في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، ولم تُحفظ له قضية جور، ولا جربت عليه في أحكامه زلّة، كما تولي الصلاة بمدينة الزهراء، أين يصلي الخليفة والوزراء وأهل الخدمة في الدولة، وبقي في هذا المنصب إلى أن لقي ربه سنة

[1] **سرقسطة:** تقع في شرق الأندلس، وهي المدينة البيضاء لأن أسوارها القديمة بنيت من حجر الرخام الأبيض، وهي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر، آهلة وتقع على ضفة نهر كبير يأتي بعضه من جبال قلعة أيوب، ومن خواصها أنّها لا تدخلها حيّة البتة وإن جلبت إليها ماتت، وقد بنى مسجد المدينة، التابعي حنش الصنعاني السابق الذكر. أنظر: الحميري، روض، ص 317.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 205 و206. الحميدي، المصدر السابق، ص 225 و226. الضبي، المصدر السابق، ص 294 و295.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 81. الحميدي، المصدر السابق، ص 152 و153. الضبي، المصدر السابق، ص 204 و205. السامرائي، المرجع السابق، ص 64. بالنتيا، المرجع السابق، ص 433.

[4] ذكر ابن الفرضي أنّه رآه بخط الخليفة المستنصر، في جمادى الأولى 330هـ/941م.

[5] ذكر ابن الفرضي بأنّه ابن عبد الملك، لكنه في الأصل ابن عبد الله حسب جل المصادر التي ستسرد في ترجمته.

[6] **ماردة:** مدينة بجوفي قرطبة منحرفة إلى المغرب قليلا، وقد كانت مدينة ينزلها الملوك.الحميري، المصدر السابق، ص 518 و519.

355هـ/966م، في عهد الخليفة الحَكم المستنصر، وهو ابن اثنين وثمانين سنة وتسعة أشهر، وقد صلى عليه ابنه عبد الملك، ودفن بمقبرة قريش بقرطبة[1]

كان منذر بن سعيد جريء النصح ولا يداهن أو يخف من المنصوح ولو كان خليفة المسلمين، حيث يُذكر أنّ الخليفة الناصر لما بنى قصره في مدينته الزهراء، جعل لسطح القبيبة الصغرى قراميد ذهب وفضة، كما جعل لون سقفها أصفرَ فاقعا إلى بياض ناصع يسلب الأبصار، وأنفق على ذلك أموالا طائلة، وقال للحاضرين من الوزراء وأهل الخدمة، هل رأيتم أو سمعتم قبلي من فعل هذا ؟ فقالوا: لا والله يا أمير المؤمنين، وإنّك لأوحد في شأنك كله، وبالغوا في مدحه وإطرائه، ثم دخل عليه القاضي منذر بن سعيد ناكصا رأسه وقد أخد مكانه، ولما سأله الخليفة كما سأل البقية، أقبلت دموعه تنحدر على لحيته وقال له: والله يا أمير المؤمنين، ما ظننت أنّ الشيطان أخزاه الله يبلغ منك هذا المبلغ حتى ينزلك منازل الكافرين. فاقشعرّ الخليفة عبد الرحمن من قوله وقال: انظر ما تقول؟ وكيف أنزلتني منازل الكافرين؟. قال: نعم، أليس **الله تبارك وتعالى يقول** ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَّكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلنَا لِمَنْ يَّكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ومَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ولِبُيُوتِهِمُ أَبْوَابًا وسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾[2] فبُهت الخليفة! ونكّس رأسه ودموعه تجري على لحيته ندما، وخشوعا لله تبارك وتعالى، ثم أقبل على منذر وقال له: "جزاك الله تعالى يا قاضي خيرا عنّا، وعن المسلمين والدين، وكثّر في الناس أمثالك، فالذي قلت والله الحق"، وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى، وأمر بنقض سقف القبّة وأعادها ترابا[3] هكذا كان منذر الظاهري على عكس فقهاء الحقبة الذين كانوا يداهنون الحاكم كثيرا خاصة إذا كان الأخير هو عبد الرحمن الناصر.

---

[1] الخشني، قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 237. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 404. النباهي، المصدر السابق، ص 75.

[2] سورة الزخرف، الآيتان: 33 و34.

[3] ابن خاقان، مطمح، ص 257-259. الحميري، روض، ص 95. المقري، النفح، 2/109-111.

ومن **الحنابلة** الذين استعفوا رغم قلة وجودهم في الأندلس كما عرفنا فكيف بتوليهم القضاء، وجدت **عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري** (383هـ/993م) الذي كان مجاهدا في الثغور الشمالية لإسبانيا، وكان صلبا في الحق ولا يخاف في الله لومة لائم، ونظرا لسعة علمه فقد حاول الخليفة الحَكم أن يوليه القضاء، ولما طلب منه أن يعفيه منه، وافق الخليفة على ذلك[1].

من المناصب الدينية أيضا نجد **صاحب الصلاة والإفتاء** إذ نال مركزا الإفتاء والصلاة والخطبة المكانة في الأندلس كما في باقي دول العالم الإسلامي، وقد ذكر ابن خلدون عن الصلاة ما يلي: "فأمّا إمامة الصلاة فهي أرفع هذه الخطط كلها، وأرفع من الملك بخصوص المندَرج معها تحت الخلافة، ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه للصلاة على استخلافه في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا؟"[2] وبشأن الفتيا قال: "وأمّا الفتيا فللخليفة تصفّح أهل العلم والتدريس وردّ الفتيا إلى من هو أهل لها وإعانته على ذلك، ومنع من ليس أهلا لها وزجرهُ لأنّها من مصالح المسلمين في أديانهم، فتجب عليه مراعاتها لئلا يتعرض من ليس له بأهل فيضِل الناسَ"[3] وقد باشر الأمير عبد الرحمان الداخل صلاة الجمعة بنفسه ووعدهم في خطبته بالخير[4] وقد وُجد من **الأوزاعية** الفقيه **صعصعة بن سلاّم الشامي** (ت192هـ/807م) الذي كانت الفتيا دائرة عليه بالأندلس أيّام عبد الرحمن بن معاوية، وصدرا من أيّام ابنه هشام، وولي الصلاة بقرطبة[1]. ومنهم **عبد الملك بن الحسن بن محمد بن رزيق بن عبيد الله بن رافع**

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 202 و203.

[2] ابن خلدون، التاريخ، 1/ ص273.

[3] ابن خلدون، التاريخ، 1 /274.

[4] ابن القوطية، المصدر السابق، ص51.

[1] اختلف في تاريخ وفاته، فقيل سنة 180هـ، وقيل 201هـ. أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص 208. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 168 و169. الحميدي، المصدر السابق، ص214. الضبي، المصدر السابق، ص 281. ليفي بروفنسال، الحضارة، ص 153. حجي، التاريخ، ص 281.

بن أبي رافع (ت232هـ/846م) الذي تولى منصب الفتيا في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن، وصدرا من عهد ابنه الحَكَم، وقد كان على مذهب الأوزاعي، ثم رجع إلى مذهب المدينيين (المالكي)[1].

وكان **للشافعية** الفقيه **خلف بن عبد الله بن مخارق الخولاني** الذي دخل السياسة من خلال توليه الفتيا في بلده ليصبح فقيها مشاورا، كما كان صاحب صلاة الجزيرة، ويذكر بأنّه سكن قرطبة، وكان فيها حوالي299هـ/912م[2]. وكذلك الفقيه **أحمد بن بشر بن محمد بن إسماعيل بن البشر بن محمد التجيبي** (ت327هـ/938م) الذي كان يذهب في فتياه إلى مذهب الشافعي[3].

ومن **الظاهرية** نجد العالم الفقيه **منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله البلوطي** إذ تولى منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة في قرطبة والصلاة بمدينة الزهراء، حيث يصلي الخليفة والوزراء وأهل الخدمة في الدولة، وبقي في هذا المنصب إلى أن لقي ربه سنة 355هـ/966م، في عهد الخليفة الحَكم المستنصر، وهو ابن اثنين وثمانين سنة وتسعة أشهر[4]

كان **للفقهاء المشاورين** مهمة هامة في السلطة فمن فقهاء **المالكية** نجد **عبد الملك بن حبيب السلمي** الذي كان مشاورا مع يحي بن يحي، وسعيد بن حسان[1] ومن **الشافعية** نجد

---

[1] أنظر ترجمته في المذهب الأوزاعي، وللتوسع أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 220. الحميدي، المصدر السابق، ص 250. الضبي، المصدر السابق، ص 328.

[2] أنظر ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 116. بالنتيا، المرجع السابق، ص 434.

[3] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 19 و20. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 37. الحميدي، المصدر السابق، ص 106. الضبي، المصدر السابق، ص 148.

[4] الخشني، قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 237. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 404. النباهي، المصدر السابق، ص 75.

[1] ابن الفرضي، تاريخ، 221.



يحي بن عبد العزيز الذي اختاره الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ)، مشاورا له.[1]
ومنهم **خلف بن عبد الله بن مخارق الخولاني** (كان في قرطبة 299هـ/912م) الذي كان فقيها مشاورا[2] و**أحمد بن بشر بن محمد بن إسماعيل بن البشر بن محمد التجيبي** (ت327هـ/938م) الذي كان مشاورا في الأحكام، ويذهب في فتياه إلى مذهب الشافعي[3].
و**محمد بن قاسم بن محمد** (ت329هـ/941م) إذ كان مشاورا في أيام أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر[4]. و**حسن بن سعد بن إدريس بن رزين بن كسيلة الكتامي** (**ت**332هـ/944م) إذ كان مشاورا في الأحكام أيام الأمير عبد الله وصدرا من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، كما تولى قسم الصدقات مدّة، كان الحسن يميل إلى قول الشافعي، ومما ذكره ابن الفرضي عنه أنه كان يحضر الشورى، ولما رأى الفتيا دائرة على مذهب المالكيين، ترك شهودها ولزم بيته[5].

ومن الشافعية الذين دخلوا الأندلس ونالوا الحظوة السياسية والدينية **عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأموي الأصيلي** الذي دخل الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، كان مشاورا في عهد الحكم، ولما تغلب ابن أبي عامر في عهد الخليفة القاصر هشام المؤيد قدّم عبد الله إلى الشورى ثم ولاّه قضاء سرقسطة[1]، ورغم حكمه بالمذهب المالكي فإنّه كان يميل إلى آراء الشافعي، توفي سنة 392هـ/1001م[1]

[1] أنظر ترجمته في المذهب الشافعي، وللتوسع أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص 374. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 436.

[2] أنظر ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 116. بالنتيا، المرجع السابق، ص 434.

[3] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 19 و20. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 37. الحميدي، المصدر السابق، ص 106. الضبي، المصدر السابق، ص 148.

[4] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 171-175. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 329 و330. الحميدي، المصدر السابق، ص 77 و78. الضبي، المصدر السابق، ص 106 و107.

[5] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 71 و72. ابن الفرض، المصدر السابق، ص 96 و97.

[1] **سرقسطة**: تقع في شرق الأندلس، وهي المدينة البيضاء لأن أسوارها القديمة بنيت من حجر الرخام الأبيض، وهي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر، آهلة وتقع على ضفة نهر كبير يأتي بعضه من جبال قلعة أيوب، ومن خواصها أنّها لا تدخلها

ومن **المعتزلة** نجد **عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى** إذ ذكر الخشني بأنه ناظر في الفقه المالكي كبار المالكية في الأندلس وغيرها كعبد الله المدني في المدينة، وسحنون بن سعيد في القيروان[2] ونظرا لسعة علمه وحفظه للرأي وتمكنه من علم النحو فإنّه اختير لأن يكون مشاورا في الأحكام، بل وقرّبه الأمير عبد الرحمن بن الحكم (ت238هـ/852م)، ومن بعده ابنه محمد (ت273هـ/886م) وجعلاه من المقربين المشاورين[3] خاصة إذا علمنا أنّ عهد الأمير محمد قد عرف الانفتاح على العلوم والمذاهب (خاصة المذهب الشافعي) التي لم تعرفها الأندلس من قبل. توفي عبد الأعلى سنة اثنين وستين ومائتين (262هـ/777م)[4]

كان **لصاحب الوثائق والشروط**[5] دور ضمن الوظائف الدينية، ويعتبر كتاب **أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمداني** المعروف بابن الهندي المولود 320هـ أقدم كتاب وصلنا في الوثائق والشروط كما يذكر بالنثيا، وقد ترجم له صاحب الصلة وقال أنّه من قرطبة ويكنى أبا عمر، روى عن قاسم بن أصبغ، ووهب بن مسرة وغيرهم، وقد كان بصيرا بعقد الوثائق وله فيها ديوان كبير نفع الله المسلمين به، وقد مر ديوانه هذا بثلاث مراحل في التدوين إذ جعله مختصرا

حيّة البتة وإن جلبت إليها ماتت، وقد بنى مسجد المدينة، التابعي حنش الصنعاني السابق الذكر. أنظر: الحميري، روض، ص 317.

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 205 و206. الحميدي، المصدر السابق، ص 225 و226. الضبي، المصدر السابق، ص 294 و295.

[2] عن هذه المناظرة وغيرها أنظر: الخشني، أخبار، ص261 وما بعدها.

[3] نفسه ص 259 و260. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 229. بالنتيا، المرجع السابق، ص 324.

[4] ذكر الخشني أنّه توفي سنة 261هـ، وللمزيد من سيرة الرجل أنظر: الخشني، أخبار، ص 258-264. الحميدي، المصدر السابق، ص 257. الضبي، المصدر السابق، ص 342.

[5] **علم الوثائق (علم الشروط)**: علم الوثائق في عرف الفقهاء، وعلم الشروط في عرف القضاة، وقد عرفه صاحب كشف الظنون بقوله: "هو علم باحث عن كيفية تثبت الأحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال". للتوسع في ذلك أنظر: حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.س.ط، مج2/1045-1047. وللاستفادة أكثر خاصة في أنواع الوثائق التي وقعت في الأندلس وقد نقلها من مصادر كبار المالكية كابن حبيب ويحي بن يحي وغيرهما يمكن الرجوع للمصدر الأندلسي أحمد بن مغيث الطليطلي (ت459هـ): **المُقنِع في علم الشروط**، وضع حواشيه ضحى الخطيب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1420هـ/2000م، ص9 وما بعدها.

في ستة أجزاء، ثم ضاعفه وزاد فيه شروطا وفصولا، ثم أضاف له الحكم والأمثال والنوادر والشعر والفوائد فأصبح ديوانا ضخما، كما اخترع في علم الوثائق فنونا وألفاظا وفصولا وأصولا، وعقدا عجيبة، كما كان وسيما حسن الخَلق والخُلق، توفي سنة 399هـ[1] وهناك أحمد بن مغيث الطليطلي (ت459هـ)[2]، وهو مصدر بديع في علم الوثائق وهو من **المالكية** وقد حافظ لنا على العديد مما وجده في مصادر المالكية قبله.

فمن **الشافعية** نجد قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار (ت278هـ/890م) إذ ولاّه الأمير محمد منصب صاحب الوثائق والشروط، وجعله شاهدا عدلا خاصا به، واستمر في هذا المنصب حتى وفاته في عهد الأمير عبد الله بن محمد[3].ومنهم عمر بن حفص بن غالب (ت317هـ/929م) الشيخ الفقيه، الذي كان عالما بالمسائل، عاقدا للشروط[4]. ومحمد بن قاسم بن محمد (ت329هـ/941م) الذي غلب عليه علم الحديث وكتابة الوثائق والشروط[5].

ومن **الظاهرية** نجد هشام بن غالب بن هشام الغافقي الوثائقي (ت430-1039م) الذي برز دوره السياسي عند تولى منصب عقد الوثائق، فقد كان بصيرا بعللها حتى لقب بالوثائقي، ورغم أنّه يعمل بالمذهب المالكي في عمله، لكنه في باطن أمره على مذهب داود بن علي. خرج هشام من قرطبة أثناء الفتنة، وسكن غرناطة، ثم استقر باشبيلية[1].

---

[1] ابن بشكوال، الصلة، 1 /42-43. بالنثيا، المرجع السابق، ص 441 وما بعدها.

[2] ابن مغيث الطليطلي، المصدر السابق، ص9 وما بعدها.

[3] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 305. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 288. الحميدي، المصدر السابق، ص296. الضبي، المصدر السابق، ص 390. المقري، النفح، 268/2.

[4] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 275-277. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 256 و257. الحميدي، المصدر السابق، ص 267. الضبي، المصدر السابق، ص 355.

[5] الخشني، أخبار الفقهاء، ص 171-175. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 329 و330. الحميدي، المصدر السابق، ص 77 و78. الضبي، المصدر السابق، ص 106 و107.

[1] نفسه، 937/3.

ومن الأحناف نجد محمد بن عبد الله بن محمد الخولاني (ت308هـ/920م) كان فقيها في الرأي حافظا له، وعاقدا للشروط[1].

وهناك مناصب أخرى مثل **أحكام المظالم** وممن تولاها المعتزلي أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير، يكنى أبا عمر، تولى منصب أحكام المظالم، وقد كان صلبا في أحكامه لا يخشى إلاّ الحق[2] كما تولى منصب **صاحب السكة** حسب ما ذكر ابن حزم[3]

وإن كنت قد اختصرت هذه المناصب فإنّ أصحابها كانوا متواجدين خاصة من فقهاء المالكية، ورغم ذاك وجد للمذاهب الأخرى نصيب، ويبقى مجال البحث فيه متواصل.

المبحث الثاني: المعارضة والتمرد والحروب

شهدت الأندلس بعض الاضطرابات التي كانت تُحدث هزة في نظام الحكم القائم، سواء في عهد الدولة الأموية أو عهد ممالك الطوائف التي كانت متناحرة فيما بينها، ولا بأس أن آتي على بعض التمردات والحروب فيما يلي:

أولا–عهد الإمارة الأموية:

منذ تأسيس عبد الرحمان الداخل للإمارة الأموية، واستقلاله بالأندلس، والمعارضة والحروب والدسائس لم تتوقف اتجاه الدولة، وسواء كان ذلك بسبب الرافضين للدولة أو لحكمه وسياسة حكم بعض من خَلفه، أو للاختلاف المذهبي والديني، وقد أشار المقّري إلى ذلك[1] وسآتي هنا على الثورات والمعارضة التي كان منطلقها مذهبيا.

[1] ابن الفرصي، المصدر السابق، ص 317.
[2] ابن الفرضي، المصدر السابق ، ص 41.
[3] ابن حزم: الفصل 202/4 و203.
[1] المقّري، النفح، 271/1.

برز الأثر السياسي **للشيعة** في عدّة مجالات كالثورة والتمرد وقيام الدويلات المذهبية، كما كانت في أماكن وعرقيات مختلفة، وإن كان أثرهم بين البربر وفي المناطق والمسالك الوعرة أكبر كما كان الأمر مع الموالي الفرس في المشرق، ومن بين هذه الثورات أجد:

4) **ثورة عبد الله بن سعيد ابن عمار بن ياسر**: وهو الذي قُتل جده عمار في معركة صفين، ولم يكتب لهذه الثورة النجاح.[1] وقد صنف مكي ثورته ضمن الشيعة.

5) **ثورة الحسين بن يحي بن سعد بن عبادة الحزرجي**: ثار سنة 165هـ/782م بسرقسطة في عهد عبد الرحمان الداخل[2]، وقد كان جده سعد من شيعة علي بن أبي طالب، ومن سلالته حسب ابن بسام ينتسب شاعر الحموديين أبو بكر عبادة بن ماء السماء الذي أظهر تشيعه في شعره[3]

6) **ثورة شقيا (شقنا) بن عبد الواحد المكناسي**: وسماه صاحب أخبار مجموعة "سفيان بن عبد الواحد"، قامت ثورته في عهد الأمير الأموي الأول عبد الرحمن بن معاوية، وقد كان "شقيا" بربري الأصل أصله من لبدانية (لجدانية) وعمل مدرسا للصبيان، ثم زعم أنّه ينتسب إلى ولد الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء، خاصة إذا علمنا أنّ أمه تسمى فاطمة، وتسمَّى هو بعبد الله بن محمد، وقد انتحى شقيا إلى شرق الأندلس، في جهة شنتبرية[4] وقد امتدت ثورته ما بين ماردة وقورية غربا، إلى ثغور وادي الحجارة وكونكة شرقا أي جميع الهضبة التي تتوسط الجزيرة، إذ كانت ثورته مبكرة زمنيا، إذ قامت سنة 152هـ/769م، وانضمّت إليه الغوغاء من البربر، وقد حاول الأمير عبد الرحمن القضاء عليه عدّة مرّات، إلاّ أنّه فشل بسبب اختيار شقيا للجبال الوعرة عندما تصله فيالق الأمويين، وبعث الأمير عبد الرحمن مولاه بدرا للقضاء عليه، لكنه هو الآخر فشل، ومن أهم مظاهر قوة ثورته، هو قتله سالم أبي زعبل عامل

---

[1] المقّري، النفح، 92/3. 52/4. مكي، التشيع، 8.

[2] ابن عذارى، البيان، 56/2. مكي، التشيع، ص8.

[3] سأتي ببعض أشعاره في الأثر الأدبي للشيعة في الأندلس. ابن بسام، الذخيرة، 292/1، 297.

[4] **شنتبرية(Santaver)**: أنظر كورة شنتبرية في الخريطة، وهي متصلة بحوز مدينة سالم.

ماردة، ولسليمان بن عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان، وكذا قيامه بغزو الحصون القريبة منه، كحصن الهواريين المعروف بحصن المدائن والذي قَتل فيه عامل الأمير عبد الرحمن، مع العلم أنّه غنم السّلاح والخيول في مواجهته مع أبي عثمان عبيد الله بن عثمان، المرسل من قبل الأمير عبد الرحمن[1]

لم يحسم أمر شقيا إلاّ سنة 160هـ/777م بعدما قتله أتباعه في قرية العيون وهما "أبو معن داوود بن هلال" و"كنانة بن سعيد الأبيض"، عندما كان راكبا على بغلته المسماة "الخلاصة"، وأخذا رأسه للأمير عبد الرحمن بن معاوية.[2]

سمى ابن عذارى شقنا بن عبد الواحد بالفاطمي[3] ونفس الشيء وجد عند صاحب أخبار مجموعة عندما كتب بأنّه ادعى أنّه فاطمي[4] ولا ندري لماذا لقبه بهذا اللقب هل لأنّه ابن فاطمة وهو كما ذكر من سلالة الحسن بن علي رضي الله عنه، أو لأنّ دعاة الإسماعيلية كانوا نشيطين خلال هذه الفترة وهو أحد دعاتهم، ولو أنّي أرجح الرأي الأول على اعتبار أن دعاة الدولة الفاطمية السفياني والحلواني قد نزلا بالمغرب سنة 145هـ/762م في ديار كتامة[5]، وقد أرسلهما كما يُذكر جعفر الصادق بن محمد الباقر، وقال لهما بالمغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر. ويذكر صاحب افتتاح الدعوة أنّه "قيل إنّا أبا عبد الله جعفر بن محمّد بعثهما وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة، وينشروا فضلهم، وأمرهما أن

---

[1] ذكر ابن الأثير قيام الثورة سنة 151هـ/768م. ابن عذارى، البيان 54/2 و55. مجهول، أخبار، تح الأبياري، ص97 وما بعدها، ابن الأبار، درر السمط، ص32. ابن الأثير، الكامل، 34/5. بالنتيا، المرجع السابق، ص 3 و323.

[2] ابن الأثير، الكامل، 35/5-58.

[3] ابن عذارى، البيان، 54/2.

[4] مجهول، أخبار، ص98.

[5] القاضي النعمان: **كتاب افتتاح الدعوة**، تح فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986م، ص26-28.

يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر، ثم يفترقان فينزل كل واحد منهما ناحية"[1] فتأثير دعوتهم كان في المغربين الأدنى والأوسط خاصة في قبيلة كتامة ولم يصل إلى الأندلس.

تعتبر ثورة شقنا بن عبد الواحد أول محاولة لقيام دولة شيعية في الغرب الإسلامي حسب محمود مكي[2]، أي قبل دولة الادارسة والدولة الفاطمية، وتبقى مسألة ثورة شقنا مجالا خصبا لمن أراد أن يبحث في جذور التشيع في الاندلس، ومما زاد الأمر تعقيدا هو هل كان لشقنا دعاة للمذهب كما كان لدعاة الإسماعيلية دعاة في العدوة المغربية، خاصة إذا علمنا أنّ الأمير عبد الرحمان قد أرسل تماما وأبا عثمان للقضاء عليه، وبدورهما أرسلا وجيها الغساني (ابن أخت أبي عثمان) رسولا لشقنا، ولما وصله استطاع أن يقنعه لينضمَّ إليه وأصبح من جماعته بل من كبار قواده حتى بعد مقتل شقنا إذ هرب إلى ساحل ألبيرة ولكن أبا عثمان أرسل له شهيدا وعبدوس بن أبي عثمان فقتله حسب ما جاء عند صاحب أخبار مجموعة[3] وتبقى ثورة شقنا بن عبد الواحد تحتاج للمزيد من الدراسة كما أسلفت.

7) **ثورة مهدي الأندلس (أحمد بن معاوية)**: صاحبها من البيت الأموي وهو أبو القاسم أحمد بن معاوية بن محمد بن هشام بن معاوية ابن الأمير هشام بن عبد الرحمان بن معاوية، يعرف بابن القط الثائر، خرج من قرطبة إلى فحص البلوط، قامت ثورته في عهد الأمير "عبد الله بن محمد" سنة 288هـ/901م، واختار منطقة الجوف (ما بين ماردة ووادي الحجارة) في الحدود الشمالية الفاصلة بين الدولة الإسلامية في الجنوب والممالك الإسبانية المسيحية في الشمال، وجل أتباعه من العناصر البربرية، وهذه المنطقة هي التي تأثرت بالدعوة العلوية وجل شيعة الأندلس انحدروا منها كما يذكر محمود مكي[1] وقد كان معاوية هذا متأثرا بالفكر

---

[1] فصلت بعض المصادر والدراسات في ذلك: عياض، افتتاح، ص26-27. ابن خلدون، التاريخ، 4/40-41. عبد الله محمد جمال الدين: **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش**، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص40-41. عياض، افتتاح، ص26-27.

[2] مكي، التشيع، ص10.

[3] مجهول، أخبار، ص101.

[1] مكي، التشيع، ص13.



الشيعي، وبالدعوة الفاطمية على الخصوص، إذ تلقب "بالمهدي" وكان داعيتة "**أبو علي السراج**" من أهم داعمي ثورته، والأخير بدوره اختار نقباء له لنشر الدعوة، ومما أغرى به المهدي أتباعه، هو إظهاره بعض الكرامات الناتجة عن الشعوذة والدجل خاصة وأنّ ابن الأبار قد ذكر بأنّه كان من أهل النجامة والصناعة وعلم الهيئة، حتى لقبه أتباعه بفائز الدين وعاصم المسلمين[1] إجتمع لإبن القط من خيل ورجل ستين ألف، أكثرهم من بربر الجوف والغرب ومن أهل طليلطلة وطلبيرة ثم قصد بهم "سمورة" الواقعة في الشمال الغربي والقريبة من قشتالة وليون، معلنا الجهاد ضد النصارى بقيادة ألفونسو الثالث ملك أشتورين، ولما حمي الوطيس خذله رؤساء البربر وقتل هو في اليوم الرابع وقطع رأسه وجيئ به للملك الذي علّقه على باب سمورة[2]

هذه الثورة وغيرها جعلتنا نتأكد من وجود مبادئ شيعية قد دخلت الأندلس قبل قيام الكيان السياسي الشيعي في العدوة المغربية، وتمنينا لو وجدنا معلومات كافية عن شقيا بن عبد الواحد وأحمد بن معاوية بن هشام خاصة مسألة مكان تعلمهما أو أخذهما لمبادئ المذهب، ثم من هم أهم تلامذتهم أو أتباعهم، وغيرها من بقية المعلومات، وإن كان طموحهما السياسي هو الدّاعي لهما بالانتساب لآل البيت، ولكسب الطبقة الشعبية المتعاطفة معهم خاصة بعدما حلّ بهم في وقعة فخّ سنة 169هـ/786م (كربلاء الثانية كما يسميها الشيعة) والتي تزعم الثورة فيها الحسين بن علي بن الحسن.

استفحل دور المذهب الشيعي في الأندلس لما قامت الدّولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، وكانت الأخيرة تهدف وتطمح لتوسيع مدّها الشيعي في الغرب الإسلامي عموما، وإسقاط الدولة الأموية الحاكمة في الأندلس، وقد رأى الدكتور فرحات الدشراوي بأنّ الصراع بين الدولتين له امتداد قديم لصراع كان بين "بني هاشم" الذين انحدرت منهم الدولة الفاطمية و"بني

[1] ابن عذارى، البيان، 140/2. ابن الأبار، الحلة، 368/3.

[2] ابن الابار، الحلة، 369/3، 370. زغروت، المرجع السابق، ص 48.

أميّة"[1] ولكن حسب الدكتور مكي فإنّ ثورة ابن القط تعتبر آخر المحاولات المسلحة لإقامة دولة على أسس شيعية في الأندلس[2].

كان **للشافعية** دور سياسي، حيت ذكر ابن الأبار أنّ الأمير أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمان الناصر كان من نجباء أولاد الخلفاء، وكان محبا للعلم والعلماء، وله تواليف تدل على علمه وفهمه، منها "كتاب العليل والقتيل في أخبار ولد العباس" و"المسكتة في فضائل بقي بن مخلد" وأنّه كان فقيها شافعيا شاعرا إخباريا متنسكا، وقد قتله أبوه لمنافسته أخاه الحَكم ولي عهده، وأنّه كان يدبر لخلع الخليفة الحكم[3] وذكر بالنثيا من أنّه قد بلغ من ميله لفقهاء الشافعية أن تآمر على أبيه مع نفر منهم مما سار به إلى حتفه مع اثنين من أعلامهم[4]

ثانيا-عهد الخلافة الأموية:

رغم قوة الخلافة الأموية سياسيا وعسكريا وثقافيا إلاّ أنّ الفتن والثورات لم تتوقف طيلة عهدها، خاصة ما تعلق بالمد الشيعي المجاور للأندلس جنوبا، وفيما يلي نعرض بعضا من التمردات والحروب التي لها خلفية مذهبية:

فعن **الشيعة** استطاع الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر أن يوقف المد الشيعي الفاطمي في الأندلس بل وحتى في المغرب الأقصى بعد قيام دولتهم الفاطمية سنة 297هـ، ولكن تأثير الثقافة الشيعية بقي متواصلا لأسباب عدّة أهمها كما يرى الدكتور مكي:

أ) انتقال بعض الأفكار الشيعية مع الأندلسيين الذين رحلوا إلى لمشرق كالعراق، ومصر وإلى لعدوة المغربية.

---

[1] الدشراوي، المقال السابق، ص 24.

[2] مكي، التشيع، ص15.

[3] ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي: **الحلة السيراء**، وضع حواشيه وعلق عليه علي إبراهيم محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1429هـ/2008م، ص120-121.

[4] بالنثيا، المرجع السابق، ص 09.

ب)دور جواسيس الشيعة من المشارقة والمغاربة في بث نشاطهم الدعائي لصالح الدولة الشيعية[1].

والآن سأقدم بعض النماذج التي قامت في الأندلس وكان أصحابها شيعة، أو وجدوا الدّعم من قبل الدولة العبيدية الشيعية، منها:

1) **ثورة ابن حفصون**: وهي الثورة التي قامت في الأندلس عهد الإمارة، واستمرت إلى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، ونحن هنا لا نريد تكرار ما سبق ذكره بقدر ما نريد تأكيد استغلال ابن حفصون للصراع الفاطمي-الأموي، واتصاله وميله لعبيد الله المهدي، فابن الخطيب يشير إلى أنّ "أيوب بن عمر بن حفصون" خاطب ملوك الشيعة بإفريقية، وبعث له عبيد الله المهدي داعيين خاطباه بالحض على التزام طاعتهم وإقامة دعوتهم، وأنّهما أقاما عنده وحضرا في كثير من حروبه، وأثناء عودتهما بعث معهما هدية إلى صاحبهما.[2] وتشير بعض الروايات إلى أنّ الفاطميين ساعدوا ابن حفصون عسكريا.[3]

ورغم هذه المساعدة والدعم الذي لقيه ابن حفصون من الفاطميين فإنّه لا يدلّ بالضرورة على تشيعه المذهبي، وإنّما كانت المصلحة غالبة على التمذهب[4] تماما كما فعلت الدولة الأموية بدعم ثورة صاحب الحمار الإباضي النكاري.

2) **حركة أبي الخير**:تعدّ ثورته وحركته المذهبية، ثمرة من ثمرات المحاولة الفاطمية لغزو الأندلس مذهبيا[5] فقد ذكر ابن سهل أنّ أبا الخير قال"ما كان أملي من الدنيا إلاّ خمسة آلاف فارس، أدخل بهم الزهراء وأقتل من بها، وأقوم بدعوة أبي تميم[6] وكذلك يكون"[1]. وقد جمع الباحث

---

[1] مكي، التشيع، 16.

[2] ابن الخطيب، تاريخ، ص 32.

[3] للتوسع في الموضوع، أنظر: زغروت، المرجع السابق، ص 48 و49.

[4] ابن الأبار، مقدمة المحقق في درر السمط، ص 32 و33.

[5] زغروت، المرجع السابق، ص 267.

[6] **أبو تميم**: يقصد المعز لدين الله أبو تميم معد الفاطمي، ولد بالمهدية سنة 319هـ، وحكم فيما بين (341-365هـ/952-975م)، وهو الذي نقل مقر الخلافة الفاطمية من المغرب(المهدية) إلى مصر (القاهرة) سنة 362هـ. أنظر: أبو عبد الله محمد الصنهاجي، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق وتعليق، جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية

"محمد عبد الوهاب خلاف" أهم ما صدر من أبي الخير في قوله:"والمسألة الطريفة الأولى التي أوردها ابن سهل في الزندقة، هي مسألة الزنديق أبي الخير، وتتحصل وقائعها في أنّه شهد لدى قاسم بن محمد صاحب أحكام الشرطة بقرطبة ... خمسة وأربعون شخصا بشهادات تدين أبا الخير بأنّه زنديق ملحد يسب أصحاب النبي ويطعن في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان راميا عائشة بالكذب، ومادحا الخمر شاربا لها زانيا لواطا آكلا لحم الخنزير هازلا بكتاب الله، طاعنا في السنن وأهلها، محتجا على أهل السنة بالبدع، مؤولا لحديث النبي على غير مقصده، تاركا الصلوات الخمس، وحضور الجمعة مدعيا بأحقية علي بالنبوة، وأنّ محاربة بني أمية أحق من محاربة الشرك، وكان يدعوا لدعوة أبي تميم معد الملقب بالمعز لدين الله الفاطمي، ويرى الخروج على الخليفة الحَكم المستنصر بالله بالسلاح، ويطعن على أئمة المسلمين وخلفائهم وفقهائهم..."[2] وقد قبل صاحب الشرطة محمد قاسم بن محمد شهادة ثمانية عشر من جملة الخمسة والأربعين شهادة، وشاور قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي، وصاحب الصلاة

للكتاب، الجزائر، 1984، ص 48. العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 277-279. ابن أبي الضياف، المرجع السابق، 2/159-163.

[1] ابن سهل: **الاعلام بنوازل الأحكام وفقر من سير القضاة والحكام**، أخرجه فرحات الدشراوي من مخطوط للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، "سلسلة من نصوص ودراسات في تاريخ إفريقية والمغرب، قضية الداعي أبي الخير الشيعي المصلوب بقرطبة في عهد الحكم المستنصر بالله"، **حوليات الجامعة التونسية**، العدد01 سنة 1964م، ص61. (لم أجد قضية الداعي أبا الخير في مصدر ابن سهل: **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطرٍ من سير الحكام**، تح. يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/2007م.) لهذا اعتمدت على مقال فرحات الدشراوي.

[2] أبو الأصبع عيسى بن سهل الأندلسي: **ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى**، در.تح محمّد عبد الوهاب خلاف، مر.تق محمود علي مكي، المركز العربي الدولي للإعلام، ط1، القاهرة، مصر، 1981. ص 41.

أحمد بن مطرف، والفقيه إسحاق بن إبراهيم[1] وغيرهم من الفقهاء وكان رأي الغالبية هو قتله، وهو الرأي الذي أخذ به الحَكم المستنصر وأمر وزيره بقتله وصلبه ليكون عبرة لغيره[2]

ما لحظته هنا أنّ السلطة الروحية ممثلة في فقهاء المالكية ما كانت لتتسامح مع أبي الخير والنزعة الشيعية البينة بادية عليه ومتشبع بها، وهو نفس ما كان للسلطة السياسية ممثلة في الخلافة الأموية التي كانت ترى بأنّ الخطر الفاطمي بات يحدق بها ولابد أنّ تقضي على فلوله في الأندلس، بل إنّ الأمير عبد الرحمان الناصر من جملة أسباب إعلانه الخلافة هو الوقوف في وجه الخلافة الشيعية الإسماعيلية الفاطمية كما عرفنا، ولا يترك لها الزعامة الروحية في الغرب الإسلامي عموما. فمن هو أبو الخير هذا؟ وهل فعلا كانت الدولة العبيدية تقف من وراءه؟

أبو الخير من الشخصيات الغامضة والتي شحت المصادر في التعريف بها، وبما أنّه شيعي يكون قد أخذ بالتقية ولم يفصح عن اسمه الحقيقي، ولكن يرجح أنّه من جواسيس الفاطميين أو المتأثرين بهم والداعين لإسقاط الخلافة الأموية وتعويضها بالفاطمية، ومن خلال تاريخ وفاة الفقيه إسحاق بن إبراهيم (352هـ) كما أسلفت، فإنّ أبا الخير عاصر فترة حكم الخليفة الحَكم المستنصر، وثورته تكون من بداية توليه الحَكم للحكم (350-366هـ) إلى فترة وفاة الفقيه إبراهيم سنة 352هـ أي ما بين سنتي 350-352هـ، وكذلك هي الفترة المتزامنة مع حكم المعز لدين الله الفاطمي (341-365هـ) الذي ذكره أبو الخير، وإلى هذه أشار الباحث "محمد عبد الله خلاف" وكذلك رشّح أنّه أندلسي وليس مشرقيا وذلك لمعرفته بلطينية الأندلس وتحدثه بها، ولمعرفة عديد الشخصيات من البيوتات الأندلسية[3] ويظهر أنّه كان ذكيا في جلب المحبين والمعتنقين لمذهبه، إذ كان يجادل بالحجج المختلفة، وله بلاغة وفصاحة كافية ليأسر مستمعيه ويستميلهم إليه وهو عين

[1] **إسحاق بن إبراهيم بن مسرّة**: من أهل قرطبة، وأصله من طليطلة، كان حافظا للفقه على مذهب مالك، وكان مشاورا في الأحكام، وكان وقورا مهيبا، توفي سنة 352هـ لما كان غازيا مع الخليفة الحكم المستنصر. ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، مراجعة يخلف شلحة، استديو الترقية، البليدة، الجزائر، 2011م، ص74.

[2] ابن سهل، ثلاث وثائق، ص41-42.

[3] نفسه، ص 45.



ما للدعاة الفاطميين[1] كما استنتج الباحث خلاّف بأنّ عدد أنصاره كثر من خلال النص الذي أورده ابن سهل والذي يقول فيه الخليفة الحَكم المستنصر لوزيه عيسى بن فطيس: "...ورأيت هذا الأمر قد كثر، وكان ممنوعا مطروحا فتقدم إلى القاضي والحكام بالأخذ على أيدي الناس في هذا..."[2]

لقد استطاع أبو الخير أن يثير القلاقل والفتن ضد الأمويين، وكان يشيد بنجاح الفاطميين في المغرب الأقصى، واعتبر دخول "جوهر الصقلي" إلى مصر فتحا ونصرا، وكان يسأل القادمين من المشرق عن حال الفرق والمذاهب ومنهم العلوية، ولما أجابوه بغلبة النزعة العلوية، قال"هذا الحق كأنّك ترى الألوية خارجة من داري".[3]

من جملة الشهادات التي تثبت تشيعه بوضوح نورد ما تعلق بتشيعه فقط –لأنّ هناك أقوال لأبي الخير تدل على زندقته أيضا– منها ما يلي:

1- سمع صاحب أحكام الشرطة بقرطبة "قاسم بن محمد" أبا الخير يسب أصحاب رسول الله أبا بكر وعمر وغيرهما، كما سمعه يقول بأنّ علي أحق بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم، وسمعه في السوق يقول: "ما كان أملي من الدنيا إلاّ خمسة آلاف فارس أدخل بهم الزهراء وأقتل من بها، وأقوم بدعوة أبي تميم وكذلك يكون"[4] وقد أخبر عبد الله بن عمران سدي صاحب الشرطة قاسما هذا يقول له:"تثبت من أثار أبي الخير هذا فإنّه أبو الشر، فاتق

---

[1] ابن سهل، ثلاث وثائق ، ص48.

[2] نفسه، ص48.

[3] لقبال، دور كتامة، ص 384. زغروت، المرجع السابق، ص 267.

[4] ابن سهل: **الاعلام بنوازل الأحكام وفقر من سير القضاة والحكام**، أخرجه فرحات الدشراوي من مخطوط للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، "سلسلة من نصوص ودراسات في تاريخ إفريقية والمغرب، قضية الداعي أبي الخير الشيعي المصلوب بقرطبة في عهد الحكم المستنصر بالله"، **حوليات الجامعة التونسية**، العدد01 سنة 1964م، ص61. (لم أجد قضية الداعي أبا الخير في مصدر ابن سهل: **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطرٍ من سير الحكام**، تح. يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/2007م.) لهذا اعتمدت على مقال فرحات الدشراوي.

الله فيه وأنا شريكك في ترابه وان شئت أن تفردني بالثواب فافعل فإنيّ أتولى صلبه بيدي وإثمه في عنقي"[1]

2- سمع محمّد بن أيوب بن سليمان بن ربيع أبا الخير يطعن في الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ويطعن في أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله ويقول لو كانت تسعة أسياف لكنت العاشر[2]

3- سأل علي بن عبد الله الحجري أبا الخير عن عائشة أم المؤمنين، فقال دعها فعليها لعنة الله[3]

4- شهد أحمد بن سعيد بن بشر الأموي أنّ أبا الخير يعتبر من أهل الطعن في السنن وأهلها، وأنّه لا يرى إمامة أحد من المسلمين[4]

5- سمع سليمان بن منبّه بن عبد الملك أبا الخير يقول: "لله در قرشي عفّر هذه الوجوه المنتنة"[5]

6- سمع محمّد بن يحي الحضرمي أبا الخير يقول في النبي أنّه اغتصب النبوة من علي، وأنّ محاربة بني أمية أحق من محاربة الشرك[6]

7- شهد محمد بن أحمد بن الحداد القروي أنّ أبا الخير يقول بأنّ الصحابة ستة وهم علي وعمار والمقداد وأنّه نسي ثلاثة[7] وأنّ الباقي على ضلال وباطل وأنهم أرشدوا وعادوا كفارا وجميع من تبعهم من جملة المسلمين هم معهم على ضلال وباطل، ولما سأله: "أين ما كنت

---

[1] ابن سهل، الإعلام، الدشراوي، ص69.

[2] نفسه، ص62.

[3] نفسه، ص62.

[4] نفسه، ص63.

[5] ابن سهل، الإعلام، الدشراوي، ص63.

[6] نفسه، ص63.

[7] الصحابة عند الشيعة: لا يولي الشيعة لأمر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتماما كبيرا لأنّ العدالة المطلقة ليست لصيقة بهم، ويقدم الشيعة بعض الصحابة فقط ويعتبرون البقية قد كفروا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة المعترف بهم عندهم هم: عمار بن ياسر، سلمان الفارسي، المقداد بن عمرو، أبو ذر الغفاري، حذيفة بن اليمان.

تظهر من النسك والزهد والتوبة" فقال: "انّما تبت تقية وخوفا ولو أمنت لناظرت على أكثر مما كنت قلت، ولأتممت الحجة في ذلك"[1]

8- سمع عبد الله بن محمد الأموي أبا الخير يسب أبا بكر وعمر، وأنّه لا يرى خلافة من ولاّه الله أمرنا[2]

9- شهد وسمع عبد الرحمان بن سعيد الأنصاري أبا الخير يسب ابا بكر وعمر وأصحابهما، وعائشة أم المؤمنين ويرميها بالبهتان، وقال بأنّ أبا الخير سأله لما عاد من المشرق: "من أكثر بالمشرق العلوية أو العثمانية أو البكرية، فقال له لقد ظهر الآن العلويون، فقال له أبو الخير، هذا الحق كأنّك ترى الألوية خارجة من داري"[3]

10- أكد بعض الشهود كما سلف وغيرهم أنّه كان يتمنى سقوط الخلافة الأموية، وكان يشيد بالفاطميين، ومن جمله عباراته "لو كانت تسعة أسياف لكان سيفي العاشر" منهم أبو حفص الرعيني، إسماعيل بن حفص، وعلي بن حفص الرعيني،وعثمان بن مادة بن عثمان، عبد الرحمان بن عمار، ومحمد بن عبد الله بن محمد بن بزيع الأموي، ومحمد بن أحمد البهراني [4] وقال عن حكام الأمويين بأنّهم ليسو من الايمة الذين تحق إمامتهم ولا معاملتهم وأنّه لو استطاع محاربتهم لفعل لأن الجهاد ضدهم أفضل من جهاد العدو[5] وشهد بدر مولى أحمد بن خيار بأنه سمع ابا الخير قد تأول قوله تعالى:" إذا جاء نصر الله والفتح" بأنّ النصر هو مجئ الفاطميين للمغرب، والفتح يأتي بعده[6] وسمع صاحب أحكام الشرطة بقرطبة "قاسم بن

---

[1] ابن سهل، الإعلام، الدشراوي، ص65.

[2] نفسه ، ص66..

[3] نفسه، ص66..

[4] ابن سهل، الإعلام، الدشراوي، ص66-68.

[5] نفسه ، ص69.

[6] نفسه، ص69.

محمد" السابق ذكره يقول: "ما كان أملي من الدنيا إلاّ خمسة آلاف فارس أدخل بهم الزهراء وأقتل من بها، وأقوم بدعوة أبي تميم وكذلك يكون"[1]

11- وشهد يوسف بن سليمان بن داود الأموي بأنّ أبا الخير وضع كتابا رد فيه على أهل السنة يلعنهم[2] ويسبهم وقد شهد بذلك أيضا يعيش بن داود بن صابة الأنصاري، وسعيد بن عاصم الخولاني[3]

ومن جملة من شاورهم صاحب الشرطة "قاسم بن محمد" في قتل أبي الخير كما عرفنا، قاضي الجماعة بقرطبة "منذر بن سعيد البلوطي" وصاحب الصلاة "أحمد بن مطرف" والشيخ الفقيه "إسحاق بن إبراهيم" وغيرهم من شيوخ المالكية[4]، الذين أجمعوا تقريبا على قتله ضمانا لمنع التجرأ على الإلحاد والزندقة من جهة، ولمنع التفكك الداخلي للأندلس والإبقاء على الوحدة السياسية والمذهبية لها.

من خلال قوله نجد الصراحة العلنية بدعوته للتشيع للفاطميين، بل وكان يتوعد المهاجرين من بلاد المغرب إلى الأندلس بأنّ الفاطميين سيدخلون الأندلس.[5]

وذكر ابن سهل بأنّ لأبي الخير أعوانا ومؤيدين في جهات من بلاد الأندلس، حيث جاء في الرسالة التي رد بها الخليفة الحكم للفقيه إسحاق بن إبراهيم قوله: "وقد بلغني أنّ جماعة على مذهبه، وأمرت الحكام بالتشدد عليهم وإخافتهم"[6] هذا ما يجعلنا نؤكد على تتبع السلطة الأموية لتحركات دعاة الشيعة، والمتأثرين بحركة أبي الخير.

---

[1] ابن سهل، الإعلام، أخرجه الدشراوي، ص61. (لم أجد قضية الداعي أبا الخير في مصدر ابن سهل: **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطرٍ من سير الحكام**، تح. يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/2007م.) لهذا اعتمدت على مقال فرحات الدشراوي.

[2] نفسه، ص66.

[3] نفسه، ص67.

[4] نفسه، ص70.

[5] زغروت، المرجع السابق، ص 267.

[6] ابن سهل، الإحكام، الدشراوي، ص73-74.



ونظرا لخطورة حركة أبي الخير، الدينية والسياسية فقد لقّبه أعداؤه "بأبي الشر" كما ذكرنا، وشهد عليه الكثير بأنّه زنديق خاصة وأنّه كان يحل ما حرّم الله ويسبّ أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، والشهادات التي جاءت من أربع وأربعين شاهدا، كانت كافية لتدخل أبو الخير القبر، وحَكَم عليه الفقهاء بالقتل في قرطبة، وبأمر من الخليفة الحَكم الذي أيّد رأي الفقهاء في أمرهم، حيث جاء عند أبي سهل:" ... فرأى أمير المؤمنين أصلحه الله أنّ الحق والصواب في قول من أشار بقتله بلا إعذار لما استفاض من الحاد هذا الملحد وإنتشار ذلك عنه، فأمضى ذلك فيه وأمر بصلبه غضبا لله عز وجل ولكتابه العزيز ولرسوله صلى الله عليه وسلم ليكون تشديدا لمن ذهب إلى مذاهبه أو ثبت عليه سبب من أسبابه التي ثبتت على أبي الشر هذا لعنه الله".[1]

فبعث الخليفة الحَكم بكتاب إلى وزيره عيسى بن فطيس جاء فيه:"..و رأيت هذا الأمر(التشيع) قد كثر، وكان ممنوعا مطروحا، فتقدم إلى القاضي والحكام بالأخذ على أيدي الناس في هذا، فمن خالف مذهب مالك بن أنس بالفتوى أو غيره، وبلغني خبره، أَنزلتُ به النكال ما يستحق".[2]

وبهذا فُرضت المراقبة على جميع المذاهب الأخرى خاصة الشيعة، لتنتهج جل المذاهب غير المالكية العمل في الخفاء، أو تحت أغطية متعددة، كالطب والتصوف وغيرهما.

وقد ابتهج الناس على العموم والفقهاء على الخصوص بمقتله، فقد أورد ابن سهل عبارات عدّة تدل على ذلك منها: "ولما نفذ عهد أمير المؤمنين أعزه الله بصلب أبي الشر هذا وظهر من سرور العامة والخاصة بذلك ما لم يظهر فيهم إلا يوم أصبحوا إلى خلافته أعلاها الله". "...بالأمس عند ورود البشير عليهم بما أمر به في الملحد أبي الشر من استيصاله وقطع شافته وسرورهم بذلك واستهلال جميعهم بالدعاء والرغبة إلى الله عزّ وجل في اعزازه ونصره وطول بقائه..." "فلقد رأيت الناس ابقى الله أمير المؤمنين سيدي يتلاقون بالتهاني بما اطلعهم الله عز وجل عليه من باطن أمير المؤمنين امامهم في الغضب لله عز وجل ولكتابه العزيز ولرسوله

---

[1] نفسه، ص70.

[2] نفسه، ص70-71.



صلى الله عليه وسلم وللسلف الصالح من صحابته رضي الله عنهم..."[1]خاصة وأنّهم كما عرفنا في السابق كانوا أميل للنص والمذهب المالكي منهم للزندقة والبدع، وقد أجاب إسحاق بن إبراهيم لما سئل على أصل فتوى القتل بأنّ لها أصلا عند الإمام مالك وأخذ يعدد أمورا[2]

3) **ثورة غلام العطار**: كان يعرف بالفصيح، ادعى الخلافة، وقال بأنّه ابن الخليفة المهدي الفاطمي، وانطلقت ثورته في مدريد، غير أنّه لم ينجح كغيره.[3]

وهكذا فشل التشيع في الغرب الإسلامي عموما بعد انتقال الفاطميين من بلاد المغرب الإسلامي إلى مصر سنة 362هـ/973م.

سبق وأن ذكرنا أنّ دولة الأدارسة التي قامت في بلاد المغرب، كانت شيعية المذهب، لكنّ دورها المذهبي والسياسي لم يظهر بحدّة في الأندلس، خاصة وأنّها كانت محاصرة بين الدولة الرستمية الإباضية في تيهرت، ودولة الأغالبة السنّة في رقادة، والدولة الأموية السنيّة في الأندلس، وأنها فيما بعد انقسمت في ولائها ما بين الفاطميين الشيعة في المهدية، وبين الدولة الأموية في الأندلس، بل أنّ عائلاتهم وأمرائهم قد انتقلوا إلى قرطبة في عهد الخليفة الحَكَم، وعهد المتغلب المنصور بن أبي عامر[4].

---

[1] ابن سهل، الإحكام، الدشراوي، ص71-72.

[2] للتوسع في الفتوى واصولها أنظر: ابن سهل، الاحكام، الدشراوي، ص74 وما بعدها.

[3] لقبال، دور كتامة، ص 385.

[4] في سنة 319هـ/931م استغل الخليفة عبد الرحمن الناصر تضعضع حكم الأدارسة، فغزا سبتة (شمال المغرب الأقصى)، وعيّن عليها أميّة بن إسحاق، عامله على الجزيرة الخضراء، وفي عهد الحكم قامت ثورة أخرى بقيادة الحسن بن كنون الإدريسي في شمال المغرب الأقصى، لكنّ ثورته فشلت وطلب الأمان، فاقتيد إلى قرطبة مع جملة من أشراف الأدارسة في عهد الخليفة الحكم المستنصر، فسكن ميمون(جد الحموديين) رياض الوصيف، والحسن بن كنون قرطبة سنة 365هـ، ثم أجلى الخليفة الحَكم الحسن لأسباب عديدة (منها قصّة قطعة العنبر) مع مجموعة كبيرة من الأدارسة إلى المرية، ومنها إلى تونس، وستعود ثورة الحسن بن كنون للمرّة الثانية في شمال المغرب بمساعدة العبيديين، لكنّ المنصور بن أبي عامر استطاع هزمه، ونُقل ثانية إلى قرطبة وقطع رأسه في الطريق قبل أن يصلها. للتوسع أكثر، أنظر: إسماعيل العربي، دولة الأدارسة، ص 155 وما بعدها. فيلالي، المرجع السابق، ص 197 وما بعدها.

وعن **الشافعية** نجد في عهد الخلافة الأموية، استطاع المذهب الشافعي التوسع في الأندلس، وأصبح له وزن معتبر، بل ودخل البيت الأموي عندما أخذ به عبد الله بن عبد الرحمن الناصر، وكان من دعاة الشافعية. وقد أخذ عبد الله المذهب عن حسان بن سعد وأحمد بن محمد بن عبد البر، لكنه في الأخير، اتهم بالاشتراك في مؤامرة خلعِ والده الذي أعطى ولاية العهد لأخيه الحَكَم، فأصدر أبوه فيه حكم الإعدام سنة 338هـ/950م، ثم أعلن عبد الرحمن الناصر المذهب المالكي كمذهب رسمي للدولة، والتزم الشافعية الظل إلى غاية حكم ابنه الحَكَم المستنصر، وتغلب الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر على ابنه هشام المؤيد.[1] ومنهم أحمد بن محمد بن عبد البر القرطبي، يكنى أبا عبد الملك، وهو من موالي بني أميّة، سمع من ابن لبابة، وأسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، ومحمد بن قاسم وغيرهم، كان فقيها ومتصرفا في علوم عدّة، إلاّ أنّ علم الحديث يغلب عليه. توفي بالسجن في رمضان من عام 338هـ/949م، بعد اتهامه في حادثة عبد الله بن عبد الرحمن الناصر الذي قيل أنّه دبّر مؤامرة ضد أبيه كما ذكرنا.[2]

وعن **الظاهرية** لم يكن لهم ثورات ولكن حاول **ابن حزم** الخوض في غمار السياسة قبل أن يفرغ للعلم ويتبحر فيه، وهذا لطبيعة نشأته بين القصور، توفي أبوه الوزير سنة 402هـ/1012م، الذي كان قد أقام في خدمة العامريين إلى انتهاء دولتهم في عهد عبد الرحمن بن المنصور (شنجول)، ولما شبّت الفتنة البربرية، أُخرج ابن حزم من قرطبة، لأنّه من البيت المناصر لبني أميّة ومتمسك بحقهم في العرش، ونهبت قصور ابن حزم الذي توجه للمريّة وأقام فيها داعيا لتأييد عبد الرحمن الرابع الملقب "بالمرتضى" بل وسار مع جيش المرتضى لحرب

---

[1] ليفي بروفنسال، الحضارة، ص 161. بالنتيا، المرجع السابق، ص 434. ابرفوا، المقال السابق، ص 1185. ماريا ايزابيل، المقال السابق، ص 1246.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 42.

بني حمود المتغلبين على قرطبة، لكن الجيش انهزم في موقعة غرناطة 408هـ/1018م،[1] فقتل المرتضى وأسر ابن حزم ثم أخلي سبيله، فلجأ إلى شاطبة[2] التي فيها ألّف كتابه "طوق الحمامة" وظلّ يدعوا لعبد الرحمن الخامس الذي كان يطلب الخلافة لنفسه،و لما وفّق عبد الرحمن الخامس وارتقى عرش الخلافة وتلقب بالمستظهر414هـ/1023م[3]استقدم ابن حزم، وأقامه وزيرا عنده، لكن هذه الخلافة لم تدم سوى شهرين، فنفي ابن حزم للمرّة الثانية، عندها آل على نفسه أن لا يضع يده في السياسة، وكرّس حياته لدراسة الدين والفقه[4]

ثالثا– عصر ملوك الطوائف:

تبادل علي بن مجاهد العامري صاحب دانية برسائل بينه وبين الخليفة الفاطمي في مصر المستنصر بالله سنة 452هـ/1060م، وكان الكاتب هو الأديب المشهور أبو الأصبغ عبد العزيز بن أرقم الوادي آشي وكان نقله مكي عن ابن الأبار في التكملة[5]

المبحث الثالث: الدويلات المذهبية المستقلة في الأندلس:

استغلت الحركات المذهبية فترة اضطراب الخلافة الأموية ثم سقوطها الفعلي سنة 422هـ/1031م لتنشأ لها كيانات سياسية مستقلة عن المركز قرطبة، وتعتبر فترة ملوك الطوائف الفترة المميزة لقيام هذه الدويلات المذهبية.

---

[1] **المرتضى هو**: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر. عنه أنظر: ابن الخطيب، تاريخ، ص 130 و131 . ابن عذارى، البيان، 125/3 وما بعدها. ابن بسام، الذخيرة، 283/1 وما بعدها.

[2] **شاطبة**: مدينة جليلة متقنة محصنة، وكثيرة الثمار طيبة الهواء، وهي قريبة من جزيرة شقر، تشتهر بعمل الكاغد الذي عمّ المعمورة شرقا وغربا. أنظر: الحميري، روض، ص 337.

[3] **المستظهر هو**: عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، كنيته "أبو المطرف"، بويع عند خروج القاسم والبربر من قرطبة يوم الثلاثاء 10رمضان 414هـ، لكنه قتل بعد حكم سبع وأربعون يوما فقط، وقد كان أديبا شاعرا. أنظر: ابن الخطيب، تاريخ، ص 134. ابن عذارى: البيان، 135/3-140. ابن بسام، الذخيرة، 28/1-34.

[4] الذهبي، السير، 92/11. بالنتيا، المرجع السابق، ص 214.

[5] مكي، التشيع، ص43-44.

أولا– الدولتان الإباضيتان في الأندلس:

1) **دولة بني دمر في مورور (مورون MorÒn)(403–458هـ/1013–1066م):**

ينتمي بنو دمر إلى قبيلة زناتة البربرية إذ هم من ولد ورسيك بن الديرت بن جانا، وقد كانت مناطقهم بإفريقية في طرابلس وجبالها، وأيضا هم من بربر تونس، وهم خوارج إباضية[1] وإن كان الدراجي أشار لعدم وجود الرابطة المذهبية بين دمر في المغرب مع بني دمر في الأندلس، إذ في المغرب كانوا إباضية، وفي الأندلس كانوا سنّة، ولكن لم يدلل على ذلك[2]جاز للأندلس من بني دمر أعيان ورجالات حرب كغيرهم من قبيلة زناتة في عهد الخليفة الحَكَم المستنصر، فضمهم الأخير إلى عسكره، وبرز دورهم في عهد المنصور محمد بن أبي عامر منهم جد بني دمر أبو تزيري[3] ولما وقعت الفتنة البربرية وقف بنو دمر كغيرهم من البربر مع سليمان المستعين، خاصة في موقعة وادي آره (400هـ/109م) التي دارت رحاها بينه ومعه البربر من جهة وبين محمد المهدي وواضح الصقلبي من جهة أخرى، وفيها برز بهلول بن تمايت الدمري والذي أبلى بلاءا حسنا في المعركة [4] ولما قامت الفتنة إنحاز أبو تزيري الدمري لمدينة مورور (مورون) فاستقر فيها وبسط عليها سلطانه، ولما توفي سنة 403هـ/1013م خلفه ابنه نوح[5] وهو المؤسس الحقيقي لإمارة مورور التي تعتبر ثالث الإمارات البربرية في المنطقة الجنوبية، وفيما يلي نذكر أهم حكام الدولة وأعمالهم السياسية فمنهم **نوح بن أبي تزيري** (403-433هـ/1013-1041م) الذي

---

[1] ابن خلدون، تاريخ، 71/7. ابن عذارى، ذيل البيان، 295/3. عنان، دول الطوائف، ص154. دحماني، دراسات، ص142.

[2] بزيان الدراجي: **دول الخوارج والعلويين في المغرب والأندلس**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2007م، ص128.

[3] ابن خلدون، تاريخ، 71/7. عنان، دول الطوائف، ص154.

[4] ابن خلدون، تاريخ، 71/7. دحماني، دراسات، ص142.

[5] عنان، دول الطوائف، ص154.



شحت المصادر والمراجع في ذكر المعلومات عنه، غير أنّه حكم ثلاثين سنة، وما ذكر عنان أنّ نوح بن أبي تزيري قد قام أيام الفتنة بالتحكم في موروور[1] ومن حكام هذه الإمارة نجد:

أ) **محمد بن نوح عز الدولة (433-445هـ/1041-1053م)**: قال عنه صاحب أعمال الأعلام "فتىً غر، حديث عهد بالإمارة، جاهل، جندي، خلْوٌ من الفضائل، موصوف بكيس وليانة"[2] أشتهر عنه بأنّه قاد إمارته بالشدّة والعنف تارة وبالسياسة والسلم تارة أخرى، كما حفظ رعيته من جور الحكام[3] هذه السياسة مكنت محمد بن نوح بأن يحافظ على سلطانه في أراضيه رغم أنّ ابن عباد يتربص به وببقية الإمارات البربرية الأخرى، وحين هاجمه استطاع أن يدافع عن إمارته وكان حليما إذ لم يقابل ذلك بمثله، فجنح ابن عباد إلى مصانعته واستمالته بالصلات والهدايا كما فعل مع زميليه أبي نور صاحب رندة، وعبدون بن خزرون صاحب أركش، ثم استدعاهم عنده في إشبيلية[4]، وكانت نهايته مع أميري زناتة أبو نور بن أبي قرّة، وابن خزرون على يد المعتضد بن عباد عندما قدموا عليه في إشبيلية ليأخذوا الصلة منه ويحسنوا جواره، وكان معهم مائتي فارس وهم في أحسن حلة، وتقلدوا السيوف المحلاة، ولكن ابن عباد قبض عليهم وسجنهم في حمام أخلاه لهم يعرف بحمام الرقَّاقين، وأخذ خيلهم وبغالهم[5].

ب)**مناد بن محمد عماد الدولة (445-458هـ/1053-1066م)**: أوصى محمد بن نوح لإبنه مناد من بعده وكتب له عهدا[6]، وبوفاته بويع له بمورور، وقد سار مناد عماد

---

[1] لا أدري لما لم تذكر المصادر والمهتمين بتاريخ الطوائف عن ذكر معلومات عن مؤسس الدولة "نوح بن أبي تزيري" واكتفو بذكرها أو ذكر من خلفوه. ابن الخطيب، الأعمال، 239. عنان، دول الطوائف، 154/3. عبد القادر بوباية، **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (92-422هـ/711-1031م)**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011م، ص480.

[2] ابن الخطيب، الأعمال، ص239.

[3] ابن عذارى، ذيل البيان، 295/3.

[4] عنان، دول الطوائف، ص154.

[5] ابن عذارى، ذيل البيان، 295/3.

[6] ابن عذارى، ذيل البيان، 295/3.

الدولة على وتيرة سياسة أبيه في الصرامة والحزم وزاد عليها، فأتاه البربر وقصده الناس من إشبيلية واستجة وكثر جمعه، واستطاع أن يحافظ على سلطانه رغم تكرير ابن عباد له الإغارة، وإحراق قراه ومزارعه[1] ثم نزل ابن عباد بنفسه لمورور وضيّق عليه الحصار، ولما شعر مناد بعجزه عن الدفاع ومواجهة ابن عباد كتب له يسأله الأمن والمسالمة، وأن يسلمه أراضيه وحصونه مقابل سيره بأهله وماله إلى إشبيلية ليعيش في كنفه، فقبل المعتضد ابن عباد بذلك، فسلمه مناد حصن مورور وما يتبعه من حصون وأعمال وتوسعت بذلك مملكة إشبيلية، وخرج هو بأهله وأنزل في إشبيلية بدار سنيّة سنة 458هـ/1066م، وقد أكرمه ابن عباد وأجزل عليه العطاء حتى توفي سنة 468هـ/1075م[2].

2) دولة بني برزال في قرمونة (404-459هـ/1013-1067م):

بنو برزال بطن من بطون زناته من بني يفرن وهم من ولد ورنيدين بن وانتن بن واردين بن دمّر، من أهم مواطنهم بالعدوة المغربية نجد جبل سالات وما إليها من أعمال المسيلة كسطيف وطبنة وميلة وهم من الخوارج الإباضية على مذهب النكار[3] خدم بنو برزال علي بن حمدون ومن بعده إبنه جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة وبلاد الزاب، وكان بنو حمود تابعين للدولة الفاطمية، ولما ثار جعفر بن علي على الفواطم انضمت زناتة ومنهم بنو برزال إلى جعفر ضد صنهاجة الموالية أيضا للفواطم، ولما احتاز جعفر للأندلس بلد جده حمدون بن سملك واستقر بها في عهد الخليفة الأموي الحَكم المستنصر إذ كان قد هزم صنهاجة سواعد الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، وقتل كبيرهم زيري بن مناد سنة 360هـ/971م، فأرسل بنو برزال لجعفر كي يتوسط لهم عند الحَكم المستنصر بالجواز للأندلس خاصة وأنّ صنهاجة قد تقوّت وقتلت من زناتة حلفاء جعفر بن علي الكثير،

[1] ابن عذارى، ذيل البيان، 296/3. عنان، دول الطوائف، ص155.

[2] ابن عذارى، ذيل البيان، 296/3. عنان، دول الطوائف، ص155.

[3] ابن حيان، المقتبس، تح.الهواري، ص150. ابن عذارى، البيان، 268/3. ابن خلدون، تاريخ، 72/7.

فكان لهم ذلك عندما وصف جعفر للحَكم بني برزال بالطاعة والشجاعة والانقياد، فوافق واجتازوا الأندلس[1]وقد أشار ابن حيان إلى أنّ الحَكم قد كان يعلم بخارجيتهم ولكنه أغمض عينه حيث ذكر:"فانحازوا إلى الأندلس باستدعاء من الخليفة الحكم ...فآوى وأحسن ونوه وقدّم ذلك وقد أغمض فيهم على عوراء نحلة تبعدهم عنه على تسننه واشتداده في حفظ دينه ومعرفته بخارجيتهم واعتقادهم للمقالة النكارية من فرق الإباضية"[2] وقد لا نعجب لهذا لأنّ غاية جلبهم كانت سياسية ما داموا أنّهم أحقد على الخلافة الفاطمية وأتباعها من قبيلة صنهاجة ممثلة في بني زيري خلفائهم على عدوة المغرب، ونفس هذا الأمر حدث كما عرفنا مع عبد الرحمن الداخل والدولة الرستمية التي ربطته بها علاقات حسنة ورابنا أفرادا منهم في الأندلس، وكان هدف صداقته سياسي وهو الوقوف في وجه الدولة العباسية وخلفائها في عدوة المغرب ممثلين في دولة الأغالبة، ولا ننسى تاييد الامويين لثورة صاحب الحمار أبي يزيد مخلد بن كيداد الإباضي النكاري.

برز دور بني برزال في الجيش الأموي، وكانوا تحت لواء جعفر بن علي بن حمدون، وقد أعجب الحَكم المستنصر بقوتهم وفروسيتهم مع البرابرة الآخرين حتى قال:

فكأنّما وُلِدَتْ قياما تحتهم وكأنّهم ولدوا على صهواتها[3]

يعتبر بنو برزال عنصرا هاما في جيش ابن حمدون التابع للدولة الأموية، ثم أصبحوا عنصرا فاعلا داخل جيش الدولة ونظّمهم مع غيرهم من جنود البربر خاصة قبيلة زناتة، وبعد وفاة الحَكم المستنصر آلت الخلافة لإبنه هشام المؤيد الذي كان صبيا لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، واستغل محمد ابن أبي عامر الفرصة وقضى على معارضيه منهم جعفر بن يحي، وفي المقابل قرّب إليه البربر خاصة بني برزال وشكل بهم جيشا قويا خاض به الفتوحات، وعيّن بعضا منهم على

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تح.الهواري، ص22. ابن عذارى، البيان، 3/71-72. ان خلدون، تاريخ، 7/73. عنان، دول الطوائف، ص148-149.

[2] ابن حيان، المقتبس، تح.الهواري، ص150.

[3] ابن حيان، المقتبس، تح.الهواري، ص151.

الأقاليم كإسحاق البرزلي على قرمونة[1] وهذا في الواقع هو دور سياسي عسكري في الدولة الأموية، ولكننا لا نريد الاستطراد أكثر في هذا المجال بمقدار ما نريد معرفة دورهم أثناء وبعد الفتنة البربرية، خاصة إذا علمنا أنّ بنو برزال قد قامت لهم إمارة في قرمونة.

يذكر ابن خلدون كما أسلفت بأنّ محمد بن أبي عامر قد قرب إليه بني برزال ومنح احد أعيانهم وهو إسحاق ولاية قرمونة وأعمالها، وفي عهد الفتنة أقره سليمان المستعين عليها، وبعد وفاته خلفه إبنه عبد الله[2] وعليه فبنو برزال قد كان مستقرهم في قرمونة طيلة العهد العامري (محمد بن ابي عامر وابنيه عبد الملك وعبد الرحمن)، وهذا يدل على ولاء بني برزال للدولة العامرية مما جعلوهم يقرونهم على قرمونة.

يُعد سقوط الدولة العامرية وتولي الخليفة الجديد محمد المهدي بن هشام أمر قرطبة، قام بقتل البربر بحكم أنّهم سواعد الدولة العامرية التي انقلب عليها، وكان بنو برزال من ضمنهم، وقد أورد ابن عذارى رواية تقول بأنّ المهدي مع عامة أهل قرطبة قد فتكوا بالبربر ومنهم برزلي كانت له آثار جميلة في الجهاد إذ دخلوا بيته وذبحوه على فراشه[3]، ثم نجده يذكر (ابن عذارى) بأنّ البربر لما فروا من قرطبة وأرباضها واجتمعوا في قلعة رباح شمالا وبايعوا سليمان المستعين قام محمد المهدي بإرسال عباسا البرزلي إليهم وأخبرهم الأخير بأنّ أمير المؤمنين قد أعطاكم أمانا فارجعوا إلى دوركم ومحالكم، فقالوا له:"ليس إلى رجوعنا من سبيل لأنّه إن أمننا لم تؤمّننا رعيته، وإن أمّنتنا رعيته لم يؤمّننا جنده"[4] وهنا يظهر لنا بأنّ بني برزال رغم كونهم قد وقفوا مع محمد المهدي فإنّه قد لحق ببعض قبيلتهم مالحق بباقي البربر.

---

[1] للتوسع أكثر أنظر: اين حيان، المقتبس، تح.الهواري، ص151. ابن خلدون، تاريخ، ص73. حمدي عبد المنعم محمد حسين، **دراسات في التاريخ الأندلسي، دولة بني برزال في قرمونة** (**404-459هـ/1013-1067م**)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1990، ص 09-24.

[2] ابن خلدون، تاريخ، 73/7.

[3] ابن عذارى، البيان، 81/3.

[4] نفسه، 84/3-85.



لما تولى محمد المهدي أمر قرطبة في المرّة الثانية، أقسم بأيمان مغلَّظة ألاّ يستقر ولا يحلّ عن نفسه أو يفرغ من أمر البربر، وكان البربر قد أخذوا عيالهم وأموالهم وخرجوا من قرطبة[1] لأنّهم كانوا في صف سليمان المستعين، وقد برز دور قبيلة بني برزال في الصراع القائم بين البربر وهم بني جلدتهم من جهة ومحمد المهدي وواضح العامري والإفرنج من جهة أخرى، خاصة في معركة وادي آره الواقعة يوم الخميس 6 ذي القعدة سنة 400هـ والتي انتصر فيها البربر وكان لبني يفرن وبني برزال دور كبير في النصر إذ قتل منهم سبعة عشر فارسا، ومن باقي البربر خمسة عشر فارسا فقط[2]. ولما استقر لسليمان المستعين أمر الخلافة في المرة الثانية كما وضحت في الفصل التمهيدي سعى لإبعاد البربر عن قرطبة فأعطى بني يفرن وبني برزال جيان وذواتها، أمّا قرمونة فقد كانت لبني برزال من قبل ويأخذ هذا مما ذكره ابن خلدون "وجدد له العقد عليها المستعين في فتنة البرابرة ووليها من بعده إبنه عبد الله"، ولما علم عبد الله البرزلي بأنّ سليمان المستعين أعطى لأبني الاندلسي (جعفر وعلي ابني حمود)كما يسميهم ابن حيان طنجة وأصيلا وسبتة ذهب لسليمان وقال انك تريد تحويل الحنش إلى ثعبان ولكن سليمان لم يسمع لكلامه[3].

وفيما يلي يمكن توضيح أهم حكام دولة بني برزال في قرمونة:

أ) **أبو عبد الله إسحاق البرزلي** (**ت404هـ/1013م**): سبق الكلام عنه باعتباره الشخصية الأولى التي ارتبط اسمها بولاية قرمونة كما عرفنا، وإن كانت المصادر لم تشر لسيرته كثيرا إلاّ ما سبق ذكره، ولم تحدد تاريخ وفاته أيضا فإننا يمكن ان نختار تاريخ أواخر 403هـ أو 404هـ وذلك حسب ما ذكر ابن خلدون في السابق من أنّ سليمان المستعين قد جدد له الأمر على قرمونة[4]، كما أنّه ليس هو من أعلن استقلاله عن قرطبة وإنّما إبنه عبد الله.

[1] ابن عذارى، البيان ، 95/3.

[2] نفسه، 98/3.

[3] أنظر: ابن خلدون، العبر، 73/7. ابن عذارى، البان، 113/3-114.

[4] حمدي عبد النعم، دراسات، ص34-35. دحماني، العلاقات السياسية، ص132.



ب) **عبد الله بن إسحاق (404-414هـ/1013-1024م)**: أعلن عبد الله البرزالي استقلاله بقرمونة واستجة وحصن المدور[1] سنة 404هـ/1013م وهو التاريخ الذي ذهب فيه لسليمان المستعين ونصحه فيه بأن لا يولي ابني الأندلسي سبتة وطنجة وأصيلا كما سبق ذكره[2] لأنّ عبد الله كان يخشى من تجميع بني حمود قواتهم ثم السيطرة على قرطبة، وهذا معناه دخول قرمونة ضمن توسعهم، ولكنه لم يلبث أن اعترف بخلافة القاسم بن حمود الذي استدعاه البربر لخلافة أخيه المقتول علي بن حمود سنة 408هـ/1018م، وقد يكون بنو برزال قد بايعوا يحي بن علي بن حمدون المعتلي بالله الذي ثار على عمه القاسم ودخل قرطبة سنة 412هـ/1021م وبايعه البربر الذين غضبوا على القاسم بسبب تقريب العناصر السودانية عليهم، كما أنّ البربر ومنهم بنو برزال قد بايعوا القاسم للمرة الثانية عندما ثار البربر على ابن أخيه يحي سنة 413هـ/1023م، ولم يلبث القاسم أن فرّ إلى إشبيلية بعدما ثار القرطبيون عليه، ويشير ابن خلدون إلى أنّ عبد الله بن إسحاق كان عامل القاسم على قرمونة، ولكنه لم يقبل مجيء القاسم له بطلب من ابن عباد في إشبيلية[3] وهكذا نجد أنّ هذه الفترة عرفت صراعا كبيرا بين البربر وأهل قرطبة، وبين البربر والفتيان العامريين.

ت) **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إسحاق (414-434هـ/1023-1042م)**:

خلف أباه على الحكم، وتلقب بالحاجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي، شارك محمد مع يحي بن علي في منازلة إشبيلية سنة 418هـ/1028م، ولما يئس محمد بن عباد وكاد البربر يدخلون إشبيلية أذعن ليحي بن علي بن حمود واعترف به شريطة ألا يدخل البربر لإمارته، ثم استمر الصراع بين بني عباد وبني برزال، خاصة وأنّ الحدود بينهما، واحدة

---

[1] ابن عذارى، البيان، 268/3.

[2] ذكر ابن عذارى بأنّ قرمونة استقلت سنة 404هـ في عهد أبي عبد الله محمد بن عبد الله البرزلي ولقب نفسه بالحاجب، وربما قصد عبد الله بن إسحاق وليس ابنه محمد، لأنّ الأخير لم يتول الحكم إلاّ سنة 414هـ/1024م. ابن عذارى، البيان، 311/3.

[3] للتوسع أنظر: ابن خلدون، تاريخ، 72/7. حمدي عبد المنعم، دراسات، ص44 وما بعدها. دحماني، العلاقات، ص132.-133.

ذات عصبية عربية والأخرى ذات عصبية بربرية، وتشير الروايات إلى أنّ أبا عبد الله قد سار في حكمه سيرة حسنة، لهذا بايعته استجة وأشونة والمدور، وكان يضاهي باديس الزيري في جلالة الشأن وقوة السلطان، وأعظم البربر شأنا في الدهاء والرجولة[1] ويشير ابن حيان إلى دور محمد بن عبد الله في إلحاق الهزيمة ببني الأفطس ملوك بطليوس ضد بني عباد عندما حاولوا ضم باجة لهم سنة 421هـ، بل إنّ محمد البرزالي قد اعتقل المظفر بن مسلمة بن الأفطس، ولم يكتف بهذا بل طلب من ابن عباد أن يهجم على بني الأفطس في بطليوس وعلى قرطبة أيضا، لهذا وصفه ابن حيان بقطب الفتنة ونوّه بقبح آثاره في تلك المنطقة[2]، ولقد سقطت قرمونة في يد يحي بن حمود المعتلي صاحب مالقة وذلك لمحالفة محمد بن عبد الله لبني عباد، ولكن ابن عباد أرسل ابنه إسماعيل لاسترجاعها وكان له ذلك وأعادها لبني برزال سنة 427هـ/1036م، ثم قام ابن عباد بضم قرمونة بحكم أنّها حصن إشبيلية من جهة الشرق لكن البربر تحالفوا مع محمد بن عبد الله البرزالي واسترجعوها سنة 431هـ/1039م، ثم قام بنو عباد بمهاجمة قرمونة بقيادة إسماعيل بن المعتضد بالله والذي استطاع نصب كمين لمحمد وقتله سنة 434هـ/1043م[3].

ث) **عزيز بن محمد بن عبد الله المستظهر (434-459/1042-1067م)**، تولى الحكم قبل عزيز أخوه(وذكر ابن الخطيب أنّه ابنه) إسحاق إلاّ أنّ فترة حكمه كانت قصيرة لهذا همشته كثير من المصادر كابن عذارى وابن الخطيب في الأعلام، وابن خلدون في تاريخه، وقد أشار ابن الخطيب بأنّ إسحاق هو أب العزيز، وقد تولى الحكم وهو كهل، وذكر ابن حيان بأنّه دون ابيه محمد في القسوة والفظاظة وكلاهما موصوف بالعفة والنزاهة والبعد عن آفات الملوك الشائنة، إلا أنهم يستهترون بالخروج عن الجماعة لاعتقادهم بمذهب الناكرين من

[1] ابن الخطيب، أعمال، 236. حمدي عبد المنعم، دراسات، ص55-57. عنان، دول الطوائف، ص148-150.

[2] كلام ابن حيان نقلا عن حمدي عبد المنعم، دراسات، 60-61.

[3] للتوسع أنظر: عنان، دول الطوائف، ص150. حمدي عبد المنعم، دراسات، ص76-77.

فرق الإباضية الخوارج[1] ثم تحدثنا المصادر عن عبد العزيز بن محمد المستظهر الذي عرف عصره الثورات والخلافات مع جيرانه منهم بنو دمّر في مرور وهم إباضية كما سبق ذكره، ولكن الأزمة الكبرى كانت بينه وبين مملكة ابن عباد في إشبيلية[2].

سقطت إمارة قرمونة في يد بني عباد، وهناك روايتان عن سقوطها، الأولى تقول بأنّ عبد العزيز المستظهر أرسل للمأمون يحي بن ذي النون صاحب طليطلة يعرض عليه تسليمه قرمونة مقابل تعويضة بموقع في بلاده الجوفية، وكان عمله هذا نكاية في ابن عباد، فوافق المأمون ثم أرسل ابن عباد للمأمون يغريه في مساعدته للدخول لقرطبة مقابل منحه إقليم قرمونة لبعده عن إمارة طليطلة، فوافق المأمون وكانت نهاية هذه الإمارة. والثانية أنّه بعد أن يئس عبد العزيز المستظهر عن مواجهة الهجمات المتكررة لبني عباد على قرمونة وقتل كثير من أبناء قبيلته وافق أن يتنازل عن قرمونة مقابل منحه الأمان للسير إلى إشبيلية فكان له ذلك سنة 459هـ/1067م[3] وهكذا سقطت قرمونة في يد بني عباد كما سقطت الإمارات البربرية الأخرى.

3) **بنو يفرن**: ذكر ابن خلدون أنّ بني يفرن من شعوب زناتة وأوسع بطونهم، وليفرن إخوة هم مغراوة وينو يرنيان وبنو واسين، وقد كانوا من الخارجية وشاركوا في حروبهم وكان منهم الإباضية والصفرية، وكان أول من قاد حروبهم أبو قرّة من أهل المغرب الأوسط، ولكنهم بعد ذلك انسلخوا وعدلوا عن الخارجية إلى أهل السنة[4] لهذا سوف لا آتي على ذكرهم في الأندلس كونهم سنّة.

---

[1] قول ابن حيان نقلا عن ابن الخطيب، الأعلام، ص237.

[2] للتوسع أنظر: ابن الخطيب، الأعمال، ص237. ابن عذارى، البيان، 312/3. عنان، دول الطوائف، ص151.

[3] للمزيد أنظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص237-238. ابن عذارى، البيان، 312/3. ابن خلدون، تاريخ، 74. حمدي عبد المنعم، دراسات، ص85-87. محمد عبد الله عنان، **دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1389هـ/1969م، ص 151.

[4] ابن خلدون، تاريخ، 15/7 وما بعدها.

استطاع بنو عباد إسقاط الإمارات البربرية الصغيرة الواقعة في الجنوب خلال أعوام قلائل حيث سقطت رندة سنة 457هـ، ومورور سنة 458هـ، وقرمونة سنة 459هـ، وأركش سنة 461هـ[1]

ثانيا– الدولة الشيعية:

سبق وأن ذكرت أهم تمردات الشيعة في العهد الأموي، والآن سآتي على أهم دولة لهم، وهي لا تحمل من التشيع إلاّ الاسم والمعنى الذي يصب في حبهم لآل البيت، أو على الأقل يرون بأحقيتهم في الخلافة، وبضعف الدولة الأموية برزت بعض الدويلات لهم ومنها:

1) دولة الأدارسة الحموديين في الأندلس:

تجلى دور الأدارسة بالأندلس في أواخر عهد الدولة الأموية، عندما خُلع هشام المؤيد بسبب منح هشام ولاية العهد لشنجول بن محمد بن أبي عامر سنة 399هـ/1008م، ومن جملة من حارب هشام، سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر الأموي، الملقب بـ"المستعين بالله"، وشاركه أخوان إدريسيان هما "علي والقاسم بن حمود" ابنا ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس الثاني بن إدريس الأول، وعسكرا في شقندة (قبالة قصر قرطبة)، ثم عيّن المستعين بالله "علي بن حمود" على مدينة سبتة وطنجة، وأخاه قاسم على الجزيرة الخضراء، وهذا لعلاقتهما التاريخية بالمنطقة[2] والمغرب الأقصى.

استطاع بنو حمود أن يدخلوا قرطبة، ويقيموا فيها دولتهم الحمودية الحسينية، وكان أول الداخلين **علي بن حمود** الذي ساعده أمير صنهاجة بغرناطة وغيره من الفتيان العامريين الذين سقطت قيمتهم أمام النفوذ البربري، إذ دخل قرطبة على أساس أنّ الخليفة هشام المؤيد المخلوع قد طلب نجدته، وكتب له ولاية العهد[3]، وبويع "علي" في باب السدّة من قصر قرطبة، يوم الاثنين

---

[1] عنان، دول الطوائف، ص155.

[2] ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا، ص 128 و129. عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص32. العربي، المرجع السابق، ص 215 و222 و225.

[3] هناك اختلاف في الطريقة التي استغلها علي بن يحي بن حمود لقرطبة، فنجد عبد الواحد المراكشي يقول بأنّ علي بن يحي كاتب الأندلسيين يخبرهم بأنّه في الوقت الذي حُصر فيه هشام بقرطبة قد كتب له يوليه عهده، فاستجاب الأندلسيون له

لسبع بقين من محرم سنة 407هـ /1016م، وتلقب بالناصر لدين الله[1] وقام بقتل سليمان المستعين وأخيه عبد الرحمن، وأباهما الحكم، وقال: "هذا جزاء من قتل هشاما المؤيد"، ومن جملة أعماله أنّه فتح المجال للرأي ولتباري المذاهب والنحل، بحيث كان المذهب الذي له السيادة في عهده هو مذهب الاعتزال.[2]

قُتل علي بن حمود ليلا في غرّة ذي القعدة من سنة 408هـ/1017م في الحمام من طرف أحد صبيانه الصقالبة في القصر، عندها اتصلت زناته بأخيه **"القاسم بن حمود"** صاحب اشبيلية، وبعد تأكد الأخير من قتل أخيه، انتقل إلى قرطبة وصلى على أخيه، ثم أمر بنقله إلى مدينة سبته[3]ثم بويع القاسم لأربع خلون من ذي القعدة سنة 408هـ/مارس 1018م، وتلقب "بالمأمون"، وقد أقرّ الحاكم الجديد القضاة والحكام في مناصبهم، وأحسن إلى الناس حتى استبشروا بالعهد الجديد، ومن جملة ما قام به المأمون، تقريب السُود بدلا من البربر أو أهل قرطبة، لكن

وبايعوه، فزحف إلى مالقة ومنه إلى قرطبة حيث قتل سليمان المستعين، وكذا اباه الحكم بن سليمان بن الناصر، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عذارى عندما قال بأنّ علي بن يحي أخرج كتابا نسبه لهشام المؤيد فيه "أنقذني من أسر البرابر والمستعين، وأنت ولي عهدي، ثم وجهه خيران العامري وغيره. أمّا ابن بسام نقلا عن ابن حيان قد ذكر بأنّ هشام عندما دخل عليه سليمان المستعين واضطربت أمور دولته، وتمالؤ بني عمه آل الناصر من خلعه واحدا بعد واحد صيّر لعلي بن حمود ولاية عهده، وأوصى له بالخلافة من بعده وراسله في سبتة وطلب منه أخذ زحله (ثأره). أمّا ابن الخطيب فيذكر بأنّ الفتيان العامريين لما رأو سليمان يميل للبربر راسلوا علي بن يحي في سبتة ومعهم كتاب منسوب لهشام المؤيد وزعموا أنّه خطه بيده يوصي فيه بولاة العهد من بعده لعلي بن حمود. وإذا وضعنا مقارنة بين هذه الروايا نجد أنّ رواية ابن بسام وابن الخطيب أبعد عن الحقيقة وذلك لوجود صراع مرير وكبير بن البيت الهاشمي والبيت الأموي، فكيف يتنازل له عن الخلافة، وإن سلمنا بمسألة التنازل فإنّ التنازل لا يأتي إلاّ بضغط قوي على هشام كما فعل معه عبد الرحمن شنجول بن ابي عامر عندما كتب له ولاية العهد من بعده، وهذا ما لم نلمسه مع علي بن يحي، وبالتالي ربما تكون رواية المراكشي وابن عذارى أقرب للواقع، وذلك ليكسب علي مزيدا من الأنصار خاصة أهل قرطبة والفتيان العامريين الناقمين على البربر. ابن بسام، الذخيرة، 22/1. عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص32. ابن الخطيب، الأعمال، ص121. وقد استفدت من دحماني، العلاقات، ص106.

[1] للتوسع، أنظر: ابن بسام، الذخيرة 60/1. ابن عذارى، البيان 119/3-121. حسين مؤنس، **موسوعة تاريخ الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، مصر، 1416هـ/1996م، 412/1 و413.

[2] عن أهم أعماله وطرق تعامله مع أهل قرطبة والبربر، أنظر: ابن بسام، الذخيرة 60/1-62. العربي، المرجع السابق، ص 233 و236.

[3] ابن عذارى، البيان 121/3 و122. ابن بسام، الذخيرة، 1/ 62.

هذه السياسة كانت السبب في كرههم له، فاستغلّ ابن أخيه "**يحي بن علي**" التذمر البربري، وألّبهم ضده، فخرج القاسم من مركز خلافته قرطبة ليلة السبت 28 ربيع الأول 412هـ/1021م، وانتقل إلى اشبيلية مركزه السابق.[1]

لما علم البربر بفرار القاسم، انتظروا وصول "يحي بن علي" الذي دخل قرطبة دون قتال، وبايعوه بالخلافة في جمادى الأولى من نفس السنة، على الرغم من أنّه كان قد بايع عمّه قاسما من قبل، وتلقب "بالمعتلي"، ومن جملة سياسته تقريب البربر وأهل قرطبة على السواء، وزاده انتماؤه الهاشمي من جهة الأبوين الحظوة والمكانة عند الكثيرين، ما عدا زناته والسُود، فقاموا بتدبير المؤامرة ضده، ولما أدرك الخطر (خاصة وأنّه كان كبيرا في السن) فرّ إلى مالقة[2] وأُرجع عمّه القاسم من جديد.[3]

رجع القاسم إلى قرطبة في ذي القعدة من سنة 414هـ/فبراير 1023م، وقرّب إليه البربر والسود كي يستقر له الأمر في قرطبة، لكنّه هو الآخر انهزم أمام أهل قرطبة، وكانت نهايته هي الرجوع إلى اشبيلية مركزه السابق، ولما وصلها وجدها قد أوصدت في وجهه، وتغلب عليها القاضي"محمد بن إسماعيل بن عباد"[4]، ولتخوف القاسم على أهله داخل اشبيلية من محمد بن

---

[1] ابن عذارى، البيان، 124/3 و125. ابن بسام، الذخيرة، 299/1 و300. مؤنس، الموسوعة، 413/1 -416. العربي، المرجع السابق، ص 241-244.

[2] مالقة: Malaga مدينة بالأندلس على شاطئ البحر، وهو من قبلتها، وهي كثيرة الديار والأسواق، كما أنّها غاية في الحصانة والمنعة، لها أربعة أبواب (بابان للبحر، وباب شرقي يعرف بباب القصبة، وغربي يعرف بباب الوادي، وجوفي يعرف بباب الخوخة) اشتهرت بالتين والرومان. أنظر، المقري، النفح، 151/1. الحميري، الروض، ص 517 و518.

[3] للتوسع أنظر: ابن عذارى، البيان، 131/3-133. ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا، ص 132. ابن بسام، الذخيرة 300/1 - 301.

[4] القاضي أبو القاسم بن ذي الوزارتين أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عبّاد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطّاف بن نعيم الخّمي، وعطاف هو الذي دخل مع طالعة بلج بن بشر، واستطاع إسماعيل أن يضبط اشبيلية رغم الكثرة الفتن بها واتفق مع عمالها على منع القاسم بن حمود من الدخول إليها بعد هزيمته في قرطبة، ونصّب رجلا يشبه الخليفة هشام المؤيد الأموي المخلوع، وبه استطاع تأسيس مملكة بني عباد في اشبيلية. للتوسع أنظر: ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا، ص 152 وما بعدها.

إسماعيل، أخذ يلاطفه كي يخرجهم له سالمين، ولما حصل له ذلك، ذهب بهم إلى شريش[1] التي سيحاصره فيها ابن أخيه يحي بن علي، وينقله مع أولاده إلى مدينته مالقة.[2]

استطاع يحي بن علي الدخول إلى قرطبة مرّة ثانية لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة 416هـ/1025م، وبقي بها حتى انتهت السنة، ثم انتقل إلى مالقة يوم الثلاثاء لثمان خلون من المحرّم سنة 417هـ/1026م، بعد أن أمضى ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما في قرطبة، وبقي بها حتى قتل في قرمونة سنة 427هـ/1035م، وخلفه أخوه إدريس الذي كان واليا على سبتة وطنجة.[3]

هكذا استطاع الشيعة العلوية استغلال ضعف الأمويين وإعلان دولتهم في العاصمة الأموية قرطبة، ولكن ما لم نجد له أثرا كبيرا هو هل استطاع الأدارسة نشر مذهبهم في الأندلس، كما كان الفاطميون قبلهم ينشرون، وإن كنت أعتقد أنّ الأندلسيين الذين ترسّخ المذهب السني في عقولهم قبل قلوبهم لن يقبلوا بمذهب عقدي غير المذهب السني ليحكمهم، وما تعاطف البربر والسود وبعض الأندلسيين لهم إلاّ لنسبهم العلوي، ولم أجد لهم دعاة سعوا لنشر التشيع أو فرضه على الأندلسيين بالقوة كما كان الفاطميون في بلاد المغرب عندما أنشؤوا ديوانا للكشف عن غير المتشيعين وغير ذلك، وبهذا يبقى الموضوع بحاجة للكثير من المصادر التي قد تكون نوّهت بهم أو تخصصت في ذكرهم، وإن كان ابن الخطيب قد اعتبر بني حمود من الفاطميين، في قوله: "واجتمع أهل قرطبة بعد هذه الكائنة (بعد خروج يحي بن علي من قرطبة) على خلع الفاطميين من بني حمود، ونشأت بينهم الترّات التي تأبى المهادنة، فنظروا من يسددون به الرسم من بني أميّة"[4] وهذا يدل شكليا على الامتداد المذهبي الشيعي بين الفاطميين والأدارسة.

---

[1] **شريش**: (Jerez de la fronera) وهي من كور شذونة على مقربة من البحر، ومتوسطة الحصانة، وبين المغرب والقبلة من شريش حصن روطة على شاطئ البحر. المقري، النفح، 180/1. الحميري، الروض، ص 340.

[2] أنظر: ابن عذارى، البيان، 133/3-135. ابن بسام، الذخيرة 301/1 و302. ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا، ص133 132. مؤنس، الموسوعة، 417/1. العربي، المرجع السابق، ص 250 و251.

[3] ابن عذارى، البيان 143/3-145. العربي، المرجع السابق، ص 256.

[4] ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا، ص 137.



الفصل الخامس

الأثر الفكري للحركات المذهبية في الأندلس

المبحث الأول: علوم الشريعة.

المبحث الثاني: اللغة العربية وآدابها.

المبحث الثالث:باقي العلوم النقلية والعقلية.

الفصل الخامس: الأثر الفكري للحركات المذهبية في الأندلس

اهتم الأندلسيون بعلوم الشريعة وعلوم اللغة أكثر من باقي العلوم الأخرى، وقد وصح لنا ذلك صاعد الطليطلي في طبقاته وغيره، حيث ذكر "وكانت الأندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به إلاّ أنّه يوجد فيها طلسمات قديمة في مواضع مختلفة وقع الإجماع على أنّها من عمل ملوك رومية إذ كانت الأندلس منتظمة بمملكتهم ولم تزل على ذلك عاطلة من الحكمة إلى أن افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة اثنين وتسعين من الهجرة، فمأت على ذلك أيضا لا يعنى أهلها بشيء من العلوم إلاّ بعلوم الشريعة وعلم اللغة إلى أن توطد الملك لبني أميّة..."[1]

والدارس للحياة الفكرية عموما في الأندلس سيتلمس ذلك، فكيف إذا جئنا لمعرفة نصيب أصحاب المذاهب في تلك العلوم، وتبقى علوم الشريعة وبعض الأشعار والعلوم التي كانت محل منع عند حكام الأندلس وفقهاء المالكية من أبرز ما يمكن التركيز عليه في هذا الفصل، لأنّها وضحت لنا مذاهب أصحابها.

وللتوضيح ومنعا للاستطراد سوف أركز على ما يخدم موضوع الرسالة أكثر من التعمق والتوسع في الحياة الفكرية للأندلس، لأنّ موضوع الفقه مثلا أو الحديث أو التاريخ لوحده يصلح لأن يكون موضوع رسالة دكتوراه فكيف بالحياة الفكرية عموما. ولأهمية العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية عند أصحاب المذاهب، فقد أفردت لهم مبحثين مستقلين، وباقي العلوم أفردت لها مبحثا مستقلا، ولأنّ الأندلس حافظت على مالكيتها في الفقه وسنيتها في العقيدة، فإنّي سأركز على غيرهم أحيانا لخلق توازن في الدراسة.

[1] صاعد الطليطلي، الطبقات، نشر شيخو، ص 64.



المبحث الأول: علوم الشريعة

اهتم الأندلسيون بعلوم الشريعة أكثر من العلوم الأخرى، وكان الفقه في مقدمة هذه العلوم، دون أن أنسى أنّ الأندلس – منذ فتحها – قد انتقل إليها بعض الصحابة والتابعين كما سبق وأن أسلفنا. وفيما يلي سآتي على أهم علوم الشريعة.

أولا– القرآن وعلومه:

يقصد بالقرآن وعلومه علم التفسير[1] وأحكام القرآن، والقراءات وغيرها من العلوم، فقد عرّف ابن خلدون القرآن: "هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة إلاّ أن الصحابة رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في آدائها، وتُنُقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر روايتها من الجم الغفير، فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة"[2]، وقد برز المالكية والظاهرية والشافعية في ذلك:

اهتم الأندلسيون بالقرآن وعلومه وقد كان **أبو عمر الطلمنكي** من الرواد المهتمين به، إذ لقي عديد القراء في الأندلس وأثناء رحلته كأبي الحسن الأنطاكي المقرئ وأبي الطيب بن غلبون المقرئ، وغيرهم، ولما دخل الأندلس كان أحد الأئمة في علم القرآن العظيم، قراءته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه ومعانيه[3] ومن التفاسير الجديرة بالاهتمام والتقدير في هذا المقام نجد تفسير "الهداية إلى بلوغ النهاية" **لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)** والذي يعد أقدم

---

[1] اختلف المعاصرون مع القدامى في تحديد معنى التفسير، وأنا لست بصدد الدخول في التفاصيل بمقدار ما أريد فهما شاملا له، فقد عرّفه الزركشي "بعلم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستنباط ذلك من علم اللغة والنحو والصرف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات.." وقد مرّ بمراحل منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلّم، وانقسم إلى التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي. للتفصيل أكثر أنظر: محمد علي عبد الكريم الرويني، **مختصر علوم القرآن**، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1987، ص 150 وما بعدها.

[2] ابن خلدون، التاريخ، 1/551-552.

[3] ابن بشكوال، الصلة، 1/84-85.

تفسير أندلسي نفيس وصل إلينا، إذ يعد موسوعة علمية نادرة تأثرت بثقافة زمانها ومكانها وصاحبها، فنجده قد اعتنى بالخلاف النحوي واللغوي والفقهي، وبالقراءات وأوجه المعاني والدلالات، وشخصية صاحبه مكنته من الرد على فطاحل العلماء والنحاة والقراء واللغويين[1]

1- بقي بن مخلد بن يزيد (ت276هـ/889م)، وهو شافعي كما عرفنا سابقا، ذكر ابن حزم تفسيره في رسالته عن فضائل أهل الأندلس، ما قوله: "و في تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد، فهو الكتاب الذي أقطعُ قطعا لا أستثني فيه، أنّه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري، ولا غيره"[2]

2- **منذر بن سعيد البلوطي (ت355هـ/966م)**، وهو ظاهري كما عرفنا فقد ذكره ابن حزم بأنّه داودي المذهب، قويا على الانتصار له، وقد كان له باع في علوم القرآن، إذ ترك لنا مجموعة من الكتب منها: "أحكام القرآن" ولعلّه اختصار لكتابه "الانتباه على استنباط الأحكام من كتاب الله" و"الناسخ والمنسوخ" و"تفسير كتاب الله العزيز".[3]

3- **ابن آمنة الحجاري**، وهو من الشافعية، وقد ذكره ابن حزم في رسالته عن فضائل أهل الأندلس، وقال إنّ له كتابا "أحكام القرآن"، وذكر أنّه شافعي المذهب بصيرا بالكلام[4].

---

[1] إبراهيم حركات: **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م**، جزء الشرعيات والعقائد، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، 11/2. محمد علوي بنصر، **التراث المالكي في التفسير، تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب نموذجا**، ندوة التراث المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، مطبعة المعارف الجديدة، الدار البيضاء، 1998. ص25.

[2] نقلا عن المقري، النفح 148/4، وذكره الحميدي، المصدر السابق، ص 156. الضبّي، المصدر السابق، ص 209. كما ذكر تفسيره: الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الدّاوودي، **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.س.ط، 118/1 و119.

[3] الزبيدي، طبقات، ص295. المقري، النفح 148/4. ابن حزم: **رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي**، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1987م، 179/2. البشري، المرجع السابق، ص 194. يوسف عيد، **دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والأعلام**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2006، ص 551.

[4] ابن حزم: **رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي**، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1987م، 179/2.

وقد دخل بعض الفقهاء من المشرق والمغرب إلى الأندلس، ومن غير المالكية وجدنا:

4- إبراهيم بن أحمد الشيباني، المعروف بأبي اليسر الرياضي(ت298هـ/910م)، وهو من الشيعة كما سبق، له كتاب في إعراب القرآن وتشكيله ومعانيه سماه "سراج الهدى"[1]

5- أبو موسى، عبد الرحمان بن موسى الهواري، الأستجي: عُرف عن عبد الرحمان الفصاحة، وحفظه للفقه والتفسير والقراءات، وقد ذكر ابن الفرضي والقاضي عياض بأنّ له تفسيرا في القرآن وقد رأى كل واحد منهما بعضه، وقد رواه عنه محمد بن أحمد العتبي وغيره[2]

6- ابن عبد البر: له كتاب "**البيان عن تلاوة القرآن**" وهو في جزء واحد[3] وله كتاب "**المدخل إلى علم التجويد**" وهو في جزئين[4] وله كتاب "**الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء بتوجيه ما اختلفا فيه**" وهو في جزء واحد[5]

وهناك غيرهم[6]

ثانيا- الحديث وعلومه:

علم الحديث أو السنّة، هو كل ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، وقد اهتم به المسلمون باعتباره المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ومن المعلوم أنّ الحديث لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم خوفا من أن يختلط بالقرآن، لكنه بقي محفوظا في صدور الصحابة رضي الله عنهم، وأخذه عنهم التابعون وبقي يروى شفاهة حتى

المقري، النفح 148/4. كما ذكره الحميدي، المصدر السابق، ص 366. الضبّي، المصدر السابق، ص 467.

[1] ابن الأبار، التكملة، 225/1. المقري، النفح، 119/4.

[2] ابن الفرضي: تاريخ، ص 212. عياض: ترتيب، 294/1.

[3] الحميدي، الجذوة، 333. الضبي، البغية، 428.

[4] الحميدي، الجذوة، 333. الضبي، البغية، 428.

[5] الحميدي، الجذوة، 333. الضبي، البغية، 428.

[6] منهم أحمد بن عمار المهدوي (ت430هـ) وهو من الداخلين للأندلس، وكان المقرئين البارزين، ومنهم سليمان سليمان بن أحمد الطنجي الكتامي (ت440هـ) من رفقاء ابن غلبون في الدراسة وقد أقام بالمرية، ومنهم عبد الله بن محمد الفهري السلوي، درَس القراءات بقرطبة وقد استقر بها بعد مدة. أنظر: إبراهيم حركات، المدخل، ج2/ ص11.

بدأ تدوينه في ق2هـ. ومنعا للاستطراد كثيرا في هذا المجال، فإنّ علم الحديث يهتم كثيرا بدراسة السّند (سلسلة الرواة الذين تشترط فيهم شروط لأخذ الحديث عنهم، ويطبق عليهم علم الجرح والتعديل) والمتن (و هو النص الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم)، والأحاديث مراتب منها الصحيح والحسن والموضوع وغيرهما.[1] وقد لقي هذا العلم القبول والتوسع في العالم الإسلامي أجمع خاصة إذا علمنا أنّه المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن.

سبق وأن ذكرت أنّ أهل الأندلس يفتخرون بدخول بعض الصحابة والتابعين لجزيرتهم، ومن الصحابة الداخلين أثناء الفتح نجد المنيذر اليماني وهناك من يلقبه بالمنيذر الافريقي وهو صحابي، دخل الأندلس مع القائد موسى بن النصير غازيا، وقد ذكره الإمام البخاري في تاريخه، وروى عن المنيذر أبو عبد الرحمان الحُبلي، قال: حدّثنا المنيذر الافريقي، وكان سكن أفريقية، وكان صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من قال: رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا، فأنا الزعيم له، فلآخذنَّ بيده، فلأدخلنه الجنّة"[2]

وقد كان لرحلة الأندلسيين للمشرق دور كبير في اهتمام علماء الجزيرة بعلم الحديث[3] خاصة وأنّ الحجاز هي مهبط الوحي، والمشرق عموما مستقر جل الصحابة، وكذا رواة الحديث الأوائل.

وفي الأندلس لم نجد لفقهاء المالكية خاصة الأوائل من يهتم بالحديث بمقدار ما كانوا يهتمون بالفقه، وإذا اهتم أحدهم بالحديث فمن جهة أنّ موطأ مالكا يعد مسندا، ومالك محدثا، وهذا

---

[1] للتوسع في موضوع علم الحديث، أنظر: الحافظ ابن كثير، **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**، تأليف أحمد محمّد شاكر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص 3 وما بعدها. عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر (ابن الصلاح)، **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، تخريج وتعليق مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.س.ط، ص 9 وما بعدها. بالنتيا، المرجع السابق، ص 393 و394. حسبلاوي، رسالة سابقة، ص 43 و44.

[2] المقّري، النفح، 266/1. 4/3-4. أحمد أمين، الظهر، 48/3.

[3] هناك دراسة هامة عن دور الرحلة في طلب العلم وأثرها في انتقال الحديث إلى الأندلس قام بها الأستاذ مصطفى محمد حميداتو، **مدرسة الحديث في الأندلس**، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 1428هـ/2007م، ص90 وما بعدها.

يعمم على فقهاء المالكية، ومن الذين اهتموا بأحاديث الموطأ مستقلة عن الأحكام نجد "داود بن جعفر" الذي أملى على أحد طلبته ثلاثة آلاف حديث، وكذلك "حبيب بن الوليد المعروف بدحون" الذي ينتسب للبيت الأموي فقد قيل أنّ له ولعا كبيرا بالحديث وصل به أن تزوج جارية لأنها ضليعة في الحديث، فقد كانت تحفظ عشرة آلاف حديث سمعتها من مالك، وقد أنجب الجارية لدحون ولدا سماه بشرا وكان هو الآخر محدثا[1]

ورغم كل ذلك فقد كان الحديث قليلا في الأندلس ولعل مرد ذلك كما ذكر الأستاذ مولاي الحسين ألحيان ما يلي:

1) توجيه الإمام مالك لتلامذته والوافدين عليه إلى التفقه في الحديث والإقلال من روايته، ومن ذلك قوله لابني أخته وتلميذيه عبد الحميد وإسماعيل بن أبي أويس: "أراكما تحبان هذا الشأن" (يعني الحديث) "فأقلا منه وتفقها فيه".

2) إنّ اتجاه الدراسة في الأندلس إلى الفقه أكثر من اتجاهها إلى الحديث يرجع بطبيعة الحال في هذه الفترة إلى حاجة البلاد الماسة إلى فقهاء يفصلون في المسائل المختلفة وفق ما هو مشهور في مذهب مالك، فاقتصرت الدراسة على موطأ مالك وأقوال مالك خارج الموطأ، ثم مسائل ابن القاسم، ثم فتاوى غيره من تلامذة الإمام[2]

وفيما يلي سأعرض لعلماء الحديث وأشير أثناء الترجمة لفترة حياته ولمذهبه إن تبين لي ذلك بوضوح لأنّ جل من أذكرهم كانوا مالكية المذهب، ويبقى أن أشير بأنّ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي يعدّ القرن الفعلي الذي تأسست فيه مدرسة أندلسية في علم الحديث، ومن جملة محدثي الأندلس نجد:

1) **عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/853م)**: ذكر الحميدي بأنّ في أحاديثه غرائب كثيرة، وذكر بأنّه وقع له حديث رواه ابن حبيب عن مالك بن أنس، حدثناه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ، قال: حدثني أبو القاسم عبد الله ابن محمد الرفاعي، أخبرنا

---

[1] مؤنس، الخشني، ص42.

[2] ألحيان، قرطبة المذهب المالكي، ص125.

علي بن محمد بن أحمد الفقيه بإصبهان، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أسيد، حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا عبيد بن يحي الإفريقي، حدثنا عبد الملك بن حبيب عن مالك بن أنس، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن سعيد بن المسيب، قال:"كان سليمان بن داود عليه السلام يركب الريح من إصطخر فيتغذى ببيت المقدس، ثم يعود فيتعشى بإصطخر"[1] وذكر الحميدي أيضا ومعه الضبي بأنّ أحمد بن عمر بن أنس أخبره وقال له: حدثني الحسين بن يعقوب، حدثنا سعيد بن فحلون، حدثنا يوسف بن يحي المغامى، قال: حدثنا عبد الملك بن حبيب السلمي قال: حدثني ابن عبد الحكم وغيره، عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله: أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قال: "الجمعة في الجماعة فريضة على كل مسلم إلاّ على ستة: المملوك، والمسافر، والمريض، والمرأة، والكبير الفاني" وقال ابن حبيب: وحدثنيه أيضا أسد بن موسى، عن محمد بن الفضيل، عن محمد ابن كعب القرظي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]

2) أبو عبد الله محمّد بن وضاح بن بزيغ، مولى عبد الرحمان بن معاوية(ت286هـ):

من أهل شذونة، عاصر محمّد خمسة أمراء في الدولة الأموية (من الحَكم بن هشام إلى عبد الله بن محمّد) سمع في الأندلس ثم رحل إلى المشرق في رحلتين، الأولى كانت سنة 220هـ قبل رحلة بقي بن مخلد، فطاف البلدان في طلب العلم، حيث سمع من يحي بن معين، وأبو بكر بن أبي شيبة، وحامد ين يحي البلخي وغيرهم، وسمع بأفريقية من سحنون بن سعيد التنوخي، وفي الأندلس من يحي بن يحي الليثي، وقد حدّث محمّد بالأندلس طويلا، ونشر علمه، وروى عنه

[1] الحميدي، جذوة، ص250-251. الضبي، اليغية، ص.29.

[2] أوردت ما ذكره الحميدي، جذوة، ص251. وبالنسبة للضبي قال بأنّ حدثني الراوية أبو محمد عبد الله بن محمد، أخبرنا أبو الحسن بن موهب العذري، قال: أخبرنا الحسين بن يعقوب، أخبرنا سعيد بن فلحون، أخبرنا يوسف المغامي، قال: أخبرنا عبد الملك عبد الملك بن حبيب السلمي، قال: أخبرنا ابن عبد الحكم وغيره عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال (الحديث). الضبي ص329.

جماعة رفعاء منهم وهب بن مسرة، وابن أبي دليم، وقاسم بن أصبغ وغيرهم[1] وقد قيل في حقه: كان ابن وضاح منتجبا للرجال، لا يأخذ شيئا من روايته إلاّ عن الثقة، وأدخل الأندلس علما عظيما وسمع منه أهلها. وقال آخر: كان ابن وضاح شيخ الأندلس، خاصة أنّه سمع من مائة وخمسة وستون رجلا. وكما ذكر ابن فرحون بأنّه بابن وضاح وبقي بن مخلد، صارت الأندلس دار حديث[2]

رغم مكانة ابن وضاح التي نالها في عصره فإنّ مجال التأليف عنده شحيح، ولم يكن كمعاصريه العالم "بقي بن مخلد القرطبي" في غزارة الإنتاج ووفرة التآليف، وربما يعود ذلك لتفرغه للتدريس، أو كونه لم يكن له علم بمجال التأليف وضلوعه في العربية كما يذكر ابن فرحون، ويؤكد مؤنس بأنّها وسيلة الظهور في المجالس والمجامع وتأليف الكتب، كما لم يكن فقيها حتى ينال المناصب الرفيعة[3]

من جملة ما ألفه ابن وضاح نجد ما جمعه الباحث حميداتو: "كتاب القطعان" الذي كان موضوعه في الحديث، و"البدع والنهي عنها" وقد جمع فيه الأحاديث الخاصة بالنهي عن البدع والتحذير منها، و"النظر إلى الله تعالى" وقد جمع فيه ما جاء في النظر إلى الله تعالى، كما كانت له مرويات ذكرها ابن خير في فهرسته منها مصنّف وكيع بن الجراح، وقد رواه ابن وضاح عن موسى بن معاوية عن وكيع وعن محمّد بن سليمان الأنباري عن وكيع، وجامع سفيان الثوري الكبير في الفقه والاختلاف، وقد رواه عن محمد بن عمر الغزي عن مصعب بن ماهان الخرساني عن سفيان الثوري، وكذلك روى

---

[1] الخشني، أخبار الفقهاء، ص122. ابن الفرضي، تاريخ، ص352. الضبي، البغية، ص115-116. مؤنس، شيوخ العصر، ص43.

[2] للتوسع في سيرة ابن وضاح وشيوخه بالتفصيل أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص122-132. ابن فرحون، الديباج، ص338-339.

[3] ابن فرحون، الديباج، ص339. مؤنس، شيوخ العصر، ص 44. نوري معمر: **محمّد بن وضاح القرطبي مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس مع بقي بن مخلد**، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1403هـ/ 1983، ص153.

مسند بن أبي شيبة عن صاحبه مباشرة[1] وبهذا يكون ابن وضاح أحد أعمدة المدرسة الأندلسية في الحديث.

3) **أبو القاسم خلف بن قاسم بن سهل (يقال سهلون) بن محمد بن يونس الأزدي المعروف بابن الدباغ (ت393هـ)**: كان محدثا مكثرا حافظا للحديث، عالما بطرقه، وكان أعلم الناس برجال الحديث، وأكتبهم له، وعدّة شيوخه الذين كتب عنهم مائتان وستة وثلاثون شيخا، له في الحديث كتبا منها: جمع تخريجات "مسند حديث مالك"، "مسند حديث شعبة بن الحجاج" أسماء الصحابة المعروفين بالكنى، ومن التابعين وسائر المحدثين، كان ابن عبد البر لا يقدم عليه أحد، واعتبره شيخا له ولمشايخه، بحيث قال عنه أنّه محدّث الأندلس في وقته[2] وقد وذكر الحميدي بأنّ أبا الفتح عبد الواحد بن محمد بن مسرور البلخي خبرا قرأه لنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ الخطيب بلفظه من كتابه بدمشق، قال: قرأت في كتاب أبي الفتح عبد الواحد بن محمد بن مسرور البلخي بخطه، حدثنا أبو القاسم خلف بن القاسم ابن سهلون الأندلسي، قال: حدثنا أجمد بن يحي بن زكرياء بن الشامة، قال: حدثني أبي، قال: حدثني خالي إبراهيم بن قاسم بن هلال، قال: حدثني فطيس السبائي، قال: سمعت مالكا يقول في قول الله عزّ وجل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[3]، قال: يكتب عليه حتى الأنين في مرضه[4]

---

[1] للتوسع في كل ذلك أنظر: حميداتو، مدرسة الحديث، 1/127-131.

[2] أبو القاسم خلف بن قاسم بن سهل: ولد سنة 325هـ، سمع بقرطبة من أحمد بن يحي بن الشامة، ومحمد بن هشام القروي، ومحمد بن معاوية القرشي، ثم رحل للمشرق سنة 345هـ ومكث هناك حوالي 15 سنة، حيث سمع بمصر من حمزة بن محمد الكناني، والحسن بن رشيق، وغيرهما، وبالشام وكورها سمع من ابن أبي الخطيب بالرملة، أبي الميمون القاضي بعسقلان، وأبي عبد الله السرّاج والفضل بن عبيد الله الهاشمي، وبمكة من أبي الحسن الطوسي، وأبي بكر الآجري وغيرهم. ترجمته عند ابن الفرضي، تاريخ، ص118-119. الحميدي، الجذوة، ص184-186. الضبي، البغية، ص246-248.

[3] سورة ق: الآية 18.

[4] كتبت في المتن رواية الحميدي، الجذوة، ص185. والضبي، البغية، ص247 كتب: كتب عنه أبو الفتح عبد الواحد بن محمد بن مسرور البلخي خبرا رواه لنا أبو الثناء حماد بن هبة الله عن ابن خيرون عن الخطيب أبي بكر، قال: قرأت في كتاب أبي الفتح...

4) **أبو عمر يوسف بن عبد البر**: له كتاب "الاستيعاب في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضي الله عنهم والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم على حروف المعجم"وفيه اثنا عشر جزء، وهو كتاب حسن كثير الفائدة، قال عنه الضبي إنّه رأى أهل المشرق يستحسنونه كثيرا ويقدمونه على ما ألف في بابه[1] وله "الشواهد في إثبات خبر الواحد" وهو في جزء واحد[2] وله كتاب "التقصي لما في الموطأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم" في أربعة أجزاء[3] يمكن الرجوع إلى التمهيد والاستذكار.

سنأتي على من ألّف في هذا العلم بفروعه، وكان للشافعية دور بارز فيه، ومن أهم أصحابه:

1- **بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي، الشافعي**: سبقت ترجمته ضمن فقهاء الشافعية[4]، وقد كانت له عجائب في جمع العلم وطلب الحديث، ألّف مصنفا ومسندا جمع فيه الأحاديث، وقد افتخر به ابن حزم في رسالته عن فضائل أهل الأندلس حين ذكر: "له مصنّفه الكبير الذي رُتب على أسماء الصحابة رضي الله عنهم، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيّف، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنّف ومسند، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه، واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه، فإنّه روى عن مائتي رجل وأربعة وثمانين رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير".[5] كما ذكر ابن حزم في رسائله: " وكان متخيرا لا يقلد أحدا، وكان ذا خاصة من الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى

---

[1] الحميدي، الجذوة، 332. الضبي، البغية، 428. عياض، الترتيب، 353/2.

[2] الحميدي، الجذوة، 332. الضبي، البغية، 428. عياض، الترتيب، 353/2.

[3] الحميدي، الجذوة، 332-333. الضبي، اليغية، 428. عياض، التريب، 353/2.

[4] يمكن الاستزادة عن ترجمته بالتفصيل عند: نوري معمر: **الإمام عبد الرحمان بقي بن مخلد شيخ الحفاظ بالأندلس**، أطروحة بدار الحديث الحسنية، إشراف ممدوح حقي، د.س.م. ط، ص72 وما بعدها.

[5] المقري، النفح، 148/4. عيد، المرجع السابق، ص 551.

عنه، وجاريا مضمار أبي عبد الله البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري وأبي عبد الرحمان النسائي رحمة الله عليهم"[1]

كما صنّف بقي بن مخلد في فضل الصحابة والتابعين وما دونهم، وقد فاق فيه مصنّف أبي بكر بن أبي شيبة، وغيره[2] مع العلم أنّه هو من أدخل مسند أبي بكر بن أبي شيبة إلى الأندلس، وكان سببا في محنته مع فقهاء المالكية كما عرفنا في السابق.

2- **أبو عبد الله، محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج الحنبلي،** له مصنّف في صحيح الحديث وغريبه، وقد كان رفيع المحتوى، خاصة وأنّ ما فيه لا يوجد في كثير من المصنفات.[3]

ومن الشيعة الغرباء عن الأندلس نجد:

3- **إبراهيم بن أحمد الشيباني، المعروف بأبي اليسر الرياضي،** وقد سبق ذكره، فقد ذكر ابن الأبار بأنّ له مسندا في الحديث، ونفس الشيء ذهب إليه صاحب النفح[4] لكننا لم نعرف اسمه.

ثالثا-الفقه وأصوله:

1) التعريف بالفقه ومدارسه:

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي، ثم تليه السنة النبوية المطهرة والمتمثلة في أقوال الرّسول صلى الله عليه وسلم، وفي أفعاله وتقريراته، وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام عرضت على المسلمين مسائل جديدة لم تكن في وقته، فاجتهد الصحابة في القرن الأول الهجري لإيجاد الفتوى لها، فأخذوا بما اجتمعوا عليه، ومنهم من أخذ بالرأي بعد الإجماع، وأخرجوا في

[1] ابن حزم: **رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي،** تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1987م، 2/178-179.

[2] المقري، النفح، 148/4. وذكره أيضا: الحميدي، المصدر السابق، ص 156. الضبّي، المصدر السابق، ص 209.

[3] الضبي، المصدر السابق، ص 87.

[4] المقري، النفح، 148/4.



الأخير الأحكام الشرعية الفرعية من نصوصها الكلية الأصلية، وهذا ما أصطلح على تسميته بالفقه.[1]

- **الفقه لغة**: هو الفهم، كما في **قوله تعالى** ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَفْقَهُواْ قَوْلِي﴾[2] ويطلق على العلم، **قال تعالى** ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾[3] وغيرها من الآيات. وقد غلبت التسمية على علم الدين لسيادته وشرفه، وفضله على سائر أنواع العلم.[4]
- **أمّا اصطلاحا**: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية. وقال ابن خلدون: "معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذرِ، والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه".[5]

بعد القرن الأول الهجري، اتسعت حاضرة العالم الإسلامي، التي شملت حدود الصين شرقا إلى الأندلس غربا، وضمّت تحت لوائها عدّة أجناس وأمم ولغات، وطرأت عدّة مسائل جديدة لم تكن في العهد النبوي، ولا في عهد الصحابة، وكان لزاما أن توجد لهذه المسائل حلولا، فاتسع ميدان الفقه ووضعت ثروة تشريعية واسعة لبّت احتياجات هذه الأمة، وحلت مشاكلها دون أن

---

[1] للتوسع في المراحل التي مرّ بها التشريع الإسلامي، أنظر: الخضري بك، المرجع السابق، ص5 وما بعدها. موسى إبراهيم الإبراهيمي، **المدخل إلى أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي**، شركة الشهاب، الجزائر، 1980، ص135 وما بعدها.

[2] سورة طه، الآية 27 .28.

[3] سورة هود، الآية91.

[4] عن المعنى اللغوي، أنظر: محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى ديب البغا، دار الهدى، ط4، عين مليلة، الجزائر، 1990، ص325. ابن منظور، **لسان العرب**، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي بشري، مؤسسة التاريخ العربي، ودار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992، 305/10 و306. عبد المنان الرّاسخ، **معجم اصطلاحات أصول الفقه**، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص 104. قحطان عبد الرحمن الدوري، **البحث الفقهي**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، العدد 5، رمضان1414هـ/مارس1994م، ص 169.

[5] ابن خلدون، تاريخ، 563/1. محمد محدة، **مختصر علم أصول الفقه الإسلامي**، شركة الشهاب، ط4، الجزائر، 1990، ص8 و9. الرّاسخ، المرجع السابق، ص 104. الدوري، المقال السابق، ص 169.

تبتعد عن أصل الدين، وأبرز ما ميّز لنا الفقه بعد هذا القرن، هو ظهور مدرستين فقهيتين سنيتين هما:

أ) **مدرسة أهل الحديث (الحجاز)**: شاع مذهب أهل الحديث بين الحجازيين، وكان على رأسهم "**سعيد بن المسيب**"[1] إذ رأى هو وأصحابه أنّ أهل الحرمين الشريفين أثبت الناس في الحديث والفقه. وأخذوا يجمعون ما عندهم من آثار وفتاوى الخلفاء الراشدين ومن الصحابة كابن عباس وأبي هريرة وغيرهم، وكذا من قضاة المدينة، واعتبروا أنّ هذا كلّه يغنيهم عن استعمال الرأي.

ويعود وقوف أهل الحجاز عند النصوص إلى أمرين:

أ- كثرة ما بأيديهم من الآثار، وقلّة ما يعرض عليهم من حوادث مستجدّة.

ب- تأثرهم بطريقة شيوخهم الذين حملهم التورع والاحتياط على الوقوف عند النصوص، والتمسك بالآثار من كتاب وسنّة وآثار الصحابة.[2]

ب) **مدرسة أهل الرأي (العراق)**: شاع هذا المذهب بين العراقيين، وكان على رأسهم "**إبراهيم النخعي**"[3]، الذي كان يرى هو وأصحابه من الفقهاء، أنّ أحكام الشرع معقولة المعنى، ومشتملة على مصالح راجعة إلى العباد، وبُنِيت على أصول محكمة، وعلل ضابطة لتلك المصالح، فكانوا يبحثون عن تلك العلل والمصالح التي شُرِّعت الأحكام لأجلها.

ويرجع شيوع الأخذ بالرأي في العراق إلى أمرين:

---

[1] سعيد بن المسيب ابن حزن ابن أبي وهب بن عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم بن يقظة (15-94)هـ، عالم أهل المدينة وسيّد التابعين في زمانه، عن حياته وفضائله، أنظر: شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، ط1، القاهرة، مصر، 1423هـ/2003م، ج4، ص116-131.

[2] عن هذه المدرسة، أنظر: ابن خلدون: تاريخ، 564/1 و565. أحمد فرج حسين، **المدخل إلى الفقه الإسلامي-تاريخ الفقه الإسلامي-** منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2002م، ص142 و143. إبراهيم حسن، تاريخ، 271/2.

[3] إبراهيم النخعي، الإمام الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران بن يزيد ين قيس بن الأسود ... بن مالك بن النخعي بن النخعي، اليماني ثم الكوفي (ت96هـ/714م)، وهو من التابعين، قيل إنّه عاش 49 سنة، وقيل 58 سنة. عن حياته وفضائله أنظر: الذهبي، سير، 280/4-284.

- تأثرهم بمعلمهم الأول "عبد الله بن مسعود"(ت33هـ/653م)[1] وغيره.

- قلّة الأحاديث التي يُعتمد عليها في نظرهم للمسائل المطروحة، فكان لزاما استعمال الرأي.

ويذكر أنّ سبب قلة الأحاديث عندهم شدّة احتياطهم في قبولها، وأنّهم وضعوا شروطا لا يسلم من قبولها إلاّ القليل، خوفا من أن يكون الحديث مكذوبا، كما كانت الكوفة مركز خلافة الإمام "علي بن أبي طالب" كرّم الله وجهه، وكان بها الكثير من الصحابة، منهم عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر وأبي موسى الأشعري وغيرهم، وهم ممن يقتدى بهم.[2]

وقد كان من الحجازيين من يميل إلى الرأي كشيخ الإمام مالك المعروف **بربيعة الرأي**[3]، والعكس، إذ نجد من العراقيين من يكره الأخذ بالرأي "**كشرحبيل بن عامر**"[4] المعروف بالشعبي.[5]

والمذاهب الفقهية المعروفة اختلف في تبعيتها لإحدى المدرستين، فنجد "ابن قتيبة" في كتابه "المعارف" يعدّ الأئمة أبا حنيفة ومالك والشافعي من أهل الرأي، أمّا الإمام أحمد بن حنبل من أهل الحديث.[6]

أمّا "الشهرستاني" في الملل والنحل، وابن خلدون في مقدمته وغيرهما، فيعدون الإمام أبا حنيفة من مدرسة أهل الرأي، وأمّا مالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل من مدرسة الحديث، والكثير يعتبر الإمام الشافعي من أهل الحجاز، ثمّ جمع بين المدرستين، وأوجد لنا مذهبا

---

[1] أنظر ترجمته عند الذهبي، سير، 2/446-462.

[2] للتوسع، أنظر: ابن خلدون: تاريخ، 1/564 و565. أحمد فرج، المرجع السابق، ص 143-145. إبراهيم حسن، تاريخ 2/271.

[3] ربيعة ابن أبي عبد الرحمان فرّوخ، مفتي المدينة(ت136هـ/753م)، قال فيه تلميذه الإمام مالك بن أنس: "ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن". أنظر: الذهبي: السير، 5/54-58.

[4] عامر بن شرحيل بن عبد بن كبار، أبو عمرو الهمداني (28-104)هـ، قال فيه ابن عيينة: "علماء الناس ثلاثة.. والشعبي في زمانه..". أنظر: الذهبي، السير، 4/158-170.

[5] فرج حسين، المرجع السابق، ص145.

[6] أبو محمد عبد الله بن مسلم، **المعارف لابن قتيبة**، حققه وقدم له د. ثروت عكاشة، دار المعارف، ط2، مصر، 1969م، ص 495 وما بعدها. أحمد فرج، المرجع السابق، ص 190.

جديدا قائما على علم جديد، "علم أصول الفقه[1]" كان هو مؤسسه[2] ولكن المتعارف عليه هو أنّ مدرسة أهل الحديث قد ضمّت:المذهب المالكي، الشافعي، الحنبلي، ومذاهب أخرى لم يكتب لها الخلود، مثل الأوزاعي، الظاهري. أمّا مدرسة أهل الرأي فقد تزعمها الإمام "أبو حنيفة النعمان"

وهناك مذاهب فقهية أخرى ربما ابتعدت في اجتهاداتها عن النهج الذي اتبعه أهل السنّة، لكنها تعدّ من المذاهب الفقهية التي لها أصحابها واجتهاداتها وتراثها الفقهي، ولا تزال قائمة إلى اليوم وهي:

1- مذهب الإباضية، وهم المعتدلون من الخوارج، حسب كثير من المراجع، وأصحاب المقالات السنيين، أو المحكّمة[3] كما نجدها في مراجعهم.

2- مذهب الإمامية، وهم من الشيعة.

3- مذهب الزيدية، وهم من معتدلي الشيعة.

سبق لنا وأن عرّفنا الفقه، أمّا أصول الفقه[1] في السّابق، وعرفنا أيضا كيف اعتمد الأندلسيون المذهب المالكي بعدما كان مذهب الإمام الأوزاعي يغلب عليها، وأصبح لفقهاء المالكية سلطة

---

[1] **علم أصول الفقه:** قبل أن يصبح علما نجده قد مرّ بمراحل منذ عهد الصحابة، لكن الإمام الشافعي هو أول من قعّد له، وألّف فيه كتابا خاصا سمّاه "الرّسالة"، وقد جمع فيه ما بين مدرستي أهل الحديث وأهل الرأي، أمّا تعريفه الاصطلاحي فهو: العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. وللتوسع في هذا العلم، أنظر: ابن خلدون: تاريخ، 573/1-579. عبد الوهاب خلاّف، **علم أصول الفقه**، الزهراء للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1993. محمد الأمين بن مختار الشنقيطي، **مذكرة أصول الفقه**، الدار السلفية، الجزائر، د.س.ط.

[2] للتوسع، أنظر: ابن خلدون: تاريخ، 564/1. بالنتيا، المرجع السابق، ص413 و414. أحمد فرج، المرجع السابق، ص190. إبراهيم حسن: تاريخ، 271/2.

[3] **المحكّمة:** أثناء واقعة صفين عام 36هـ/656م، بين صفّ علي بن أبي طالب، وصف معاوية بن أبي سفيان، رحمة الله عليهما، وافق الإمام علي، على مطلب معاوية بن أبي سفيان عندما رفع المصاحف فوق السيوف، وقال "فلنحتكم إلى القرآن"، وعندما توقف القتال وتمّ اختيار الحكمين (أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس) في النهاية، عام 37هـ، خرجت مجموعة وقالت "لا حكم إلاّ لله"، ورفضوا تحكيم علي للحكمين، فسموا بالمحكّمة. للتوسع أنظر: أبو عمرو خليفة بن خياط، **تاريخ خليفة ابن خياط**، راجعه مصطفى نجيب فوّاز، وحكمت كشلي فوّاز، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م، ص 115-119. ابن الأثير، الكامل، 175/3. ابن خلدون، تاريخ، 266/1 وما بعدها. مصطفى ابن ادريسو، **الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، نشر جمعية التراث، 1424هـ /2003م، ص 40 وما بعدها. جهلان، المرجع السابق، 31.بحاز وآخرون، معجم مصطلحات، 274/1-275.

قوية لها قدرة على التأثير في السلطة السياسية، لهذا منعوا أي مذهب فقهي آخر من أن يدخل كمنافس لهم، وتشددوا في ذلك حتى أُتهم الكثير بالزندقة والخروج على السنّة، وربما نموذج "بقي بن مخلد" أحسن مثال لذلك، وفيما يلي سنأتي على التراث المتخصص في الفقه وأصوله:

2) **التراث المالكي**: يعتبر التراث المالكي في مجال الفقه وأصوله الأكثر من حيث الثراء والتوسع في الأندلس، وذلك للأولوية التي أحاط بها الأندلسيون من مجتمع وسلطة لهذا المذهب، وفيما يلي أبرز معالم تراثهم:

أ) **عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ)**: يعتبر الفقيه عبد الملك من كبار فقهاء المذهب في الغرب الإسلامي كله، وقد كانت له كتب في الفقه كتفسير الموطأ إلاّ أنّه أشتهر بمؤلفه المسمى بـ"الواضحة"[2] قال عنها ابن الفرضي "لم يؤلف مثلها"[3] ذكر ابن خلدون "وحل بعده (يحي بن يحي الليثي) عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته، وبث مذهب مالك في الأندلس ودوّن فيه كتاب الواضحة"[4] اقتفى عبد الملك منهج الإمام مالك في تأليفه أي جمع بين الأصول والفروع، وقد كان الكتاب معتمد الأندلسيين في التفقه والتنظير، ودلت على ذلك النقول التي

---

[1] يكاد يجمع الأصوليون على أنّ الإمام الشافعي (ت204هـ) هو أول من ألف في أصول الفقه، وذلك بناء على طلب وجهه له الفقيه المحدّث عبد الرحمان بن مهدي (ت198هـ) تلميذ الإمام مالك وشيخ المحدثين في العراق، فكان من الشافعي كتاب "الرسالة"، وهناك من يرى في أنّ هناك من سبقه إلى هذا الفن إلاّ أنّه يقننه كما فعل الإمام الشافعي، وقد اهتم الأندلسيون بأصول الفقه في عصر مبكر، حيث ينسب للفقيه "يحي بن عمر" (ت289هـ) كتاب فيه، والفقيه زكرياء بن يحي الكلاعي القرطبي (ت حوالي 300هـ)، وعبد الملك بن أحمد بن محمد المعروف بابن المش (ت336هـ) وخلف بن أحمد بن البطال (ت454هـ)، وأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت474هـ)، وأبو العباس أحمد سليمان بن خلف الباجي (393هـ)، وأبو العباس أحمد بن نصر الداودي (ت402هـ)، والعالم ابن حزم (456هـ) وأبي عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري الطلمنكي (429هـ) وغيرهم. نقلا عن الجيدي، مباحث في المذهب، ص143-144.

[2] ذكر عمر الجيدي ناقلا عن غيره أنّ بعض المكتبات احتفظت بقطع من الواضحة، كمكتبة القرويين التي بها قطعة من 42ورقة، والقيروان التي بها عدّة قطع، وأشار إلى أنّ هناك مصدرا مالكيا هام قد حافظ على أجزاء من الواضحة هو كتاب النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني، وهو قيد التحقيق. الجيدي، مباحث، ص70.

[3] ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ص221.

[4] ابن خلدون، تاريخ، 569/1.



حفظتها المؤلفات التي جاءت بعده، والثقة التي حظي بها عند العلماء قديما وحديثا[1] وقال العتبي: رحم الله عبد الملك، ما أعلم أحدا ألف على مذهب أهل المدينة تأليفه، ولا لطالب علم أنفع من كتبه، ولا أحسن من اختياره[2] وذكر ابن حزم واضحة ابن حبيب فقال: المالكيون لا تمانع بينهم في فضلها واستحسانهم إياها[3] وقد أشار ابن خلدون إلى أنّ أهل الأندلس اهتموا بالعتبية وتركوا الواضحة وما سواها[4] ولم يوضح لنا أسباب ذلك. وقد تزامنت كتابة الواضحة مع مدونة سحنون في القيروان، فهما من نتاج عصر واحد كما ذكر الجيدي، وذكر من عنوا بخدمة الواضحة تعليقا أو تهذيبا أو اختصارا الفقيه خلف بن القاسم الأزدي المعروف بالبرادعي(كان 373هـ على قيد الحياة)[5]، وفضل بن سلمة الجهني (ت319هـ)[6]، وابن فرحون[7].

ب) **محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي (ت254هـ):** جمع العتبي المستخرجة (هي المستخرجة من الأسمعة المسموعة من مالك بن أنس، رواها عنه أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة)[8] وسمّيت بالعتبية أيضا، قال فيها ابن الفرضي "وأكثر فيها من الروايات المطروحة،

---

[1] الجيدي، مباحث في المذهب، ص69.

[2] قول العتبي نقلا عن الجيدي، مباحث، ص69.

[3] قول ابن حزم نقلا عن الجيدي، مباحث، ص69. (نقله من النفح، 171/3).

[4] ابن خلدون، تاريخ، 569/1.

[5] ترجمته عند ابن الفرضي، تاريخ، ص118-119. الحميدي، الجذوة، ص184-186. الضبي، البغية، ص246-248.

[6] المقصود هو أبو سعيد خلف بن أبي القاسم أبو القاسم الأزدي، صاحب التهذيب (اختصر فيه مدونة سحنون وهذبها)، وله ما يهمنا هنا هو "اختصار الواضحة". أنظر ترجمته ابن فرحون (إبراهيم بن نور الدين)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،** تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م، ص182-183. وهناك أبو خلف بن قاسم بن سهل المعروف بابن الدباغ الأندلسي والذي ترجمته عند ابن الفرضي، تاريخ، 277-278. الحميدي، الجذوة، 294-295.الضبي، البغية، ص378-379 وغيرهم.

[7] الجيدي، مباحث، ص70.

[8] ذكر الحميدي: أخبرنا بها أبو عمر يوسف بن عبد الله الحافظ بالأندلس، قال: أخبرنا بها أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد ابن علي الباجي وقرأتها عليه... وأخبرنا بها أيضا أبو الوليد هشام بن سعيد الخير بن فتحون، قال: أخبرنا بها أبو الحزم خلف بن عيسى بن أبي درهم القاضي الوشقي، قال: أخبرنا أبو عيسى يحي ابن خلف عبد الله بن أبي عيسى بها، عند أبي عبد الله محمد بن عمر عن العتبي. الحميدي، جذوة، ص36. الضبي، البغية، ص40.

والمسائل الغريبة الشاذة، وكان يؤتى بالمسألة الغريبة، فإذا سمعها قال: أدخلوها في المستخرجة"[1] وقد ذكر ابن الفرضي وغيره روايات في ذلك منها: أخبرنا محمد بن عبد الله بن علي قال: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن قال: سمعت محمد بن وضاح يقول: سألت عبد الأعلى يعني: ابن وهب عن مسألة، فذكر لي فيها عن أصبغ رواية، فمررت بالعتبي فسألته عنها فلم يحفظ فيها رواية، فأخبرته برواية عبد الأعلى وروايته عن أصبغ، فدعا بالمستخرجة فكتبها فيها، ثم لقيت بعد ذلك عبد الأعلى فقال لي: وهمت في المسألة عن أصبغ وليست كذلك. وكذلك ذكر ابن الفرضي: أخبرنا عبد الله بن قاسم، قال: أخبرنا وهب بن مسرّة قال: قال ابن وضاح: إنّ المستخرجة فيها خطأ كثير[2]. تحدث فيها فيما بعد بعض من الفقهاء، فقد كان الحافظ أبو بكر بن العربي يقول لطلبته: "إياكم والعتبية فإنّها بلية"[3] في وقت لقيت الشرح والحفظ عند آخرين خاصة ابن رشد[4]، وبشأن تأليف العتبية نقل الجيدي عن مخطوط محمد المكي الناصري "أجوبة ابن ورد" الطريقة التي ألّف بها العتبي مستخرجته، والشكل الغريب الذي رتبت به[5]

ت) **يحي بن يحي الليثي**: ليحي رواية للموطأ[6] إذ سمع الموطأ من الإمام مالك غير أبواب من الاعتكاف شك في سماعها، فأثبت روايته فيها عن زياد بن عبد الرحمان، فحملها عن زياد عن

[1] ابن الفرضي، تاريخ، ص297.

[2] نفسه، ص297-298.

[3] قول ابن العربي نقلا عن الجيدي، مباحث، ص69. وهو نقلها من عارضة الأحوذي، 85/1.

[4] ألف أبو الوليد ابن رشد (ت520هـ) موسوعة فقهية بشأن العتبية سماها "البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة"، وهي محققة يمكن الرجوع إليها في عشرين مجلد (إثنان منهم مخصصان للفهارس) من تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1988.

[5] الجيدي، مباحث، ص71.

[6] **الموطأ**: يعتبر الموطأ أول كتاب بعد كتاب الله وصل إلينا بالتواتر، وحظي بالقبول بين المذاهب الفقهية، وهذا لا يعني أنّه الأول على الإطلاق وإنّما ما ألف قبله ربما لم يصل إلينا، أو لم تثبت نسبته لصحابه، والموطأ معناه الممهد والميسر، أتمه الإمام مالك بن أنس سنة 159هـ وقد قيل إنّ مالكا هو أول من أطلقه على كتابه عندما قال: عرضت كتابي على سبعين فقيها من فقهاء المدينة، كلهم واطأني عليه فسميته الموطأ، وقيل إنّ أبا جعفر المنصور طلب من مالك أن يضع كتابا للناس يتجنب فيه شدائد عبد الله بن عمر، ورخص عبد الله بن عباس، وشواذ عبد الله بن مسعود، وأن يقصد أوسط الأمور، وما اجتمع عليه الائمة والصحابة، وأن يوطئه توطئة، كما أراد الخليفة أن يفرضه على جميع الأمصار فرفض الإمام مالك وقال: يا أمير المؤمنين

مالك[1] وقد وجدت لموطأ مالك عدّة روايات، فقد ذكر القاضي عياض في المدارك عشرون، وقال آخرون ثلاثون، وذكر ولي الله الدهلوي (ت1139هـ) أنّها كانت في عصره ستة عشرة نسخة منها رواية محمّد بن الحسن الشيباني، ورواية ابن وهب (أبو محمد عبد الله بن سلمة الفهري المصري)، ورواية أبي القاسم (أبو عبد الله عبد الرحمان بن القاسم بن خالد المصري)، رواية القعنبي (أبو عبد الرحمان عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي القعنبي المدني والساكن بالبصرة والمتوفى بمكة) وغيرهم، ولكن أشهر الروايات نجد رواية يحي بن يحي الليثي، وقد أخذ الموطأ عن زياد بن عبد الرحمان، ثم عن مالك مباشرة إلاّ ثلاثة أبواب من كتاب الاعتكاف (باب خروج المعتكف للعيد، باب قضاء الاعتكاف، باب النكاح في الاعتكاف)، ثم عن عبد الله بن وهب[2] وقد ذكر ابن عبد البر بأنّ رواية يحي بن يحي الليثي أفضل الروايات خاصة وأنّ يحي حضر آخر عهد الإمام مالك وشهد جنازته[3].

ذكر محمد بن جعفر الكتاني في معرض حديثه عن روايات الموطأ قوله: "... أشهرها وأحسنها رواية يحي بن يحي بن كثير بالأندلس، وإذا أطلق في هذه الأعصار موطأ مالك فإنّما ينصرف إليها"[4] وقد خالف يحي الإمام مالك في بعض المسائل كالقنوت في الصبح، إذ أخذ يحي برأي الليث بن سعد بأن لا يقنت في الصبح، إذا قال: سمعت الليث بن سعد يقول، سمعت يحي بن سعيد الأنصاري يقول، إنّما قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو أربعين يوما، يدعوا على قوم ويدعوا لآخرين. ثم قال يحي بأنّ الليث كان لا يقنت، وخالف مالكا أيضا في اليمين مع

لا تفعل هذا، فإنّ اصحاب رسول الله قد اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الأمصار، وإنّ الناس قد سمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم ما سبق إليهم، وعملوا به، فدعهم وما اختار كل بلد لأنفسهم. فقال الخليفة: لعمري لو طاوعتني على ذلك لأمرت به. محمّد الدردابي: "كتاب الموطأ وأهميته بين مصادر المذاهب الفقهية"، أشغال الندوة الأكاديمية الدولية المنعقدة أيام 26-28 مارس 2008م، فاس، المغرب، **بعنوان المذهب المالكي في المغرب من الموطإ إلى المدونة**، إعداد وتنسيق عبد الله بنصر العلوي، حمزة الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2010م، مج118/1-119.

[1] ابن الفرضي، تاريخ، ص431. ابن عبد البر، الانتقاء، ص106.

[2] عن أهم روايات الموطأ يمكن التوسع: الدردابي، المقال السابق، 123 وما بعدها.

[3] ذكر ابن عبد البر ذلك في التمهيد، وقد نقلته عن الدردابي، المقال السابق، ص 127.

[4] محمد حسين صقلي: **الخصائص الحديثية لموطأ مالك**، أشغال ندوة المذهب المالكي في المغرب، 300/1.

الشاهد، فلم ير القضاء به ولا الحكم، وأخذ بقول الليث من أنّه لابد من شاهدين رجلين، أو رجل وامرأتان[1].

وقد ذكر الخشني جملة من الأخطاء التي وقع فيها يحي بين يحي في رواية الموطأ منها ما ذكر في كتاب الصلاة حول شرب القطة من الإناء والتوضأ منه ما قوله: "روى يحي بن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري عن حَميدة بنت أبي عبيدة بن فروة عن خالتها" والصواب هو ما في رواية القعنبي وابن بكير وابن وهب وغيرهم "عن حَميدة بنت عبيد بن رفاعة"[2]

وقد ذكر أن الفقيه يحي بن يحي كان يتأسى بإمامه مالك بن أنس، إذ كان لا يقرأ الموطأ إلاّ مرة واحدة في السنة[3]

ث) **أبو عمر يوسف بن عبد البر**: ألف ابن عبد البر مجموعة هامة من الكتب في الفقه المالكي، منها كتاب "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" وفيه سبعون جزء[4] وقد وصف ابن عبد البر كتابه التمهيد في الأبيات التالية:

سهير فؤادي من ثلاثين حجة　　وصاقل ذهني والمفرج عن همي

بسطت لكم فيه كلام نبيكم　　لما في معانيه من الفقه والعلم

وفيه من الآداب ما يهتدى به　　إلى البر والتقوى وينهى عن الظلم[5]

وقد قال فيه ابن حزم: "ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبد البر ... وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلا، فكيف بأحسن منه"[1]

---

[1] المسائل الفقهية تحتاج للتوسع وعرض الأدلة وهذا ليس من اختصاصي في التاريخ، ومثال ذلك ضرورة التفريق بين قنوت الصبح وقنوت النازلة الذي أورده الفقيه يحي بن يحي عن الليث، وهناك مسائل أخرى: ابن الفرضي، تاريخ، ص431. ابن عبد البر، الانتقاء، ص106-108.

[2] للتوسع أكثر في التصحيف والغلط الوارد في رواية يحي بن يحي للموطأ أنظر: الخشني، أخبار الفقهاء، ص349 وما بعدها.

[3] الخشني، أخبار الفقهاء، ص367.

[4] الحميدي، الجذوة، 332. الضبي، البغية، 428.

[5] عياض، الترتيب، 353/2.



وله كتاب "التقصي لما في الموطأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم" في أربعة أجزاء[2] وله كتاب "الكافي" في الفقه على مذهب أهل المدينة، وفيه ستة عشر جزء[3] وله كتاب "اختلاف أصحاب مالك بن أنس، واختلاف رواياتهم عنه" وهو في أربعة وعشرين جزء[4]

ج) **أبو محمّد، عيسى بن دينار بن وهب(واقد) الغافقي، القرطبي (ت212هـ/827م)**:

له كتاب "الهداية" و"البيوع"[5] وكتاب الهداية قال فيه ابن حزم: "وألفت عندنا تآليف في غاية الحسن، لنا خَطَرُ السبق في بعضها، فمنها كتاب الهداية لعيسى بن دينار، وهي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم، وأجمعها للمعاني الفقهية على المذهب"[6]

ح) **أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف:** الرجوع للمنتقى وطبع في سبعة أجزاء، وهناك كتاب آخر لم يصلنا، قال فيه ابن العربي: إنّ الله تدارك به الأمّة[7].

خ) **المختصرات الفقهية عند المالكية**[8]: اهتم الأندلسيون واعتنوا بالمختصرات خاصة المدونة، التي كان لا ينافسها كتاب فقهي آخر حتى ظهرت الواضحة والعتبية، ونجد من الأندلسيين الذين

---

[1] ابن حزم: **رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي**، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1987م، 179/2.

[2] الحميدي، الجذوة، 332-333. الضبي، اليغية، 428. عياض، التريب، 353/2.

[3] الحميدي، الجذوة، 333. الضبي، البغية، ص428.

[4] الحميدي، الجذوة، 333. الضبي، البغية، ص428. الرجوع إلى التمهيد والاستذكار، (أشار الجيدي في مباحثه بأنّ التمهيد طبع، والإستذكار لم يطبع منه إلاّ مجلدان، ص79).

[5] ابن حيان: المقتبس، تح: مكي، ص42، 78، 84، 99. الخشني: أخبار الفقهاء، ص270-272. الحميدي: الجذوة، ص 264. الضبي: البغية، ص351-352. عياض: ترتيب، 373/1. أحمد أمين: الظهر، 50/3.

[6] ابن حزم: **رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي**، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1987م، 178/2.

[7] أنظر: الجيدي، مباحث، ص79.

[8] **المختصرات الفقهية عند المالكية**: يقصد بالمختصر ضم بعض الشيء إلى بعض، بقصد الإيجاز، فنجد ألفاظا قليلة بمعاني كثيرة، بدأت تظهر في أوائل القرن الثالث، وازداد انتشارها في القرن الرابع وما بعده، ومن أوائل المختصرين خارج

اهتموا باختصار المدونة "أبو سعيد خلف بن خلف بن أبي القاسم البرادعي(كان حيا سنة 373هـ) اختصر المدونة في كتاب سماه "التهذيب" واهتم به الأندلسيون أكثر من اهتمامهم بالمدونة التي ما عاد يرجع إليها إلاّ المتبحرون في العلم، وحافظ التهذيب على مكانته حتى القرن 8هـ عندما جاء مختصر ابن الحاجب[1]

III. تراث غير المالكية:

وعلى الرغم من كل ما سبق فإننا وجدنا تراثا فقهيا خلّفه على الخصوص دعاة المذهب الشافعي، منهم:

1- **قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار(ت278هـ/890م)**: ذكر أنّ له عدّة مؤلفات على المذهب الشافعي، لكننا لم نجد له إلاّ كتاب "الإيضاح في الرد على المقلدين وغيرهم"[2]

2- **سلمة بن سعيد بن سلمة بن حفص بن عمر بن يحي بن سعيد بن مطرف ابن برد الأنصاري (ت406هـ /1015م)**: فقيه له مجموعة من الكتب منها "التأمين خلف الإمام" و"شرح قصيدة ابن أبي داود"[3]

3- **أحمد بن محمد بن قاسم**: له كتاب في الرد على المقلدين.[4]

الأندلس الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت214هـ/829م) له المختصر الكبير الذي يقال بأنّه نحا به اختصار كتب أشهب، وله المختصر الأوسط والأصغر، ومن الأندلسيين نجد فضل بن سلمة الجهني الأندلسي (319هـ/931م) الذي اختصر المدونة والواضحة والموازية، وتبعه محمد بن عبد الله بن عيشون الطليطلي (341هـ/952م) صاحب المختصر المشهور الذي اختصر فيه المدونة، ثم محمد بن عبد الملك الخولاني البلنسي (364هـ/974م) الذي اختصر المدونة أيضا، وأبو عبد الله محمد بن أبي زمنين (399هـ/1008م) وغيرهم..عياض، المدارك، 305/1. للتوسع أكثر في موضوع المختصرات أنظر: الجيدي، مباحث، ص85-93.

[1] الجيدي، مباحث في المذهب، ص97.

[2] الحميدي، المصدر السابق، ص 296. الضبّي، المصدر السابق، ص 390.

[3] الحميدي، المصدر السابق، ص 208.

[4] نفسه، ص 93. الضبّي، المصدر السابق، ص 132.

4- **عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأموي الأصيلي (ت392هـ/1001م)**: وهو من الغرباء، له كتاب كبير في الفقه، جمع فيه الاختلاف بين مالك والشافعي، وأبو حنيفة، سماه "الدلائل على أمهات المسائل"، قال عنه الحميدي إنّه لم يقصر.[1]

وقد عاصر بعض الظاهرية الدولة الأموية، لكن تاريخ تأليف كتبهم كان في فترة عصر ملوك الطوائف خاصة العالم الظاهري ابن حزم.[2] وسآتي عليه في بعض مباحث هذا الفصل أيضا

7) **ابن حزم الظاهري**: للعالم ابن حزم عديد الكتب وفي مختلف الاختصاصات كما عرفنا، وقد وصف كتابا من كتبه في رسائله قائلا: "ولنا على مذهبنا الذي تخيرناه من مذاهب أصحاب الحديث كتابا في هذا المعنى (المجلى الذي شرحه في المحلى حسب تحقيق إحسان عباس) وهو وإن كان صغير الجرم، قليل عدد الورق، يزيد على المائتين زيادة يسيرة، فعظيم الفائدة..."[3]

رابعا-العقيدة:

حتى نستطيع تمييز المذاهب العقائدية عن المذاهب الفقهية، خاصة إذا علمنا أنّ الإسلام عقيدة وشريعة (فقه)، فالعقيدة هي أصل الدين والشريعة فرعه، يمكننا هنا التعريف بالعقيدة.

وقد اختلفت الأسباب التي أدّت لنشأة الفرق والمذاهب العقائدية، إلاّ أنّ أهمها كانت سياسية (مسألة الخلافة والإمامة) ثم تحولت إلى فرق ومذاهب دينية لها آراؤها العقدية والفقهية، ومنها من تأثرت بالفلسفات اليونانية والهندية وغيرها.[4]

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 206. الحميدي، المصدر السابق، ص 225.

[2] نقصد هنا: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت456هـ/1064م) الذي ألّف كثيرا من كتب الفقه والأصول على المذهب الظاهري، بل عدّ المجدد له مثل: "الإحكام لأصول الأحكام" و"الإجماع ومسائله" والمجلى والمحلى..أنظر بقية مؤلفاته في هذا المجال: ابن بسام، الذخيرة 89/4. الحميدي، المصدر السابق، ص 278. أبو زهرة، المرجع السابق، ص 554.

[3] ابن حزم، الرسائل، 186/2-187.

[4] هناك فِرق عقائدية سياسية كالشيعة والخوارج، وهناك العقائدية فقط كالمعتزلة والمرجئة وغيرهما، وسنأتي على تعريف كل مذهب من المذاهب التي عرفتها الأندلس في الفصول القادمة من هذه الرسالة، وللتفصيل في نشأة الفرق أنظر: البغدادي، الفرق، ص 16 وما بعدها. أبو زهرة، المذاهب، ص 11 وما بعدها. رستم، الفرق، المرجع السابق، ص 19 وما بعدها.

أمّا أهل السنة والجماعة الذين تنتمي لهم المذاهب الفقهية المذكورة في هذه الرسالة، فهم "السّواد الأعظم الذين والوا جميع أولي الأمر، والتزموا الجماعة، فترضّوا على جميع الخلفاء الراشدين الأربعة، وقالوا بأفضليتهم على من سواهم من الصحابة، حسب ترتيبهم في الخلافة، وقبلوا من الناحية السياسية حكم ولي الأمر بعدهم، أو من تغلّب على الحكم من بني أميّة وبني العباس ومن بعدهم، كما ترضّوا وترحّموا على جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته وأزواجه وقرابته، ورجعوا إليهم جميعا في أخذ علوم الدين: القرآن والحديث والسيرة، حتى ظهر بينهم القراء والفقهاء والمحدثون من كبار التابعين، ومن أشهرهم تلاميذ ابن عباس في مكّة، وابن مسعود في الكوفة، علاوة على تلاميذ سائر علماء الصحابة الذين انتشروا في مكة والمدينة، والكوفة، والبصرة، والشام، ومصر، الذين ظهر منهم فقهاء المدينة السبعة، وأوائل مدوني الحديث... إلى أن وصل العهد إلى كبار أئمة الفقه والحديث.."[1]

سبق لي التعريف بعلم العقيدة في هذا الفصل، أمّا مقارنة الأديان فيقصد بها دراسة بقية الديانات، خاصة السّماوية منها كالإنجيل والتوراة (و هي ديانات محرّفة).

برز في هذا الميدان من الأندلسيين غير المالكيين:

1- **منذر بن سعيد البلوطي**، وهو من الظاهرية كما عرفنا، له كتاب بعنوان "الإبانة من حقائق أصول الديانة" ذكره ابن حزم في رسائله[2]

---

[1] ومجمل أهل السنة كانوا لا يخوضون في النزاعات التي قامت مابين الصحابة، ولا يكفرون واحدا منهم، فهم مجتهدون، والمجتهد مأجور، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، وشعارهم هو: "كما طهّر الله سيوفنا من دمائهم، نسأله تعالى أن يطهّر ألسنتنا من الخوض في أعراضهم" رستم، الفرق، ص73 و83. ولمعرفة المزيد عن أصناف ومعتقدات أهل السنة والجماعة، أنظر: البغدادي، الفرق، ص 276 وما بعدها، الشكعة، المطالعات، ص 94 وما بعدها. أما عن عقائده فالمصادر والمراجع كثيرة نورد في كل مناسبة أهمها، مثل محمد بن صالح بن محمد العثيمين، **عقيدة أهل السنة والجماعة**، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط4، المملكة العربية السعودية، 1423هـ/2003م، ص 7 وما بعدها.

[2] ابن حزم: **رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي**، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1987م، 179/2. ابن الأبار، التكملة، 225/1. المقري، النفح، 119/4.

كما برز فيما بعد (عصر الطوائف) زعيم الظاهرية **ابن حزم**، الذي برع في دراسة الأديان ومقارنتها أكثر من أهلها، بالإضافة إلى دراسة الفرق الإسلامية، وكتابه "الفصل" أكبر دليل على ذلك، وهو كما يقال أول كتاب في مقارنة الأديان.

المبحث الثاني: اللغة العربية وآدابها:

عرف الأدب العربي التطور منذ نشأته في العصر الجاهلي، وهي الفترة التي سبقت العهد الإسلامي، ونحن هنا لا نريد التوسع في هذه المراحل التي مرّ بها الأدب، وإنّما نسعى إلى إبراز الأثر الأدبي الذي تركته المذاهب غير المالكية بالأندلس.

وإذا جئنا لتعريف الأدب نقول: هو الفن الذي يُجيد فيه الإنسان التعبير عن حسن التفكير وقوة الإحساس والعاطفة والخيال. والأدب الممتاز هو الذي يدلّ على شخصية الأديب ويكشف عن صورة الحياة، ويعبر عن الخواطر والمشاعر النفسية، وبهذا فإنّ الأدب هو الصورة الناطقة لحياة الأفراد والأمم، ويشمل المنظوم والمنثور.[1]

وقد خلّد الأدب الأندلسي مآثر الفردوس المفقود، وأعطى لنا صورة ناطقة عن هذه الحضارة، ولا يزال الباحثون في ضروب هذا العلم يبحثون ويحققون المخطوطات، ليبرزوا لنا الجوانب والمميزات الأدبية الأندلسية،كتعديل أوزان الشعر التي برعوا فيها كالموشحات والأزجال.[2]

أولا- النثر:

هو قسم من أقسام الأدب، وقد عرّفه ابن خلدون وغيره بأنّه: " الكلام غير الموزون" وذكر أنّ له فنون، كالسجع، والمرسل.[3]

---

[1] ابن خلدون، تاريخ، ص763. شريط، المرجع السابق، ص 25. وللتوسع في تاريخ الأدب، أنظر: شريّط، نفسه، ص 24 وما بعدها.

[2] عنهما أنظر: ابن خلدون، تاريخ، ص817 وما بعدها. مصطفى الشكعة، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، لبنان، 1979، ص 371-463.

[3] ابن خلدون، تاريخ، ص 781.

وإن كان في الأندلس، قد برع المالكية في ضروب أدبية عدّة، فلا بأس من أن نذكر بعض الفنون النثرية التي برع فيها غيرهم من المذاهب، كالخطابة التي أتقنها منذر بن سعيد، والتأليف الأدبي في الحب العذري الذي برع في الفقيه ابن حزم وغيرهما.

أ- **منذر بن سعيد البلوطي الظاهري:** تميّز منذر بفن الخطابة[1] أكثر مما تميّز في الشعر، وخطبته التي ألقاها بقصر قرطبة، وفي حضرة الخليفة عبد الرحمن الناصر بمناسبة وفود سفارة الروم عليه، أدلّ على ذلك، كيف لا وقد أعجز كبار أهل الأدب والبلاغة والبيان في ذلك الجمع المهيب والمناسبة الكبيرة، من أمثال "أبي علي القالي" و"ابن عبد ربه" السابقي الذكر، وقد كانت هذه الخطبة السبب في تعرّف الخليفة عليه، وترقى بعدها ليتولى الخطابة والصلاة، ثم أصبح قاضي القضاة في عاصمة بني أميّة قرطبة، وقد بدأ منذر افتتاحية خطبته التي ألقاها كالتالي: "أمّا بعد: فإنّ لكلّ حادثة مقاما، ولكلّ مقام مقالا، وليس بعد الحق إلاّ الضلال، وإنّي قمت في مقام كريم، بين يدي ملك عظيم، فأصغوا إليّ بإسماعكم...يا معشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكة فأمّنها.."[2]

ب- **محمد بن عبد الله بن مسرّة الجبلي**، وقد سبقت ترجمته في الفصل الثاني، وعرفنا أنّه صاحب مذهب جديد جمع فيه بين الاعتزال والفلسفة والتصوف الباطني، لكنه كما ذُكر قد جمع علوما شتى، وقد صنّفه ابن حزم في رسالته عن فضائل أهل الأندلس ضمن البلغاء، وإن لم يذكر له مؤلفا حين قال: "و لنا من البلغاء...محمد بن عبد الله بن مسرّة"[3]

ج- **أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم:** رائد الظاهرية في الغرب الإسلامي ومجددها، وكما سبق الذكر فإنّه ألّف في فروع شتى من العلوم، وإن كان علمه قد نهله في فترة الخلافة الأموية، وبعدها، فإنّ جل تأليفه كانت في عهد ملوك الطوائف، ولعلنا سنستثني مؤلفه

---

[1] **الخطابة:** ازدهرت الخطابة في فجر الإسلام ازدهارا ملحوظا، وأعجب بها العام والخاص، لهذا دخلت قصور الأمراء والملوك، والمساجد، واستخدمها القادة في شحذ همم الجيوش، ونسق الخطابة يسير في الغالب على النسق القرآني، فتنتقى فيها الألفاظ والعبارات، ويستخدم فيها السجع. شريّط، المرجع السابق، ص 56 و57.

[2] أنظر الخطبة كاملة في الملحق رقم "06 "

[3] نقلا عن المقري، النفح 157/4.



المشهور "طوق الحمامة"، وعنوان الكتاب التام هو: "طوق الحمامة في الألفة والألاّف"[1] وقد ألّفه ابن حزم استجابة لصديق عزيز عليه عندما كان في مرحلة الصبا، رجحت المستشرقة "غيفين" وغيرها أن يكون هو زميله أبو عامر أحمد بن عبد الملك، المعروف بابن شهيد (382-426هـ/992-1035م)، والذي تربى معه في قصور بني أميّة.[2]

وقد أُختلف في تاريخ كتابة ابن حزم لكتابه الطوق، لكن الكثير رجّح سنة 418هـ/1027م، بعد خروجه من السجن واستقراره بشاطبة، واعتزاله السياسة رسميا كما عرفنا، وما يؤكد هذه السنة هي الإشارات التي جاءت في الطوق عن تأثر ابن حزم بالفتن التي مرّ بها.[3]

وقد نتساءل عن السبب الذي جعل صديق ابن حزم يرسل إليه بهذا الطلب كي يكتب له رسالة في صفة الحب، وأسبابه وأغراضه، وما يقع فيه وله وغيرها من الأعراض.

فإنّه يمكننا ترجيح معرفة ابن شهيد لنشأة ابن حزم في قصور بني أميّة، مع الحريم والجواري اللواتي حفَّظنه القرآن، وعلَّمنه بعض المعارف كالشعر والغناء، بالإضافة إلى ملاحظته اليومية والدقيقة لهن، ليدرك نفسية النسوة عموما والجواري على الخصوص، ورأى أهم المواضيع التي يتحدثن فيها، وعرف حسن نوايا البعض وخبث نوايا الأخريات وما إلى ذلك، ثم أدرك صاحبه بأنّ مؤلفنا قد أصبح عالما بالدين فقيها فيه، فأراد أن يكتب له رأي الشرع في ضوابط الحب العذري، وما أهم أعراضه وغير ذلك مما يظهر على العاشق، وهل أنّ حبّ المرأة هو للغريزة الفطرية فقط، أم هناك أشياء أسمى من ذلك، دون نسيان أنّ ابن حزم قد ورطته نشأته هذه في علاقات عاطفية مبكرة،

---

[1] الملاحظ من العنوان أنّ فيه استعارة لصورة الحمام للدلالة على الحب، والطوق هو الريش الذي يحيط بعنق الحمامة، وهو نوع من الحمام ذو اللون الرملي، يوجد في الشرق الأدنى ومنطقة البحر المتوسط، وكان ذلك الطوق يزيّنها. أنظر: لويس.أ.غيفين، **أدب الحب و"طوق الحمامة" لابن حزم**، ترجمة صالح فخري، مقال في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، المرجع السابق، 604/1. كما يعتبر طوق الحمامة مضرب مثل لكل ثابت لا يتحرك عن أصله.

[2] غيفين، المقال السابق، ص 605.

[3] هناك من ذكر سنة 412هـ/1022م، وهناك من حصرها فيما بين ربيع الثاني من سنة 417هـ/1027م وربيع الأول من سنة 418هـ/1028م. أنظر: ابن حزم الأندلسي، **طوق الحمامة في الألفة والألاّف**، تحقيق وتقديم صلاح الدين القاسمي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د.س.ط، مقدمة المحقق، ص 16. غيفين، المقال السابق، ص 604.

فأحب في صغره جارية شقراء الشعر، ومنذ ذلك الحين لم يكن يستحسن إلاّ الشقراوات، كما أحبّ جارية اسمها "نعم" فتزوجها وهو دون العشرين سنة، ثم اختطفها الموت، فحزن أشد الحزن عليها[1].

وقد قال طه حسين في ظروف كتابة ابن حزم لكتاب "الطوق": "و الظاهر أنّ الحب كان خطيرا في اسبانيا المسلمة أيام ابن حزم، وليس أدلّ على ذلك من هذا المحدث الفقيه المتكلم الفيلسوف، المنفى من أرض وطنه، قد فرغ لكتابة رسالة فيه...فلولا أنّ الأمر له شيء من خطر، لما طلب هذا الفقيه المحدّث الأديب إلى ابن حزم أن يفرغ له ويكتب فيه...و إنّما الظاهر أنّه كان يشغل الناس جميعا في اسبانيا المسلمة لعهد ابن حزم، ولعلّه كان يشغل غيرهم من الناس"[2].

يتكون كتاب الطوق من ثلاثين بابا، وضحها ابن حزم في مقدمة كتابه، وبدأ بالباب الأول "الكلام في ماهية الحب" والثاني "باب علامات الحب"... والباب الثلاثون "باب فضل التعفف"، وغير ذلك.

دَرَس "كتاب الطوق" العديد من الباحثين والمستشرقين وكتبوا عنه الكثير، كما ترجم لعدّة لغات في العالم، وهنا نأتي على أهمّ ما قيل عن الكتاب: قال صاحب الدفاتر "هو كتاب في فلسفة الحب، وظاهرة مثالية في كل مجتمع من المجتمعات، وهو من أوائل الكتب العربية التي تناولت عاطفة الحب بشكل منهجي، ومستقل، ومفصّل".[3]

وقال زكريا إبراهيم في كتابه "ابن حزم الأندلسي" عن الطوق: "كتاب الطوق ضمن المحاولات المبكرة في علم النفس، لأنّه يرى أنّ ابن حزم في دراسته للحب، قد أبدى كثيرا من الملاحظات النفسية الدقيقة والآراء الفلسفية العميقة".[4]

---

[1] هذه الأفكار جمعت بعد مطالعة كل من: بالنتيا، المرجع السابق، ص 229 وما بعدها، غيفين، المقال السابق، ص 604 -607. إحسان عباس، تاريخ الأدب، ص 307.

[2] عنوان مقال طه حسين هو "الحب"، الذي نشره سنة 1946، نقلا عن ابن حزم، **طوق الحمامة في الإلفة والالاّف**، قدم له وحققه المحامي فاروق سعد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1980م، مقدمة المحقق ص 10 و11.

[3] عيد، المرجع السابق، ص 507.

[4] نقلا عن عيد، نفسه، ص 523.



وفي المجال نفسه، قال صلاح الدّين القاسمي (و هو الذي اعتمدنا على تحقيقه لكتاب الطوق)، "كأنّه يحاول دراسة سيرهم في هذا المجال، دراسة العالم النفساني المتبحر"، ونفس الشيء بالنسبة لمحقق كتاب الطوق "فاروق سعد"، الذي قال "ابن حزم في كتابه طوق الحمامة، يحلل الحب تحليلا نفسيا يضاهي في مناهجه ونتائجه أحدث ما توصل إليه علم النفس المعاصر من معطيات في دراسة عاطفة الحب".[1]

كما قال أحمد أمين عن الكتاب: "فهو من حيث تأليفه في الحب من أول الناس وأسبقهم إلى قيد منازع الحب، نعم قد سبقه إلى التأليف في ذلك محمد بن داود الظاهري-أيضا- في كتابه الزهرة، لكن ابن حزم تفوق عليه فكان كتابه "طوق الحمامة" أبرع وأثمن وأوفى"[2]

وخلاصة ما سبق في هذا الموضوع، أنّ النثر الأندلسي للمذاهب غير المالكية ليس بالوفير، لكنه ذا نوعية متميزة ولا أدلّ على ذلك من بقائه إلى الآن، واعتراف معاصريهم من المالكية به، ولعل لغير هؤلاء المذكرين إنتاجا كبيرا، لكنه هُمِّش في وقت اعتُبر أنّه غير مرغوب فيه من قبل السلطة وبعض المتشددين من المالكية، أو لا يزال في طي النسيان وسط المخطوطات في عدّة مراكز من العالم.

ثانيا- الشعر:

عُرِّف الشعر في عمومه بأنّه "الكلام الموزون المقفى"، أي الذي تكون أوزانه كلها على قافية واحدة، ويحتاج أيضا لذوق خاص في اختيار الكلمات ذات الجرس الموسيقي، الذي يُحدث رنّة اهتزاز في البيت الشعري، ومن خيال واسع وشعور حار وصادق في التعبير، بحيث تطرب له النفس عند القراءة وتهتز له المشاعر عند فهمه، وقد مرّ الشعر بمراحل منذ العهد الجاهلي، وتعددت مواضيعه وميادينه.[3]

---

[1] ابن حزم، الطوق، المصدر السابق، تح، القاسمي، ص 17. ابن حزم، الطوق، تح. فاروق سعد، ص 8.

[2] أحمد أمين، الظهر، 314/3. وعن الذين كتبوا في الحب قبل ابن حزم، أنظر الطوق، تح، فاروق سعد، ص (42-46)

[3] ابن خلدون، تاريخ، ص 781. شريّط، المرجع السابق، ص 31.

وإن كان المالكية في الأندلس قد برزوا كثيرا في هذا الميدان، فإنّ لغيرهم دور مشهود في ذلك، وبعد بحثنا عن حركة التأليف لم نجد كتابا خاصا في هذه الصنعة إلاّ مؤلفا لـ"**عثمان بن سعيد الكناني الشافعي (ت320هـ)** سابق الذكر، جمع فيه شعراء الأندلس.[1]

المالكية: منهم:

أ) **عبد الملك بن حبيب**: قال عنه الزبيدي "كان عبد الملك قد جمع إلى علم الفقه والحديث علمَ الإعراب واللغة والتصرّف في فنون الأدب"[2]

من شعره نجد:

صلاح أمري والذي أبتغي سهل على الرحمن في قدرته

ألف من الحمر وأقلل بها لعالم أوفى على بغيته

زرياب قد يأخذها دفعة وصنعتي أشرف من صنعته[3]

وله أيضا أبيات تضمنتها رسالة كان قد بعثها إلى محمد بن سعيد الزجالي:

كيف يطيق الشعر من أصبحتْ حالته اليومَ كحال الغرق

إذا قرضتُ الشعر أو رمته حالت همومي دونه فانفلق

والشعر لا يسْلسُ إلاّ على فراغِ قلبٍ واتساع خلق

واقنع بهذا القول من شاعر يرضى من الحُضر بأدنى العَنَقْ[4]

أمّا ذمام الرد منّي لكم فهو المحتوم فيما سبق

ما حلت عن عهدك لا والذي يجود بالرزق على ما خلق[5]

وله قصيدة كتب بها إلى أهله سنة 220هـ وهو في المشرق جاء فيها:

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 243.

[2] الزبيدي، طبقات النحويين، ص260.

[3] الحميدي، جذوة، ص251. الضبي، البغية، ص330.

[4] الحضر: ارتفاع الفرس في عدوه. العَنَق: نوع من السير.

[5] الزبيدي، طبقات النحويين، ص261.

أحب بلاد الغرب والغرب موطني ألا كل غربي إليّ حبيب

فيا جسدا أضناه شوق كأنّه إذا نضيت عنه الثياب قضيت

ويا كبدا عادت رفاتا كأنّها يلدغها بالكاويات طبيب

بليت وأبلاني اغترابي ونأيه وطول مقامي بالحجاز أجوب

وأهل بأقصى مغرب الشمس دارهم ومن دونهم بحر أجشّ مهيب

وهول كريه ليله كنهاره وسير حثيث للركاب تنوب

فما الداء إلاّ أن تكون بغربة وحسبك داء أن يقال غريب

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة بأكناف نهر الثلج حين يصوب

وحولي صحابي وبنتي وأمها ومعشر أهلي والرؤوف مجيب[1]

ب) محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المري الألبيري، القرطبي (ت399هـ/1009م):

من أشعاره نجد:

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا

لا تطمئنّ إلى الدنيا وبهجتها وإن توشحت من أثوابها الحسنا

أين الأحبة والجيران ما فعلوا أين الذين هم كانوا لنا سكنا

سقاهم الدهر كأسا غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

تبكي المنازل منهم كل منسجم بالمكرمات وترثي البرّ والمننا

حسب الحِمام له أبقاهم وأمهلهم الاّ يظنّ على معلوة حسنا[2]

وذكر القاضي عياض له أبيات منها:

أيها المرء إنّ دنياك بحر طامح موجه فلا تامننها

وطريق النجاة منها مبين وهو أخذ الكفاف والقوت منها[1]

---

[1] عياض، الترتيب، 1/390-391.

[2] الأبيات الكاملة ذكرها ابن خاقان، المطمح، ص267. أمّا غير المكتملة فقد ذكرها: الحميدي، جذوة، ص51. الضبي، البغية، ص76.

ت)أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التجيبي الباجي(ت474هـ/1081م):

برع أبو الوليد في الشعر، وقد أشاذ به صاحب الذخيرة، حيث قال: "نشأ أبو الوليد هذا وهمته في العلم تأخذ عنان السماء، ومكانه من النظم والنثر يسامي مناط الجوزاء، وبدأ في الأدب فبرز في ميادينه، واستظهر أكثر دواوينه، وحمل لواء منثوره وموزونه، وجعل الشعر بضاعته...حتى جنّ الإحساس بذكره، وغنّى الزمان بغرائب شعره، واستغنت مصر والقيروان بخَبره عن خُبرِه، ولم تزل تلك الآفاق تواصله، وعجائب الشام والعراق تغازله"[2]

روى عنه أيضا أبو بكر بن الخطيب، قال: أنشدني أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي لنفسه:

لو كنت أعلم علما يقينا   أنّ جميع حياتي كساعة

فلم لا أكون ضنينا بها   وأجعلها في صلاح وطاعة[3]

ومن المراثي التي نظمها الباجي نجد مرثية ابنه وأخيه التي جاء فيها:

رعى الله قلبين (قبرين) استكانا ببلدة   هما أُسكناها في السواد من القلب

لئن غيِّبا عن ناظري تبوّءا   فؤادي لقد زاد التباعد في القرب

يقر لعيني أن أزور رباهما   وألصق مكنون الترائب بالترب

وأبكي وأبكي ساكنيها لعلني   سأُنجد من صحبٍ وأُسعد (أمطر) من سحب

فما ساعدت وُرق الحمام أخا أسى   ولا روحت ريح الصبا عن أخي كرب

ولا استعذبت عيناي بعدهما كرى   ولا ظمئت نفسي إلى البارد العذب

أحنّ ويثني اليأس عن نفسي على الأسى   كما اضطُرّ محمول إلى المركب الصعب[4]

كما له رثاء في ابنه محمّد، من بين ما جاء فيه:

---

[1] عياض، الترتيب، 260/2.

[2] ابن بسام، الذخيرة، 55/2-56.

[3] ابن بشكوال، الصلة، 318/1-319. عياض، الترتيب، 351/2.

[4] ابن بسام، الذخيرة، 59/2. وما بين قوسين اختلاف وجدته عن القاضي عياض، الترتيب، 351/2.

أمحمّد إن كنت بعدك صابرا صبر السليم لما به لا يسلم[1]

ورزئت قلبك بالنبي محمد ولرزؤه أدهى لديّ وأعظم

فلقد علمن بأنني بك لاحق من بعد ظني أنني متقدم

لله ذكر لا يزال بخاطري متصرّف في صفوّه متحكم

إلى أن قال: فلئن جزعت فإنّ ربي عاذر ولئن صبرت فإنّ صبري أكرم[2]

وله أبيات في مدح المعتضد ابن عباد، وقد كان كانت سببا في نقمة بعض الناس عنه جاء فيها:

عباد استعبد البرايا بأنعم تبلغ النعائم[3]

مديحه خيِمُ كلَّ نفس حتى تغنت به الحمائم[4]

وله في الأسفار أبيات منها:

إذا كنت ربي في طريقي صاحبا وتخلفني في الأهل ما دمت غائبا

فسهّل سبيلي وازوِ عنّي شرها وشرّ الذي ألقاه في الأهل آيبا[5]

وله في الحمد والشكر أبيات منها:

الحمد لله حَمدَ معترفٍ بأنّ نُعماه ليس نحصيها

وأنّ ما بالعباد من نعم فإنّ مولى الأنام موليها

وأنّ شكري لبعض أنعمه من خير ما نعمه يواليها

وله: الحمد لله ذي الآلاء والنعم ومبدع السمع والأبصار والكلم

من يحمد الله يأتيه المزيد ومن يكفر فكم نعم آلت إلى نقم[6]

---

[1] السليم هو من لذغته الأفعى.

[2] ابن بسام، الذخيرة، 59/2.

[3] النعائم منازل القمر.

[4] ابن بسام، الذخيرة، 59/2.

[5] ابن بسام، الذخيرة، 61/2.

[6] أبيات الحمد عند ابن بسام، الذخيرة، 61/2.

وله أبيات في قيام الليل:

قد أفلح القانت في جنح الدجى   يتلو الكتاب العربيَّ المنير

فقائما وراكعا وساجدا   مبتهلا مستعبرا مستغفرا

له حنين وشهيق وبُكا يبل من أدمعه تراب الثرى[1]

أمّا شعر غير المالكية فقد حفلت به المصادر الأندلسية وغيرها، وسنحاول أن نأتي على أهمه:

أ- **منذر بن سعيد البلوطي الظاهري،** له أشعار متعددة الضروب منها الفخر، المدح، الزهد، الوعظ وغيرهم، ففي الزهد مثلا قال:

كم تَصابَى وقد علاك المشيبُ   وتعامى عمدا وأنت اللبيبُ

كيف تلهو وقد أتاك نذيرُ   أن سيأتي الحمام منك قريبُ

يا سفيها قد حان منه رحيلُ   بعد ذاك الرحيل يوم عصيب

إنّ للموت سكرة فارتقبها   لا يداويك إن أتتك طبيبُ

إلى أن قال: وتذكّر يوما تحاسبُ فيه   إنّ من يذكّر فسوف يُنيبُ

ليس من ساعة من الدّهر إلاّ   للمنايا عليك فيها رقيبُ[2]

ولعلّ شعر منذر قد اشتهر أكثر لِما ارتجل أبياتا في خطبته الشهيرة بقصر قرطبة، وفي حضرة الخليفة عبد الرحمن الناصر ووفود الروم، وكان قد جمع فيه بين الفخر والمدح، وبهر به الحاضرين من الأدباء والشعراء قبل غيرهم من الأمراء وبقية الفقهاء والعلماء، ومن جملة ما قال:

مقالتي كحدِّ السيف وسط المحافل   فرّقت به بين حق وباطل

بقلب ذكي ترتمي جمراته   كبارق رعد عند رعش الأنامل

فما دحضَتْ رجلي ولا زلّ مقولي   ولا طاش عقلي يوم تلك الزلازل

و قد حدّقت حولي عيون أخالها   كمثل سهام أُثبتت في المقاتل

[1] ابن بسام، الذخيرة، 2/61-62.

[2] ابن خاقان، المطمح، ص 239. المقري، النفح، 1/360.

لخير إمام كان أو هو كائن   لمقتَبلٍ أو في العصور الأوائل

ترى الناسَ أفواجا يؤمون بابه   وكلهم ما بين راجٍ وآمل

وفود ملوك الروم وسط فنائه   مخافة بأس أو رجاءً لنائل

فعش سالما أقصى حياة مؤمَّلاً   فأنت رجاء الكل حاف وناعلِ

ستملكها ما بين شرق ومغرب   إلى درب قسطنطين أو أرض بابل[1]

ولما أنهى خطبته هذه ختمها ببعض الأبيات كان الحميدي قد ذكرها، قال فيها:

هذا المقال الذي ما عابه فند   لكن صاحبه أزرى به البلد

لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا   لكنني منهم فاغتالني النكد

لولا الخلافة أبقى الله بهجتها   ما كنت أبقى بأرض ما بها أحد[2]

وهنا أراد أن يشير إلى عدم نيله المكانة التي وجب أن تليق بواحد مثله، وأرجع ذلك إلى أصله الأندلسي وليس بالغريب القادم من المشرق، وربما المعنى موجه للأديب "أبو على القالي" المشرقي الذي عجز أن يلقي خطبة في وسط هذا الجمع، وارتعش من هول المناسبة، ليصعد منذر في مكانه. وفي الوقت نفسه هناك تزلف إلى الخليفة، وفعلا وصل بعدها إلى ما كان يريد.

كما اهتم منذر كثيرا بأشعار الزهد والوعظ، ويعود هذا إلى تربيته الدينية التي نشأ فيها (فقيه على مذهب مالك وداوود الظاهري)، وحالة الترف التي عرفتها الأندلس في عهد الخلافة، ومن ذلك نجد:

الموت حوض وكلنا نرد   لم ينج مما يخافه أحدُ

فلا تكن مُغرما برزق غدٍ   فلست تدري بما يجيء غدُ

وخذ من الدهر ما أتاك به   ويَسْلَمُ الروح منك والجسد

والخير والشر لا تُذعه فما   في الناس إلاّ التشنيع والحسد[1]

---

[1] هناك اختلافات في بعض العبارات ما بين المقري، وابن خاقان، أنظر: ابن خاقان، المطمح، ص 244. الزبيدي، طبقات، ص 296. المقري، النفح، 359/1.

[2] الزبيدي، طبقات، ص 296.الحميدي، المصدر السابق، ص 315.

و قال أيضا: ثلاث وستون قد جُزتَها فماذا تؤَمِّل أو تنتظر

وحلّ عليك نذير المشيبِ فما ترعوي أو فما تزدجر

تمرُّ لياليك مرا حثيثا وأنت على ما أرى مستمر

إلى قوله: فإمّا إلى جنّة أزلفت وإمّا إلى سقر تستعر[2]

وكما أسلفنا فإنّ منذر بن سعيد البلوطي كان كثير النصح للخليفة عبد الرحمن الناصر، وبينما كان وزيره أبو عثمان بن إدريس(ت340هـ) ينشد الناصر قصيدة يمدح فيها مدينته الجديدة الزهراء:

سيشهد ما أبقيتَ أنّك لم تكن مُضِيعا وقد مكّنت للدين والدنيا

فبالجامع المعمور للعلم والتقى وبالزهرة الزهراء للملك والعليا

فلم يعجب هذا الموقف منذرا، فأطرق رأسه ساعة ثم قال:

يا باني الزهراء مُستغرقا أوقاته فيها أما تمهلُ

لِلّه ما أحسنها رونقاً لو لم تكن زهرتها تذبلُ

وقد ذبلت الزهراء بعد أن تحطمت في الفتنة سنة 399هـ/1009م[3]

ونظرا للمكانة التي نالها منذر في الدولة الأموية، فقد كثر حاسدوه، وذكر منذر أنّ شخصا أذاه، فخاطبه بكنيته، فقيل له: أيؤذيك وأنت تخاطبه بالكنية؟

فقال: لا تعجبوا من أنني كنيته من بعد ما قد سبّنا وأذانا

فالله قد كنّى أبا لهب وما كنّاه إلاّ خزيةً وهوانا[4]

وهكذا برزت قيمة أشعار منذر في المدح والنصح والتقريع، كما دلت على حكمته في اختيار المناسبات التي تقال فيها هذه الأشعار حتى تنفع.

---

[1] المقري، النفح، 359/1.

[2] ابن خاقان، المطمح، ص 249. وقد نسب المقري هذه الأبيات إلى الوزير أبي الوليد بن حزم، أنظر: المقري، النفح، 97/5.

[3] المقري، النفح، 111/2.

[4] نفسه، 359/1.



ومما يدلّ على تمكنه من الشعر أيضا، فإنّه ذات مرّة كتب إلى أبي علي القالي كي يستعير منه كتابا من الغريب، فقال[البحر المجتث]: بحقِّ ريمٍ مهفهفْ وصدغِه المتعطَّفْ

ابعث إليّ بجزءٍ من الغريب المصنّفْ

فقضى له حاجته، وردّ له بقوله: وحقِّ درٍّ تألف بفيك أيَّ تألُفْ

لأبعثنَّ بما قد حوى الغريبُ المصنّفْ

ولو بعثتُ بنفسي إليك ما كنت أُسرفْ[1]

ونختم كلامنا بقصة لمنذر بن سعيد البلوطي عندما كان بمصر، وسمع شيخه "أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس" يملي على طلبته شعر قيس بن الملوّح:

خليلي هل بالشام عين حزينة تبكي على ليلى لعلي أعينها

قد أسلمها الباكون إلاّ حمامة مطوقة باتت وبات قرينها

تجاذبها أخرى على خيزرانة يكاد يدانيها من الأرض لينها

فقال منذر: أيها الشيخ، أعزك الله، باتا يصنعان ماذا؟ فقال أبو جعفر: فكيف تقول أنت؟ فقال منذر: "بانت وبان قرينها" (أنظر إلى ما تحته سطر في الأبيات)، فاستبان أبو جعفر ما قال.[2]

ب– عبد الله بن سعيد المسرّي: ذكر إحسان عباس، أنّه لم يجده ضمن المسريّة، ورجح أن يكون المريي (مدينة المرية)، بدلا من المسرّي، وقد ذكره الكتاني في باب طول الليل:

ألا ربّ ليلٍ قد تقاصر طوله عليّ فلم أعلم سروراً متى انقضى

إلى قوله: كأنّ ظلام الليل ضنّ بليلة فولَّى به عني سريعا وقوَّضا

وإلا كأنّ الصبح غار بصبحه فزاحم ليل الوصل فيه تعرُّضا[3]

ج– محمد بن فتح، وهو من المتصوفة الباطنيين كما عرفنا، وقد كانت أشعاره في الزهد منها:

---

[1] المقري، النفح، 239/2 و240.

[2] الحميدي، المصدر السابق، ص 316. المقري، النفح، 239/2.

[3] محمد بن الكتاني الطبيب، **كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**، تحقيق إحسان عباس، دار الشروق، ط3، بيروت، لبنان، 1406هـ/1986م،ص 155 و156.

أيا ويح نفسي من نهار يقودها إلى عسكر الموتى وليل يذوذها[1]

د- **أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم**، ويعرف بالحمار السرقسطي[2] ويحسب على مذهب ابن مسرّة الجبلي، وقد كتب بدوره شعرا يردّ فيه على معارضي علم المنطق: جاء فيه:

ظلموا ذا الكتاب إذ وصفوه بالذي ليس فيه إذ جهلوه

أو درَوا حقّه لما أنكروه أو درَوا فضله إذن فضّلوه

كَذبوا والإله لو عرفوه لنفوا عنه كل ما نحلوه[3]

وقد ذكر له الكتاني أشعارا في ثلاث أبواب، منها باب القيان والمغنيين، قال أبو عثمان:

لا عيش إلاّ في المدام وقينةٍ تشدوا على وترٍ فصيح ألثغِ

تُعنى بتقدير الزمان ومسحِه فيجيء بين مُملأٍ ومفرَّغ

وكأنّما نغماتها في لفظها ذهبٌ أُسيلَ على لجينٍ مفرّغ

وإذا نظرت إلى محاسن وجهها ناديتَ يا قمرَ السّما: لا تَبزُغِ[4]

و قال في باب شواذ تقل نظائرها:

لا كنت مثل الطبيب تُبصره يدق إهليجا ونانوخا

يلتمس البرءَ للعليل وقد شكا دماغا له ويافوخا

حتى إذا ما الشفاء لاح له أراد رأس الطبيب مطبوخا

وقال في نفس الباب:

دع التسبيح فالتسبيح في ذا الدهر هو صيد

ودع طول الصلاة فقد فطنت بأنّها كيدُ

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 350.

[2] هكذا وجدته عند صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي، **كتاب طبقات الأمم**، تحقيق لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1912، ص68. الحميدي، المصدر السابق، ص 205. بالنتيا، المرجع السابق، ص 331. وغيرهم. أمّا كتاب صاعد، تحقيق حسين مؤنس، ص90 فقد ذكر حماد بدلا من حمار، ولعله خطئ مطبعي.

[3] الحميدي، المصدر السابق، ص 205.

[4] الكتاني، المصدر السابق، ص 190.

صداعٌ منك يأخذني الدّوار منه والمَيْدُ[1]

وله أشعار في وصف أعضاء الجسد المستورة.[2]

هـ- أبو القاسم محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الألبيري الأندلسي: ولد محمد في مدينة ألبيرة في حدود (320 أو 326هـ/932 أو 937م – 362هـ/973م) في عهد الخليفة الناصر لدين الله[3]

درس ابن هانئ بقرطبة وفيها قرأ دواوين كبار شعراء المشرق، منهم أبو تمام والبحتري، وحفظهما، كما حفظ أشعار المتنبي معاصره، ودرس اللغة على أبي علي القالي، وتشبع بالمذهب الإسماعيلي من طرف أبيه.

جهر ابن هانئ بتشيعه الفاطمي في أشعاره بألبيرة، ثم اشبيلية معقل بني الحجاج اليمنيين، ولقي من حاكم اشبيلية محمد بن إبراهيم بن الحجّاج المستقل عن الخلافة في قرطبة الكرم والعطاء، ولكن بعد إحكام الناصر قبضته على الولايات، نصح حاكم إشبيلية ابن هانئ بالرحيل، خاصة وأنّ العامة قد نبذوه للتفلسف والتشيع الذي سمعوه في شعره، ولمجونه وارتكابه المحرمات، فرحل إلى العدوة المغربية، فلقي الحظوة عند جعفر بن علي بن حمدون وأخيه يحي أمراء إقليم الزاب بالمغرب الأوسط، ثم من عند القائد الفاطمي جوهر الصقلي، ثم رحب به المعز لدين الله الفاطمي الذي بنى له قصرا بالقيروان بعد الأشعار التي قالها في حقه عندما فتح مصر.

---

[1] الكتاني، المصدر السابق، ص 274 و275.

[2] نفسه، ص 137.

[3] وقد أُطلق عليه ابن هانئ الأندلسي حتى يميّز عن ابن هانئ المشرقي (أبو نواس)، وهو من أصل أزدي يمني لهذا توصف قصائده بالأزدية، وقيل إن أصله يرجع لنسل المهلب بن أبي صفرة. ويبدوا أنّ أباه "هانئ" قد غادر مسقط رأسه في إحدى قرى المهدية الفاطمية بإفريقية، واتجه إلى قرطبة وقت إعلان الناصر الأموي للخلافة، فتركها وارتحل إلى اشبيلية ليباشر فيها مهنته الدعائية للدعوة الفاطمية الإسماعيلية. محمد اليعلاوي، **ابن هانئ المغربي الأندلسي (320/931–362/973) شاعر الدولة الفاطمية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، ص 108 و109.

توفي ابن هانئ في برقة سنة 362هـ/973م، لكنّ أسباب موته لا تزال غامضة، فمنهم من يقول مات سكرانا، ومنهم من أرجع ذلك لعيون الأمويين في المغرب، ومنهم من قال بأنّ حاسديه تسببوا في ذلك[1].

وإذا رجعنا لتراث ابن هانئ الشعري فنقول إنّه من المرجّح قد بلغ هذا النضج الشعري قبل وصوله إلى بلاد المغرب الإسلامي، وإلاّ لما وجد هذا الترحيب من علي ويحي من بني حمود، وجوهر الصقلي والمعز لدين الله، وهذا ما ذهبت إليه سلمى خضراء الجيوسي[2].

درس الأدباء شعر ابن هانئ في ديوانه، فوجدوا المدح والوصف هو الغالب على شعره، بالإضافة إلى استغلاله العقيدة الشيعية الإسماعيلية في أغلب أشعاره، كما مالت كلماته إلى البداوة، وربما متأثرا في ذلك بشعراء الجاهلية الذين حفظ أشعارهم، كما لقبوه "بمتنبي المغرب"[3]

من المعلوم أنّ الأندلس كانت مالكية المذهب، وأشعار ابن هانئ كانت تحمل في غالبيتها النزعة الشيعية، كعصمة الإمام وتقديسه -حتى وصل به لمرتبة النبوة والكمال الإلهي- والعهد، والتأويل والوصي[4] وهذا قد يؤدي إلى قتله باعتباره زنديقا، فكان ذلك سببا في هروب ابن هانئ من الأندلس.

---

[1] جمعت هذه الترجمة من المصادر والمراجع التالية: ابن هانئ الأندلسي، **ديوان ابن هانئ**، جمع كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، ص 5-8. ابن الخطيب، الإحاطة، 186/2-190. أحمد أمين، الظهر، 135/3. ابن خاقان، المطمح، ص 322 وما بعدها. بطرس البستاني، **أدباء العرب، في الأندلس وعصر الانبعاث**، دار مارون عبود، د.س.ط، ص84 وما بعدها. فروخ، تاريخ، ص266-269. شريّط، المرجع السابق، ص 294 وما بعدها. بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2003 ص 347 وما بعدها. سلمى خضراء الجيوسي، **الشعر الأندلسي، العصر الذهبي**، مقال في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، 394/1 وما بعدها. اليعلاوي، المرجع السابق، ص 107 وما بعدها.

[2] الجيوسي، المقال السابق، ص 396.

[3] للتوسع في أقوال الأدباء والشعراء والنقاد والمؤرخين في شعره، أنظر: الجيوسي، المقال السابق، ص 394. أحمد أمين، الظهر، 138/3. عيد، المرجع السابق، ص812-814.

[4] لشرح المصطلحات التي وردت في شعره، أنظر: عيد، المرجع السابق، ص 711.

ولكن السؤال الذي نطرحه فيما يخص موضوعنا هو: لماذا لم نجد أشعار ابن هانئ التي قالها عندما كان في الأندلس؟

من المؤكد أننا لن نصل إلاّ إلى التخمينات التالية:

- رفض الأندلسيين لأشعاره بحكم تشبعهم بعقيدة أهل السنة.
- تخوف من أحبّ شعره من ترديده، خوفا من اتهامه بالزندقة.
- سكوت المصادر عن ذكره، لأنّه كان يعتبر الدولة الأموية مغتصبة للخلافة عن الفاطميين.

برز كره ابن هانئ للدولة الأموية وجميع من عارض تشيعه من الفقهاء والعامة، في أشعاره منها:

ولما التفتْ أسيافها ورماحها شراعا وقد سُدّت علي المسالك

أجزت عليها عابرا وتركتها كأنّ المنايا تحت جنبي أرائك

وما نقموا إلاّ قديم تشيعي فنجى هزبرا شدةُ المتدارك[1]

ولم يتوانى ابن هانئ في إظهار تشيعه وإعلانه صراحة، حيث قال:

لي صارم وهو شيعي كحامله يكاد يسبق كرّاتي إلى البطل[2]

وفي سن السابعة والعشرين خرج ابن هانئ من الأندلس إلى بلاد المغرب[3] وقبل أن يقدم على المعز لدين الله الفاطمي، نزل على بني حمود بإقليم الزاب وبالضبط في مدينة المحمدية (المسيلة) بالمغرب الأوسط، ومدح بأشعاره جعفر وأخاه يحي، وذاع صيته في الأصقاع بعد ذلك أكثر، ومن مدحه: ألا أيّها الوادي المقدس بالندى وأهل الندى قلبي إليك مشوقُ

ويا أيها القصر المنيفُ قبابه على الزاب لا يُسدَدْ إليك طريقُ

ويا ملكَ الزابِ الرفيع عماده بقيت لجمع المجد وهو فريقُ

حتى وصل إلى: فكن كيف شاء الناس أو شئت دائما فليس لهذا المِلك غيرك فوق

---

[1] ابن هانئ، الديوان، ص245.

[2] نفسه، ص306.

[3] نفسه، ص5. بالنتيا، المرجع السابق، ص 63. أمّا الجيوسي فقد ذكرت خروجه من الأندلس وسنّه ستة وعشرون عام. المقال السابق، ص 396.

ولا تشكرِ الدنيا على نيل رتبة   فما نلتها إلاّ وأنت حقيقُ[1]

وله قصيدة أخرى يقول فيها: خليلي أين الزّاب منّي وجعفر   وجنّة عدن بنتُ عنها وكوثر

فقبلي نأى عن جنّة الخلد آدم   فما راقه من جانب الأرض منظرُ

إلى قوله: فأنت لمن قد مزّق الله شَمله   معشره والأهلَ أهلُ ومعشرُ[2]

وإن كانت هذه الأشعار قد قالها في بلاد المغرب الإسلامي، إلاّ أنها تزامنت مع بداية انتقاله إليه، وهذا يمثل لنا نضجه الشعري قبل وصوله إلى المغرب، أمّا بقية قصائده في مدح الحاكم الفاطمي المعز لدين الله، فهي كثيرة وغزيرة لا يسعنا ذكرها هنا، حتى أطلق عليها اسم (المعزّيات) نسبة للمعز، ولعلنا نأتي على أهمها فقط، منها:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار

وكأنّما أنت النبيُّ محمد   وكأنّما أنصارك الأنصار

أنت الذي كانت تبشرنا به   في كُتبها، الأحبار والأخبار

هذا إمام المتقين ومن به   في دوخ الطغيان والكفار[3]

و على الرّغم من ابتعاده عن الأندلس إلى بلاد المغرب، فإنّ كرهه لبني أميّة قد بقي متواصلا، منها:

والريح تبعثُ أنفاسها معطّرةً   مثل العبير بماء الورد يختلطُ

كأنّما هي أنفاسُ المعزِّ سرتْ   لا شُبهة للندى فيها ولا غلطُ

خابت أميّة منه بالذي طلبت   كما يخيب برأس الأقرعِ المشط

وحاولوا من حضيض الأرض إذ غضبوا   كواكباً عن مرامي شأوها شَحَطوا

هذا وقد فرّق الفرقان بينكما   بحيث يفترق الرضوان والسَّخَطُ

---

[1] ابن خاقان، المطمح، ص 327 مع العلم أني لم أجدها في الديوان.

[2] نفسه، ص 327 و328.

[3] هذه الأشعار وغيرها كثير، للتوسع فيها أنظر: ابن هانئ، ديوان، ص 146. ابن خاقان، المطمح، ص 324 وما بعدها. أحمد أمين، الظهر، 139/3 وما بعدها. التليسي، المرجع السابق، ص347 وما بعدها.

إنّ الملوك إذا قيسوا إليك معا فأنت من كثرة بحر وهم نُقطُ[1]

و قد كانت لابن هانئ قصائد ذات قواف من طراز الزجل والموشح[2] لكننا لم نجدها.

وهكذا فإننا نجد شعر الشيعة في الأندلس قد وجد له أديبا ألمعيا، يتمثل في الشاعر ابن هانئ، إلاّ أنّ براعته كانت في بلاد المغرب أكثر، لاطمئنانه بها من الناحية المذهبية قبل النفسية والمادية.

- **ابن دراج القسطلي (ت421هـ/1030م)**: أبو عمر أحمد بن دراج القسطلي، ذكر ابن بسام بأنّه كان شاعر الجزيرة، وقد وصل شعره الاصقاع وكانت العراق والشام أدنى خطى ذكره[3]، وقد قال عنه صاحب يتيمة الدهر بأنّه "بلغني أنّ أبا عمر القسطلي كان عندهم بصُقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام، وهو أحد شعرائهم الفحول هنالك، وكان يجيد ما ينظِم"[4]

لإبن دراج أشعار مدح فيها دولة بني حمود، وإن وجدت له أشعار أخرى مدح فيها بني أمية وغيرهم مما جعله شاعر يتكسب بشعره وليس لأنّه شيعي المذهب، منها ما ذكره في منذر بن يحي الحمودي: "حيّاك بتحية الملك، من أحيا بك دعوة الحق، وردّاك رداء الأعظام، من أعلى بك لواء الإسلام ... قد جعل الله أول أسمائك أولى بأعدائك..."ثم قال:

ثم أحييت فجرهم يا بن يحي بِسِراجَين نور دين ودنيا[5]

- **أبو بكر عبادة بن ماء السماء (421هـ/1030م)**: هو عبادة بن عبد الله الأنصاري، من ذرية سعد بن عبادة، وقيل له ماء السماء لإسم جده، له أشعار كثيرة يمدح فيها الدولة الحمودية منها ما قال في القاسم ابن حمود:

ما ضيّع الله ملكا أنت راعيه ولا أباح ذِمارا أنت حاميه

---

[1] ابن هانئ، الديوان، ص 185.

[2] بالنتيا، المرجع السابق، ص157

[3] ابن بسام، الذخيرة، 34/1.

[4] كلام الثعالبي (اليتيمة، 103/2) نقلا عن ابن بسام، الذخيرة، 35/1.

[5] للتوسع أنظر: ابن بسام، الذخيرة، 38/1 زما بعدها.



لله درّك من مولى عوارفه لم تُبق في الأرض إلاّ من يواليه[1]

وقال: وهل ضرّك الباغي بسهم مكيدة وأنت بواقي عصمة الله دارع

وأيّ يد تنوي قراعك بعدما رأينا يد الجبار عنك تقارع

ثم قال: صلى عليك الله يا ابن رسوله ووليه المختص بعد رحيله[2]

وقال في علي بن حمود:

أطاعتك القلوب ومن عصيٌّ وحزب الله حزبك ياعلي

وكل من ادّعى معك المعالي كذوب مثل ماكذب المدّعي

ثم قال: فإن قال الفخور أبي فلان فحسبك أن تقول أبي النبيّ[3]

وقد أظهر ابن ماء السماء تشيعه في الأبيات التالية:

فها أنا يا ابن النبوة نافث من القول أريا غير ما ينفث الصلُّ

وعندي صريح في ولائك مُعرقٌ تشيُّعه محض وبعته بتل[4]

أشاد ابن حزم في رسائله بعبادة حيت كتب: "ومما أُلف في الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار شعراء الأندلس، كتاب حسن"[5]

- **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحناط الكفيف** (**437هـ/1045م**): نشأ في قرطبة وكان ضليع في علم النطق حتى أتهم في دينه، وكان أوسع الناس بعلوم الجاهلية والإسلام، بصيرا بالآثار العلوية، عالما بالأفلاك والهيئة، حدقا بالطب والفلسفة، رحل إلى لجزيرة الخضراء عند محمد المهدي بن القاسم بن حمود، وله في الدولة الشيعية الحمودية اشعار منها ما وصف فيها خيران الصقلبي وقتل المرتضى المرواني:

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، 295/1.

[2] ابن بسام، الذخيرة، 296/1.

[3] ابن بسام، الذخيرة، ص297.

[4] نفسه، 297/1.

[5] ابن حزم، الرسائل/ 182/2-183.

لك الخير خيران مضى بسبيله وأصبح ملك الله في ابن رسوله

وفُرّق جمع الكفر واجتمع الورى على ابن حبيب الله بعد خليله

ثم قال: وأشرقت الدنيا بنور خليفة به لاح بدر الحق بعد أفوله[1]

ومن مظاهر تشيعه نجد:

فبوأت رحلي ظلّ أروع ماجد يقول بلا خلف ويعطي بلا منّ

إمام وصي المصطفى وابن عمه أبوه، فتمّ الفخر بين أبٍ وابن[2]

فهو يرى بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلّم قد أوصى بالإمامة لعلي

- **أبو زيد عبد الرحمن بن مَقَانا الأشبوني**: أحد أهم شعراء الدولة الحمودية، أظهر تشيعه في قصائده لدولة بني حمود منها:

وكأنّ الشمس لما أشرقت فانثنت عنها عيون الناظرين

وجه إدريس بن يحي بن علي بن حمود أمير المؤمنين

خطّ بالمسك على أبوابه أدخلوها بسلام آمنين

ثم قال: يا بني أحمد يا خير الورى لأبيكم كان رفد المسلمين

نزل الوحي عليه فاحتبى في الدجى فوقهم الروح الأمين

خلقوا من ماء عدل وتقى وجميع الناس من ماء وطين

انظرونا نقتبس من نوركم إنّه من نور رب العالمين[3]

و- محمد بن مسرّة بن عبد الله: وجدنا له أشعارا ذكرها الكتاني، منها ما جاء في باب الرؤوس والمصلوب، حيث قال فيها:

كأنّهُمُ دانوا بأنّك ربُّهُمُ فخرّوا جميعا حين أطلتَ سُجَّدا

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، 282/1.

[2] نفسه، 282/1.

[3] نفسه، 470/2.

كأنّ رقاب المشركين قصائد تكون لها عُلياك في الحرب منْشِدا

كأنّ الدم المهراق أسكَر نصلهُ فصال على حزب الضلال معربدا

كأنّ رؤوس الشرك طيرٌ سواكنٌ غدوت لها بالمشرفيِّ مشرِّدا[1]

وفي باب ذم الموت وذكر الموت، قال:

إنّما الموت غاية نحن نسعى خَبباً نحوها على الأقدامِ

إنّما الليل والنهار مطايا لبني الأرضِ نحو دار الحِمام[2]

ز- ابن حزم الأندلسي الظاهري: سبقت ترجمة العالم، وقلت إنّه العالم الذي جمع في شتى العلوم، ومؤلفاته تدل على سعة ما ذكر، ونريد هنا أن نقدم بعض الأشعار التي امتاز بها ابن حزم، ونركز أكثر على المرحلة التي هي قيد الدّراسة قدر المستطاع، لأنّ المصادر والمراجع لم تذكر تاريخ كتابته لها، مما يصعب علينا ذكر كلها، ولكن مهما يكن فإنّ النضج الأدبي لابن حزم قد درسه وتعلمه في فترة دراستنا (قبل 422هـ/1031م).

وسنعتمد كثيرا على الأشعار التي جمعها كتابه "طوق الحمامة" الذي سبق ذكره، ومن بعض المصادر والمراجع التي سنأتي على ذكرها في التهميش.

من أشعاره التي وردت في الحب وجمعها كتاب طوق الحمامة، أبيات كان قد كتبها لصديقه "عبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر" جاء فيها:

أودّك ودّا ليس فيه غضاضة وبعضُ مودّات الرجال سرابُ

وأمحضتك النصحَ الصريح وفي الحشى لودّك نقشٌ ظاهر وكتابُ

فلو كان في روحي هواك اقتلعتُه ومزِّق بالكفين عنه إهاب

وما لي غيرُ الود منك إرادة ولا في سواه لي إليك خطاب

إذا حُزته فالأرض جمعاءُ والورى هباءٌ وسكان البلاد ذبابُ[1]

---

[1] الكتاني، المصدر السابق، ص 212.

[2] الكتاني، المصدر السابق، ص 258.



وذكر ابن حزم أنّه كان يكره "أبا عامر بن أبي عامر"، وقابله أبو عامر بنفس الكره، على الرغم من أنّهما لم يريا بعضهما البعض، ويعود ذلك حسب ابن حزم إلى التنافس الذي كان بين أبويهما عند الخليفة الأموي الحكم بن عبد الرحمن الناصر، لكنهما لما جمع القدر بينهما، صارا من أحب الناس إلى بعضهما البعض، وفي ذلك قال ابن حزم:

أخ لي أكسبنيه اللقاء | وأوجدني فيه علقا شريفاً
وقد كنت أكره منه الجوارَ | وما كنتُ أرغبهُ لي أليفاً
وكان البغيضَ فصار الحبيبَ | وكان الثقيلَ فصار الخفيفا
وكنت أدمن عنه الوجيف | فصرت أُديم إليه الوجيفا[2]

و في الوعظ، قال في ذم الهوى، الذي رأى أنّ الله ما حرّمه علينا إلاّ وقد عوضنا ما هو أحسن منه:

أقول لنفسي:ما مبينٌ كحالكٍ | وما الناسُ إلاّ هالك وابن هالكِ
صُن النفس عما عابها وارفض الهوى | فإنّ الهوى مفتاح باب المهالك
رأيت الهوى سهل المبادي لذيذها | وعُقباه مرُّ الطعم ضنك المسالك
فما لذّة الإنسان والموت بعدها | ولو عاش ضِعفي عمر نوح بن لامك

إلى أن قال: وما قابلُ الأمرِ الذي كان راغباً | بشهوة مشتاق وعقل مبارك
لأجدى عبادِ اللّه بالفوز عنده | لدى جنّة الفردوس فوق الأرائك
ومن عرف الأمر الذي هو طالبٌ | رأى سبباً ما في يديْ كل مالك
ومن عرف الرّحمن لم يعص أمره | ولو أنّه يُعطى جميع الممالك

و في الختام: فلو أعمل الناسُ التفكّر في الذي | له خُلقوا ما كان حيٌّ بضاحك[3]

---

[1] ابن حزم، الطوق، ص 22. ج.ك.بيرغل، **النشوة والانضباط في الفن الإسلامي: خطوات نحو مقترب جديد**، تر. عبد الواحد لؤلؤة، مقال في كتاب الحضارة العربية في الأندلس، 901/2.

[2] وجف يجف وجيفا، وهو الاضطراب والخفقان، عن هذه الأبيات، أنظر: ابن حزم، الطوق، تح، القاسمي، ص50.

[3] ابن حزم، الطوق، تح. القاسمي، ص 219 و220.

ومن شعره الذي أكد فيه على أنّه من الظاهرية قوله وهو يردّ على أحدهم:

وذي عذلٍ في من سبانيَ حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقولُ

أفي حسنِ وجهٍ لاحَ لم تر غَيبهُ ولم تدر كيف الجسمُ أنت قتيل؟

فقلتُ له: أسرفت في اللوم ظالما وعندي ردٌّ –لو أردتَ– طويل

ألـم تر أنّي ظاهريٌّ وأنني على ما بدا حتى يقوم دليل[1]!

و قد كان لابن حزم حاسدون كُثر، خاصة وأنّه كانت له حدّة في كلامه كما عرفنا سابقا، فردّ بقوله: لا يشمتن حاسدي إن نكبةٌ عرضت فالدهر ليس على حال بمتروكِ

ذو الفضلِ كالتبر طوراً تحت ميقعةٍ وتارة في ذُرى تاجٍ على الملوك[2]

و قال في نفس السياق: أما لهم شغل عني فيشغلهم أو كلهم بي مشغول ومرتهنُ

كأنّ ذكري تسبيح به أمروا فليس يغفل عنّي منهم لسنُ

إن غبت عن لحظهم هاجوا بغيظهمُ حتى إذا ما رأوني طالعا سكتوا[3]

وقد تأثر ابن حزم بالأحداث التي مرّ بها، سواء بعد فتنة قرطبة 399هـ/1009م، أو ما جاء بعدها من سجن ونفي، ومن جملة ما قال بعدها:

هل الدهر إلاّ ما رأينا وأدركنا؟ فجائعه تبقى ولذاته تفنى

إذا أَمْكَنَتْ فيه مسرّة ساعةٍ تولت كمرّ الطرف واستخلفتْ حزنا

إلى تبعاتٍ في المعاد وموقف تودُّ لديه أننا لم نكن كنّا

حصلنا على همٍ وإثمٍ وحسرةٍ وفات الذي كنّا نلدّ به عنا

حنينٌ لما ولّى وشغلٌ بما أتى وغم لما يرجى، فعيشك لا يهنا

كأنّ الذي كنّا نسرّ بكونه إذا حققته النفس لفظٌ بلا معنى[4]

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، 107/1 و108.

[2] ابن بسام، الذخيرة، 107/1. الحميدي، المصدر السابق، ص 279.

[3] إحسان عباس، تاريخ الأدب، ص 321.

[4] الحميدي، المصدر السابق، ص 278. ابن بسام، الذخيرة، 106/1.

و في الأخير نختم أشعار ابن حزم، بما قاله وهو يفتخر بعلمه، والملاحظ أنّ ظاهرية الأندلس كانوا يميلون إلى هذا النوع من الشعر، لأنّ قيمتهم لم تقدّر رغم سعة علمهم وفقههم، ولا ننسى ما ذكرناه عن منذر بن سعيد البلوطي من قبل، ومن جملة شعر ابن حزم في ذلك قصيدته الرائعة التي بعثها إلى قاضي الجماعة بقرطبة "عبد الرحمن بن أحمد بن بشر" وقال فيها:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكنَّ عيبي أن مطلعي الغربُ

ولو أنني من جانب الشرق طالعٌ لجدَّ على ما ضاع من ذكريَ النهب

ولي نحوَ أكنافِ العراق صبابة ولا غروَ أن يستوحِش الكلفُ الصّب

فإن يُنزِل الرّحمنُ رَحليَ بينهمْ فحينئذٍ يبدو التأسف والكرب

فكم قائل أغْفلتهُ وهو حاضرٌ وأطلب ما عنهُ تجيءُ به الكتب

هنالك يدري أنّ للبعد قصّة وأنّ كساد العلم آفته القرب

فوا عجباً من غاب عنهم تشوّقوا له، ودنُّو المرءِ من دارهم ذنب

إلى أن قال: ولكن لي في يوسفٍ خير أسوةٍ وليس على من بالنبيِّ ائتسي ذنب

يقول وقال الحق والصدق إنّني حفيظٌ عليم وما على صادقٍ عتْب[1]

وكما هو معروف فإنّ ابن حزم لم يغادر الأندلس لطلب العلم، وإنّما تلقى كلّ علومه ومعارفه في بلده، سواء من عند مشايخ أندلسيين، أو من الوافدين إليها، لهذا لم تعط له المكانة والقيمة العلمية التي كان ينتظرها، ولكنّ واقع الأمر أنّ ما جمعه، لم نجده عند غيره في رحلاتهم الطوال بالمشرق.[2]

أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، القرطبي (ت463هـ): وصف ابن عبد البر كتابه التمهيد في الأبيات التالية:

سهير فؤادي من ثلاثين حجة وصاقل ذهني والمفرج عن همي

[1] الحميدي، نفسه، ص 278 و279. ابن بسام، نفسه، ص 106 و107.

[2] للإطلاع على أشعاره، أنظر: تلميذه الحميدي، المصدر السابق، ص 278. ابن بسام، الذخيرة، 1/105-107. ابن حزم، الطوق، مقتطفات في الكتاب. وإحسان عباس، تاريخ الأدب، ص319 وما بعدها وغيرهم.

بسطت لكم فيه كلام نبيكم لما في معانيه من الفقه والعلم

وفيه من الآداب ما يهتدى به إلى البر والتقوى وينهى عن الظلم[1]

المبحث الثالث: باقي العلوم النقلية والعقلية

أولا– التصوف والفلسفة وعلم الكلام:

أقصد بالتصوف الذي مُزج بالفلسفة الروحية اليونانية، التي جاء بها أفلوطين وأمبذوقليس، أو بالمعتقدات التي تقول بأنّ للعلم الظاهر (الشريعة) باطنا (التصوف) كما أسلفنا، وعلى العموم فإنّ العلوم التي استحدثت بعد توسع الإسلام في مناطق عديدة من العالم، وما صحب ذلك من ترجمة لعدّة علوم كالفلسفة[2]، والتنجيم والهندسة وغيرهما، فقد كانت مرفوضة لدى المسلمين عموما، والأندلسيين في العهد الأموي على الخصوص، واتهم أصحابها بالتزندق والابتداع ولو كانوا مالكيي المذهب، فما بالك إن كانوا من غيرهم ؟

ويعتبر الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحَكَم، أول من شجع دخول الفلسفة وبقية علوم الأوائل كما كانت تسمى[3] مع العلم أنّ هذه العلوم لم تكن معروفة حتى في عهد إسبانيا القوطية، وإنّما دخلت في عهد حُكم بني أميّة فقط[4].

قال المستشرق آسين بلاثيوس "إنّ الفلسفة لم تدخل الأندلس صريحة ظاهرة بوجه مسفر، وإنّما وفدت عليه في صحبة العلوم التطبيقية –الفلك والرياضة والطب– أو تسربت إليه متسترة في

---

[1] عياض، الترتيب، 353/2.

[2] وقد برز المسلمون في علم الفلسفة، كيف لا وقد اعترف المستشرقون بأنّ الغرب قد أخذوا الفلسفة عن ما كتبه المسلمون. للتوسع في هذا المجال والرد على المستشرقين، أنظر:

Pierre Marthelot, et all, **Islam civilisation religion**, Libraries Artheme Fayard, Paris, France. 1965. P.190 et suite

[3] السيوطي، المصدر السابق، ص 418.

[4] صاعد، المصدر السابق، تح. مؤنس، ص 84. بالنتيا، المرجع السابق، ص 323.

ثنايا بدع الاعتزال وبعض مذاهب الباطنية، كما اجتهد أصحاب هذه المذاهب -التي كان الناس يتحاشونها- في النجاة بأنفسهم من تعقب الفقهاء وأهل الدولة، بالظهور في مظهر التدين والنسك[1].

وقد أكد ابن سعيد في تذييله على رسالة ابن حزم في فضائل أهل الأندلس على ذلك، فقال: "أمّا الفلسفة...و هو علم ممقوت بالأندلس، لا يستطيع صاحبه إظهاره، فلذلك تختفي تصانيفه"[2] وذكر ابن حزم في رسائله عالمين في الفلسفة هما "سعيد بن فتحون السرقسطي" وهو المعروف بالحمار وسأذكره فيما بعد، وأستاذ ابن حزم "أبو عبد الله محمد بن الحسن المذحجي" وقد أشاد بهما[3].

أمّا **علم الكلام** فله تعاريف كثيرة منها تعريف ابن خلدون الذي حصره في أهل السنّة بقوله: "هو علم يتضمن الحِجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد"[4] وقد وضع عبد الفتاح المغربي بعد سرده لبعض التعاريف من المصادر التعريف التالي لعلم الكلام: "علم الكلام يقوم على إثبات العقيدة الدينية عن طريق الأدلة العقلية، فهو بذلك يقوم بتوضيح أصول العقيدة وشرحها وتدعيمها بالأدلة العقلية، وبذا يستكمل المؤمن نوران: نور العقل ونور القلب، وتزول الشكوك الوسائس التي قد تعتريه"[5]

وحتى لا نستطرد في هذه المقدمة، فإنّ التصوف كان مرفوضا من قِبل الأندلسيين، وحتى علم الفلسفة العقلية، ولكن إلى أي مدى أسهم أصحاب المذاهب التي عرفتها الأندلس بتأليفهم في هاته العلوم؟

---

[1] نقلا عن بالنتيا، المرجع السابق، ص 325 و326.

[2] نقلا عن المقري، النفح، 163/4.

[3] ابن حزم، الرسائل، 185/2.

[4] ابن خلدون، العبر، 580/1.

[5] عبد الفتاح المغربي: **الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة**، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة، مصر، 1415هـ/1995م، ص 11.

لم تذكر المصادر كثيرا من مؤلفات هؤلاء وسنحاول ذكر من استطعنا الوصول إلى مؤلفاتهم، من أمثال:

1) **عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد (بدر)** المهندس، وقد كان يلقب بإقليدس الأندلس، ومن جملة معارفه تمكنه في علم الفلسفة، إذ قام باختصار الكتب المنطقية الثمانية، وقد رحل عبد الرحمن إلى المشرق في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر، وتوفي هناك.[1]

2) **أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم**، وهو من المسرية على ما يظهر، كان يعرف بالحمار السرقسطي[2]، له كتاب في الفلسفة يسمى"شجرة الحكمة"، وقد اعترف له ابن حزم بتمكنه في هذه الصنعة، فقال في رسالته عن فضائل أهل الأندلس: "أمّا الفلسفة فإنّي رأيت فيها رسائل مجموعة، وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي، المعروف بالحمار، دالة على تمكنه من هذه الصناعة"[3] وقد نالته في أيام الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر محنة شديدة أدخلته السجن ثم خرج من الأندلس لصقلية[4]

3) **محمد بن عبد الله بن مسرّة**: عرفنا فيما سبق، المذهب المسري وأهم أتباعه، والردود التي ألفت ضده، والآن نتوجه مباشرة للحديث عن الكتب التي ألّفها، وإذا جئنا لتعداد ما عرف له، نجد ثلاثة كتب هي: التبصرة (الاعتبار) الذي ذكره ابن الأبّار، والحروف الذي

---

[1] هي كتب ألفها أرسطو (أرسطاليس)، صاعد، المصدر السابق، تح، مؤنس، ص 89 و90. القفطي، المصدر السابق، ص 152.

[2] أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم، هكذا ذكرته المصادر، باستثناء كتاب صاعد المحقق من طرف حسين مؤنس، الذي ذكره بالحماد، أمّا الذي حققه لويس شيخوا فقد ذكره بالحمار، وقد برع سعيد في الموسيقى والمنطق والهندسة، وله رسالة في تعديل العلوم وكيف درجت إلى الوجود، لكن عناوين كتبه لم نجدها لهذا اكتفينا بإعطاء الصورة عنه في الهامش، وقد لقي من جراء علمه هذا المحنة من طرف المنصور بن أبي عامر، إذ سجنه، ولما أطلق سراحه فرّ إلى جزيرة صقلية التي بها توفي. أنظر: الحميدي، المصدر السابق، ص 205. صاعد الأندلسي، طبقات، تح شيخو، ص 68. صاعد، المصدر السابق، تح، مؤنس، ص 90. بالنتيا، المرجع السابق، ص 331.

[3] ابن حزم، الرسائل، 185/2. الكتاني، كتاب التشبيهات، المصدر السابق، 304. وكلام ابن حزم نقلا عن المقري، النفح، 154/4.

[4] صاعد، الطبقات، نشر شيخو، ص68-69.



ذكره ابن عربي، وتوحيد الموقنين الذي ذكره الصوفي ابن المرأة (عاصر ابن عربي في ق6هـ/12م)[1]

وقد عثر الدكتور إبراهيم جعفر على الكتابين الأولين، ونشرهما سنة 1978 ففك بذلك أسئلة وخلافات كثيرة عن هذه الشخصية.[2]

وإذا أردنا التّعرف على محتوى الكتابين (التبصرة والحروف) باختصار نقول:

أ- كتاب التبصرة: يطلق على هذا الكتاب أيضا اسم "الاعتبار"، وفي نظر ابن مسرّة أنّ الاعتبار والوحي يؤديان عبر مسالك متغايرة إلى القناعات ذاتها، فالاعتبار في نظره يتمثل في استعمال العقل لتبيّن إشارات الله، والتسامي درجة فدرجة حتى يتم إدراك التوحيد، وقد اشتق الاسم من الآيات القرآنية الكريمات[3] وهنا يدعو ابن مسرّة إلى التأمل الذي يقود إلى البصيرة، وهذا أكثر من فكر الفلاسفة، ويورد عبارات منها "لقد أطلعتكم الفكرة على البصيرة" يعني التعرّف على الله الواحد، قال "فإذا فكروا أبصروا، وإذا أبصروا وجدوا الحق واحدا على ما حكت الرسل عليهم السلام". وعليه فالاعتبار في نظر ابن مسرّة يمكّن من فك مغاليق العالم لأنّ "العالم كله كتاب، حروفه كلامه" وهكذا يؤيد كلام الرّسل حسب مفهومه، إلاّ أنّ الاتجاه متعاكس، فالنبوءة تصدر من الأعلى نحو الأسفل، والاعتبار ينطلق من الأسفل ليبلغ إلى الأعلى، والنتيجة في الأخير واحدة، وهي التوحيد.[4]

---

[1] نقلا عن هيرنانديس، المقال السابق، ص 1090. وأضافت كلود عداس، المقال السابق، ص 1269 لهما الكتاب الثالث.

[2] نقلا عن المستشرقة عدّاس، المقال نفسه، 1269.

[3] منها **قوله تعالى** ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلقِ السَّمَوَاتِ والأَرضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل عمران: 191.

[4] عدّاس، المقال السابق، ص 1270. وقد أورد بالنتيا بأنّ ابن مسرّة كان يؤلف الكتب ولكن لا يخرجها لتلاميذه إلاّ بعد مراجعته لها وتنقيحه إياها حولا كاملا، ولكنّ كتاب التبصرة بعد أن ألّفه، قام أحد تلامذته الأذكياء وهو "حيي بن عبد الملك" -كان يسكن بجواره في الجبل- بإخراج الكتاب دون إذن من شيخه ابن مسرّة، ثم قام بنسخه، ولما أتمّ عمله توجه إلى شيخه وأراه إياه وقال: تعرف هذا الكتاب ؟ فلما تصفَّحه قال: لا نفعك الله به. ولم يُخْرِج بعدها كتاب التبصرة لأحد.

ب- **كتاب الحروف**: وهو مختصر للعنوان التالي "رسالة خواص الحروف وحقائقها وأصولها" وقد بيّن فيه أنّ الفلسفة إذا كانت مجردة من التفكير فإنّها تؤدي إلى التهلكة، أمّا إذا كانت بالتدبّر والاعتبار فإنّها توصل إلى الحقيقة، وقدّم أمثلة على الأمم الضالة والفلاسفة والحكماء الذين توصلوا إلى إدراك التوحيد دون عون النبوة، ومنهم أفلاطون[1].

كما تناول الكتاب موضوع دلالة النورانيات وتأويلها، وهي الحروف الأربعة عشر المفردة، والتي تفتح بها بعض سور وآيات القرآن، وهنا يظهر التأويل الباطني باعتبار صفوة الأولياء هم من يصلون لذلك، وكان يعتمد كثيرا على كتاب الحروف للصوفي "سهل بن عبد الله التستري" (ت283هـ /896م) وبهذا يظهر لنا أنّ ابن مسرّة هو رائد متصوفة الأندلس، وأنّه لا يمكن فهم كتبه بالقراءة اللغوية السطحية وإنّما بعد التعرف على المصطلحات الصوفية الواردة في معنى الحروف وأسرارها[2].

وهكذا نجد التصوف الباطني قد دمج أفكارا فلسفية للوصول إلى الحقيقة، وما دام الهدف هو معرفة حقيقة التوحيد، فلا حرج في ذلك، وقد وضع ابن مسرّة الأساس للتصوف الفلسفي في الغرب الإسلامي.

4) **ابن حزم الظاهري**: يعتبر ابن حزم من علماء عصر الطوائف كما عرفنا، وقد خاض غمار التأليف في تخصصات عدّة، وما يهمنا هنا هو اهتمامه بعلم الكلام ليرد على أهل الفرق من جهة وعلى غير المسلمين من اليهود والنصارى من جهة أخرى، ويعتبر كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" موسوعة نقدية للفرق والمذاهب والأديان[3] وهو فريد في زمانه بالأندلس.

بالنتيا، مر.س، ص 328. ونفهم ربما من هذه الحادثة أن لابن مسرّة كتبا عدّة، جعله لا يعرف بنقص واحد منها، سواء كانت من تأليفه أو من مقتنياته.

[1] عداس، المقال السابق، ص 1271.

[2] نفسه، ص 1272 و1273.

[3] بعيون، المرجع السابق، ص242.

وقد عني ابن حزم بعلم المنطق وألّف فيه كتابا سماه "التقريب لحدود المنطق" بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف وخالف فيه ارسطاطاليس واضع هذا العلم، وكان له باع في علوم عدّة كما سبق وأن ذكرنا حتى وصلت مجلداته إلى أربعمائة مجلد[1]

وقد اهتمت بعض الدراسات بتاريخ الفلسفة في الأندلس كدومينيك أورفوا[2]

ثانيا- التاريخ والسيّر والأنساب:

أسهمت الأندلس بقسط وافر في الكتابة التاريخية، كيف لا وهي السجلات التي تحفظ ذاكرة الشعوب عبر الأزمان والعهود، ولكن سؤالنا المطروح يبقى دائما هو: ما دور أصحاب المذاهب في هذا الجانب التاريخي؟ وهل كان اهتمامهم بالتاريخ العام (الأندلس، العالم الإسلامي) أو بالتاريخ الخاص (مدينة، عائلة، شخصيات سياسية أو دينية، كتابة مذهبية..)؟

احتل التاريخ عند الأندلسيين مكانة رفيعة، ونال اهتمام العامة والعلماء والساسة، وشمل تاريخ بلادهم وحكامهم وعلمائهم وأدبائهم وغير ذلك، وكأنهم كما ذكرت بعيون قصدوا بذلك إظهار ما لهذا الصقع النائي من مكانة وفضيلة يتميز بها[3] ومن جملة من برز في هذا المجال نجد:

1. **أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن عباس بن مرداس السلمي (قيل أنه من موالي بني سليم) (ت238هـ/853م)**: سبق وأن ترجمت لابن حبيب في فصل المذهب المالكي، فهو من ألبيرة وسكن قرطبة، روى في الأندلس عن

---

[1] صاعد، الطبقات، نشر شيخو، ص76.

[2] للتوسع في الفلسفة الأندلسية أنظر: **الفلسفة الأندلسية أعلام وأعمال، أشرف عليها** دومينيك أورفوا، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البضاء، المغرب، 2006م. محمّد إبراهيم فيومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م خاصة الفصل الثاني وما بعده، ص151 وما بعدها. بالنثيا، المرجع السابق، ص 223 وما بعدها. الدراسة القيمة لسالم يافوت: **ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1430هـ/2009م، خاصة الباب الثالث الذب أفاد موضوع الفلسفة في الأندلس ص269 وما بعدها. سهى بعيون، المرجع السابق، ص352 وما بعدها.

[3] بعيون، المرجع السابق، ص 316.

صعصعة بن سلام، والغازي بن قيس، وزياد بن عبد الرحمان[1] ثم رحل من الأندلس سنة 208هـ، وسمع من أصحاب مالك وغيرهم وقيل أنّه أدرك مالك في آخر عمره[2] رجع عبد الملك بن حبيب للأندلس ومعه علم كثير، وألف التآليف كالواضحة في الفقه[3] وله "الجوامع" و"فضل الصحابة" و"غريب الحديث" و"تفسير الموطأ" و"حروب الإسلام" وفي التاريخ له "كتاب التاريخ"[4]

كان عبد الملك حافظا للأخبار والأنساب. توفي بالأندلس سنة 238هـ وقيل 232هـ[5] وقد روي أنّ سحنون بن سعيد لما جاءه خبر وفاة عبد الملك بن حبيب قال: "مات عالم الأندلس، بل والله عالم الدنيا"[6]

يعد عبد الملك بن حبيب من الأوائل الذين كان لهم دور في التدوين التاريخي في الأندلس، إذ يعد أول مؤرخ للأندلس، وكتابه "كتاب التاريخ"[7] يعدّ أول كتاب في التاريخ وصل إلينا[8] والكتاب ليس من الحجم الكبير ولكنه ضمّ عدّة أحداث وأخذ فترة زمنية طويلة بدأها من بداية الخلق إلى عيسى

---

[1] ابن الفرضي: تاريخ، ص221. الحميدي: الجذوة، ص36. الضبي: البغية، ص329.

[2] ابن الفرضي: تاريخ، ص221. الضبي: البغية، ص329.

[3] نقلا عن عياض: الترتيب، 384/1.

[4] كتاب التاريخ قد اعتمدت عليه في دراستي هاته.

[5] الخشني: أخبار الفقهاء، ص245-254. ابن الأبار القضاعي: **الحلة السيراء**، تح وتع عبد الله أنيس الطبّاع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1381هـ/1962م، ص 205-206. ابن الفرضي: تاريخ، ص221-223. الضبي: البغية، 329-330. الحميدي: الجذوة، 250. ابن فرحون: **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تح محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.س.ط، 8/2-15. أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب المعروف بابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، تح عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1982 (المتن والهامش) ص 171 و172. ميكلوش موراني، **دراسات في الفقه المالكي**، ترجمة سعيد بحيري وصابر عبد الجليل، مراجعة تحرير عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1409هـ/1988م، ص 36-67.

[6] عياض: الترتيب، 260/1.

[7] اعتمدت على كتاب ابن حبيب نسخة: عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي: **كتاب التاريخ**، اعتنى به عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، **ط1**، صيدا، لبنان، 1429هـ/2008م.

[8] عبد الواحد عبد السلام شعيب: **الكتابة التاريخية ومناهجها في الأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف**، منشورات دار الأمان، مطبعة الأمنية، ط1، الرباط، المغرب، 2014م، ص42-43.

عليه السلام، وفيه ابتداء خلق السماوات والأرض، وخلق آدام وحواء، وذكر الأنبياء حتى وصل لمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم أتى على الخلفاء الراشدين، ثم خلفاء بني أمية، ثم دخل إلى تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى تاريخ خمس وسبعين ومائتين، ثم ذكر خلفاء بني العباس، ثم أتى على أسماء الصحابة وأعلام الأمة والفقهاء، ثم أتى على التابعين وغيرهم.[1]

يبقى أن نشير إلى أنّ عبد الملك بن حبيب قد توفي سنة 238هـ وكتابه يستمر إلى سنة 275هـ مما يجعلنا نفهم أنّ هناك من كتب الكتاب أو جزءا منه نقلا عن عبد الملك بن حبيب، ويرجح أنّه تلميذه ابن ابي الرقاع حسب الكثير[2] فقد جاء في كتاب التاريخ تأكيد لذلك، منها "قال ابن أبي الرقاع: أخبرني رجل من أهل العلم.." و"سمعت عبد الملك بن حبيب يقول..."[3]

وقد غلب على كتاب التاريخ لابن حبيب الجانب الأسطوري[4]، وقد أرجع دوزي ذلك بعد دراسته لتلك الروايات إلى التأثير المشرقي بحيث كان يأخذ من المشايخ المصريين مثلا[5]

2. **آل الرازي في الأندلس:** أنجب بيت الرازي ثلاثة مؤرخين هم: محمد بن موسى الرازي(الجد)، وأحمد بن محمد بن موسى الرازي (الأب وهو المؤرخ الكبير)، وعيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي (الابن)، لكني سأترجم للمؤرخ **أحمد بن محمد بن موسى الرازي (274-324هـ/888-936م)** فهو أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن حماد بن لقيط الرازي الكناني القرطبي، تتلمذ على يد مجموعة من علماء الأندلس منهم قاسم بن أصبغ، وقد كان أحمد أديبا وخطيبا وشاعرا، وله في الجغرافيا والنحو واللغة، وكان يلقب بالتاريخي لكثرة اشتغاله بالتاريخ، من مؤلفاته: "أخبار ملوك الأندلس"، "صفة قرطبة وخططها

---

[1] عبد الملك بن حبيب، المصدر السابق.

[2] بالنثيا، المرجع السابق، ص 195.

[3] ابن حبيب، التاريخ، ص 156.

[4] يمكن الرجوع لصفحات من الكتاب لتلمس ما فيه من قصص بعيدة عن حقيقة الواقع، كباب استفتاح الأندلس. وللتوسع في ذلك وفي كتاب ابن حبيب ما له وما عليه أنظر: بالنثيا، المرجع السابق، 195-196. عبد الواحد عبد السلام شعيب: المرجع السابق، ص43-44

[5] دوزي نقلا عن: بالنثيا، المرجع السابق، ص195.

ومنازل الأعيان بها"، "الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس وغيرهم"، قال في حقه ابن حزم:"ومن الأخبار تواريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي في أخبار ملوك الأندلس، وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم وذلك كثير جدا، وكتاب له في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها، وتواريخ متفرقة رأيت منها أخبار عمر بن حفصون القائم برية ووقائعه وسيره وحروبه، وتاريخ آخر في أخبار عبد الرحمان بن مروان الجليقي القائم بالجوف، وفي أخبار بني قسي التجيبيين وبني الطويل بالثغر"[1]

3. **ابن حزم الأندلسي الظاهري** (ت**456هـ/1063م**): تناول ابن حزم التاريخ على أنّه علم، وأطلق عليه "علم الأخبار"، وعدّه من جملة العلوم الثلاثة التي تتميز بها كل أمة عن الأمم الأخرى (علم الشريعة، وعلم اللغة)، ثم تأتي باقي العلوم التي تشترك فيها كل الأمم: علم النجوم، علم العدد، علم الطب، علم الفلسفة. وقد خلف لنا أبن حزم مادة تاريخية طيبة منها: كتاب جمهرة أنساب العرب، كتاب الإمامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها، كتاب جوامع السيرة، كتاب حجة الوداع، نقط العروس في تواريخ الخلفاء، رسالة في المفاضلة بين الصحابة، رسالة في فضائل الأندلس وأهلها، رسالة في الرد على ابن النغريلة، رسالة في أمهات الخلفاء، كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل وغيرهم. وقد توصل عبد الحليم عويس إلى أنّ بعض كتب ابن حزم المفقودة وجدت في مؤلفات طلبته كالحميدي صاحب البغية، وصاعد الطليطلي، وبهذا يصبح ابن حزم كما يذكر عبد الواحد عبد السلام شعيب أكثر المؤرخين الأندلسيين تفننا في الكتابة التاريخية[2]

---

[1] ابن حزم: الرسائل، 183/2. وللتوسع في حياته ومؤلفاته أنظر: عبد الواحد عبد السلام شعيب، المرجع السابق، ص58 وما بعدها. بالنثيا، المرجع السابق، ص 232-235. عبد الواحد ذنون طه: **تراث وشخصيات من الأندلس**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2009م، ص 74-81.

[2] أغلب الكتب التي ذكرتها في المتن لابن حزم وطلبته قد تمّ الاعتماد عليها في الرسالة، وهناك تفاصيل كثيرة في موضوع ابن حزم المؤرخ يمكن الرجوع إليها عند: عبد الحليم عويس: **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 1431هـ/2010م، الكتاب كله مهم ولكن الباب الثاني الموسوم بابن حزم

وهناك مؤرخون آخرون منهم: ابن القوطية صاحب تاريخ إفتتاح الأندلس، وأبو عامر بن شهيد، وفي عصر الطوائف نجد: ابن حيان الأندلسي صاحب المقتبس، صاعد الطليطلي صاحب طبقات الأمم وغيرهم[1]

أمّا **العلم الإلهي والعلم الطبيعي** فلم يعتن بهما الأندلسيون عناية كبيرة إذ نجد منهم عبد الله محمد بن عبد الله بن حامد المعروف بابن النباش البجائي وأبا عامر بن الأمير ابن هود، وأبا الفضل بن الفضل[2].

2- إبراهيم بن أحمد الشيباني الشيعي، وهو المعروف بأبي اليسر الرياضي، وكما عرفنا فهو من الغرباء، وقد ألّف كتابا سماه "لقيط المرجاني" وذكر أنّه أكبر من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري[3].

وقد ذكر ابن حزم بعضا ممن ألف التاريخ ومنهم: "ومن الأخبار...وكتاب مجزأ في أجزاء كثيرة في أخبار رية وحصونها وولاتها وحروبها وفقهائها وشعرائها تأليف **إسحاق بن مسلمة بن إسحاق**

المؤرخ هو الأهم، ص111-234. بالنثيا، المرجع السابق، ص220 وما بعدها. عبد الواحد عبد السلام شعيب، المرجع السابق، ص263 وما بعدها. سهى بعيون، المرجع السابق، ص319-322. محمد أبو زهرة: **ابن حزم حياتع وعصره- آراؤه وفقهه**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1978م، ص173 وما بعدها. حسان محمد حسان: **ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.س.ط، ص54 وما بعدها. زكريا إبراهيم: **ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، دس.ط، ص206-231. عن مصادر ابن حزم أنظر قائمة المصادر والمراجع في رسالتي هاته، وهناك: ابن حزم الأندلسي: **جوامع السيرة النبوية**، تح محمد بيومي، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 1426هـ/2005م. ص 7 وما بعدها. ابن حزم الأندلسي: **رسالة ابن حزم الأندلسي في الرد على ابن النغريلة اليهودي**، در. وتحليل أحسن لحساسنة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1432هـ/2011م، ص 35 وما بعدها.

[1] عن هؤلاء ومؤلفاتهم أنظر بعض مصادرهم في ثنايا هاته الرسالة، كصاعد كابن القوطية والحميدي وصاعد الطليطلي وابن حيان، أمّا كدراسة عن مؤرخي الأندلس أنظر: بالنثيا، المرجع السابق، ص 193 وما بعدها. عبد الواحد ذنون طه: **تراث وشخصيات من الأندلس**، ص69 وما بعدها. عبد الواحد عبد السلام شعيب: **الكتابة التاريخية ومناهجها في الأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف**، دراسته كلها مهمة. سهى بعيون: **إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس**، ص315 وما بعدها.

[2] صاعد، الطبقات، نشر شيخو، ص 76.

[3] ابن الأبار، التكملة، 224/2. المقري، النفح، 118/4.

القيني(الليثي) وكتاب **محمد بن الحارث الخشني** في أخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد الأندلس، وكتاب في أخبار الفقهاء بها، وكتاب **لأحمد بن محمد بن موسى** في أنساب مشاهير الأندلس في خمسة أسفار ضخمة من أحسن الكتب في الأنساب وأوسعها، وكتاب **قاسم بن أصبغ** في الأنساب في غاية الحسن والإيعاب ولايجاز، وكتابه في فضائل بني أميّة (قريش) وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر امره وانتشر ذكره...ومنها كتاب التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس وملوكها تأليف **أبي مروان بن حيان** نحو عشرة أسفار، من أجلّ كتابٍ ألف...وكتاب المآثر العامرية **لحسين بن عاصم** في سير ابن أبي عامر وأخباره..."[1].

كما برع الظاهرية في هذا المجال من أمثال **ابن حزم** الذي ألف "جمهرة أنساب العرب" و"رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء" وقد اعتمدنا عليهما في بحثنا هذا، كما له مؤلفات أخرى.

وقد ذكر ابن حزم إباضيا كان له باع في معرفة أنساب بعض البربر هو "**أبو محمد بويكني الإباضي**" لكن كتبه لم تصل إلينا[2].

وذكر ابن فرحون بأن **ابن عبد البر المالكي** له بسطة كبيرة في علم النسب[3] ومما ألف في المغازي والسير نجد "**الدرر في اختصار المغازي والسير**" وهو ثلاثة أجزاء[4] وله كتاب "**أخبار ائمة الأمصار**" في سبعة أجزاء[5].

ثالثا– علوم أخرى:

شهدت إسبانيا قبل الفتح الاسلامي لها نوعا من الركود الثقافي والفكري، وبحكم أنّ المبحثين الأولين من هذا الفصل كانا عربيين إسلاميين بامتياز فإنّ هذا المبحث يمكن أن يكون فيه جانب من التوارث عن من سبق الفتح الإسلامي، ولكن إسبانيا القوطية لم تخرج عمّا اشتهرت به العصور

---

[1] ابن حزم، الرسائل، 2/183-184.

[2] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص498.

[3] ابن فرحون، الديباج، ص441.

[4] الحميدي، الجذوة، 332. الضبي، البغية، 428. عياض، الترتيب، 2/353.

[5] الحميدي، الجذوة، 333. الضبي، البغية، 428. عياض، الترتيب، 2/353.

الوسطى في أروبا من سيطرة العقلية الثقافية الدينية الكاثوليكية السائدة[1]، وإن كان القوط قبل الفتح على المذهب الأريوسي.

اعتبرت بعض العلوم في الأندلس من العلوم الممنوعة كما سبق وأن ذكرنا، ورغم ذلك فقد فتح بعض الأمراء المجال في البحث فيها مع تحفظهم وتخوفهم من رد فعل فقهاء المالكية، وقد أشار إلى ذلك ابن حزم في رسالته عن فضائل أهل الأندلس ما قوله: "أمّا العدد والهندسة فلم يقسم لنا في هذا العلم نفاذ، ولا تحققنا به، فلسنا نثق بأنفسنا في تمييز المحسن من المقصر في المؤلفين فيه من بلدنا، إلاّ أني سمعت من أثق بعقله ودينه من أهل العلم ممّن اتفق على رسوخه فيه يقول: إنّه لم يؤلف في الأزياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح وهما من أهل بلدنا، وكذلك كتاب أحمد بن نصر في المساحة المجهولة، فما تقدم إلى مثله في معناه"[2]

وربما التراث الهام الذي جمعته مكتبة الخليفة الحَكم المستنصر من كتب علوم الأوائل قد أتلف في عهد الخليفة هشام المؤيد، عندما حاول الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر إرضاء فقهاء المالكية، وعموم الناس ومرؤوسيهم، إذ كان المتعاطي معها يتهم بالخروج من الملة ومظنون به الإلحاد في الشريعة، فأمر بإخراج كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلوم النجوم وغير ذلك من علوم الأوائل باستثناء كتب الطب والحساب، وأمر بإحراقها وإفسادها، وطرح بعضها في آبار القصر وردمها بالتراب، وكل ذلك قام به في حضرة خواص من أهل العلم بالدين[3] وقد اهتم بنو هود في عصر الطوائف بالفلسفة والرياضيات والفلك، خاصة المقتدر بالله بن هود وابنه يوسف المؤتمن[4]

---

[1] نهاد عباس زينل: **الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أروبا–القرون الوسطى (92–897هـ/711–1492م)**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م، ص104.

[2] ابن حزم، الرسائل، 185/2–186.

[3] صاعد، الطبقات، نشر شيخو، ص66.

[4] بالثيا، المرجع السابق، ص454



نجد في **الحساب وعلم الهندسة** كما عرفه ابن خلدون بأنّه: "العلم الذي ينظر في المقادير إمّا المتصلة كالخط والسطح والجسم، وإمّا المنفصلة كالأعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية ... مثل أنّ كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرجا إلى غير نهاية، ومثل أنّ كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهم متساويتان" وقال: "وقد زعموا أنّه كان مكتوبا على باب أفلاطون: من لم يكن مهندسا فلا يدخلنّ منزلنا"[1]

من خلال ما سبق نجد أنّ الأندلس قد تأخر دخول هذه العلوم إليها، وجل من شغلوه كانوا من غير المالكية ولكن كتبهم لم تصل إلينا، فقد ذكر صاعد وغيره أنّ **مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة (صحاب القبلة)** قد كان له اهتمام بعلم الحساب[2] منهم **"عبد الرحمان بن إسماعيل بن زيد الملقب بالمهندس"**، وأبو **عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم** وغيرهما، مع العلم أنّ بعض الحكام كانوا يشجعون هذا العلم كالأمير عبد الرحمان بن الحَكم، والخليفة الحَكم المستنصر، ولم يتطور هذا العلم في العهد الأموي وإنّما مع بداية عصر ملوك الطوائف، ولعلّ **أحمد بن نصر** الذي ذكره ابن حزم يعدّ من غير المالكية، وله كتاب سماه "المساحة المجهولة"[3] ومنهم **أبو غالب حباب بن عبادة الفرائضي** كان مشهورا بعلم العدد في عهد الخليفة الناصر، **وأبو أيوب عبد الغافر بن محمد** وهو المشهور بعلم الهندسة، و**عبد الله بن محمّد المعروف بالسري** الذي كان عالما بالعدد والهندسة، **وأبو بكر بن أبي عيسى** الذي شهد له بالسبق في علم الهندسة والعلوم الرياضية، **وعبد الرحمان بن إسماعيل بن زيد** المعروف بالاقليدي الذي كان متقدما في علم الهندسة وصناعة المنطق، **وأبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد العدوي** المعروف بالطنبري الذي كان معلما في علم العدد والهندسة [4]

---

[1] ابن خلدون، التاريخ، 1/639-640.

[2] الخشني، أخبار، ص 193. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 392. صاعد، المصدر السابق، ص 86.

[3] ابن حزم نقلا عن المقرّي، النفح، 4/154.

[4] صاعد، الطبقات، نشر شيخو، ص67-68.



ذكرت بعض المصادر وبعض الباحثين في علم الهندسة وغيره من العلوم العقلية ولكني لم أتوصل إلى مذهب المهتمين بهما، من أبرزهم **أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي** (ت398هـ/1007م)، ومدرسته العقلية التي أنجبت المهندسين والفلكيين، بل واعتبره صاعد بأنّه إمام الرياضيين في الإندلس ومنهم **أبو القاسم أصبغ بن محمد بن المهدي** الذي ألف كتابا سماه "المدخل إلى الهندسة"[1] **محمد بن إسماعيل المعروف بالحكيم** (**ت331هـ/ 943م**) الذي كان عالما بالحساب والمنطق دقيق الذهن لطيف الخاطر[2].

كما ألف **الشيعة** كتبا عرفنا أسماءها ولم نعرف محتواها منها كتب الشيعي الغريب **"إبراهيم بن أحمد الشيباني"** كالمرصعة، المدبجة، الرسالة الوحيدة، والمؤنسة[3].

ألف **أبو الخير** صاحب الثورة التي سبق ذكرها كتبا ولم تصلنا إلاّ ما كان من إشارات أوردها ابن سهل في وثيقة الاتهام وقد جمع المرحوم موسى لقبال بعضا منها[4].

وفي **الطب**[5] وقد عرفه ابن خلدون بقوله: "ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب، وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبُرْءَ المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية..."[6] وذكر صاعد الطليطلي أنّ الأندلس قبل قبل فتحها لم يكن هناك اهتمام عند أهلها بالطب وبعض العلوم الأخرى ولا حتى عند فتحها، ولكن بدأ الاهتمام في العهد الأموي، وأنّ المسلمين بعد الفتح اهتموا بعلوم الشريعة وعلوم اللغة، وذلك في قوله: "وكانت الأندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم لم يشتهر عند أهلها

---

[1] للاستفادة من ذلك يمكن الرجوع: صاعد، طبقات، تح مؤنس، ص90 وما بعدها. بالنثيا، المرجع السابق، ص 448 وما بعدها، حسبلاوي، رسالة سابقة، ص 161 وما بعدها، البشري، المرجع السابق، ص 365.

[2] صاعد، الطبقات، نشر شيخو، ص65.

[3] ابن الأبار، التكملة، 255/1. المقري، النفح، 119/4.

[4] راجع ابن سهل، الاحكام، الدشراوي، ص 61 وما بعدها. لقبال، دور كتامة، ص 634-635.

[5] اهتم بالنثيا بالطب والنبات وأهم علماء الأندلس المعتمين بهما. للتوسع أنظر: بالنثيا، المرجع السابق، ص 461 وما بعدها.

[6] ابن خلدون، التاريخ، 650/1.

أحد بالاعتناء به إلاّ أنّه يوجد فيها طلسمات قديمة في مواضع مختلفة وقع الإجماع على أنّها من عمل ملوك رومية إذ كانت الأندلس منتظمة بمملكتهم ولم تزل على ذلك عاطلة من الحكمة إلى أن افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة اثنين وتسعين من الهجرة، فمأت على ذلك أيضا لا يعنى أهلها بشيء من العلوم إلاّ بعلوم الشريعة وعلم اللغة إلى أن توطد الملك لبني أميّة..."[1] وذكر بشأن الطب أيضا: "وأمّا صناعة الطب فلم يكن بالأندلس من استوعبها ولا لحق بأحد المتقدمين فيها، وإنّما كان غرض أكثرهم من علم الطب قراءة الكنانيش المؤلفة في فروعه فقط دون الكتب المصنفة في أصوله مثل كتاب ابقراط، جالينوس[2] وليستعجلوا بذلك ثمرة ويستفيدوا به خدمة الأملاك في أقرب مدّة إلاّ أفراد منهم رغبوا عن هذا الغرض وطلبوا الصناعة نواتها وقرأوا كتبها على مراتبها، فأول من اشتهر بالطب بالأندلس **أحمد بن إياس**"[3]

أشاد ابن حزم ببعض أطباء الأندلس ولا بأس بذكرهم وإن كنت لا أريد التفصيل إلاّ في من ثبتت مذهبيته وإلاّ دخلنا في الحياة الفكرية وأطباء الأندلس عموما، فقد ذكر ابن حزم في رسائله: "وأمّا الطب فكتب الوزير **يحي بن إسحاق** وهي كتب رفيعة حسان، وكتب **محمد بن الحسن المذحجي** أستاذنا رحمه الله تعالى، وهو المعروف بابن الكتاني، وهي كتب رفيعة حسان، وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف **لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي** وقد أدركناه وشاهدناه، ولئن قلنا إنّه لم يُؤلَف في الطب أجمع منه، ولا أحسن للقول والعمل الطبائع لنُصدَّقن، وكتب **ابن الهيثم** في الخواص والسموم والعقاقير من أجل الكتب وأنفعها"[4] ذكر الخشني أنّ أبا عبيدة قد كان كان له علم بالطب[5]

---

[1] صاعد الطليطلي، الطبقات، نشر شيخو، ص 64.

[2] **جالينوس**: الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني، إمام الأطباء في عصره، ورئيس الطبيعيين في وقته، ومؤلف الكتب الجليلة في الطب وغيرها، برع جالينوس في الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية وسنه سبع عشرة سنة. القفطي، المصدر السابق، ص 85 وما بعدها.

[3] صاعد الطليطلي، الطبقات، نشر شيخو، ص78.

[4] ابن حزم، الرسائل، 185/2.

[5] الخشني، أخبار، ص 193.

ومن المعتزلة **يحي بن يحي، يكنى أبا بكر يعرف بابن السمينة**، وهو من أهل قرطبة، جمع ضروبا متعددة من المعرفة كان متصرفا في ضروب العلم، منها أنّه كان بصيرا حساب **النجوم** وله في **الطب**"[1] رحل يحي بن يحي إلى المشرق، ومال إلى كتب الحجة ومذهب المتكلمين (المعتزلة)، ثم رجع إلى الأندلس وأخذ عن خليل بن عبد الملك الفكر الاعتزالي كالقول بالاستطاعة، وأكد صاعد وغيره بأنّ يحي كان معتزلي المذهب.[2] توفي يحي بن يحي سنة خمس عشرة وثلاثمائة (315هـ/927م)[3]

وقد حفلت بعض المصادر والدراسات الأكاديمية المعاصر بأسماء أطباء الأندلس وأهم انجازاتهم ومؤلفاتهم.[4] ولكنها لم تذكر مذاهبهم ولذلك اقتصرت على من سبق.

وعلم الفلك (علم الهيئة) عرفّه ابن خلدون بأنّه: "علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمحرّكة والمتحيرة، ويُستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لَزِمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية، كما يبرهن على أنّ مركز الأرض مباين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الإقبال والإدبار...ومن فروعه علم الأزياج"[5] وقد دخل هذا العلم إلى لأندلس

[1] ابن الفرضي، نفسه ص 438. وقد ذكره الزبيدي في الطبقة الخامسة من طبقة النحويين واللغويين الأندلسيين، الطبقات، ص 289.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 439. صاعد، المصدر السابق، ص 87. ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.س.ط، ص 482.

[3] ابن الفرضي، نفسه ص 439. صاعد، المصدر السابق، ص 87.

[4] من المصادر المهمة والتي اعتمدتها في رسالتي نجد: ابن أبي أصيبعة وكتابه **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**. ابن جلجل: **طبقات الأطباء والحكماء**. القفطي: **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**. صاعد الطليطلي: **طبقات الأمم**. المقّري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. ومن الدراسات نجد: محمد بشير حسن راضي العامري: **فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2014م خاصة عنوان كشاف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة، ص09-52. نهاد عباس زينل: **الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا-القرون الوسطى (92-897هـ/711-1492م)**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م، ص104. دون نسيان ما كتبه بالنثيا وغيره.

[5] ابن خلدون، التاريخ، 641/1 وما بعدها. ولعلم الهيئة فروع منها: علم الزيجات والتقاويم، وعلم كتابتها، وعلم حساب النجوم، وعلم كيفية الأرصاد، وعلم الآلات الرصدية، وعلم المواقيت، ةعلم تسطيح الكرة، وعلم صور الكواكب، وعلم منازل

وأسهمت بعض العوامل في تطوره[1] ممن أشتهر بذلك **أبو عبيدة مسلم بن أحمد (صاحب القبلة)** وقد اشتهر بدراسة حركة الكواكب، ونظرا لاهتمامه الكبير بحركة النجوم والكواكب وأمر اتجاه القبلة فإنّه عرف بها "صاحب القبلة"، وأفرد الخشني عن غيره من المصادر بأنّ يعلى بن سعيد أخبره أنّه تحدث يوما مع أبي عبيدة في أمر القبلة، فقال له: "ما أنصفني معلمك ابن خمير، وقفت أنا وهو بمكة في المسجد عند ميزاب البيت وأثبت له الرسوم التي بها يستدل على القبلة حيثما كان، فلمّا وصل إلى الأندلس ذكَّرته بهذا ودعوته إليها، لكنّه لم يذهب إلى ما عرف منها". قال أبو يعلى: أتيت ابن خمير فذكرت له قول أبي عبيدة، سكت ساعة ثم قال:"مخالفة العامة حرب"[2] لهذا لم يتوان أبو عبيدة في جهره بموضوع القبلة حتى لا يكذب، وإن وجد معارضة من عامة أهل الأندلس، وقد كتب فيه أحمد بن عبد ربه:

أبا عبيدة ما السؤال عن خبر ... تحكيه إلا سوار الذي سألا

أبيت إلاّ شذوذا عن جماعتنا ... ولم تصب رأي من أرجى ولا اعتزل[3]

كذلكَ القِبلةُ الأولى مُبدَّلةٌ ... وقد أبَيتَ فما تَبغي بها بَدَلا

زعمتَ بهرامَ أو بَيدَختَ يرزقُنا ... لا بل عُطاردَ أو بِرجِيسَ أو زُحَلا

القمر وعلم الجغرافيا، وعلم خواص الأقاليم وغيرهم. عن هذا العلم وفروعه وأقوال المصادر فيه أنظر: صدّيق بن حسن القنوجي: **أبجد العلوم السحاب المرقوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم**، أعده للطبع ووضع فهارسه، عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1978م، 16/2، 576-583. مع وجود تعاريف خاصة بفروع هذا العلم في صفحات مختلفة. لعموري عليش: **مدخل إلى تاريخ العلوم عند المسلمين**، دار الأمل، الجزائر، 2009م، ص16-121. بكير بوعروة بن عيسى: **تاريخ علم الفلك في بلاد الأندلس (138-484هـ/775-1088م)**، دار سنجاق الدين للكتاب، صدر الكتاب بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية 2009، الجزائر، 2010م، ص17-25.

[1] من بين هذه العوامل نجد: رسالة الإسلام المشجعة لعلم الفلك من خلال آيات الأفاق والنظر للسماوات واختلاف الليل والنهار، معرفة اتجاه القبلة، معرفة المواقيت وبداية الاشهر القمرية التي تنبني عليها بعض أحكام العبادات، تشجيع بعض الأمراء والخلفاء كعبد الرحمان الأوسط والحكم المستنصر لعلوم الأوائل ومنها الفلك، حركة الترجمة والانفتاح على الحضارات الأخرى، وهناك عوامل أخرى يمكن الرجوع إليها عند: بوعروة، المرجع السابق، ص28-37.

[2] الخشني، أخبار، ص 193. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 392. صاعد، المصدر السابق، ص 86.

[3] أي مذهب الإرجاء (يقولون إنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة) والمعتزلة، عن المرجئة وتقسيماتهم أنظر: الشهرستاني، الملل 139/1 وما بعدها. أبو زهرة، المذاهب، ص 118-128.

وقلتَ إنَّ جميعَ الخلقِ في فَلَكٍ بِهِمْ يحيطُ وفيهِمْ يقسمُ الأجَلا

والأرضُ كورِيَّةٌ حفَّ السماءُ بها فَوقاً وتحتاً وصارتْ نُقطةً مَثَلا

صَيفُ الجنوبِ شتاءٌ للشَّمَالِ بها قد صارَ بَينهما هذا وذا دُوَلا

فإنَّ كانونَ في صَنعا وقُرطبةٍ بردٌ وأيلولُ يُذكي فيهما الشُّعَلا

هذا الدليلُ ولا قولٌ غُرِرتَ بهِ منَ القوانينِ يُجلي القولَ والعَمَلا

كما استمر ابنُ موسى في غوايتهِ فوعَّرَ السهلَ حتى خِلتَهُ جَبَلا

أَبلِغْ معاويةَ المصغي لقولِهما أني كفرتُ بما قالا وما فَعلا[1].

أثنى العديد من الفقهاء على أبي عبيدة لسَمته وورعه، منهم محمد بن عمر بن لبابة (ت314ه /926م)، وأسلم بن عبد العزيز (ت319ه/931م)، الذي اشترك معه في بعض شيوخه بالمشرق، وروى عنه عثمان بن عبد الرحمن، وقاسم بن أصبغ وعبد الله بن يونس، وجماعة سواهم، توفي أبو عبيدة سنة خمس وتسعين ومائتين (295ه /908م)[2]

ومن المعتزلة **يحي بن يحي، يكنى أبا بكر ويعرف بابن السمينة،** كان بصيرا ب**حساب النجوم**[3] رحل يحي بن يحي إلى المشرق، ومال إلى كتب الحجة ومذهب المتكلمين (المعتزلة)، ثم رجع إلى الأندلس وأخذ عن خليل بن عبد الملك الفكر الاعتزالي كالقول بالاستطاعة، وأكد

---

[1] وجدت اختلافا في بعض العبارات بين الأبيات الواردة عند ابن الفرضي وعند صاعد، وقد اعتمدت بعض العبارات التي رجحت في تهميش المصدرين: صاعد، المصدر السابق، ص 86. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 392

[2] تذكر بعض المصادر أنّ وفاته كانت في 304ه كالحميدي، المصدر السابق، ص 318، والضبي، المصدر السابق، ص 411. وللتوسع أكثر في بعض آرائه الفقهية وغيرها أنظر: الخشني، أخبار، ص193-195. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 392 و393. صاعد، المصدر السابق، ص 86 و87.

[3] ابن الفرضي، نفسه ص 438. وقد ذكره الزبيدي في الطبقة الخامسة من طبقة النحويين واللغويين الأندلسيين، الطبقات، ص 289.

صاعد وغيره بأنّ يحي كان معتزلي المذهب.[1] توفي يحي بن يحي سنة خمس عشرة وثلاثمائة (315هـ/927م)[2]

ومنهم **أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي** (ت398هـ/1007م)، قال صاعد في حقه: "واعلم ممن كان قبله بعلم الأفلاك، وكانت له عناية بارصاد الكواكب وشغف بتفهم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي[3] وله كتاب حسن تمام علم العدد وهو المعنى المعروف عندنا بالمعاملات، وكتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني وعُني بزيج محمد بن موسى الخوارزمي وصرف تاريخه الفارسي إلى التاريخ العربي ووضع أوساط الكواكب فيه لأول تاريخ الهجرة وزاد فيه جداول حسنة...وتوفي أبو القاسم مسلمة بن محمد قبيل منبعث الفتنة في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة (1008م) وقد أنجب تلاميذ جلة ولم ينجب عالم بالأندلس مثلهم من أشهرهم ابن السمح وابن الصفار والزهراوي والكرماني وابن خلدون"[4] وقد خصّه بلنثيا بالترجمة وسماه اقليدس الأندلس[5]

وهناك أسماء أخرى يمكن الرجوع في بعض الدراسات التي اهتمت بالفلك والحياة الفكرية عموما[6]

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 439. صاعد، المصدر السابق، ص 87. ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.س.ط، ص 482.

[2] ابن الفرضي، نفسه ص 439. صاعد، المصدر السابق، ص 87.

[3] **بطليموس القلوذي**: هو صاحب كتاب المجسطي وغيره، إمام في الرياضة، من علماء اليونان، وإليه انتهى علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك، وعنده اجتمع ما كان متفرقا من هذه الصناعة بأيدي اليونانيين والروم، وهو كتابه في ثلاثة عشر مقالة. القفطي، المصدر السابق، ص 67 وما بعدها.

[4] للتوسع في ترجمة تلاميذ المجريطي أنظر: صاعد، الطبقات، نشر شيحو، ص 69 وما بعدها.

[5] بالنثيا، المرجع السابق، ص 448 وما بعدها. MARIBEL Fierro, AL-ANDALUS savoirs et échanges culturels, Traduit de L'espagnol par Anne-Marie LAPILLONNE, CIDOB edicions, Icaria editorial, Espagne, 2001, P41. .

[6] بالنثيا، الرجع السابق، ص 445 وما بعدها. بعيون، المرجع السابق، ص 392 وما بعدها. بوعروة، المرجع السابق، ص 39 وما بعدها.

في الختام يمكن القول أنّ المذاهب التي عرفتها الأندلس قد تركت فيها أثرا علميا أسهم في الحياة الفكرية العامة للجزيرة الأندلسية، سواء على مستوى العلوم العقلية أو النقلية، وأن المذهب المالكي الذي حافظ على الوحدة المذهبية للأندلس، كان قد طبع الحياة العامة بطابع سني غلق فيه الباب على باقي المذاهب لتتوسع وتنشر في الأندلس.

الخاتمة

الخاتمة:

كانت الأندلس في العهد الأموي (إمارة وخلافة) تعرف القوة السياسية والعسكرية، ثم ما لبثت أن لحقت بما كانت تعيشه الخلافة العباسية في المشرق من ضعف، ولم يبق للأمويين إلاّ وسم الخلافة خاصة لما تغلب العامريون على السلطة وتجرأ عبد الرحمان شنجول على أخذ ولاية العهد من الخليفة هشام، وما دبّ من الخلاف بين الأسرة الحاكمة الذي استغلته فئات المجتمع المختلفة، لينفكّ عقد الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م وتُقسّم الجزيرة الأندلسية إلى فسيفساء من الدويلات والممالك المتناحرة فيما بينها من جهة، والمحالفة بعضها مع النصارى في الشمال من جهة أخرى، وفي الوقت نفسه حافظ المذهب السني المالكي على الوحدة المذهبية للدولة وللجزيرة وسعى لتماسك المجتمع، بل وارتبطت السلطة السياسية الأموية مع السلطة المذهبية المالكية، كما لم يقع في باقي حواضر العالم الإسلامي الأخرى، وحافظ فقهاء المالكية على قوتهم الروحية داخل المجتمع حتى بعد أن سقطت الخلافة.

وقد شهدت الأندلس طيلة فترة الحكم الأموي وعصر التمزق والطوائف وجود بعض الحركات المذهبية التي دخلت الجزيرة، ونالت مكانتها في المجتمع، وفي الحكم أيضا أثناء فترة ملوك الطوائف، وتفرّغ هذا البحث لإبراز تلك الحركات ودورها السياسي والفكري؛ وفيما يلي رصدٌ لبعض النتائج التي توصلتُ إليها في دراستي، وهي:

1) قيام الدولة الأموية في الأندلس (138-422هـ/756-1031م) هو امتداد للدولة الأموية التي سقطت في المشرق سنة 132هـ، وجدّد قيامها صقرُ قريش عبد الرحمان الداخل بن معاوية، وقد نالت هذه الدولة الزعامة في الأندلس على الخصوص، لتتحول من حكم الإمارة إلى حكم الخلافة سنة 316هـ/972م في عهد الأمير عبد الرحمن الناصر وتتزعم الغرب الإسلامي عموما، خاصة زعامته الروحية في وقت كانت الخلافة العبيدية الفاطمية على أرض العدوة المغربية.

2)تحوّل القوة السياسية الأندلسية إلى الضعف، وذلك في أواخر عهد الدولة الأموية، وتكرّس هذا الضعف في فترة حكم ملوك الطوائف، ونتج عنه تزايد قوة النصارى في شمال الجزيرة وتوسعهم صوب الجنوب خاصة ضمهم طليطلة سنة 478هـ من جهة، ومن جهة أخرى إعادة بعث قوة الأندلس الإسلامية بدخول المرابطين من الجنوب وتحددت قوتهم ضد النصارى في معركة الزلاقة عام 479هـ بقيادة يوسف بن تاشفين.

3) كل المذاهب التي وُجدت في الأندلس سواء عقائدية (السنة، الشيعة، المعتزلة، الخوارج)، أو فقهية (الأوزاعية، المالكية، الحنفية، الشافعية، الظاهرية، الحنبلية) قد وصلت الجزيرة قادمة من المشرق، باستثناء المسريّة التي مزجت عقيدتها بالمعتزلة والتصوف الباطني والأفلاطونية الحديثة؛ فتركت أثرها في العالَم على أنّها أندلسية.

4) أول المذاهب انتشارا في الأندلس هو مذهب الإمام الأوزاعي، وذلك لاعتبارات عدة أهمها أنّه اهتم بالتشريعات الحربية وهذا يناسب جزيرة الأندلس المواجهة للمالك النصرانية في الشمال، ومن جهة أخرى إسهام الأمويين في إدخاله باعتبار الأوزاعية كانوا في بلاد الشام مركز حكم وقوة الأمويين قبل سقوط خلافتهم سنة 132هـ.

5) المذهب المالكي هو المذهب الذي فرض نفسه على الأندلس سلطة ومجتمعا، واستطاع أن يزيح المذهب الأوزاعي ويضيّق على باقي المذاهب الأخرى طيلة فترة الدراسة (138-479هـ) وذلك لقوة المذهب من جهة وقوة حامليه من جهة أخرى، كما كان للسلطة السياسية عموما دورها، ذلك لتبرز قوة الأندلس السياسية والروحية.

6) عرفت الأندلس عدّة مذاهب على خلاف ما قاله المقدسي في كتابه "أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم"، وكان للظروف السياسية والمذهبية والجغرافية دور في ظهورها، فالإباضية رغم اختلافهم العقائدي مع الأمويين وطول خلافهم التاريخي مع الخلافة الأموية في المشرق؛ فإننا نجدهم ينالون الحظوة والمكانة السياسية في الدولة الأموية بالأندلس، وهنا كان خلافهما ضد العباسيين عاملا مشتركا لتقاربهما في العُدوتين، والنماذج على ذلك عديدة في الرسالة...، في حين أسهم الخلاف السني-الشيعي في تعميق هوة الصراع بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في المغرب.

7) المذهب المالكي مقارنة مع غيره وجد الاهتمام والتشجيع من الساسة، خاصة في الدولة الأموية، وهذا للظروف التي أحاطت بقيام إمارتهم في الأندلس، فكانوا يبحثون عن السند الشرعي لحكمهم في ظل وجود الخلافة الشرعية العباسية في المشرق، وللحفاظ على وحدة الأندلس المذهبية خوفا من التمزق والخلافات التي كانت تقع في باقي الأمصار وهم على تخوم الممالك الإسبانية التي تسعى لاسترداد الجزيرة لحاضرة إلى العالم المسيحي.

8) رغم الزعامة الروحية التي نالها المذهب المالكي؛ وتشدد الحكام عموما للأخذ بالمذهب المالكي فإنّ بعضا من غير المالكية قد وصلوا إلى المناصب الرفيعة، كمحمد بن سعيد، وعبد

الرحمان بن رستم الإباضيين كانا قائدين في الجيش الأموي، ومنذر بن سعيد البلوطي الظاهري تولى قضاء الجماعة، وبقي بن مخلد الشافعي وغيرهم.

9) عصر الطوائف في الأندلس سمح للمذاهب التي كانت تعمل في الخفاء بالظهور، فبرزت إمارة بني حمود الشيعية، وإمارتا بني دمر وبني برزال النكّاريتان من الإباضية.

10) تركت المذاهب عموما والمالكية منها على الخصوص تراثا فكريا هاما لا يزال مرجعًا حتى وقتنا المعاصر، وقد شمل علوم الدين من فقه وتفسير وتصوف وعلوم اللغة العربية وآدابها من نثر ونظم وشعر، وشمل باقي العلوم العقلية والنقلية.

11) برع غير المالكية في بعض المجالات التي شملت التصوف الفلسفي كابن مسرة الجبلي الذي بات فكره محل اهتمام عديد المستشرقين ومنهم آسين بلاثيوس الذي ألّف كتابا سماه "مدرسة ابن مسرة" وكذا في علوم المنطق والفلسفة والتنجيم والفلك في وقت حارب فقهاء المالكية ذلك وعدُّوه خروجا من الدين.

12) فتح بعض الأمراء الباب على مصراعيه لبعض المذاهب؛ فنجد الأمير عبد الرحمان الأوسط في ودادٍ مع البيت الرستمي الإباضي، والأمير محمد بن عبد الرحمان مع فقهاء الشافعية، والخليفة الحَكَم المستنصر مع بعض العلوم التي تُعد شبه محرّمة قبله ككتب الأوائل وبعض العلوم العقلية، وقد رُمي المهتمون بها بالزندقة والانحراف عن الدين قبل ذلك.

13) بعض المذاهب لم تصمد طويلا في الأندلس وانتهى أمرها في العهد الأموي،كالمعتزلة الذين أفل نجمهم في المشرق على عهد الخليفة المتوكل(232-247هـ)، وفي المغرب على عهد الأغالبة، والمسرية بقيت كأفكار يتناقلها من اهتموا بالتصوف الباطني أو التصوف الفلسفي، والإباضية برزت لهم إمارات مستقلة في جنوب الأندلس عصر ملوك الطوائف.ولم يعد لفقهاء مذاهب: الظاهرية والأحناف والحنابلة أثر في عهد الطوائف.

14) رغم أخذ فقهاء الأندلس على علماء الأشاعرة في المشرق؛ فإنّ العقيدة الأشعرية لم تظهر لها حركة مذهبية واضحة المعالم في الأندلس عهدي الأمويين وعصر الطوائف، ولكن كان لها من تتلمذوا على كبار الأشاعرة في المشرق، وأبو الوليد الباجي أكبر مثال على ذلك.

من خلال ما سبق أتمنى أن يتحقق في المستقبل وكتوصيات ما يلي:

أ) إنشاء مدرسة جزائرية تهتم بالتراث الأندلسي خاصة في الفترة الوسيطة والحديثة، وذلك للعلاقة الكبيرة التي ربطت المغرب الأوسط مع الأندلس في مجالات عدّة، وإفراد بعض

التخصصات فيها، خاصة ما تعلق بالمذاهب الإسلامية وتراثها الفقهي، وهذا يخدم التاريخ وباقي التخصصات الأخرى كالشريعة والأدب والفلسفة وغيرها.

ب) تشكيل فرق بحث متخصصة في جمع التراث الأندلسي عموما والمذهبي منه على الخصوص.

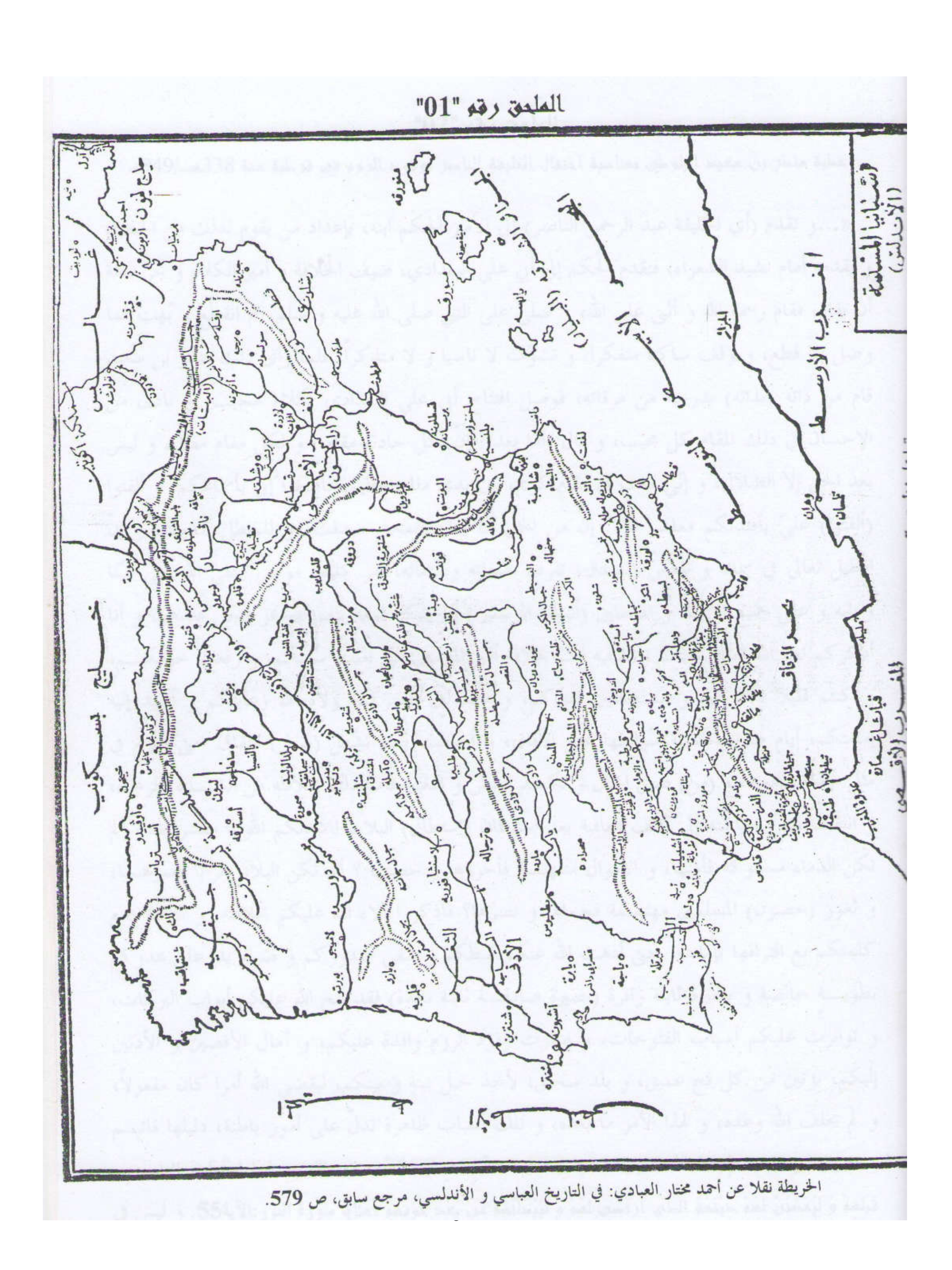
ت) العمل على إضافة فهارس المذاهب لمصادر التراث الأندلسي، وذلك تسهيلا لمهمة الباحثين وربحا لأوقاتهم، خاصة المصادر الأندلسية وكتب طبقاتها.

ث) اقتراح بعض المواضيع التي تحتاج للمزيد من الدراسة والبحث منها: فقهاء المالكية في الأندلس وعلاقتهم بالمذاهب الأخرى. دور العامل السياسي في ترسيخ المذهب المالكي في الأندلس، التشيّع في الأندلس، المذهب الظاهري في الأندلس، المذهب الشافعي في الأندلس، المذهب الإباضي في الأندلس، دور المالكية خصوصا وباقي المذاهب عموما في سقوط الأندلس: الفردوس المفقود.

العالم الإسلامي اليوم، بحاجة إلى التعايش بين مذاهبه، وإلى الحوار الهادئ بين أعمدة المذاهب بدحض الحجج بالحجج والبرهان، سيعمل على رجوع الفرق والمذاهب التي جانبت الصواب إلى الحق (الكتاب والسنّة وفهم السنّة بفهم السلف الصالح خاصة في القرون الثلاثة الأولى)، أمّا القمع ورفض الاختلاف الهادئ القائم على الدليل، سيزيد الفُرقة والخلاف العميق الذي يكون سببا في الحروب وقطع الأوصال، وهذا ما لا يخدم الأمة الإسلامية وسيجعل من تاريخها صفحة سوداء، ولا ينير التاريخ هنا الواقع المعيش ولا يستطيع وضع منهج لبناء المستقبل، وبالتالي سنسقط ونذل ونكون في تبعية دائمة لغيرنا، وما سقوط الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية والأندلس وأرض فلسطين إلاّ سلسلة متواصلة للخلافات التي باتت تتعمق في كل يوم.

الملحقات

الملحق رقم "01"



الخريطة نقلا عن أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي و الأندلسي، مرجع سابق، ص 579.

نسخة الرسالة التي أرسلها الأمير عبد الرحمان الناصر لصاحب الصلاة في قرطبة "أحمد بن بقي القاضي" وقد كتبت يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة 316هـ/929م والتي تنص على الخطبة له بالخلافة

"بسم الله الرحمان الرحيم، أمّا بعد، فإنّا أحق من استوفى حقه، وأجدر من استكمل حظّه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضلنا الله به، وأظهر أثرتنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، ويسّر على أيدينا إدراكه، وسهّل بدولتنا مرامه، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وعلوّ أمرنا، وأعلن رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدولتنا، والحمد لله ولي النعمة والإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنّا وورودها علينا بذلك، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه، ومتسّم بما لا يستحقه، وعلمنا أنّ التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، واسم ثابت أسقطناه، فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطبتك لنا عليه إن شاء الله، والله المستعان"[1]

[1] ابن عذارى، البيان، 2/198-199.

الملحق رقم 03

الفقهاء والعلماء المؤيدين لنص بيعة الصبي هشام بن الحَكم بالخلافة[1]

"قال ابن حيان في الدولة العامريَّة [وأُلبس] هشام بن الحَكم الخلافة صبيحة يوم الإثنين بعده، لثلاث خَلَوْن من صفر سنة 366. ودعا الناس إلى البيعة، فاستوسقوا إليه، ولم يختلف فيها منهم إثنان. واتَّصل أخذها على الناس أيَّاما، وكتب بها إلى الأقطار، فلم يرُدَّها أحدٌ.

وكان على عهد بيعة هشام بن الحَكَم من الأعلام هضابٌ راسية، وبحارٌ في العلم زاخرة، وأعلامٌ قولهم مسموع، وبِرُّهم مشروع، وأثرهم متبوع، مِثْل قاضي الجماعة أبي بكر يحيى بن محمد بن زرب، وحسبك به شهرةً وجلالة ؛

والقاضي أبي المطرِّف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فُطيْس، قاضي القضاة بقرطبة؛

والقاضي محمد بن إسحاق بن السَّليم، قاضي القضاة على عهد الحكم وصدرا من دولة ولده؛

والقاضي أبي علي حسن بن محمَّد بن ذكوان؛

والقاضي محمد بن يبقى بن زرب، قاضي الجماعة بقرطبة؛

والقاضي محمد بن أبي يحيى زكرياء بن بُرطال؛

وقاضي الجماعة سِراج بن عبد الله بن سِراج؛

وقاضي القضاة الرئيس الجليل المتقدَّم على الوزراء أبي العباس أحمد بن عبد الله بن هرثَمة بن ذَكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذَكوان الأمويّ، وكان أبعد الناس من الهوادة: ذكروا أنَّ المنصور لما اتَّخذ مسجد الخِطبة بالزاهرةِ، واقتصر على الصلاة فيه، لم يُصَلِّ معه ابن ذكوان فيخ مدَّةَ أيَّامه مُراعاةً للخلاف؛

وقاضي القضاة أبي بكر يحيى بن عبد الرحمن بن وافِد. قال ابن حيَّان: كان أحد كمّال القضاة بالأندلس هدْياً وعلماً ورجاحةً؛

وأبي حاتم محمد بن عبد الله بن ذكوان؛

وأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلاليّ، له تواليفُ جليلةٌ، سمع قراءة ابن محمد وحماس بن مروان والمعافي، وله كتابٌ جليل في الإمامة، وله بلاغةٌ وشعرٌ وفصول ونوادر؛

وقاضي الجماعة أبي بكر بن السَّليم. قال القاضي أبو الفضل عياض: نال رياسةَ الدنيا والدين؛

وأخيه منذر بن إسحاق أبي الحكم، قُدِّم للششورى بقرطبة؛

---

[1] قائمة الأسماء طويلة وتضم أغلب علماء وفقهاء ذاك العصر، وقد اقتصرت على البعض منهم فقط، للاستزادة أنظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص48-57.



وعبيد الله بن الوليد بن محمد بن محمد بن يوسف أبي مروان المِعيطي، سمع من قاسم بن أصْبغ، والحسن بن سعد، وأحمد بن عُبادة؛

وسليمان بن أيُّوب بن سليمان بن بَلكَايش القُوطي أبي أيُّوب، سمع من ابن لبُابة وغيره؛

وعبد الملك بن هذيل بن عبد الله التَّميمي أبي مروان، سمع من أحمد بن خالد، وابن أصبغ. قال ابن عفيف: كان واحدَ عصْره؛

وعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الرحَّال، من بيت النباهة والوزارة بقرطبة؛

وأبي بكر بن القُوطيَّة الإمام المصنِّف؛

وإسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم القَبسي المِصَري بن الطحَّان، اختصر المدونة وكان من كبار العلماء؛

وأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن القَبسي، سمع وهباً وأبا علي النابلي وأفتى بجامع الزهراء؛

وعبد الله بن محمد بن عبد البرّ النَّميري، والِد أبي عمر بن عبد البرّ، من أصحاب ابن بجامة الإلبيريّ؛

وعبد الله بن محمد الصَّابوني المعروف بابن برْلة، وليَ الشورى بقرطبة؛

ومحمد بن عبد العزيز بن يحيى. قال: كان من أفضل أهل زمانه، وله تأليفٌ حسن؛

وأبي عمر أحمد بن عيسى بن المكرم الغافقيّ، وأخيه أبي عثمان سعيد بن عيسى، سمع قاسِم بن أصبغ؛ وكان من أصحاب الرأي والتصرُّف والحفظ؛

وأحمد بن محمد بن زكرياء بن الوليد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن زيد ابن مِيكايِل، مولى عبد العزيز بن مروان، الرُّصافي القرطبي؛

وأحمد بن قَرْلُمان أبو عمر من العبَّاد المتبتَّلين؛

والقاضي محمد بن يحيى بن زكرياء التميميّ، سمع بقرطبة من ابن خالد وقاسم بن أصبغ وابن رفاعة وابن دحيم؛

وإبراهيم بن أحمد بن فتح، المعروف بابن الحدَّاد القرطبي، روى ابن أيمنَ وابن مَسعور؛

ومحمد بن الحاجّ بن عبد الرحمن بن علقة؛

وأحمد بن محمد بن يوسف المعافِريّ القيشطيطي، سمع أبا عيسى والدِّينوريّ؛

وسعيد بن حمدون بن محمد القبْسي أبي عثمان، سمع ابن أصْبَغَ وابن الشامة وابن حَزم وابن مُطرِّف؛

وخطَّاب بن مَسلَمة أبي محمد الزاهِد، سمع بمكَّة من الأجريّ وغيره؛

الملحق رقم 03

نص ولاية العهد من الخليفة هشام المؤيد لعبد الرحمن شنجول العامري

"هذا ما عهد به أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله أطال الله بقاءه إلى الناس عامة، وعاهد عليه من نفسه خاصة، وأعطى به صفقة يمينه بيعة تامة بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة وأهمه ما جعل الله إليه من إمامة المسلمين، وعصب به من إمرة المؤمنين، واتقى حلول الأجل (القدر) بما لا يؤمن، وخاف نزول القضاء بما لا يُصرف، وخشي إن هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره به، ولم يرفع لهذه الأمة علما تأوي إليه، وملجأ تنعطف عليه، أن يكون بلقاء الله مفرطا فيها، ساهيا عن أداء الحق إليها، ونظر (تقص) عند ذلك طبقات الرجال من أحياء قريش وغيرها ممن يستحق أن يسند الأمر إليه ويعول في القيام به عليه بعد اطراح الهوادة والتبري من الهوى والتحري للحق والتزلف إلى الله جل جلاله بما يرضيه وإن قطع الأواصر وأسخط الأقارب، عالما أن لا شفاعة عنده أعلى من العمل الصالح، وموقنا ألا وسيلة إليه أزكى من الدين الخالص، فلم يجد أحدا هو أجدر أن يقلده ويفوض إليه الخلافة بعده في فضل نفسه وكرم خيمه وشرف موكبه وعلو منصبه مع تقواه وعفافه وحزمه وثقافه من المأمون الغيب، الناصح الجيب، النازح عن كل عيب، ناصر الدولة أبي المطرِّف عبد الرحمن ابن المنصور أبي عامر محمّد بن أبي عامر وفّقه الله إذ كان أمير المؤمنين قد ابتلاه واختبره، ونظر في شأنه واعتبره، فرآه مسارعا إلى الخيرات مستوليا على الخيرات جامعا للمأثرات وارثا للمكرمات، يدذب بضبعه إلى أرفع منازل الطاعات، ويسموا بعينيه إلى أعلى درج النصيحة ....] ومن كان المنصور أباه والمظفر أخاه، فلا غرو أن يبلغ من سُبل البر مداه، ويحوي من خلال الخير ما حواه، مع أنّ أمير المؤمنين أبقاه الله لكثرة ما طالعه من مكنون العلم ووعاه من مخزون الأثر أمّل أن يكون ولي عهده القحطانيّ الذي جاء في الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلّم لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق العرب بعصاه، فلما استولي عنده الاختيار، وتقابلت فيه الآثار، لم يجد عنه مذهبا ولا إلى غيره معرجا خرج إليه من تدبير الأمر في حياته، وفوّض إليه النظر في أمور الخلافة بعد وفاته، طائعا راضيا مجتهدا، متخيرا غير محابٍ له، ولا مائل بهوادة إليه، ولاشرك نصح الإسلام وأهله فيه، وجعل إليه الاختيار لهذه الأمّة بولاية عهده فيها إن رأى ذلك في بقاء أمير المؤمنين أعزه الله وبعده،

وأمضى أمير المؤمنين أعزّه الله عهده هذا وأنفذه وأجازه وبتله لم يشترط فيه مثنوية، ولا خيارا وأعطى على الوفاء بذلك في سرّه وجهره، وقوله وفعله، عهد الله وميثاقه، وذمّة نبيه صلى الله عليه وسلم، وذمم الخلفاء الراشدين من آله وآبائه، وذمة نفسه بأن لا يبدّل ولا يغيّر ولا يحوّل، ولا يتأوّل وأشهد الله على ذلك وملائكته وكفى بالله شهيدا، وأشهد من أوقع اسمه في هذا الكتاب، وهو أبقاه الله جائز الأمر ماضي القول والفعل بمحضر من وليّ عهده المأمون ناصر الدولة أبي المطرّف عبد الرحمن بن المنصور وفّقه الله لما قلّده والتزمه لما التزمه وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وثلاثمائة"[1].

---

[1] نص البيعة كان أول الشهود في الكتاب قاضي الجماعة "أحمد بن عبد الله بن ذكوان" ويليه من الوزراء أسماء تسعة وعشرون رجلا منهم، يليهم أسماء مائة وستة وثمانين رجلا من طبقات أهل الخدمة ومن الحكام والفقهاء وغيرهم. ابن عذارى، البيان، 46-44/3.

الملحق رقم 05

ممالك الطوائف في التي وجدت في الأندلس

مملكة قرطبة (بنو جهور)

1-أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور (422-435هـ/1031-1044م).

2-أبو الوليد محمد بم جهور (435-457هـ/1044-1064م).

3-عبد الملك بن محمد بن جهور وأخوه عبد الرحمان (457-463هـ/1064-1070م).

- **قرطبة تضم لمملكة إشبيلية.**

مملكة إشبيلية (بنو عباد)

1-القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد (414-433هـ/1023-1042م).

2-عباد بن محمد المعتضد (433-461هـ/1042-1069م).

3-محمد بن عباد المعتمد (461-484هـ/1069-1091م).

- **إشبيلية تضم لدولة المرابطين.**

مملكة بطليوس (بنو الافطس)

- سابور وابناه حتى 413هـ/1022م.

1- عبد الله بن محمد بن مسلمة المنصور (413-437هـ/1022-1045م).

2- محمد بن عبد الله المظفّر (437-460هـ/1045-1067م).

3- يحي بن محمد المنصور (460-461هـ/1067-1068م).

4- عمر بن محمد المتوكل (461-488هـ/1068-1094م).

- **بطليوس تضم لدولة المرابطين.**

مملكة لبلة (بني يحي)

1-أبو العباس محمد بن يحي تاج الدين اليحصبي (414-434هـ/1023-1042م).

2-محمد بن محمد بن يحي عز الدولة (434-443هـ/1042-1051م).



3-فتح خلف بن يحي ناصر الدولة (443-445هـ/1051-1053م).

- **لبلة تضم لمملكة إشبيلية.**

مملكة شِلْب (بنو مزين)

1- الحاجب عيسى محمد (432هـ/1041م).

2- محمد بن عيسى عميد الدولة (432-440هـ/1041-1048م).

3- عيسى بن مزين المظفر (440-445هـ/1048-1053م).

4- محمد بن عيسى الناصر (445-450هـ/1053-1058م).

5- عيسى بن محمد المظفر (450-455هـ/1058-1063م).

- **شلب تضم للملكة إشبيلية.**

مملكة ولبة وشلطيش (بني بكري)

1- عبد العزيز البكري عز الدولة (403-443هـ/1012-1051م).

- **ولبة وشلطيش تضمان لمملكة إشبيلية.**

مملكة شنتمرية الغرب (بني هارون)

1- سعيد بن هارون (417-433هـ/1026-1041م).

2- محمد بن سعيد المعتصم (433-443هـ/1041-1051م).

- **شنتمرية الغرب تضم لمملكة إشبيلية.**

مملكة طليطلة (بني ذي النون)

- يعيش بن محمد بن يعيش حتى سنة 427هـ/1036م.

1-إسماعيل بن ذي النون الظافر (427-435هـ/1036-1043م).

2-يحي بن إسماعيل المأمون (435-467هـ/1043-1075م).

3-يحي بن إسماعيل بن يحي القادر (467-478هـ/1075-1085م).

- **طليطلة تسقط في يد ألفونسو السادس.**

مملكة غرناطة (بني زيري)



1- زاوي بن زيري (403-410هـ/1013-1019م).

2- حبوس بن ماكسن (411-428هـ/1020-1037م).

3- باديس بن حبوس المظفر (428-465هـ/1037-1073م).

4- عبد الله بن باديس بلقين (465-483هـ/1073-1090م).

- **غرناطة تضم لدولة المرابطين.**

مملكة قرمونة (بني برزال)

1- محمد بن عبد الله بن برزال (404-434هـ/1013-1042م).

2- عزيز بن محمد المستظهر (434-459هـ/1042-1067م).

- **قرمونة تضم لمملكة بني عباد.**

مملكة مورور (بنو دمّر)

1- نوح بن أبي تزيري الدمري (403-433هـ/1013-1041م).

2- محمد بن نوح عز الدولة (433-445هـ/1041-1053م).

3- مناد بن محمد عماد الدولة (445-458هـ/1053-1066م).

- **مورور تضم لمملكة إشبيلية.**

مملكة أركش (بنو خزرون)

1- محمد بن خزرون عماد الدولة (402-420هـ/100-1029م).

2- عبدون بن محمد بن خزرون (420-445هـ/1029-1053م).

3- محمد بن محمد بن خزرون القائم (445-461هـ/1053-1068م).

- **أركش تضم لمملكة إشبيلية.**

مملكة رندة (بني يفرن)

1- أبو نور هلال بن أبي قرة اليفرني (406-445هـ/1015-1053م).

2- باديس بن هلال (445-449هـ/1053-1057م).

3- أبو نصر فتوح بن هلال (449-457هـ/1057-1065م).



- **رندة تضم لمملكة إشبيلية.**

مملكة المرية (العامريون ومواليهم، بنو صمادح)

1- خيران العامري (405-419هـ/1014-1028م).

- زهير العامري (419-429هـ/1028-1038م).
- عبد العزيز المنصور (حكمها من بلنسية) (429-433هـ/1038-1041م).

2- معن بن محمد بن صمادح (433-443هـ/1041-1051م).

- محمد بن معن المعتصم (443-484هـ/1051-1091م).
- أحمد بن محمد معز الدولة (484هـ-1091م).

- **المرية تضم للمرابطين.**

مملكة مرسية (بنو طاهر وغيرهم).

1- خيران العامري (صاحب المرية) (403-419هـ/1012-1028م).

- زهير العامري (صاحب المرية) (419-429هـ/1028-1038م).

2- أبو بكر أحمد بن طاهر (429-455هـ/1038-1063م).

- أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن طاهر (455-471هـ/1063-1078م).

(بنو طاهر حكموا باسم عبد العزيز المنصور صاحب بلنسية وولده عبد الملك).

- **مرسية تضم لمملكة إشبيلية.**

3- ابن عمار (471-473هـ/1078-1081م).

- ابن رشيق (473-484هـ/1081-1091م).

- **مرسية تضم للمرابطين.**

مملكة دانية والجزائر-جزر البليار- (مجاهد العامري، بني هود)

1- مجاهد العامري (الموفق) (400-436هـ/1009-1044م).

- علي بن مجاهد إقبال الدولة (436-468هـ/1044-1076م).

- **تضم دانية والجزائر لبني هود ملوك سرقسطة.**



2- المقتدر بن هود (468-474هـ/1076-1081م).

- المنذر بن هود (474-483هـ/1081-1091م).

- **دانية تضم لدولة المرابطين.**

مملكة بلنسية (العامريون ومواليهم، وغيرهم).

1- الفتيان مظفر ومبارك (400-408هـ/1009-1017م).

- لبيب العامري (صاحب طرطوشة) (408-411هـ/1017-1021م).

2- عبد العزيز المنصور (411-452هـ/1021-1061م).

- عبد الملك بن عبد العزيز نظام الدولة (452-457هـ/1061-1065م).

3- المأمون بن ذي النون يضم بلنسية إلى طليطلة (458-469هـ/1065-1076م).

- نائبه أبو بكر بن عبد العزيز (فصل بلنسية عن طليطلة)(458-478هـ/1065-1085م).

- عثمان بن أبي بكر (478هـ/1085م).

4- يحي القادر بن ذي النون (478-485هـ/1085-1092م).

- القاضي جعفر ابن جحّاف (485-487هـ/1092-1094م).

- السيد القمبيدور والقشتاليون يستولون على بلنسية (487-495هـ/1093-1102م).
- **بلنسية تضم للمرابطين.**

مملكة شنتمرية الشرق (بنو رزين)

1-هذيل بن خلف بن عبد الملك بن رزين (403-436هـ/1012-1045م).

2-عبد الملك بن هذيل (436-496هـ/1046-1103م).

3-يحي بن عبد الملك حسام الدولة (496-497هـ/1103-1104م).

- **شنتمرية (سهلة بني رزين) تضم للمرابطين.**

مملكة شنتمرية الغرب (بنو هرون)

1-سعيد بن هرون (417-433هـ/1026-1041م).



2-محمد بن سعيد المعتصم (433-444هـ/1031-1052م).

- **شنتمرية الغرب تضم لمملكة إشبيلية.**

إمارة ألبونت (بنو القاسم)

1- عبد الله بن قاسم نظام الدولة (400-431هـ/1009-1039م).

2- محمد بن عبد الله يمن الدولة (431-434هـ/1039-1042م).

3- أحمد بن محمد عز الدولة (434-440هـ/1042-1048م).

4- عبد الله بن محمد جناح الدولة (440-495هـ/1048-1102م).

- **ألبونت تضم للمرابطين.**

مملكة سرقسطة (بنو تجيب، بنو هود)

1- المنذر بن يحي التجيبي (408-414هـ/1017-1023م).

- يحي بن المنذر المظفر (414-420هـ/1023-1029م).
- المنذر بن يحي معز الدولة (420-430هـ/1029-1039م).

2- سليمان بن هود المستعين (431-438هـ/1039-1046م).

- أحمد بن سليمان المقتدر (438-474هـ/1046-1081م).
- يوسف بن أحمد المؤتمن (474-478هـ/1081-1085م).
- أحمد بن يوسف المستعين (478-503هـ/1085-1110م).
- عبد الملك بن أحمد عماد الدولة (503هـ/1110م).

- **سرقسطة يضمها المرابطون ثم يستولي عليها النصارى سنة 512هـ/1118.**

مملكة مالقة (بنو حمود)

1- ادريس بن علي بن حمود المؤيد (427-431هـ/1035-1039م).

2- يحي بن ادريس بن علي القائم (431-432هـ/1039-1040م).

3- حسن بن يحي بن علي بن حمود المستنصر (432-433هـ/1040م).

- نجاء الصقلبي (433هـ/1041م)



4- إدريس الثاني بن يحي بن علي (433-439هـ/1041-1047م).

5- محمد الأول بن إدريس الأول بن علي بن حمود (439-446هـ/1047-1054م).

6- إدريس الثاني بن يحي بن إدريس الأول (446-447هـ/1054-1055م).

7- محمد الثاني بن إدريس الأول (447-449هـ/1055-1057م).

- **مالقة تضم لمملكة غرناطة.**

مملكة الجزيرة الخضراء (بنو حمود)

1- محمد بن القاسم بن حمود (427-440هـ/1035-1048م).

2- القاسم بن محمد بن القاسم بن حمود (440-450هـ/1048-1058م).

- **الجزيرة الخضراء تضم لمملكة إشبيلية.** [1]

[1] تمّ جمع ذلك من خلال مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: ابن عذارى، البيان، ج3، صفحات متعددة، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، صفحات متعددة، عنان، ملوك الطوائف، ص460-464. دوزي، المسلمون في الأندلس، ج2، ص216-224. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، صفحات متععدة.



الملحق رقم 06

خطبة منذر بن سعيد البلوطي بمناسبة احتفال الخليفة الناصر بوفود الروم في قرطبة سنة 338هـ/949م

«...وذُكر أن أول سببه في التعلق بالناصر لدين الله، ومعرفته به وزُلْفاه، أن النّاصر لما احتفل لدخول ملك الروم صاحب القُسطنطينية بقصر قُرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره، وانبهر أمره، أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه بذكر جلالة مَقعده، ووصف ما تهيأ له من توطّد الخلافة، ورمى الملوك بآمالها، وتقدم إلى الأمير الحَكَم ابنه، بإعداد من يقوم لذلك من الخطباء، ويقدّمه أمام نشيد الشعراء، فتقدّم الحَكم إلى أبي عليّ البغداديّ، ضيف الخلافة، وأمير الكلام، وبحر اللّغة أن يقام، فقام رحمه الله وأثنى على الله وصلّى على النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم انقطع وبُهت، فما وصل إلاّ قطع، ووقف ساكتاً متفكّراً، وتشوّف لا ناسياً ولا متذكّراً، فلمّا رأى ذلك منذر بن سعيد قام من ذاته (بذاته)، بدرجة من مرقاته، فوصل افتتاح أبي عليّ البغدادي بكلام عجيب، ونادى من الإحسان في ذلك المقام كل مجيب، وقال: أما بعد، فإن لكلّ حادثة مقاماً، ولكلّ مقام مقال، وليس بعد الحق إلاّ الضّلال، وإنّي قمت في مقام كريم، بين يدي ملك عظيم، فأصغوا إليّ بأسماعكم، وألقنوا (ألفتوا) عليّ بأفئدتكم معاشر الملأ: إن من الحقّ أن يُقال للمُحقّ صدقتَ، وللمُبطل كذبتَ، وإن الجليل تعالى في سمائه وتقدّس (تصدق، تفرد) بصفاته وأسمائه، أمر كليمه موسى صلى الله على نبيّنا وعليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين (أنبيائه المرسلين) أن يذكّر قومه بنعم الله عز وجل عندهم، وأنا أذكّركم نعم الله تعالى عليكم وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي أمَّنت سِربكم، ورَفعت خوفكم، وكنتم قليلاً فكثركم، ومُستَضعفين فقوّاكم، ومستذلّين فنصركم، ولاّه الله رعايتكم وأسنَد إليه إمامتكم، أيام ضربت الفِتنَة سُرادقها على الآفاق، وأحاطت بكم تُشعل (شُعل) النّفاق حتى صِرتم في مثل حَدقَةٍ البعير، مع (من) ضيق الحال ونَكدِ العيش والتّغيير فاستُبدِلتُم بخلافته من الشدَّة بالرّخاء، وانتقلتم بيُمن سياسته إلى كنف العافية بعد استيطان (استطال) البلاء، ناشدتكم الله يا معشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكةً فأمنها، والأموال منتهبة فأحرزَها وحصّنها؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمَّرها، وثغور المسلمين مُهتضمةً فحماها ونصرها؟ فاذكروا آلاء الله

عليكم بخلافته، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته، حتى أذهَب الله عنكم غيظكم وشفى صدوركم وصرتم يدا على عدوّكم بطويةٍ خالصة وبصيرة ثابتة وافرة، فقد فتح الله عليكم أبواب البركات وتواترت عليكم أسباب الفتوحات، وصارت وفود الروم وافدة عليكم، وآمال الأقصين والأدنين إليكم، يأتون من كُل فجٍّ عميقٍ، وبلدٍ سحيق، لأخذ حبل بينه وبينكم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولن يخلف الله وعده، ولهذا الأمر ما بعده، وتلك أسباب ظاهرة تدلّ على أمور باطنة، دليلها قائم، وجَفنها غير نائم، ﴿وَعَدَ الله الذينَ آمنوا مِنْكُمْ وعَمِلوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأَرضِ كما اسْتَخْلفَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الذي ارْتَضَى، ولَيُبِدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعدِ خَوفِهِمْ أَمْنَاً﴾[1]، وليس في تصديق ما وعد الله عزّ وجلّ ارتياب، ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه، وسَلُوه المزيد من نَعمائه، فقد أصبحتم بيمن خلافة أمير المؤمنين أيده الله بالعِصمَة والسَّداد، وألهمه بخالص التوفيق سبيل الرّشاد (أحسن الناس حالاً، وأعمهم بالاً، وأعزّهم قراراً، وأمنعهم داراً، وأكثفهم جَمعاً، وأجملهم صُنعاً، لا تهاجون ولا تدارون، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون) فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم والتزاموا الطاعة لخليفتكم وابن عمّ نبيكم (صلى الله عليه وسلم) فإن من نزع يَده من الطاعة، وسعى في فرقة الجماعة، ومَرق من الدين فقد خَسِر الدُّنيا والآخرة إلاّ ذلك هو الخُسران المبين، وقد عَلِمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين، وصنوف الملحدين، والسّاعين في شقّ عصاكم، وتفريق ملاكم (ملتكم) وهتك حُرمتكم، وتوهين دعوة نبيكم (صلى الله عليه وسلم) وعلى جميع النبيين والمرسلين، أقول قولي هذا والحمد لله ربّ العالمين وأنشد يقول:

مَقَالٌ كحدِّ السَّيْفِ وَسطَ المحَافِلِ ... فَرَقْتُ به ما بين حَقٍّ وباطلِ

بقلبٍ ذكيّ تَرْتَمي جَنَبَاتُهُ ... كبارق رَعْدٍ عِندَ رعشِ الأنَامِلِ

فما دحضت رِجْلي ولا زلَّ مِقولي ... ولا طاش عَقْلي يَوم تلك الزّلازِلِ

بِخَيرِ إمامٍ كان أو هو كائنٌ ... لمقتبلٍ أو في العصور الأوائلِ

وقد حَدَّقَتْ نحوي عيون أخالها ... كَمِثْل سهام أُثبِتَتْ في المقاتِلِ

---

[1] سورة النور: الآية 55.

تَرَى النَّاسِ أفواجاً يؤمّون دَارهُ ... وكُلُّهم ما بين راضٍ وآملِ

وُفُودُ مُلُوكِ الرّومِ وَسطَ فِنَائِهِ ... مَخَافة بأسٍ أو رجاءً لنائلِ

فَعِشْ سَالِماً أقصى حَيَاةَ مُعَمَّر ... فأنْتَ غِيَاثُ كُلِّ حافٍ ونَاعِلِ

ستملكها ما بين شرق ومغرب ... إلى درب قسطنطين أو أرض بابل

فقال العِلج: هذا والله كبش الدّولة، وخرج الناس يتحدثون عن حُسن مَقامه، وثبات جِنانه، وبلاغة لِسانه، وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجّباً منه، وأقبل على ابنه الحَكم ولم يكن يَثبت معرفته، فسأله عنه، فقال الحَكم: هذا منذر بن سعيد البلُّوطيِّ، فقال: والله لقد أحسن ما أنشأ، ولئن أبقاني الله تعالى لأرفعن من ذكره، فضع يدك يا حَكمُ عليه واستخلصه، وذكّرني بشأنه، فما للصّنِيعَة مَذهب عنه، فلما ابتنى الناصر الجامع بالزهراء ولاّه الصلاة فيه والخطبة ثم توفي محمد بن أبي عيسى القاضي فولاه الجماعة بقُرطبة، وأقرّه على الصلاة بالزهراء.»[1]

---

[1] ابن خاقان، المطمح، ص240-244. والبيت الأخير من الأبيات الشعرية موجود في هامش المصدر، ص244.

المصادر والمراجع



أولا- قائمة المصادر:

- **القرآن الكريم.**
- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي (ت685هـ/1286م):

1- **الحلة السيراء**، حققه وعلّق عليه عبد الله أنيس الطبّاع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1381هـ/1962م.

2- **الحلة السيراء**، وضع حواشيه وعلق عليه علي إبراهيم محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1429هـ/2008م.

3- **كتاب الحلة السيراء**، تح وتع. حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1985م.

4- **درر السّمط في خبر السبط**، تحقيق عز الدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م.

5- **التكملة لكتاب الصلة**، المطبعة الشرقية للأخوين فونطانا، الجزائر، 1337هـ/1919م.

- ابن الأثير، أبو الحسن علي (630هـ/1222م):

6- **الكامل في التاريخ**، دار الكتب العربي، ط3، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م.

- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم بن يونس السعدي (ت668هـ/1270م):

7- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان،، د.س.ط.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف (ت463هـ/1070م):

8- **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**، اعتنى بنشره عبد الفتاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلامية ، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1997م.

- ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي (ت543هـ/1147م):

9- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية – ط1، بيروت- لبنان 1419هـ/1998م.

10- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.

- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1183م):

11- **الصلة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1410هـ/1989م.

12- **الصلة**، تح.إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1990م.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:

13- **صحيح البخاري**، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1419هـ/1998م.

- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429هـ/1037م):

14- **الفرق بين الفرق**، اعتناء وتعليق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، ط2، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.

15- الأمير عبد الله بن بلقين(ت1090م)،

- **كتاب التبيان**، تحقيق وتقديم وتعليق أمين توفيق طيبي، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1995م.

- أبو عبد الله التنسي (ت899هـ/1494م):

16- **تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدرر والعقيان**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- ابن الجوزي (عبد الرحمن):

17- **تلبيس إبليس**، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د.س.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت1086هـ/1657م):

18- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.س.ط، مج2.

19- **تاريخ خليفة ابن خياط**، راجعه مصطفى نجيب فوّاز، وحكمت كشلي فوّاز، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م.

- ابن حبيب، عبد الملك السلمي الأندلسي (238هـ/853م):

20- **كتاب التاريخ**، اعتنى به عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، **ط**1، صيدا، لبنان، 1429هـ/2008م.

- ابن حبيب (الربيع):

21- **الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب**، ترتيب الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، المطبعة العربية، 1985م.

- أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ابن حزم::

22- **الإحكام في أصول الأحكام**، أحمد محمد شاكر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2006م.

23- **الأخلاق والسير في مداواة النفوس**، شركة الشهاب، الجزائر، د.س.ط.

24- **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1971.

25- **رسائل ابن حزم – رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء** – ، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1987، 2م، ج2.

26- **رسائل ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن** ، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1987م، ج2.

27- **طوق الحمامة في الإلفة والألآّف**، تحقيق وتقديم صلاح الدين القاسمي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د.س.ط.

28- **طوق الحمامة في الإلفة والالآّف**، قدم له وحققه المحامي فاروق سعد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1980م.

29- **الفصل في الملل والنحل والأهواء**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م.

30- **جوامع السيرة النبوية**، تح محمد بيومي، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 1426هـ/2005م.

31- **رسالة ابن حزم الأندلسي في الرد على ابن النغريلة اليهودي**، در. وتحليل أحسن لحساسنة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1432هـ/2011م.

- الحميدي، أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله (ت488هـ/1195م):

32- **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تحقيق روحيّة عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م..

- ابن حيان الأندلسي، أبو مروان حيان بن خلف (ت467هـ/1076م):

33- **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.س.ط (القطعة الثانية).

34- **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا، ط1، بيروت، 1426هـ/2006م، (القطعة الرابعة).

- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي(ت367هـ/977م):

35- **كتاب صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992.

- ياقوت الحموي (ت622هـ/1225م):

36- **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م.

- ابن خاقان، أبو نصر فتح بن محمد بن عبيد الله (ت529هـ/1135م):

37- **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في منح أهل الأندلس**، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.

- الخشني، محمد بن حارث (ت361هـ/971م):

38- **أخبار الفقهاء والمحدثين**، دراسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1992م.

39- **قضاة قرطبة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، لبنان، 1410هـ/1989م.

- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله (ت912م):

40- **المسالك والممالك**، مطبعة بريل، ليدن، 1889م.

- ابن خَفَاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله(ت533هـ/1138م):

41- **ديوان ابن خفاجة**، تح، عبد الله سندة، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م.

- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد (ت776هـ/1374م):

42- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ضبطه يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.

43- **تاريخ إسبانيا الإسلامية**، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، لبنان، 1956م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1406م):

44- **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1972م.

- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م):

45- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان**، حققه إحسان عباس، دار الفكر، دار الصادر، بيروت، لبنان، د.س.ط.

46- : **كتاب الوفيات**، تح عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1982.

- ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط (ت. حوالي 240هـ/855م):

47- **تاريخ خليفة ابن خياط**، راجعه مصطفى نجيب فوّار، وحكمت كشلي فوّار، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م.

- الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت945هـ/1547م):

48- **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.س.ط، ج1

- الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت670هـ/1272م):

49- **كتاب طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1394هـ/1974م، ج1.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (784هـ/1347م):

50- **سير أعلام النبلاء**، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، ط1، القاهرة، مصر، 1423هـ/2003م.

- ابن رشد، أبو الوليد القرطبي (ت520هـ):

51- **"البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة"**، تح محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1988.

- ابن رشد (الجد):

52- **مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد)**، تح، محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل بيروت، دار الآفاق الجديدة المغرب، ط2، 1414هـ/1993م.

- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت379هـ/989م):

53- **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر،1979.

- أبو زكرياء، يحيى بن أبي بكر (ت471هـ/1078م):

54- **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1399هـ/1979م.

- ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى (399هـ/1009م):

55- **كتاب قدوة الغازي**، دراسة وتحقيق عائشة سليماني، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1989م.

- السبكي، تاج الدين:

56- **طبقات الشافعية الكبرى**، تح عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1986م.

- ابن سعد، محمد (ت230هـ/844م):

57- **الطبقات الكبرى**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1405هـ/1985م.

- ابن سهل، أبو الأصبع عيسى بن عبد الله الاسدي بن سهل الأندلسي (ت486هـ):

58- **الإعلام بنوازل الأحكام وفقر من سير القضاة والحكام**، أخرجه فرحات الدشراوي من مخطوط للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، "سلسلة من نصوص ودراسات في تاريخ إفريقية والمغرب، قضية الداعي أبي الخير الشيعي المصلوب بقرطبة في عهد الحكم المستنصر بالله"، **حوليات الجامعة التونسية**، العدد01 سنة 1964م.

59- **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطرٍ من سير الحكام**، تح. يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/2007م.

60- **ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى**، در.تح محمّد عبد الوهاب خلاف، مر.تق. محمود علي مكي، المركز العربي الدولي للإعلام، ط1، القاهرة، مصر، 1981.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م):

61- **تاريخ الخلفاء**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، د.س.ط.

- الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت928هـ/1521م):

62- **كتاب السير**، تحقيق ودراسة محمد حسن، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية ق5هـ/11م، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1995م.

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم أحمد (ت548هـ/1153م):

63- **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ط2، بيروت، 1395هـ/1975م.

- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت476هـ/1083م):

64- **طبقات الفقهاء**، تحقيق وتقديم إحسان عباس، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م.

- صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت462هـ/1070م):

65- **طبقات الأمم**، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، د.س.ط.

66- **كتاب طبقات الأمم**، تحقيق لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1912م.

- ابن الصغير (حي في ق3هـ/9م):

67- **أخبار الأئمة الرستميين**، تح. محمد ناصر وإبراهيم بحاز، مطبوعات الجميلة، الجزائر 1986.

- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر:

68- **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، تخريج وتعليق مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.س.ط.

- الصنهاجي، أبو عبد الله محمد (ت626هـ/1230م):

69- **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق وتعليق، جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- الضبّي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت599÷/1203م):

70- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق روحيّة عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.

71- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1990.

- الطليطلي، أحمد بن مغيث (ت459هـ):

72- **المُقنِع في علم الشروط**، وضع حواشيه ضحى الخطيب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1420هـ/2000م.

- ابن عذارى المراكشي (ت706هـ/1306م):

73- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، لبنان، 1983.

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت852هـ/1448م):

74- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.س.ط، ج6.

- أبو عمار، عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي (ت570هـ/1174م):

75- **كتاب الموجز في تحصيل السؤال، وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف**، تح عمار الطالبي، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1971م.

- عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت544هـ/1149م):

76- **ترتيب المدارك تقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، 1387هـ/1967م، ج1.

77- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**،، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرّباط، 1965م.

78- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. د.س.ط.

79- **الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض**، تح، ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م.

- ابن فرحون المالكي، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت799هـ/1396م):

80- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، د,س,ط، ح2.

81- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م.

- ابن أبي العز (حنفي):

82- شرح العقيدة الطحاوية، حققها وراجعها مجموعة من العلماء، المكتب الإسلامي، ط9، 1408هـ/1988م.

- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن صر الأزدي (ت403هـ/1013م):

83- **تاريخ علماء الأندلس،** تحقيق روحيّة عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م.

84- ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس،** مراجعة يخلف شلحة، استديو الترقية، البليدة، الجزائر، 2011م.

- القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت363هـ/947م):

85- **كتاب افتتاح الدعوة،** تح فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986م.

- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م):

86- **المعارف لابن قتيبة،** حققه وقدم له د.ثروت عكاشة، دار المعارف، ط2، مصر، 1969م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت671هـ/1272م):

87- **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.س.ط، ج16.

- القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت646هـ/1248م):

88- **كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء،** تصحيح محمد أمين الخانجي الكتبي، مطبعة السعادة، ط1، مصر 1326هـ.

- ابن قنفد القسنطيني، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب:

89- **كتاب الوفيات،** تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1982.

- ابن القوطية، أبو بكر محمد (ت367هـ/977م):

90- **تاريخ افتتاح الأندلس،** تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري –القاهرة- دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1410÷/1989م.

- ابن الكتابي، محمد بن الكتاني الطبيب (كان حي في ق4هـ/8م):

91- **كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس،** تحقيق إحسان عباس، دار الشروق، ط3، بيروت، لبنان، 1406هـ/1986م.

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفذا إسماعيل بن كثير (ت774هـ/1372م):

92- **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث،** أحمد محمّد شاكر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1403هـ/1989م.

- مالك بن أنس، أبو عبد الله (ت179هـ/795م):

93- **الموطأ**، رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي (ت221هـ/834م)، تح، عبد الحفيظ منصور، الدار التونسية للنشر، د.س.ط.

94- **الموطأ** رواية يحي بن يحي الليثي، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، مصر، 1432هـ/2011م.

95- **الموطأ**، مج1.تح: محمد مصطفى الأعظمي مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1425هـ/2004م،

- المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت444هـ/1052م):

96- **كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، وزهادهم ونسّاكهم، وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح، بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.

- المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي(ت647هـ/1250م):

97- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، دار الكتب العلمية،ط2، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م.

98- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، الكتاب الثالث، تح: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، د س ط.

- مجهول (عاش في ق4هـ/8م):

99- **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1410هـ/1989م.

100- **تاريخ الأندلس**، در.تح عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1427هـ/ 2007م.

101- **كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها**، تح.إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

- المسعودي، أبو الحسن علي (ت346هـ/958م):

102- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1385هـ/1965م..

- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الشامي (ت حوالي 387هـ/997م):

103- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ط2، مدينة ليدن المحروسة، 1967م.

- المقري التلمساني، أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م):

104- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م.

105- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، شرح وضبط وتعليق يوسف علي الطويل، ومريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2012م.

- النباهي المالقي، أبو الحسن عبد الله بن الحسن (حي793هـ/1390م):

106- **تاريخ قضاة الأندلس** (كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان 1400هـ/1980م.

107- **تاريخ قضاة الأندلس، المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط5، بيروت، 1403هـ/1983م.

- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت380هـ/995م):

108- **الفهرست لابن النديم**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، د.س.ط.

- ابن هانئ، أبو القاسم محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي (ت362هـ/973م):

109- **ديوان ابن هانئ**، جمع كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ى1405هـ/1985م.

- الونشريسي، أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد (ت914هـ/1514م):

110- **كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية**، نشر وتعليق محمد الأمين بلغيث، مطبعة لافوميك، 1985م.

111- **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه مجموعة علماء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981م/1401هـ.

- ابن أبي يعلى، أبو الحسن محمد القاضي:

112- **طبقات الحنابلة**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.س.ط، ج1.

ثانيا- قائمة المراجع:

- إبراهيم (موسى إبراهيم):

1- **المدخل إلى أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي**، شركة الشهاب، الجزائر، 1980.

- إبراهيم (زكريا):

2- **ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، دس.ط.

- ابن ادريسو (مصطفى بن محمد):

3- **الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، نشر جمعية التراث، 1424هـ/2003م.

- اعوشت (بكير بن سعيد):

4- **الإباضية في مرآة علماء الإسلام قديما وحديثا**، المطبعة العربية، غرداية، 1415هـ/1995م.

5- **رجال خالدون في ذاكرة الإسلام**، المطبعة العربية، غرداية، 1994.

- آل كاشف الغطاء (محمد الحسين):

6- **أصل الشيعة وأصولها**، تحقيق علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي، ط2، بيروت، 1417هـ/1997م.

- أرسلان (شكيب):

7- **تاريخ غزوات العرب**، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، د.س.ط.

8- **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م. مج1.

- أمين (أحمد):

9- **ظهر الإسلام**، دار الكتاب العربي، ط5، بيروت، لبنان، د.س.ط، ج3

- الباروني (سليمان):

10- **الأزهار الرياضية في أيمة وملوك الإباضية (القسم الثاني)**، تحقيق وفهرسة أحمد كروم ولآخرونن تقديم إبراهيم بحاز وأحمد بن سعود السيابي، دار البعث، ط3، قسنطينة، الجزائر، 1423هـ/2002م.

- باجو (مصطفى بن صالح):

11- **أبو يعقوب الورجلاني أصوليا -دراسة لعصره وفكره الأصولي مقارنا بأبي حامد الغزالي-**، وزارة التراث والثقافة، ط2، سلطنة عمان، 1428هـ/2007م.

- بحاز (إبراهيم بن بكير):

12- **الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)** دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث، ط2، 1414هـ/1993م.

13- **عبد الرحمن بن رستم (160-171هـ/777-788م) مؤسس أول دولة إسلامية مستقلة في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990م.

- البستاني (بطرس):

14- **أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث**، دار مارون عبود، لبنان، د.س.ط.

- البشري (سعد عبد الله صالح):

15- **الحياة العلمية في عصر خلافة الأندلس (316-422هـ/928-1030م)**، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية 1417هـ/1997م. (رسالة ماجستير مطبوعة).

- بوباية (عبد القادر):

16- **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (92-422هـ/711-1031م)**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011م.

- بوحجام (محمد ناصر):

17- **توضيح مكانة الإباضية من الخوارج** (رسالة صغيرة)، المطبعة العربية، غرداية، 1417هـ/1996م.

18- بوتشيش (إبراهيم القادري): **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، جوان 2006م.

- بوعروة (بكير بن عيسى):

19- **تاريخ علم الفلك في بلاد الأندلس (138-484هـ/775-1088م)**، دار سنجاق الدين للكتاب، صدر الكتاب بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية 2009، الجزائر، 2010م.

- التليسي (بشير رمضان):

20- **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2003م. (أطروحة دكتوراه مطبوعة).

- التهامي (إبراهيم):

21- **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط1، سوريا، 1426هـ/2005م. (أطروحة دكتوراه مطبوعة).

- التاويل (محمّد):

22- **خصائص المذهب المالكي**، الدروس الحسنية بالمغرب، الخميس 7 رمضان 1425هـ/ 21 أكتوبر 2004م.

- الجزائري (أبو بكر جابر):

23- **عقيدة المؤمن**، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع والترجمة، ط2، القاهرة، مصر، 1424هـ/2003م.

- ابن جميع (أبو حفص عمر):

24- **عقيدة العزابة**، تحقيق وتعليق عمر بن أحمد بازين، المطبعة العربية، ط1، غرداية، الجزائر، 1417هـ/1996م.

- جهلان (عدون):

25- **الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش**، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، د.س.ط.

- جيدل(عمار):

26- مدخل إلى دراسة الفرق الإسلامية، دار البلاغ للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1423هـ/2002م.

- الجيدي (عمر):

27- **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م.

28- **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987.

- الجياش (عبد الحميد):

29- **التعريف بالفقه الإسلامي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، مكتبة الزهراء للنشر والتوزيع، ليبيا، 1430هـ/2009م.

30- جمال الدين (عبد الله محمد):

31- **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش**، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1411هـ/1991م.

- الحارثية (زيانة بنت خلفان):

32- **الإمام جابر بن زيد وتأسيسه الفكر الإباضي**، مكتبة الجيل الواعد، ط1، مسقط سلطنة عمان، 1427هـ/2006م.

- حاطوم (نور الدين):

33- **تاريخ العصر الوسيط في أوربا**، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.س.ط، ج1.

- حبنكة الميداني (عبد الرحمن):

34- **الحضارة الإسلامية**، دار القلم، ط1، دمشق، سوريا، 1418هـ/1998م.

- حجي (عبد الرحمن علي):

35- **أضواء على الحضارة والتراث**، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س.ط.

36- **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، ط5، دمشق، 1997م.

- حسن (إبراهيم حسن):

37- **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجيل، بيروت، لبنان، ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط15، 1422هـ/2001م.

- حسان (محمد حسان):

38- **ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.س.ط.

- حسين (أحمد فرج):

39- **المدخل إلى الفقه الإسلامي –تاريخ الفقه الإسلامي–** ،منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2002م.

- حركات (إبراهيم):

40- **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م**، جزء الشرعيات والعقائد، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000م.

41- حمدي عبد المنعم (محمد حسين):

42- **دراسات في التاريخ الأندلسي، دولة بني برزال في قرمونة (404-459هـ/1013-1067م)**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1990.

- بن حنفية (العابدين):

43- **كيف نخدم الفقه المالكي**، دار الإمام مالك، ط2، الجزائر، 1434هـ/2013م.

- الخالدي (محمود):

44- **العقيدة وعلم الكلام**، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، 1989، الجزائر.

- الخضري بك (محمد):

45- **تاريخ التشريع الإسلامي**، دار أشريفة للطباعة والنشر والتوزيع، بورزيعة، الجزائر، د.س.ط.

- خلاف (محمد عبد الوهاب):

46- **علم أصول الفقه**، الزهراء للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1993.

47- تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، المؤسسة العربية الحديثة، ط1، مصر الجديدة، 1413هـ/1992م.

- الخلف (سالم بن عبد الله):

48- **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، 1423هـ.

- خليفات (عوض محمد):

49- **نشأة الحركة الإباضية**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 1978م.

- الخليلي (أحمد بن حمد):

50- **الحق الدامغ**، دار البعثة، ط2، قسنطينة، 1412هـ/1492م.

- دبوز (محمد علي):

51- **تاريخ المغرب الكبير**، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاءه، ط1، 1382هـ/1963م، ج2.

- دحماني (شريفة محمد عمر):

52- **العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف (ق5هـ/11م)**، مؤسسة شباب الجامعة، 2006.

- الدراجي (بوزيان):

53- **دول الخوارج والعلوين في المغرب والأندلس**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2007م.

- ذنون (طه عبد الواحد):

54- **تراث وشخصيات من الأندلس**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2009م.

- رستم (سعد):

55- **الفرق والمذاهب الإسلامية**، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سورية،2004م.

- الرويني (محمد علي عبد الكريم):

56- **مختصر علوم القرآن**، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1987.

- زغروت (فتحي):

57- **العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي (300-350هـ)**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، 1427هـ/2006م.

58- زينل (نهاد عباس):

59- **الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا-القرون الوسطى (92-897هـ/711-1492م)**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م.

- أبو زهرة (محمد):

60- **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س.ط.

61- **ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1978م.

62- **مالك حياته وعصره**، آراؤه وفقهه، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الإعتماد، القاهرة، مصر، دون سنة الطبع.

- السابعي (ناصر بن سليمان بن سعيد):

63- **الخوارج والحقيقة الغائبة**، دار المنتظر، بيروت، لبنان، 1420هـ/2000م.

- سالم (عبد العزيز سالم):

64- **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م.

65- **تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة أسطول الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1984م.

66- السامرائي (أسامة عبد الحميد حسين): **تاريخ الوزارة في الأندلس (138-897هـ/755-1492م)**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2012م.

- السالمي (نور الدين):

67- **رسالة كشف الحقيقة** (رسالة صغيرة في شكل منظومة) تخص التاريخ والمذهب الإباضي.

- السامرائي (عبد الحميد حسين أحمد):

68- **تاريخ حضارة المغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، دار شموع الثقافة، ليبيا، 2002م.

- السبحاني (جعفر):

69- **الشيعة في موكب التاريخ**، دار الأضواء للطباعة و النشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م.

- السحمراني (أسعد):

70- **التصوف منشؤه ومصطلحاته**، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.

- السيابي (سالم بن حمود بن شامس):

71- **إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء**، تحقيق وشرح د.السيدة إسماعيل كاشف، مطابع سجل العرب، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1979.

- شبارو (عصام الدين):

72- **الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود**، دار النهضة العربية، بريوت، لبنان، 1423هـ/2002م.

73- عصام محمد شبارو: **قاضي القضاة في الإسلام**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1992م.

- شريّط (عبد الله):

74- تاريخ الثقافة في المشرق والمغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر، 1983.

- الشكعة (مصطفى):

75- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، لبنان، 1979.

76- المطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، ط2، القاهرة، 1403هـ/1983م.

- شعيب (عبد الواحد عبد السلام):

77- **الكتابة التاريخية ومناهجها في الأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف**، منشورات دار الأمان، مطبعة الأمنية، ط1، الرباط، المغرب، 2014م.

- الشنقيطي (محمد الأمين بن مختار):

78- **مذكرة أصول الفقه**، الدار السلفية، الجزائر، د.س.ط.

- صبحي (صالح):

79- **النظم الإسلامية نشأتها وتطورها**، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، لبنان، 1968/1388م.

- ابن ابي الضياف (أحمد):

80- **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدار التونسية للنشر، تونس، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1396هـ/1976م، ج2.

- طالبي (عمار):

81- **آراء الخوارج**، نشر المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1971. ج1.

- أبو طعمة (ياسر):

82- **محمد بن أبي عامر المعافري في الشعر الأندلسي خلال القرن 4هـ**، دار الكتاب الثقافي – اربد- الأردن، 1426هـ/2005م.

- طعيمة (صابر):

83- **الإباضية عقيدة ومذهبا**، دار الجيل، بيروت، 1406هـ/1986م.

84- **الشيعة معتقدا ومذهبا**، توزيع المكتبة الثقافية، ط1، بيروت، لبنان،1408هـ/1988م.

85- **العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها**، توزيع المكتبة الثقافية، ط2، بيروت، 1411هـ/1991.

- ظاظا (زهير):

86- **الإمام الجنيد والتصوف في القرن الثالث الهجري**، دار الخير، ط1، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م.

- عامر (حافظ):

87- **الاثناعشرية، النشأة والعقائد**، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، د.س.ط.

- العامري (محمد بشير حسن راضي):

88- **فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2014م.

- العبادي (أحمد مختار):

89- **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1972م.

90- **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.س.ط.

91- **في تاريخ المغرب الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.س.ط.

- عباس (إحسان):

92- **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط5، بيروت، لبنان، 1978.

- العتيبي (فوزي عناد القبوري):

93- **فقهاء الأندلس والمشروع العامري (367-399هـ/978-1009م)**، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1431هـ/2010م.

- العثيمين (محمد صالح):

94- **عقيدة أهل السنة والجماعة**، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط4، المملكة العربية السعودية، 1423هـ/2003م.

- العجيري (صالح محمد):

95- **تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية**، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1405هـ/1984م.

- العربي (إسماعيل):

96- **دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

العقل (ناصر عبد الكريم):

97- **رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع**، وموقف السلف منها، دار الوطن للنشر، ط2، الرياض، السعودية، 1423هـ/2002م، ج2.

- ابن عميرة (محمد):

98- **دور زناته في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984. (رسالة ماجستير مطبوعة).

- عنان (محمد عبد الله):

99- **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية**، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1390هـ/1987م.

100-**دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1389هـ/1969م.

101-**دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، العصر الأول**، القسم الأول، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1389هـ/1969م.

- عيد (يوسف):

102-**دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والأعلام**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2006م.

- عبد الحليم عويس:

103-**ابن حزم الأندلسي وجهوه في البحث التاريخي والحضاري**، الصحوة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر.

- غالب (مصطفى):

104-**تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، بيروت، 1979م.

- أبو الفضل (محمد أحمد):

105- **تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، دراسة في التاريخ السياسية الحضاري**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1996.

106-**دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1996.

- فروخ (عمر):

107-**تاريخ الأدب العربي، الأدب في المغرب والأندلس إلى آخر عصر ملوك الطوائف**، دار العلم للملايين، ط2، بيروت لبنان، 1984.

- فيلالي (عبد العزيز):

108-**العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982. (رسالة ماجستير مطبوعة).

109-**المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس**، دار هومة، الجزائر، 2008.

-فيومي (محمد إبراهيم):

110-**تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.

- القاسمي (ظافر):

111-**نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي**، دار النفائس، ط5، بيروت 1405هـ/1985م.

- الكتاني الحسيني (محمد إبراهيم بن أحمد بن جعفر):

112-**الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب**، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م.

- القنوجي (صدّيق بن حسن):

113-**أبجد العلوم السحاب المرقوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم**، أعده للطبع ووضع فهارسه، عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1978م، ج2.

- لقبال (موسى):

114-**دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

115-**المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج** – سياسة ونظم- المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

116-**ملحة أبي عبد الله الإيكجاني (مذهبية وتوحيد)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

117-لعموري (عليش):

118- **مدخل إلى تاريخ العلوم عند المسلمين**، دار الأمل، الجزائر، 2009م.

- نجاح (حسن):

119-**الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 1999م.

- المغربي عبد الفتاح:

120- **الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة**، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة، مصر، 1415هـ/1995م.

- مؤنس (حسين):

121-**شيوخ العصر في الأندلس**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986م.

122-**فجر الأندلس**، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2، جدّة، السعودية، 1405هـ/1985م.

- محدة (محمد):

123-**مختصر علم أصول الفقه الإسلامي**، شركة الشهاب، ط4، الجزائر، 1990.

- مرمول (محمد صالح):

124-**السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983. (رسالة ماجستير مطبوعة).

- المشيني (مصطفى إبراهيم):

125-**مدرسة التفسير في الأندلس**، مؤسسة الرّسالة، ط1، بيروت، 1406هـ/1986م.

- معمر (علي يحيى):

126-**الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث**، المطبعة العربية، غرداية، 1987م.

- مغنية (محمد جواد):

127-**فلسفات إسلامية**، دار الهلال، دار الجواد، ط6، بيروت، لبنان، 1993م.

- الملا (أحمد علي):

128-**دراسة في علم العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة**، قصر الكتاب، ط1، البليدة، الجزائر، 1406هـ/1986م.

- الموصلي (عبد الله بن عبد الله):

129-**حقيقة الشيعة**، توزيع مكتبة ابن تيمية، ط5، القاهرة، 1407هـ/1997م.

- مكي (محمود علي):

130- **التشيع في الأندلس من الفتح حتى نهاية الدولة الأموية**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، 1424هـ/2004م.

- النعنعي (عبد المجيد):

131-**تاريخ الدولة الأموية في الأندلس – التاريخ السياسي**-، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.س.ط.

- النعيمي (عماد إسماعيل):

132-**مدرسة البصرة الاعتزالية**، دار الحكمة للطباعة والنشر، سلسلة تراث البصرة رقم6، 1990م.

- نوري (معمر):

133- **محمّد بن وضاح القرطبي مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس مع بقي بن مخلد**، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1403هـ/ 1983.

- هداية الله الحسيني (أبو بكر):

134-**طبقات الشافعية**، تحقيق وتعليق عادل نويهض، منشورات دار المعارف، بيروت، لبنان، د.س.ط.

135-يافوت (سالم):

136- **ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1430هـ/2009م.

- يحيى (مراد):

137-**افتراءات المستشرقين على الإسلام والرّد عليها**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م.

- اليعلاوي (محمد):

138-**ابن هانئ المغربي الأندلسي (320/931هـ – 362/973م) شاعر الدولة الفاطمية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م.

ثالثا- قائمة المراجع المعرّبة:

- بالنتيا (آنخل جنتالث):

1- **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.س.ط.

- بروفنسال (ليفي):

2- **الحضارة العربية في إسبانيا**، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.س.ط.

- بيل (ألفرد):

3- **الفرق الإسلامية في الشمال الفريقي من الفتح حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، لبنان، 1987.

- جولد تسيهر (أجناس):

4- **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمة محمد يوسف موسى، وغيره، دار الرائد العربي بيروت، لبنان، د.س.ط.

- موراني (ميكلوش):

5- **دراسات في الفقه المالكي**، ترجمة سعيد بحيري وصابر عبد الجليل، مراجعة وتحرير عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1409هـ/1988م.

- ميتز (آدم):

6- **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الإسلامية**، تر، محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط3، القاهرة، مصر، 1377هـ/1957م.

رابعا- المذكرات والرسائل الجامعية:

- بوبشيش (صالح):

1- **أبو الوليد الباجي وآراؤه الفقهية (403-474)**، دكتوراه في أصول الفقه، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية – قسم الشريعة الإسلامية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة- السنة الجامعية: 1423هـ-1424م / 2002-2003.

- بولعراس (خميسي)

2- : **الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف**، مذكرة ماجستير، تحت إشراف أ.د.مسعود مزهودي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006/2007.

- حسبلاوي (نسيم):

3- **الحياة الفكرية في الأندلس في عهد الدولة الأموية (138-422هـ / 756-1031م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف عبد الحميد حاجيات، ومحمد الأمين بلغيث مشرفا مساعد، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية –قسم التاريخ- السنة الجامعية 2000/2001م.

- عبد الجليل (ملاخ):

4- **المذاهب غير المالكية في الأندلس (138-422هـ/756-1031م) دراسة سياسية وحضارية**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف إبراهيم بحاز، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006/2007م

- نوري (معمر):

5- **الإمام عبد الرحمان بقي بن مخلد شيخ الحفاظ بالأندلس**، أطروحة بدار الحديث الحسنية، إشراف ممدوح حقي، د.س.م. ط.

خامسا-قائمة المجلات والدوريات والندوات والملتقيات:

- إرفوا (دومينيك):

1- **علماء الأندلس، ترجمة مصطفى رقي**، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 1999، ج2

- بحاز (إبراهيم):

2- **مشوهات الإباضية، نظرة من الداخل والخارج**، مجلة الحياة، دورية تصدر عن معهد الحياة بالقرارة، العدد الخامس، المطبعة العربية، نشر جمعية التراث، غرداية، رمضان 1422هـ/ ديسمبر 2001م.

3- **الميزابيون المعتزلة (قراءة جديدة لنصوص قديمة)**، مجلة الحياة، دورية تصدر عن معهد الحياة بالقرارة، العدد1 المطبعة العربية، نشر جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1418هـ/1977.

- بكوش (يحي محمد):

4- **التواجد الإباضي بالأندلس**، (محاضرة مرقونة اعتمد فيها كثيرا على كتاب العلاقات السياسية للدكتور فيلالي) ألقيت في دار العلم بواحة غرداية، يوم 03 جويلية 1984.

- البهى (أحمد عبد المنعم):

5- **الأوزاعي فقيه الشام والأندلس وإمامهما**، مجلة العربي، العدد 107، عام 27 جمادى الثانية 1387/ أكتوبر 1967م، الكويت.

- بيرغل (ج.ك):

6- **النشوة والانضباط في الفن الإسلامي**: **خطوات نحو مقترب جديد**، تر، عبد الواحد لؤلؤة، مقال في كتاب الحضارة العربية في الأندلس، ج2.

- الجيوسي (سلمى خضراء):

7- **الشعر الأندلسي، العصر الذهبي**، مقال في كتاب الحضارة العربية في الأندلس، ج1.

- بن خالد (جابر حسين)

8- **أوجه التشابه بين المعتزلة والإباضية المعاصرة في العقيدة موقف أهل السنة منها**، مجلة الدراسات، المجلد 27، علوم الشريعة والقانون، العدد2، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية، نوفمبر 2000، شعبان 1421هـ.

9- أبو سعد (عبد السلام): "سيادة الفقه المالكي في الأندلس"، **مجلة كلية الدعوة الإسلامية**، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية، العدد 18 لسنة 2001م

- الدشراوي (فرحات):

10- **الصراع المذهبي في الأندلس – عهد الإمارة والخلافة**- المجلة العربية للثقافة، العدد 27، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، مارس–سبتمبر 1994.

– محمّد الدردابي:

11- "كتاب الموطأ وأهميته بين مصادر المذاهب الفقهية"، أشغال الندوة الأكاديمية الدولية المنعقدة أيام 26-28 مارس 2008م، فاس، المغرب، **بعنوان المذهب المالكي في المغرب من الموطإ إلى المدونة**، إعداد وتنسيق عبد الله بنصر العلوي، حمزة الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2010م.

- الدوري (قحطان عبد الرحمن):

12- **البحث الفقهي**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، العدد 5، رمضان 1414هـ/ مارس 1994م.

- زيتون (محمد محمد):

13- "الفتح الإسلامي للأندلس-دراسة وتحليل-" **مجلة كلية العلوم الاجتماعية**، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، العدد4، 1980م.

- بن اشريفة (محمد):

14- **البنّاهي لا النبّاهي**، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، تصدر عن مطبوعاتها، العدد13.

- عدّاس (كلود):

15- **التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي**، مقال في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2.

- غيفين (لويس.أ):

16- **أدب الحب و"طوق الحمامة" لابن حزم**، ترجمة صالح فخري، مقال في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج1.

- فيغيرا (ماريا خيسوس):

17- **محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة**، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورجلان: 17-26 صفر 1397هـ/6-15 فبراير 1977، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، مج1.

- فييرو (ماريا ايزابيل):

18- **الزندقة والبدع في الأندلس**، ترجمة يعقوب دواني، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2.

- قاهر (محمد الشريف):

19- **منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي خطيبا، قاضيا، شاعرا**، مجلة الدراسات الإسلامية، عدد 1+2، ربيع الثاني 1423هـ/2002م، يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر.

- قريبيز (محمد):

20- **تاريخ دخول التصوف إلى الغرب الإسلامي**، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الموسم الثقافي: 1998-1999، الجزائر.

- لحمر (حميد):

21- **مصطلحات لا يعذر بالجهل في مدرسة الفقه المالكي**، مجلة الحضارة الإسلامية العدد2، أفريل 1996، يصدرها المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر.

- مؤنس (حسين):

22- **الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، سلسلة عالم المعرفة، تصدر شهريا عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط2، الكويت، جمادى الأولى 1419هـ/ سبتمبر 1998.

- بني خالد (حسين جابر):

23- "أوجه التشابه بين المعتزلة والاباضية المعاصرة في العقيدة وموقف أهل السنة منها"، **مجلة الدراسات**، المجلد 27، علوم الشريعة والقانون، العدد 2، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية، نوفمبر 2000، شعبان 1421هـ.

- مارين (مانويلا):

24- **ممارسات المسلمين الدينية في الأندلس بين القرنين الثاني والرابع الهجريين/الثامن والعشار الميلاديين**، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2.

- مرزوق (محمد):

25- **جوانب من التفكير السياسي بالأندلس من خلال نماذج معينة**، المجلة العربية للثقافة، العدد 27، ربيع الأول 1415هـ/سبتمبر 1994م.

- مكي (الطاهر أحمد):

26- **الأندلس تاريخ اسم وتطوره**، مجلة الأصالة، عدد3 جمادى الثانية 1491هـ/1971م، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر.

- مكي (محمود):

27- **تاريخ الأندلس السياسي (92-897/711-1492) دراسة شاملة**، من مكتب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج1.

- هيرنانديس (ميغيل كروز):

28- **الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية (دراسة شاملة)**، ترجمة رشيد الحور، من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2

سادسا-المعاجم والموسوعات

- بحاز (إبراهيم) وبابا عمي (محمد بن موسى) وآخرون:

1- **معجم أعلام الإباضية من ق (1 – 15)هـ، قسم المغرب**، نشر جمعية التراث، ط1، غرداية، الجزائر، 1420هـ/1999م.

2- **معجم مصطلحات الإباضية، العقيدة، الفقه، الحضارة**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط2، سلطنة عمان، 1433هـ/2012م.

- الحميري (محمد بن عبد المنعم):

3- **كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1975.

- الرّازي (محمد بن أبي بكر):

4- **مختار الصحاح**، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى ديب البغا، دار الهدى، ط4، عين مليلة، الجزائر، 1990.

- الغنيمي (عبد الفتاح مقلد):

5- **موسوعة المغرب العربي**، مكتبة مدبولي، القاهرة، دون سنة الطبعة، ج3 من مج2.

- الرّاسخ (عبد المنان):

6- **معجم اصطلاحات أصول الفقه**، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.

- كونزمان (بيتر):

7- **أطلس الفلسفة**، ترجمه عن الألمانية، جورج كتورة، مطبعة تيبوس برس، بيروت، لبنان 2001م.

- مصطفى (إبراهيم) والزيات (أحمد حسن) وآخرون:

8- **المعجم الوسيط**، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، تركيا، د.س.ط.

- مؤنس (حسين):

9- **موسوعة تاريخ الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، مصر، 1416هـ/1996م، ج1.

10- **موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ وفكر وحضارة وتراث**، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، القاهرة، مصر، 1430هـ/2009م.

- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن بكر):

11- **لسان العرب**، نسقه وعلّق عليه ووضع فهارسه علي بشري، مؤسسة التاريخ العربي، ودار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992، ج10.

سابعا-المراجع الأجنبية:

1) André CLOT, L'Espagne musulmane VIII-XV siècle, Editions Perrin, paris, 2013.

2) Emilio González Ferrir: **Historia general de Al Ándalus**, Europa entre Oriente y Occidente, Tercera edición, Editorial ALMUZARA, España, 2009.

3) G.C.Anawati et Louis Gardatet, mystique musulmane, aspecte et lendances, Librairie phillosophique.J.vrin, Paris, 196.

4) Levi Provencal, Histoire de l`Espagne Musulmane G-P Maisonneuve, Paris - E.J.Brill, Leden, 1950,Tome I

5) Louis Gardatet, et G.C.Anawati , mystique musulmane, aspecte et phillosophique.J.vrin. Paris, 1961, Lendances, Librairie.

6) Louis Gardet, Etudes de philosophie et mystique compares, Librairie philosophique, J.vrin, Paris , 1972.

7) Louis Gardet**, Etudes de philosophie et mystique_compares**, Librairie philosophique, J.Vrin, Paris, 1972.

8) Louis Gardet, la mystique, que sais-je ? PUF. 2eme édition France, 1981.

9) Louis Gardet, la mystique, que sais-je ? PUF. 2eme édition, France,1981. P.99 et suite.

10) MARIBEL Fierro, AL-ANDALUS savoirs et échanges culturels, Traduit de L'espagnol par Anne-Marie LAPILLONNE, CIDOB edicions, Icaria editorial, Espagne, 2001.

11) M'hammed BENABOUD: **Religious knowledge and political power of the ULAMA IN AL-ANDALUS during the period of the TAIFA states, saber religioso y poder politico en el islam**, Actas del Simposio Internacional (Granada, 15-18 octuber 1991), agencia espanola de cooperacion internacional, Madrid, 1994.

12) Musulmane, G- - Levi Provencal, Histoire de l'Espagne Pmaidonneuve, Paris – E.J.Brill, Leden. 1950. Tome I, II, III

13) Pedro Martinez MONTAVEZ, La Literatura àrabe y España, separata de la revista de inormacion de la comision nacional Española de cooperacion con la unesco (NUMS27/28/29(sin informacion.

14) Pierre GUICHARD, AL-ANDALUS 711-1492 une histoire de L'Espagne musulmane, Librairie Arthème Fayard/Pluriel, 2011.

15) Pierre Marthelot, et all, **Islam civilisation religion**, Libraries Artheme Fayard, Paris, France. 1965.

16) Pierre Marthelot, et all, Islam civilisationet religion, Libraire Artheme Fayard, Paris, France. 1965.

17) William.C.Atkinson, Histoire d’Espagne et du Portugal, petite bibliothèque payot, n.d Paris.

18) William.C.Atkinson, Histoire d'Espagne et du portugal, Petite bibliothèque payot, n.d Paris.

فهرس

الموضوعات

فهر ?? تويا ?